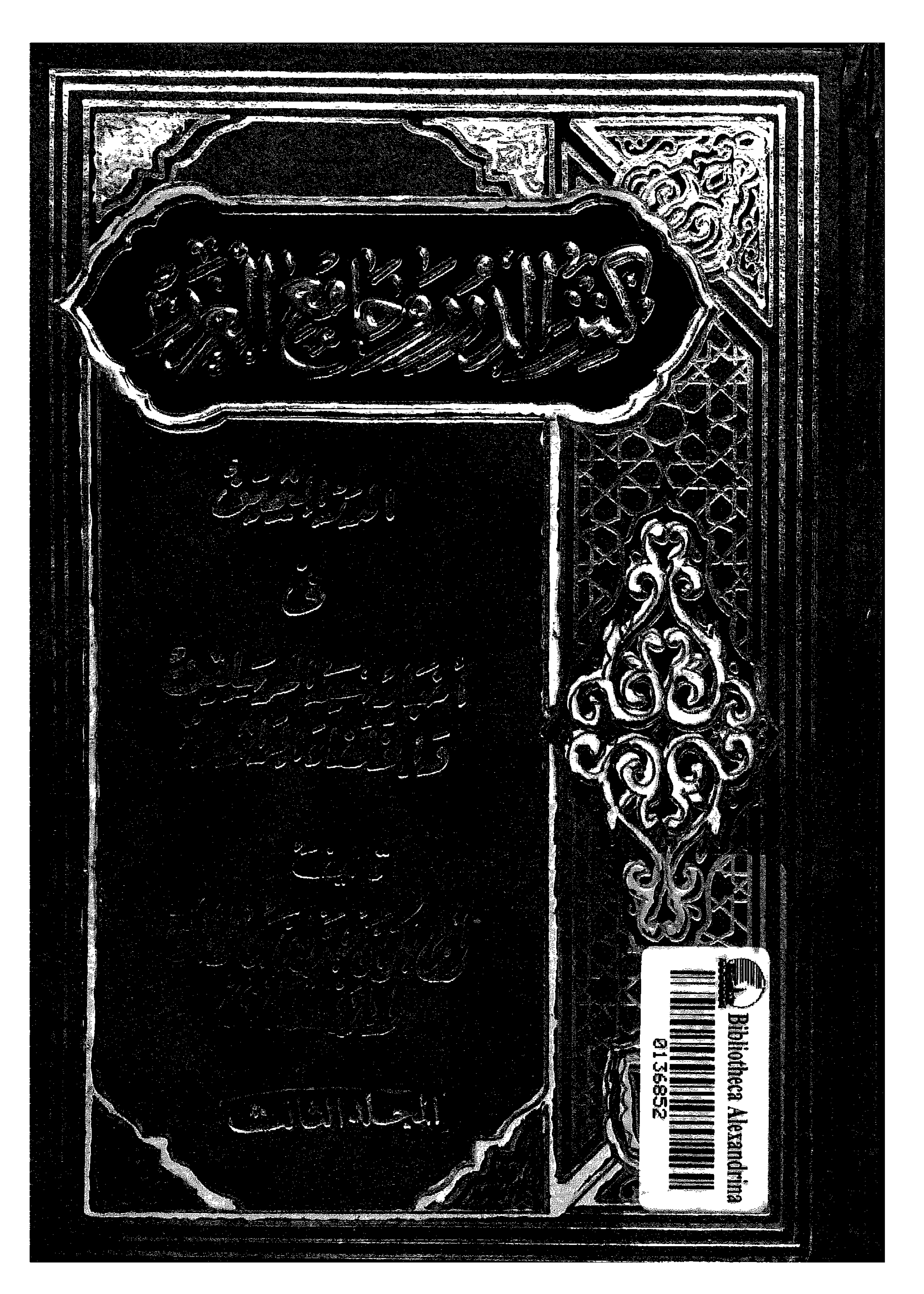

المجلد الثالث
Bibliotheca Alexandrina
0136852







الدر الثمين في أخبار سيد المرسلين والخلفاء الراشدين

مصادر تاريخ مصر الإسلامية

يصدرها

قسم الدراسات الإسلامية

بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة

جـــزء ١ قسم ٣

كنز الدرر وجامع الغرر

الجزء الثالث

الدر الثمين في أخبار سيد المرسلين والخلفاء الراشدين

تأليف
أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري

تحقيق
محمد السعيد جمال الدين

القاهرة
١٤٠٢ هـ — ١٩٨١ م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

وبعد :

يعد كتاب كنز الدرر وجامع الغرر لأبى بكر بن عبدالله بن أيبك الدوادارى من الكتب الهامة فى التاريخ الإسلامى عامّة وتاريخ مصر فى العصر المملوكى بصفة خاصّة ، ولقد ظلّ هذا الكنز مخفيًّا فى بطون المكتبات حتى توفّر على تحقيق أجزاء منه ونشرها مجموعة من المستشرقين الأوربيين والباحثين العرب ، وذلك منذ عام ١٩٦٠ م .

ومن عادة ابن الدوادارى فى سائر أجزاء كتابه أن يسمّى كلّ جزء باسم خاصّ به ، فالكتاب كنز درر ، وكلّ جزء منه يمثل درّة من الدرر التسع الذى يحتويها .

ولذلك نجده يطلق على هذا الجزء الثالث من كتابه اسم : الدر الثمين فى أخبار سيد المرسلين والخلفاء الراشدين، فهو بهذا العنوان يحدد الموضوعات التى سيتناولها فى كتابه ، وهى : السيرة النبوية ، وتاريخ الخلفاء الراشدين ، حتى انتهاء خلافة الحسن بن علىّ بن أبى طالب .

وبعد أن يمضى المصنف شوطاً فى الحديث باختصار فى السيرة النبوية حتى يصل إلى هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة يأخذ كعادة معظم المؤرخين المسلمين فى سياقة

الأحداث التاريخية على حسب السنين . وهكذا فإنّ المصنف رغم أنه يتناول في هذا الجزء سيرة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ، فهو لا ينسى الشرط الذى شرطه على نفسه فى أوّل أجزاء هذا الكتاب : وهو أن يقدّم قبل كلّ حادث حدث فى كلّ سنة من السنين التى يذكرها حال النيل من الزيادة والنقصان ، فطبّق نفس الشرط على هذا الجزء أيضاً ، وصدّر حديثه فى حوادث كلّ سنة من السنين بنبذة مختصرة عن مقدار الزيادة فى مياه النيل، ولم يكتف بهذا فحسب بل عنى بالحديث عن موقع نهر النيل ومنابعه ومصابّه ، والمقاييس التى بنيت عليه فى مختلف العصور .

وبعد أن يفرغ المصنّف من السيرة النبوية الشريفة ، وهى التى استغرقت ثلث هذا الجزء تقريباً ، يبدأ فى ذكر أخبار كل واحد من الخلفاء الراشدين ، ولكنّه يعمد قبل الدخول فى الأحداث التى وقعت فى عهد كل خليفة — وهى الأحداث التى رتبها حسب سنين وقوعها — يعمد إلى ذكر نسب الخليفة وبعض سيرته ومآثره وما اشتهر به قبل خلافته .

ولا يكتفى المصنف بما نثره فى كتابه من شعر ورجز ، بل يخصص فى نهاية هذا الجزء — مثلما فعل فى سائر أجزاء الكتاب — فصلًا يتضمّن بقيّة الشعراء المخضرمين الذين أدركوا الإسلام . وقد يلاحظ المصنّف أنّ بعض الأشعار والأرجاز ، وكذا بعض الروايات ، يصعب على القارئ فهم بعض ألفاظها، فيعمد عندئذ إلى شرح هذه الألفاظ تيسيراً على القارئ .

ويتميّز هذا الجزء بنفس مميزات سائر أجزاء الكتاب ، فهو مكتوب بخط نسخ واضح ، ومسطرته ٢١ سطراً ، وصفحاته مرقمة ترقيماً سليماً واضحاً على أن هذا الجزء يقع فى ١٦٧ ورقة = ٣٣٣ صفحة .

ولقد حرصت فى تحقيق لهذا الجزء على الرجوع - بقدر الإمكان - إلى المصادر الأصلية التى رجع المصنف لها وأشار إليها، ومقارنتها بالأصل، فجعلت تلك المصادر بمثابة نسخة ثانية أقوم فى ضوئها بتصحيح الأصل وتبين غوامضه، غير أنى فى حالة الاختلاف بين الأصل والمصادر كنت أرجح إثبات ما جاء فى الأصل، ما لم يكن هناك خطأ واضح أو تصحيف بيّن .

أما الأحداث التى لم يشر المصنف فيها إلى مصادره فقد راجعت المصادر المعتمدة، والتى يغلب على الظنّ أن المصنف رجع إليها بنفسه أو رجع إليها من ينقل هو عنه، وقد أثبتُّ الاختلافات بين الأصل وتلك المصادر فى الهوامش الموضوعية .

وكان لابدّ لنا من تصحيح الأخطاء اللغوية والإملائية التى وقع فيها المصنّف فخصصنا لها هامشاً مستقلا بخلاف الهوامش الموضوعية، بمعنى أننى قسمت كلّ صفحة إلى قسمين :

القسم الأول : وهو المتن الذى كتبه المصنف .

القسم الثانى : وهو الهوامش، وجعلتها على نوعين :

١ - الهوامش اللغوية : وترد هذه الهوامش أسفل المتن مباشرة، وتشتمل على تصحيح الأخطاء النحوية والإملائية التى وقع فيها المصنف، كما تشتمل على الاختلاف فى رسم الكلمات العربية بين عصر ابن الدوادارى وعصرنا الحديث وقد اهتدينا فى تسجيل هذه الهوامش بأرقام السطور .

٢ - الهوامش الموضوعية : وترد أسفل الهوامش اللغوية، وهى تتضمّن التعليقات التوضيحية لبعض غوامض النص، كما تتضمن تصحيحات للأخطاء الموضوعية التى وقع فيها المصنف، والتعريف ببعض الشخصيات، ومقارنة اقتباسات المصنف بالكتب التى اقتبس منها والموجودة بين أيدينا .

وقد استخدمنا فى هذه الهوامش الطريقة المعروفة ، وهى طريقة الأرقام المسلسلة الموضوعة بين قوسين بعد كلمة أو جملة فى المتن، ولكل رقم من هذه الأرقام نظير فى الهامش يشتمل على التعليقات والإيضاحات المتعلقة به .

والحقيقة أنه لم يكن بالإمكان إنهاء هذا العمل على هذا النحو لولا الجهود والمساعدات القيمة التى بذلها - عن طيب خاطر - عدد من الإخوة الأفاضل ، أذكر منهم: الدكتور على عشرى زايد أستاذ النقد الأدبى المساعد بجامعة القاهرة الذى قام بمراجعة الأشعار التى وردت فى هذا الجزء والمعاونة فى تصحيحها ، والدكتور عبد الله محمد جمال الدين الأستاذ المساعد بقسم التاريخ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، والدكتور فاروق عبد العليم مرسى الأستاذ المساعد بكلية الشريعة واللغة العربية بالقصيم وكلاهما ساعدنى - مشكوراً - فى مراجعة بعض موضوعات هذا الجزء .

ويجدر بى أن أقدم شكرى وتقديرى للبروفسور هانز روبرت رويمر رئيس جمعية المستشرقين الألمان الذى شجعنى على القيام بهذا العمل وقدّم لى كل عون ممكن فى سبيل إخراجه. كما أسجل شكرى وامتنانى للبروفسور فيرنر كايزر رئيس المعهد الألمانى للآثار بالقاهرة الذى هيأ أسباب طبع هذا الكتاب وتيسير الإفادة به . ولن أنسى ما حظيت به من تشجيع لإنجاز هذا العمل خصّنى به البروفسور أولرخ هارمان الأستاذ بجامعة فريبورج .

* * *

وختاماً أحمد الله تعالى، وأصلّى وأسلّم على خير خلقه وخاتم رسله سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه .

المدينة المنورة فى : ١٩ من جمادى الأولى سنة ١٤٠١ هـ
٢٥ من مارس سنة ١٩٨١ م

محمد السعيد جمال الدين

فهرست لما فى هذا الجزء

قد جمع من الزبد والأخبار والنبذ

---

(١) لما فى هذا : لما هذا (٥) ومنشئه : ومنشأه (١٠) لأحد : لإحدى
(١١) أحد : إحدى (١٢) أبى طالب : أبو طالب (١٥) المؤذين : المؤذون
(١٦) المستهزئين : المستهزون

الصفحة

---

(٣) المشبهين : المشبهون (١٢) وأنسابهن : وأنسابهم

(٨) وما جرى : وما جرا (١٢) وبدء : وبد (١٧) المآخذ : المآخذ

صفحة

---

(١٣) الحكمين : الحكمان . (١٥) عمرو : عمر .
(١٧) قضاياه : قضايا .

صفحة





الجزء الثالث من تاريخ

كنز الدرر وجامع الغرر

تأليف أضعف عباد الله وأفقرهم إلى الله أبو بكر
ابن عبد الله بن أيبك صاحب صرخد ، كان عرف والده
رحمه الله بالدواداري ، انتسابا لخدمة الأمير
المرحوم سيف الدين بلبان الرومي الدوادار الظاهري ،
تغمده الله برحمته وأسكنهم فسيح جنته بمحمد وآله .

وهو

الدر الثمين في أخبار سيد المرسلين والخلفاء الراشدين

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

رب اختم بخير

الحمد لله الذى لا تراه العيون بمشاهدة العيان ، ولـكن تراه القلوب بحقائق
الإيمان ، كوّن الأكوان بإتقان صنعته ، ولوّن الألوان بإحسان صبغته ، وخلق
الإنسان علّمه البيان لمعانيه وصيغته ، ليس له مثيل ، ولا يحدّه مكان ، ولا يقال
أين كان ولا كيف كان. اخترع مأبدع جميع الموجودات بحكمته، وأرمى مأصمى (٢)
قلوب عباده بمحبّته ، وجعل سائر الأعمال والعمال مفتقرين إلى رحمته ، فتعالى
عن الـكيف والأين والزمان ، سبحانه كلّ يوم هو فى شأن. أحمده على ما أولانا
من خصائص نعمته ، وأشهد أن لا إله إلا الله إقراراً بربوبيّته وأشهد أنّ محمّداً
عبده ورسوله خيرته من بريته ، الذى أنارت الأرض وحندسُها (٣) بمولده ،
وسقطت الأصنام لوجهها من هيبته ، أفصحُ من أفصحَ بلسان فأبان ، وأعلمُ من
علّمَ علمَ البديع والبيان ، انشقّ لمولده الإيوان ، حتى تحيّر كسرى أنوشروان ،
وغارت بحيرة سارة وخمدت النـيران ، ومن قبلها ما رآه فى أحلامه الموبَذان ،

---

(٥) يحده : يحد (٦) الموحودات : الموجدات || وأرمى فأصمى : وأرما فأصما
(١٣) وغارت : وعاره

(١) ظهر فى أعلى الصفحة ختم الواقف ونقشه : «الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله» . وتحت النقش كلمة : وقف ، ثم توقيع الواقف

(٢) وأرمى فأصمى : أرمى : رمى (لسان العرب لابن منظور) . أصمى : الإصماء ، قتل الصيد فى مكانه ، ومعناه سرعة إزهاق الروح (ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث ، طبع بيروت ١٣٨٣ (١٩٦٣) تحقيق الطاهر الزاوى ومحمود الطناحى ، ٣ : ٥٤)

(٣) حندسها : ظلامها ، وفى حديث أبى هريرة : «كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة ظلماء حندس أى شديدة الظلمة . (ابن الأثير ، النهاية أيضا ، ١ : ٤٥٠)

فكان من تفسيره ما بشّرت به الكهّان ، من ظهور سيّد ولد عدنان . تشرّفت
الأرض على السماء بتربته ، وجميع الأمم تحشر تحت لواء أمته ، صلّى الله عليه
وعلى آله وعترته ، وأصحابه أولى الشرف والجود والإحسان ، والتابعين لهم ٣
بإحسان إلى يوم العرض على الميزان .

قال العبد الفقير المعترف بالتقصير ، واللسان القصير ، أضعف عباد الله ،
وأفقرهم إلى الله ، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك صاحب صرخد عرف والده ٦
بالدواه دارى انتسابا لخدمة (٣) الأمير المرحوم سيف الدين بلبان الروى الدوادار
الظاهرى ، تغمّدهم الله برحمته ، وأسكنهم أعلى الدرجات فى جنّته ، بمنّه وكرمه
ورأفته : لما قدّمنا القول فى الجزء الأوّل والثانى من هذا الكتاب ، المسمّى ٩
بكنز الدرر وجامع الغرر ، وضمّنهما العبد من الفنون ، ما يهيّم الخاطر وينزّه
العيون ، وأودعهما من النكت والأخبار والملح والآثار ، ما يشرح الصدور ،
ويزهو بحسنه على الدرّ المنثور ، إذا فصّل بالشذور ، ونظم عقوداً فى نحُور الحور ، ١٢
وسُقْتُ فيهما الكلامَ ، من قبل آدم عليه السلام . وذكرت فى الجزء الأوّل
ابتداء المخلوقات ، بخلق السماوات ، والآثار العلويّات ، والأرضين ، ومدّة
التصوير والتكوين . وأتبعْتُ ذلك فى الجزء الثانى بخلق آدم عليه السلام ، ١٥
ومن كان من دونه من الأنبياء الكرام ، ثم ذكرت سائر ملوك الأرض ،
يتلو بعضُهم البعض ، والسحَرة والكُهّان ، من قبل آفة الطوفان ، ثم من ملك
الأرض بعد ذلك فى طولها والعرض من سائر ملوك الأمصار ، فى جميع الأقطار ، ١٨

---

(٣) أولى : أولو (٧) بلبان : بلبان (٨) أعلى : أعلا
(١٢) ويزهو : ويزهوا
(١٧) يتلو : تتلوا

وأتبعنا القول بذكر أيّامِ الجاهليّةِ الأولى ، أرباب الدُّوَلِ والخَوَلِ ، وطرّزنا
ذلك بذكر الفحول من شعراء الجاهليّة، ونُبَذ أخبارِهم الأوائليّة ، وما نطقت به
٣ المبشّرون ، بظهور سيّد المرسلين ، من أقوال الكهنة والمتفرّسين ، إلى أن انتهى
بنا الكلام إلى مولد خير الأنام ، ومصباح الظلام ، ورسول الملك العلّام ،
محمّدٍ عليه أفضلُ الصّلاة والسّلام ، فجعلنا أوّلَ هذا الجزء مُشرّفاً بمولده وذكره
٦ وما لخّص من سيرته ، وأتبعنا ذلك بذكر الخلفاء الراشدين من أهله وأصحابه
وعشيرته ، إلى حيث وقف بنا الكلام فى هذا الجزء ، فأثنينا العنان ،
والله المستعان .

٩ * * *

(٢) شعراء : الشعراء || المبشرون : المبشرين
(٨) والله المستعان : وبالله المستعان

ذِكْرُ سيِّدنا رسولِ الله ﷺ

ونسبه ومولده ومبعثه وما لخِّص من معجزاته وآياته وسيرته

أمّا نسبه ﷺ ، المتّفق عليه ممّا فى أيدى الناس ، ممّا أجمع على ذلك أرباب ٣
التاريخ . ممّن عُنِىَ بجمع أخبار العالم ، فهو : أبو القاسم محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ
عبدِ المطّلبِ ، وهو شَيْبَةُ الحمدِ بنِ هاشم ، وهو عمرو وسمّى هاشماً لقول
الشاعر فيه : ٦

عَمرو[1] العُلا هشم الثريدَ لقومه ورجالُ مكّةَ مُسنِتُون عِجَافُ

وسيأتى تتمّةُ هذا الشعر وخبره فى موضعه ، وقول الآخر :

ما أحد كهاشمٍ وإنْ هشمْ لا لا ولا كحاتمٍ وإنْ حتمْ ٩

هاشم بنِ عبدِ مناف ، بنِ قصىٍّ ، بنِ كلابِ ، بنِ مُرّة ، بنِ كعبِ ، بنِ لُؤىٍّ ،
ابنِ غالب ، بنِ فهرِ ، بنِ مالكِ ، بنِ النضرِ ، بنِ كنانة ، بنِ خزيمة ،
ابنِ مدركة . ١٢

والنضر عند أكثر النسّابين أصْلُ قريش ، فمَنْ وَلَدَه النّضرُ ، عُدّ من
قريش ، ومن لم يلدهُ فليس منهم . وقال بعض نسّابى قريش : بل هو فهر بن مالك
هو أصل قريش . وقال الهيثم بن عدى فى كتاب المثالب[2] : إن ١٥

---

(٤) عنى : عنا

---

(١) فى الأصل عمر ، والتصحيح من ابن سعد : الطبقات الكبرى ، طبع بيروت ، بتحقيق إحسان عباس ، ١ : ٧٦ ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة : « سنت » والبيت لابن الزبعرى .

(٢) هو الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن الثعلى ، ولد فى الكوفة قبل سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧) ، وعاش فى واسط ، كان مؤرخا ونسابة وأديبا ، انظر الجاحظ : البيان والتبين ، طبع مصر ١٩٤٨ م ، تحقيق عبد السلام هارون ، ١ : ٣٤٧ ، ٣٦١ . أما كتابه : «المثالب» فقد ضاع ولم تبق منه سوى بعض المقتطفات فى كتب متأخرة عنه كالأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، والإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر . انظر : فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربى ، ترجمة محمود فهمى حجازى ، وفهمى أبو الفضل ، طبع مصر ١٩٧٧ م ، ١ : ٤٣٨ ـ ٤٣٩

إنّ دغفلا(١) النسّابة دخل على معاوية أيّام خلافته ، فقال له : من رأيتَ من علية
قريش ؟ قال : رأيتُ عبد المطّلب بن هاشم وأميّة بن عبد شمس . فقال: صفهما .
٣ فقال : كان عبد المطّلب أبيض مديد القامة حسن الوجه ، في جبينه نورُ النبوّة
وعزّةُ الملك ، يطيف به عشرةٌ من بنيه كأنّهم أُسْدُ غاب . قال : فصف لى أميّة ،
قال: رأيته شيخاً قصيراً نحيف الجسم ضريراً يقوده عبده ذَكْوان . فقال معاوية:
٦ مه ، ذاك ابنه عمرو . قال : هـذا شيء قلتموه بعد ، وأما الذى عرفتُ فهو
ما أخبرتك به .

قلت : وذَكوان هذا المسمّى عمرو هو أبو أبى معيط ، واسمه : أبو معيط
٩ أبان بن عُقْبة بن أبى معيط ، وألحقه (٥) بالنّسب أميّةُ بن عبد شمس ، فى خبر
طويل يأتى فى موضعه إن شاء الله تعالى .

النضر بنُ كنانةَ ، بنِ خزيمة ، بنِ مدركة ، بن إلياس ، وَلَدُ إلياس
١٢ يقال لهم خِنْدِف تسموا لأمّهم خندف وهو لقبها ، واسمها ليلى بنت حُلْوان ،
ابن عِمْران ، بن الجاف ، بن قضاعة ، وهى أم مدركة ، وطابخة ، وقمعة ،
بنى إلياس .

١٥ ابن مضر ، بن نزار ، بن معدّ ، بن عدنان .

---

(١) دغفلا : دعفلا (٨) أبو أبى معيط : أبو أبو معيط
(١٠) إن شاء : انشاء (١٢) خندف : خندق

---

(١) هو دغفل بن حنظلة بن زيد الشيبانى ، كان يسمى بالنسابة ، عاش فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يقابله ، والتقى بمعاوية بن أبى سفيان فسأله فى قضايا اللغة والأنساب والنجوم ، توفى بفارس سنة ٦٥ هـ (٦٨٥ م) . انظر : الجاحظ : البيان والتبيين ، الجزء الأول فى مواضع متعددة ، مثلا ص ٢٤٧ ، ٢٧٣ ، ٣٠٤ ، وفؤاد سزكين : تاريخ التراث العربى ١ : ٤٢٥ ـ ٤٢٦

قلت : إلى ها هنا المتفقُ عليه لقوله ﷺ : « كذب النسابون إن جاوزوني عدنان »(١) .

وأمّا ما ذكره النسّابون من العرب ، من اتّصال عدنان بآدم أبي البشر ، فهو : عدنان ، بن أدّ ، بن أدد ، بن الهميسع ، بن شَجَب ، وقيل أشجب (٢) ، ابن تبت ، بن قيدار ، بن إسماعيل ، بن إبراهيم . هذا الذي رواه نسّابو العرب. وروى ذلك عن الزّهرى (٣) ، وهو من علماء قريش وفقهائها .

وأمّا من ذكر من النسّابين ، ممّن أخذ فيما زعم عن دغفل وغيره ، فقال(٤) : معدُّ بنُ عدنان ، بنِ أدد ، بنِ أمين ، بنِ شاجب ، بنِ نبيت ، بنِ ثعلبة ، ابن عتر ، [بن سعد رجب](٥) ، بن بريح ، بن محلّم ، بن العوّام ، بن المحتمل ، ابن رائمة ، بن العيقان ، بن علة ، بن شحدود ، بن الظريب ، بن عبقر ، بن إبراهيم ، ابن إسماعيل ، بن يزن [الطعان](٥) ، بن أعوج ، بن المطعِم ، بن الطمح ،

(٤) شجب : شحب (٥) نسابو : نسابوا
(٨) شاجب : شاحب || نبيت : تبت (٩) عتر : عفر
(١٠) العيقان : العتبان || الظريب : الضراب (١١) يزن : ازر

(١) لم يرد بهذا اللفظ ، وإنما ورد باللفظ التالي : « كذب النسابون مرتين أو ثلاثا » في ابن سعد : الطبقات الكبرى (ط . بيروت ، بتحقيق إحسان عباس ١ : ٥٦) ، وانظر أيضا : السهيلي : الروض الأنف (طبع مصر ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل) ١ : ٦٦ ، والسيوطي: الجامع الصغير (ط . مطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة) ٢ : ٩٠ ، والنويري : نهاية الأرب (طبع وزارة الثقافة المصرية) ١٦ : ١٣

(٢) في ابن هشام ، طبع مصر ١٩٧٨ م ، تحقيق الدكتور محمد فهمي السرجاني ، ١ : ٥ : يشجب ، وعلى كل حال فهناك اختلاف كبير بين المصادر في ذكر النسب الشريف بعد عدنان

(٣) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري (٥٠ ـ ١٢٤ هـ) ، كان محدثا ، ومؤرخا عارما بالشعر ، وله كتاب مفقود في الأنساب بعنوان : نسب قريش ، انظر فؤاد سزكين ، تاريخ التراث ، ١ : ٤٥٠ ـ ٤٥٣ من الترجمة العربية

(٤) يبدو أن المصنف ينقل من تاريخ الطبري (طبع دار العلم ، بيروت ، نقلا عن طبعة بولاق) ٢ : ١٩٣ ـ ١٩٤ . ولذلك سنصحح هذه القائمة اعتمادا على الطبري

(٥) الإضافة من الطبري

ابن القسوّر ، بن عنود ، بن دعدع ، بن محمود[١] ، بن الزائد ، بن نيدوان ،
ابن أيامه ، بن دوس ، بن حصن ، بن نزال ، بن القمير ، بن الجشّر ، بن مزهر ،
٣ ابن الصفىّ ، بن نبيت ، بن قيذر[٢] ، بن إسماعيل ذبيح الله ، بن إبراهيم خليل
الله ، صلّى الله عليهما[٣] .

ثم أجمعوا[٤] أنّ إبراهيم ، بن آزر ، وهو اسمه بالعربيّة ، كما ذكره الله تعالى ،
٦ وهو فى التوراة بالعبرانيّة : تارح بن ناحور ، وقيل ناحر ، بن الشارع ، وهو
شاروغ ، بن أرغو ، بن الراع[٥] ، بن فالغ[٦] وهو قاسم(٦) الأرض الذى قسمها
بين أهلها ، بن عابر ، بن شالخ ، بن أرفخشد ، بن الرافد ، قيل بل أرفخشد اسمه الرافد ،
٩ ابن سام ، بن نوح عليه السلام .

ثم أجمعوا أن نوح بن مالك ، فى لغة العرب ، هو تلكان بن المتوشلّخ ،
وهو المثوب ، بن أخنخ ، وهـــو إدريس نبىّ الله صلّى الله عليه ، بن يرد ، وهو
١٢ الرائد ، بن مهلاييل ، وهو سهل ، بن قينان ، بن أنوش ، وهو الظاهر ، ابن شيث ،

---

(١) عنود : عبود || الزائد : الرايد || نيدوان : بدوان || ايامه : امامه
(٢) القمير : القمين || المجشر : محسن || مزهر : معدر
(٣) الصفى : صيفى || نبيت : نبت || قيذر : قيدر
(٧) شاروغ : شاروع || أرغو : ارعوا (٨) عابر : غابر
(١٠) هو : وهو (١١) يرد : برد

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : عافر ، ولم يرد اسم محمود من بين أسمائه
(٢) النبيت وقيذر عند الطبرى شخص واحد
(٣) إلى هنا كان اعتمادنا على الطبرى فى التصحيح
(٤) وردت هذه السلسلة أيضا فى تاريخ الطبرى ١ : ١٩٤ ، وابن هشام : السيرة النبوية ، فى الجزء الأول فى مواضع متفرقة ، مثلا ص ٦ ، ٥٩ ، وسنعتمد عليهما فى التصحيح
(٥) كذا فى الأصل ، وهذا الاسم دخيل على السلسلة فيما يبدو ، فليس له أدنى ذكر فى المصادر التى بين أيدينا
(٦) كذا أيضا فى ابن هشام ، وفى الطبرى : بالغ

وهو هبة الله ، ويقال شات بن آدم(٥)، أبي البشر صلّى الله عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين من ذريّته وسلّم تسليما .

قلت : هذا الذى فى أيدى الناس من النسب على اختلافهم فيه ، وقرأتُ هذا النسبَ وصحّحتهُ فى سنة عشر وسبع مائة على الشيخ الإمام صدر الدين ابن وكيل بيت المال المعروف بابن المرحّل(١) ، رحمه الله تعالى وسائرَ علماء المسلمين ، وغفر لنا ولهم ولكافّة أمّة محمّد أجمعين(٢) . ٣

* * *

---

(٥) شيث : شيت

---

(١) ذكر المصنف ترجمة مختصرة للشيخ صدر الدين بن المرحل ، ومقتطفات من أشعاره فى الجزء الثامن من كنز الدرر وجامع الغرر ، ص ٣٨٥ وما بعدها ، طبع القاهرة ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) بتحقيق أولرخ هارمان . وانظر أيضاً عن « الشيخ صدر الدين محمد بن الوكيل المعروف بابن المرحل » كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب ، النسخة المصورة بدار الكتب المصرية برقم ٥٩٢ معارف عامة ، جـ ٤ ورقة ٣ – ٤

(٢) فى الهامش مكتوب بخط فارسى : « عادة المصنفين إضافة كافة ، وقال بعضهم لاتضاف، وهو الصحيح لغة »

ذِكْر ما لُخِّص من ذكره ﷺ

قال الزبير بن بكّار[1] : حملتْ به أمُّهُ عليه السلام ـ وهى آمنة بنت وهب ابن عبد مناف ـ أيّامَ التشريق فى شِعب أبى طالب . ووُلِدَ ﷺ بمكّة فى دار محمّدِ بنِ يوسفَ أخى الحجّاج ، وقيل بل شِعب بنى هاشم ، وذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأوّلِ عام الفيل ، وقيل لثمانٍ خلوْن منه ، وقيل لاثنتى عشرةَ ليلةً خلت منه ، وقيل لعَشْرٍ خلون منه .

ووافق ولادتَه ﷺ يومُ عشرين من نيسان سنة اثنتين وثمانين وثمان مائة للإسكندر[2] ، هذا المتّفَقُ عليه .

ومات عبد الله أبوه وله من العمر خمسٌ وعشرون سنةً ، وقيل ثلاثون ، ورسول الله ﷺ فى بطن أمّه ، وقيل إنّه مات بالمدينةِ ولرسول الله ﷺ شهران ، (٧) وقيل سبعة أشهر : وقيل بل كان له سنتان وأربعة أشهر . والمتّفَقُ عليه أنّ عبدَ الله لم يره .

(٥) لليلتين : لليتين (٦) لاثنتى عشرة : لاثنى عشر (١١) سبعة : سبع

(١) هو أبو عبد الله الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب القرشى ، ولد فى المدينة سنة ١٧٢ هـ (٧٨٨ م) ، وتوفى ببغداد سنة ٢٥٦ هـ (٨٧٠ م) ، انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، طبع دار الثقافة ببيروت ، بتحقيق إحسان عباس ٢ : ٣١٢ ، الذهبى : ميزان الاعتدال ، طبع مصر ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) ، بتحقيق على محمد البجاوى ٢ : ٦٦ ، ومحمود محمد شاكر : مقدمة تحقيقه للكتاب جمهرة نسب قريش ، ص ٥٤ ، ٥٥ ــ ٧٢ ، وفؤاد سزكين : تاريخ التراث العربى ، الترجمة العربية : ١ : ٥٠٨ ــ ٥١١

(٢) قال به ابن كثير مشيرا إلى أنه نقل عن السهيلى فى الروض الأنف ، انظر ابن كثير : السيرة النبوية ، طبع بيروت ١٣٩٦ (١٩٧٦) بتحقيق مصطفى عبد الواحد ، ١ : ٢٠١ ، وبمراجعتنا للروض الأنف ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، ٢ : ١٥٩ لاحظنا أن السهيلى أشار فقط إلى اليوم والشهر ، ولم يشر إلى السنة حيث قال : « وأهل الحساب يقولون : وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان ، فكان لعشرين مضت منه »

وماتت أمُّهُ ﷺ بالأبواء بين مكّة والمدينة ، وعمره ﷺ يومئذ أربع سنين ، وقيل ثمان سنين . هذا جملة ما اختلفوا فيه .

وكفله بعد موت أبيه جدُّه عبدُ المطّلب ، قال محمّد بن ظفر[1] : حدّثنى ٣ الأستاذُ الحافظ أبو القاسم عبدُ الرحمن بنُ عبدِ الوهّابِ التميمى عن أبى الحسين المبارك بنِ عبـــدِ الجبّار الصيرفى ، وهو ابن الطيورى ، عن أبى محمّد الحسين ابن على الجوهرى ، عن محمّدِ بنِ العبّاسِ بنِ حيويه ، عن أبى القاسم ٦ عبد الوهّاب بن أبى حبّة ، عن محمّد بن شجاع البلخى ، عن أبى عبد الله محمّد ابن عمر الواقدى بإسناده أنّ شيبة الحمد ، وهو عبدُ المطّلب بنُ هاشم بن عبد مناف ، كان يُبْسَطُ له فراش إلى جوار الكعبة فيجلس عليه فى ظلّها ، ويُحْدِقُ فراشَه ٩ بنوه وغيرُهم من سادة أسرته ، وكان الفراش يبسط ويجتمعون حوله قبل مجيئه ، فيأتى النبيّ ﷺ – وهو طفل – يدبّ ولا ينفيه عن الفراش شىء حتّى يجلسَ عليه ، فيزيله أعمامه عنه ، فيبكى حتى يردّوه إليه ، فطلع عليهم عبدُ المطّلب يوماً ١٢ وقد أزالوه عن الفراش ، فقال لهم : ردّوا ابنى إلى مجلسى ، فإنّه يحدّث نفسه بملك عظيم ، وسيكون له شأن . فكانوا بعد ذلك لا يردّونه عنه حضر عبدُ المطّلب أو لم يحضر . ١٥

ولمّا وفد عبدُ المطّلب على سيف بن ذى يزن فى سادة قريش يهنّونه بما

---

(١) يومئذ : يوميذ (٤) الحافظ أبو القاسم : الحافظ أبو القسم
(٦) أبى القاسم : أبى القسم (٩) فراش : فراشا || جوار : جداد
(١٠) مجيئه : مجيه

---

(١) هو حجة الدين أبو هاشم محمد بن ظفر ، له كتاب فى السيرة النبوية بعنوان : خير البشر ، طبع بالقاهرة سنة ١٢٨٠ هـ

هيّأ الله له من هلاك الحبشة وملك العرب ، هكذا يقول أكثر الرواة بأنّه سيف ابن ذى يزن ، قلت : صحّحت ذلك أنّه معدى كرب بن سيف بن ذى يزن[1] .

٣ وعاد عبد المطّلب[2] إلى مكّة ، وجلس على فراشه إلى جوار الكعبة ، فأقبل النبيّ ﷺ وهو صغير يدرج(٨) فقال عبدالمطّلب: أفرِجُوا لابنى ، ورماه ببصره حتى استقرّ على الفراش ثم أنشد عبد المطّلب :

٦ أعيــــذه بالواحــد من شرّ كلّ حاسد

ثم قال : أنا أبو الحارث ، ما رميتُ غرضاً إلّا أصبتُه ، يريد ما تخطىء فراستى ولا يخيب ظنّى . فقال له ابنه الحارث : يا سيّدَ البطحاء ، إنّك تقول

٩ قولًا مُضمَّناً ، فلو أوضحت ، فقال : ستعلم يا أبا سفيان .

قلت : هذا الحديث يستدعى حديثين : فأحدهما معلق بقول عبد المطّلب : أعيذه بالواحد ، من شرّ كل حاسد . وهو أنّ آمنة بنت وهب أمّ النبيّ ﷺ

١٢ أرسلت هى وقابلتها إلى عبد المطّلب ، فى الليلة التى وُلد فيها رسول الله ﷺ ، بأن يأتى إليها ، وكان عبد المطّلب إذ ذاك يطوف بالبيت ، فأتاها ، فقالتا له : يا أبا الحارث ، وُلِدَ لك الساعةَ مولود له أمر عجيب ، فذُعِر عبد المطّلب وقال : أليس بشراً سويًّا ؟ فقالت له : بلى ، ولكنّه سقط حين خرج إلى الدنيا خارّاً

---

(١) بأنه : فإنه (٧) أبو الحارث : أبو الحرث (فى كل المواضع)
(٩) يا أبا سفيان : يا با سفيان (١٤) يا أبا الحارث : يا با الحرث

---

(١) سيرد بعد قليل تفصيل عن زيارة عبد المطلب لسيف بن ذى يزن أو ابنه معدى كرب (وفق ما يقول المصنف) ، وبشارة سيف بالنبى صلى الله عليه وسلم

(٢) يعنى رجع عبد المطلب من اليمن ، بعد زيارته لمعدى كرب بن سيف بن ذى يزن أو لأبيه

كالرجل الساجد ، ثم [رفع][1] رأسه وإصبعه نحو السماء ، لا تُقَدَّر فيه رأساً ولا [فى][2] ذراع كفًا ، وخرج معه نور ملأ البيت ، وجعلت النجوم تدنو حتى ظَنَنَّا أنّها ستقع علينا . ٣

وقالت له آمنة : يا أبا الحارث ، إنّى لمّا اشتدّ علىّ وجع المخاض كثرت الأيدى فى البيت ، فلمّا خرج إلى الدنيا خرج معه نور رأيت فيه قصور بُصرى ، ولقد أُتيتُ قَبْـل أن ألده فى منامى ، فقيل لى إنّكِ ستلدين سيّدَ هذه الأمّة ، ٦ فإذا وقع إلى الأرض فقولى :

أعيذه بالواحد من شرّ كلّ حاسد

وسمّيه محمّداً ، فإنّ اسمه فى التوراة أحمد . ٩

فقال عبد المطّلب : أخرجى لى ابنى ، فلقد رأيتنى الساعة أطوف بالبيت ، فرأيت البيت مال حتى قلت :سقط علىّ ، ثم استوى منتصبًا ، وسمعت من تلقائه قائلاً يقول : (٩) الآن طهّرنى ربّى ، وسقط هبل على رأسه ، فجعلت أمسح عينى ١٢ وأقول إنّما أنا نائم . فأخرجته آمنة إلى عبد المطّلب ، فانطلق به إلى الكعبة ، وطاف به أسبوعاً ، ثم قام به عند الملتزم ، وجعل يقول :

١٥ يا ربّ كلّ طائف وهاجد

وربّ كلّ غائب وشاهد

أدعوك والليل طفوح راكد

(١) زيادة من السيرة الحلبية لعلى بن برهان الدين الحلبى ، طبع مطبعة الحلبى بمصر ، سنة ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م) ١ : ١١٠

(٢) زيادة رأيناها ضرورية للسياق

لَاهُمَّ فاصرف عنه كيدَ الكائد
واحطم به كلَّ عدوٍّ ضاهد
٣ وأنشه ما خلد الأوابد
فى سؤدد رابٍ وجدٍّ صاعد[1]

قلت: وفى هذا الرجز من الغريب قوله: هاجد، وهو النائم، وقوله: طفوح،
٦ وهو للممتلىء الذى بلغ غاية الملء حتى طفح، وقوله: راكد، وهو الثابت الدائم،
وقوله: لا هُمَّ، أى اللهمّ، وقوله: واحطم به، أى اكسر به، وقوله: ضاهد،
الضاهد، هو الظالم للمغتصب القاهر، وقوله: الأوابد، هى الوحش، والعرب
٩ تضرب المثل: بقيتَ ما بقيت الأوابدُ.

هذا الحديث الأوّل، فأمّا الحديث الآخر، فيتعلّق بقولنا إنّ ابن ذى يزن
بشّر عبد المطّلب بالنبيّ ﷺ، وهو ما رواه محمّد بن ظفر[2] بإسناد بلغ به
١٢ أبا صالح السّمان، أنّ ابن عبّاس قال: لمّا ظهر سيف بن ذى يزن على الحبشة

---

(١) الكائد: الكايد ــ والمصنف يجرى فى الكتاب كله على قاعدة التسهيل فيقلب الهمزة ياء، وسوف نعدلها فى كل المواضع، انظر مقدمة التحقيق
(٢) ضاهد: صاهد (٧) ضاهد: صاهد

---

(١) ورد فى الأصل هامش بخط فارسى على النحو التالى: « وفيه أيضا الإقواء برفع طفوح راكد وخلد الأوابد، والثانى بالخفض؛ أملا (صح: أملى) المصنف على بعض ذلك » والفقرة الأخيرة من هذا الهامش تدل على أن هذا القسم الأول من هذا الجزء ليس بخط المؤلف نفسه، بل هو من إملائه على أحد النساخ، فيما يبدو. راجع مقدمة التحقيق. والأبيات لا إقواء فيها لأن الروى ساكن

(٢) نقل الحافظ ابن كثير فى « السيرة النبوية » ١ : ٣٣٥ خبر هذه البشارة نفسها عن « محمد بن جعفر الخرائطى »، وهو خبر بلغ به أبا صالح الذى حدث عن ابن عباس، وورد نفس الخبر أيضا ولكن بطريق آخر فى كتاب « دلائل النبوة » للبيهقى، كذلك أورده الكلاعى فى « الاكتفاء »، كما سيأتى

وفد عليه أشرافُ العرب وشعراؤهم وخطباؤهم ليشكروه على عطائه وأخذه
بثأر قومه ، ويهنّونه بما صار إليه من الملك . وقدم عليه وفد قريش منهم
عبدُ المطّلب بن هاشم وأميّةُ بن عبد شمس وغيرها ، فاستأذنوا عليه وهو فى ٣
رأس غمدان ، وهو قصر بصنعاء ، فأذن لهم ، فدخلوا عليه ، فإذا هو
مضمّخ بالمسك وعليه بُرْدَان ، والتاج على رأسه ، وسيفه بين يديه ، وملوك
حمير عن يمينه وشماله ، فاستأذنه عبد المطّلب فى الكلام ، فقال له : إن كنت ٦
ممّن يتكلّم بين يدى الملوك فقد أذنّا لك ، (١٠) فقال عبد المطّلب : إن الله
أحلّك أيّها الملك محلّا صعباً باذخاً ، منيعاً شامخاً ، وأنبتك نباتاً طابت أرومته ،
وعزّت جرثومته ، وثبت أصله ، وبسق فرعه ، بأكرم معدن وأطيب موطن ، ٩
فأنت — أبيتَ اللعنَ — ملكُ العرب الذى إليه تنقاد ، وعمودها الذى عليه الاعتماد ،
وسائسها الذى بيده القياد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم نعم خلف ،
ولن يُجْهَلَ من هم سلفه[1] ، ولم يهلِكْ مَنْ أنتَ خَلَفُهُ ، نحن أيّها الملك أهل ١٢
حرم الله وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذى أبهجنا من كشفك للكرب الذى
فَدَحنا . فقال له الملك : من أنت أيها المتكلّم؟ فقال : أنا عبد المطّلب بن هاشم.
قال : ابن أختنا ؟ قال : نعم . فأقبل عليه من بين القوم ، فقال : مرحباً وأهلاً ، ١٥

---

(١) عطائه : عتايه

(٨) باذخا : بادخا ، جريا على عادة الكاتب فى إهمال النقطة الملازمة للذال ، راجع مقدمة التحقيق

(١٥) ابن : بن

---

(١) « فلم يخمل من أنت سلفه » (الاكتفاء فى مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء ، لأبى الربيع سليمان بن موسى الكلاعى الأندلسى ، طبع مصر ١٣٨٧ هـ ١٩٦٨ م ، بتحقيق مصطفى عبد الواحد ، ١ : ١٧٨) . وفى دلائل النبوة للبيهقى ، طبع المدينة المنورة ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩م بتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ١ : ٢٩٥ « فلم يخمل ذكر من أنت سلفه »

وناقة رحلاً ، ومستناخاً سهلاً ، وملكاً رِبحلاً[١] ، يعطى عطاء جزلاً ، قد سمع السلطان[٢] مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، أنتم أهل الليل والنهار ، لكم الكرامة ما أقمتم والجياد[٣] إذا ظعنتم .

ثم أمر بهم إلى دار الضيافة وأجرى عليهم الأنزال ، وأقاموا شهراً لا يؤذن لهم ولا يصلون إليه ، ثم إنه انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب خاصة ، فأتاه وأخلاه ثم قال له : إنى مُفْضٍ إليك من سرّى وعلى بشىء لو غيرك كان لم أبح به له ، ولكنى رأيتك أهله وموضعه ، فليكن عندك مطويًا حتى يأذن الله فيه أمرَه : إنى أجد فى الكتاب الناطق ، والعلم الصادق ، الذى اخترناه لأنفسنا ، واحْتَجَنَّاه دون غيرنا ، خبراً عظيماً ، وخبراً جسيماً ، فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة ، للناس كافّة ، ولقومك عامّة ، ولك خاصّة .

فقال عبد المطلب : أبيتَ اللعنَ أيّها الملك ، لقد أُبْتُ بخير ما آب به وافد ، ولولا هيبة الملك وإجلاله لسألته من كشف بشارته إيّاى ما أزداد به سروراً .

فقال الملك : نبىّ (١١) هذا حينه الذى يولد فيه ، اسمه محمّد ، خَدْلَج الساقين ، أنجل العينين ، فى عينيه علامة ، وبين كتفيه شامة ، أبيض كأنّ وجهه فلقة قمر ، يموت أبوه وأمّه ، ويكفله جدّه وعمّه ، قد ولدناه مراراً ، والله باعثه جهاراً ، وجاعل له منّا أنصاراً ، يعزّ بهم أولياءه ، ويذلّ بهم أعداءه ، يضربون دونه

(١) ومستناخا : ومستناخا || عطاء : عطاء ، وقد جرت عادة الكاتب على عدم كتابة الهمزة بعد ألف المد ، فى كل المواضع ، وقد صححناها ، راجع مقدمة التحقيق

(١٦) أعداءه : أعداه ، جريا على عادة الكاتب فى إهمال الهمزة التى ترد بعد ألف المد ، فى كافة المواضع ، وسوف نصححها دون إشارة فى الهامش

(١) ربحلا : كثير العطاء

(٢) فى السيرة النبوية لابن كثير : الملك

(٣) فى السيرة النبوية لابن كثير : والحباء

الناس عن عرض[١] ، ويستفتح[٢] بهم كرائم الأرض ، يكسّر الأوثان ، ويعبد الرحمن ، ويخمد النيران ، ويدحر الشيطان ، قوله فصل ، وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله . ٣

فقال عبد المطّلب : عزّ جَدُّك ، وعلا كعبك ، وطال عمرك ، هل الملك سارّى بإفصاح ؟ ، فقد أوضح لى بعض الإيضاح ، فقال له الملك : والبيت ذى الحجب ، والعلامات على النصب ، إنّك يا عبد المطّلب ، لجدّه غير الكذب. ٦

فخرّ عبدُ المطّلب ساجداً ثم رفع رأسه ، فقال له الملك : ثَلُج صدرك ، وعلا أمرك ، وبلغ أملك فى عقبك ، هل أحسست بشىء مما ذكرت لك ؟

قال : نعم ، أبيتَ اللعنَ ، كان لى ابنٌ كنت عليه مشفقاً ، وبه رفيقاً ، ٩ فزوّجته كريمة من كرائم قومى ، آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فجاءت بغلام سمّيته محمّداً ، خدلج الساقين ، أكحل العينين ، بين كتفيه شامة ، وفيه كلّما قلتَ من علامة . ١٢

فقال الملك : إنّ الذى قلتُ لكما قلت ، فاحتفظ بابنك ، واحذر عليه اليهود ، فإنّهم له أعداء ، ولن يجعل اللهُ لهم عليه سبيلاً ، والله مُظْهِرٌ دعوته ، وناصر شيعته ، فأغض على ما ذكرت لك ، واستره دون هؤلاء الرهط الذين ١٥ معك ، فلستُ آمَنُ أن تدخلهم النفاسة ، من أن تكون لكم الرياسة[٣] ،

(٥) بإفصاح : فافصاح (١١) فجاءت : فجات

(١٥) فأغض : فاغض ، جريا على عادة الكاتب فى إهمال الهمزات فى أغلب المواضع ، وقد صححتها فيما يلى دون إشارة ، راجع مقدمة التحقيق

(١) فى السيرة النبوية لابن كثير : ويضرب بهم الناس عن عرض

(٢) فى السيرة النبوية لابن كثير : ويستبيح

(٣) فى الأصل : فإن يكون لهم الرياسة ، والتصحيح من ابن كثير

فينصبوا لك[1] الحبائل ، ويطلبوا لك[1] الغوائل ، وهم فاعلون أو أبناؤهم ، وإن عزّه لباهر، وإنّ حظّهم به لوافر، ولولا على أنّ الموت مجتاحي قبل مخرجه لسرت إليه بخيلي ورجلي، وصيّرت يثرب دار ملكي، حيث يكون بها مهاجرته، ٣ فأكون أخاه ووزيره ، وصاحبه وظهيره ، على من كاده وأراده ، فإنّي أجد في الكتاب المكنون ، والعلم المخزون ، أنّ بيثرب[2] استحكامَ أمرِه ، وأهلَ ٦ نصرِه[3] ، وارتفاعَ ذكرِه ، وموضعَ قبرِه ، ولولا الدمامة ، بعد الزعامة ، وصغر السنّ لأظهرت أمره وأوطأت العرب كعبه ، على صغر سنّه ، ولكنّي صارف[4] ذلك إليك من غير تقصير بك وبمن معك .

٩ ثم أمر لكلّ رجل من القوم بعشرة أعبد ، وعشر إماء سود ، وحلّتين من حلل البرود ، وعشرة أرطال من فضّة ، وخمسة من ذهب ، وكرش[5] مملوءة عنبراً .

١٢ أمر لعبد المطّلب بعشرة أضعاف ذلك ، وقال : يا عبد المطّلب ، إذا كان رأس الحول فأتني بخبره وما يكون من أمره ، فمات الملك قبل أن يحول الحول فكان عبد المطّلب يقول لأصحابه : لا يغبطني أحد منكم بجزيل عطاء الملك ، ١٥ ولكن يغبطني بما أسرّه إليّ ، فيقال له : ما هو ؟ فيسكت[6] .

قلت : قد اشتمل هذا الحديث على ألفاظ لغوية مشكلة ، هذا بيانها :

---

(١٢) بعشرة : بعشر

---

(١) في ابن كثير : له ، ولعله أصوب

(٢) في الأصل : يثرب ، والتصحيح من ابن كثير

(٣) في الأصل : مصره ، وفي ابن كثير : نصرته ، واخترنا نصره لقربها من الأصل

(٤) في الأصل : صادق ، والتصحيح من ابن كثير

(٥) الكرش لكل مجتر ، بمنزلة المعدة للانسان ، تؤنثها العرب ، لسان العرب

(٦) كذا في الأصل ، وفي ابن كثير : سيعلم ولو بعد حين

قوله : شامخاً وباذخاً ، هما جميعاً المرتفع العالى .

وقوله : طابت أرومته ، الأرومة هى الأصل ، وهى فى الحقيقة التراب المجتمع المرتفع يكون فى أصول الشجر ونحوها . ٣

وقوله : بسق ، معناه علا وارتفع .

وقوله : أبيتَ اللعنَ ، هذه كلمة كانت العرب تحيّى بها ملوكها فى الجاهليّة ، واللعن هو الإبعاد ، فقيل المعنى أنّك أبيت أن تأتى أمراً تلعن من أجله ، وهذا ٦ عندى بعيد ، وأظنّ المعنى أنّك أبيت أن تلعنَ وافدَكَ وقاصدَكَ (١٣) أى أبيت أن تبعده .

وقوله : سَدَنَة بيته ، أى خدمته وحجبته . ٩

وقوله : وتحمّلنا منه ما لا نطيقه ، يعنى غلبة الحبشة على بلاد العرب .

وقوله : ملكاً رحلاً ، الرحل هو الضخم الطويل ، وإنّما كنّى به عن عظم القدر . ١٢

وقوله : عطاء جزلاً ، الجزل هو الغليظ والكبير من كلّ شىء .

وقوله : احتجنّاه ، أى ضممناه إلى أنفسنا وصنّاه عن غيرنا .

وقوله : خدلج الساقين ، أى ممتلئهما . ١٥

وقوله : أنجل العينين ، أى واسعهما .

وقوله : فى عينيه علامة ، يعنى الشكلة ، وهى حمرة تمازج البياض ، فكانت فى عينى النبىّ ﷺ . ١٨

وقوله : يضربون الناس عن عرض ، أى يضربون فى عرض لهم دونه ، ولا يبالون من لقوا ، ولا يحابون أحداً فيه ، وعرض الشىء ناحية منه .

---

(١) باذخا : بداخا

(١٥) خدلج : خدلح

وقوله : يخمدُ النيرانَ ، يعنى نيران فارس التى يعبدونها ، أخمدها الله برسوله ﷺ فأذهب ملكهم .

٣ وقوله : يَدْحَرُ الشيطان ، معناه يبعده .

وقوله : على النصب هى أعلام حجارة منصوبة كانت للقبائل فى الجاهليّة ، يذبح عندها ويلطّخونها بالدماء .

٦ وقوله : أغض على ما ذكرت ، أى أخفه وأسرّه ، وأصل الإغضاء مقاربة ما بين الجفون .

وقوله : ثَلُجَ صدرُك ، أى برد ، وهى كلمة يكنّى بها عن حصول اليقين .

٩ وقوله : النفاسة ، وهى نوع من الحسد على الشيء النفيس .

وقوله : الغوائل ، هى المهلكات .

وقوله : مجتاحى ، أى مستأصلى بالهلكة .

١٢ وقوله : الدمامة ، هى الصغر .

وقوله : الزعامة ، هى السيادة والرياسة .

وقوله : يغبطنى ، أى يحسدنى ، والغبط والنفاسة وإن كانا من الحسد

١٥ فقد يكون لها وجه يبيحهما الشرع ، والفرق بين الغبطة والحسد ، أنّ الغابط يودّ أن يكون له مثل نعمة المغبوط من غير أن ينقص من نعمته شيء ، وهو الذى يبيحه الشرع المطهر ، والحاسد الذى يودّ أن تزول نعمة المحسود من غير أن يناله

١٨ منها شيء (٤) وهو الذى يحرّمه الشرع .

وهذا الحديث هو الباعث لعبد المطّلب على أن قال : أنا أبو الحارث ما رميت غرضاً إلا أصبته . يريد أن الذى كان يتفرّس فى رسول الله ﷺ ويظنّه به قد صحّ عنده بما أخبره به الملك من أمره .

---

(٤) للقبائل : للسائل

الحديث الثانى : أنّ حليمة بنت أبى ذؤيب[1] السعديّة وهى ظئر رسول الله ﷺ ، والظئر هى المرضعة ، قالت : قدم علينا قائف ، تعنى رجلاً متفرّساً ، لا يخطىء فراسته ، والقافة قوم بأعيانهم من بنى مدلج ، يتوارثون القيافة ، وإنّما سمّوا قافة لأنّهم يقفون الشبه الذى يتبعونه ، وكانت العرب تقضى بأحكام القافة إذا ألحقوا رجلاً بقوم أو نفوه عنهم عملوا على ما قالوه : والشرع حكم فى القضاء بقولهم فى قضيّة مخصوصة[2] ليس هذا موضع ذكرها .

قالت حليمة : فانطلق الناس بأولادهم إلى ذلك القائف ، فلمّا نظر القائف إلى النبىّ ﷺ أخذه وقبّله ، ثم قال: ما ينبغى لهذا الغلام أن يكون فى بنى سعد ، فقال له الحارث[3] : صدقت ، وهو مسترضع فينا ، وهو ابنى من الرضاعة ، فقال القائف : اردده على أهله ، فإنّ له شأناً عظيماً ، وستفترق فيه العرب ، ثم تجتمع عليه .

ونحو ذلك ما روى من حديث جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : خرج رسول الله ﷺ وهو غلام يلعب ، فرآه قوم من بنى مُدْلِج ، فرعوه بنظرهم ونظروا إلى قدميه ، وفقده عبد المطّلب ، فخرج فى طلبه حتى انتهى إليهم ، ورسول الله ﷺ بين أيديهم وهم يتأمّلونه ، فقالوا له : احتفظ به فما رأينا قدماً

---

(١) فى الأصل : بنت دويب ، والتصحيح من ابن كثير ، السيرة النبوية ١ : ٢٢٥

(٢) يشير المصنف ــ فيما يبدو ــ إلى الحديث الذى رواه عروة عن عائشة رضى الله عنهما قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو مسرور ، فقال : أى عائشة ، ألم ترى إلى مجزز المدلجى ؟ دخل فرأى أسامة وزيدا وعليهماقطيفة قد غطيا رؤوسهما وبدت أقدامهما ، فقال إن هذه الأقدام بعضها من بعض . وبه قال عمر وأبو موسى ، وابن عباس وأنس وقضى به عمر بحضرة الصحابة رضى الله عنهم ، فكان إجماعا ، انظر : الشيخ منصور ابن يونس إدريس البهوتى : كشاف القناع عن متن الإقناع ، طبع مكة المكرمة ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) ج ٤ ص ٢٦٢

(٣) هو الحارث بن عبد العزى ، زوج حليمة السعدية

أشبه بالقدمين اللتين فى المقام من قدميه ، يعنون أثر إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلم[١] .

٣ ونحو ذلك ما روى بإسناد متّصل يبلغ به شدّاد بن أوس[٢] ، أنّه حدّث أنّ رجلاً من الكهّان ضمّ النبيّ ﷺ إلى صدره ، ثم نادى بأعلى صوته : يال العرب ، يال العرب . . . اقتلوا هذا الغلام واقتلونى معه ، فواللّات والعزّى

٦ لئن تركتموه وأدرك ليبدّلنّ دينكم وليسفّهنّ أحلامكم وعقولَ آبائكم ، وليخالفنّ أمرَكم ، وليأتينّكم بدين لم تسمعوا بمثله .

وعن شدّاد بن أوس أيضاً قال : بينما نحن جلوس مع النبيّ ﷺ أقبل

٩ شيخ من بنى عامر وهو مِدْرَهُ قومه يعنى الدافع عنهم بمقاله وفعاله ، يتوكّأ على عصا ، فمثل بين يدى النبى ﷺ ونسبه إلى جدّه ، فقال : يابن عبد المطّلب ، إنّى أنبئت أنّك تزعم أنّك رسول الله إلى الناس ، أرسلك بما أرسل به إبراهيم وموسى

١٢ وعيسى وغيرهم من الأنبياء ، ألا وإنّك فوّهت بأمر عظيم ، وإنّما كانت الأنبياء والخلفاءُ فى بيتين من بنى إسرائيل ، وأنت ممّن يعبد هذه الحجارة والأوثان ، فما لك والنبوّة ، ولكن لكلّ حقّ حقيقة فأْتنى بحقيقة ذلك وبدء شأنك

١٥ قال : فأعجب النبيَّ ﷺ مسألتُه ، وقال : يا أخا بنى عامر ، إنّ لهذا الحديث الذى تسألنى عنه نبأ . فجلس فثنى رجله ، ثم برك كما يبرك البعير ، فاستقبله النبيّ ﷺ بالحديث ، فقال : يا أخا بنى عامر ، إنّ حقيقة قولى وبدء شأنى

(٤) نادى بأعلى : نادا بأعلا (٩) الدافع : الرافع . عصا : عصى
(١٥) مسألته : مسئلته (١٦) فجلس : ومجلس (١٧) وبدء : بدأ

(١) هكذا بالأصل ، والسياق يقتضى : وسلامه ، مكانها

(٢) انظر ترجمته فى الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى ، طبع مصر ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦م) بتحقيق الدكتور طه محمد الزينى ، ٥ : ٥٢ ــ ٥٣

أنّى دعوة[١] أبى إبراهيم ، وبشرى[٢] أخى عيسى ، وأنّى كنت بكر أبى وأمّى ، وأنّها حملتنى كأثقل ما تحمل النساء ، وجعلت تشتكى إلى صواحبها ثقل ما تجد ، ثم إنّ أمّى رأت فى المنام أنّ الذى فى بطنها خرج نوراً ، قالت : ٣ فجعلت أتبع بصرى النور ، والنور يسبق بصرى حتى أضاءت لى مشارق الأرض ومغاربها ، ثم إنّها ولدتنى فنشأتُ وقد بُغِّضت لى الأوثانُ وبُغِّض إلىّ الشعرُ ، وكنت مسترضعاً فى بنى سعد بن بكر ، فبينما أنا ذات يوم منتبذ[٣] (١٦) عن أهلى ٦ فى بطن وادٍ مع أتراب لى من الصبيان إذ أنا برهط ثلاثة بادية ، معهم طست من ذهب ملآن ثلجاً ، فأخذونى من بين أصحابى ، فخرج أصحابى هرّاباً حتى انتهوا إلى شفير الوادى ، ثم أقبلوا على الرهط ، فقالوا : ما أربكم إلى هذا ٩ الغلام فإنّه ليس منّا ، هذا ابن سيّد قريش ، وهو مسترضع فينا ، غلام يتيم ليس له أب ، فماذا يردّ عليكم قتله ، وماذا تصيبون من ذلك ؟ فإن كنتم لا بدّ قاتليه فاختاروا منّا أيّنا شئتم فليأتكم مكانه فاقتلوه ودعوا هذا الغلام ، فإنّه يتيم . ١٢

فلمّا رأى الغلمان أن القوم لا يحيرون جواباً انطلقوا هرّاباً مسرعين إلى الحىّ يؤذنونهم ويستصرخون بهم .

فعمد أحدهم فأضجعنى إلى الأرض إضجاعاً لطيفاً ثم شقّ بطنى ما بين مفرق ١٥

---

(٧) برهط : بارهط (١٢) فليأتكم : فلياتيكم

---

(١) المقصود قول إبراهيم عليه السلام فى القرآن الكريم : ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم ، البقرة ، ١٢٩

(٢) المقصود قول عيسى عليه السلام فى القرآن الكريم : ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، الصف ، ٦

(٣) فى الأصل : ممند من ، يقول ابن منظور فى لسان العرب : وفى الحديث : أنه مر بقبر منتبذ عن القبور أى منفرد عنها ، انظر مادة نبذ

صدرى إلى منتهى عانتى ، وأنا أنظر إليه لم أجد لذلك مسًّا ، ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج وأنعم غسلها ثم أعادها مكانها .

٣ ثم قام الثانى منهم ، فقال لصاحبه : تنحّ ، فنحّاه عنّى ثم أدخل يده فى جوفى فأخرج قلبى وأنا أنظر إليه ، فصدعه ، ثم أخرج منه مضغة سوداء ثم رمى بها ثم مال بيده يمنة منه كأنّه يتناول شيئاً ، فإذا بخاتم من نور يحار الناظر دونه

٦ فختم به قلبى فامتلأ نوراً ، وذلك نور النبوّة والحكمة ، ثم أعاده مكانه ، فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهراً .

ثم قال الثالث : تنحّ ، فنحّاه عنّى ثمّ أمرّ بيده ما بين مفرق صدرى إلى

٩ منتهى عانتى فالتأم ذلك الشقّ بإذن الله تعالى ، ثم أخذ بيدى فأنهضنى من مكانى إنهاضاً خفيفاً ، ثم قال للأوّل الذى شقّ بطنى : زِنْه بعشرين من أمّته ! فوزنتى فرجحت ، ثم قال : زِنْه بمائة من أمّته ! فوزنتى فرجحتهم ، فقال : دَعه !

١٢ فلو وزنتموه بأمّته كلّهم لرجحهم .

قال : ثم ضمّونى إلى صدورهم ، وقبّلوا رأسى وما بين عينىّ ، يعنى (١٧) الملائكة ، وقالوا : لا تُرَعْ ، فإنّك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرّت عينك ،

١٥ قال : فبينا نحن كذلك إذ أقبل الحىّ بحذافيرهم ، وظئرى أمام الحىّ تهتف بأعلى صوتها ، وتقول : يا ضعيفاه !

قال : فانكبّوا علىّ وضمّونى إلى صدورهم وقبّلوا رأسى وبين عينىّ ،

١٨ يعنى الملائكة ، وقالوا : حبّذا أنت من ضعيف ، ثم قالت ظئرى : يا وحيداه ! قال : فانكبّوا علىّ وضمّونى إلى صدورهم وقبّلوا رأسى وما بين عينىّ ، يعنى الملائكة ، وقالوا : حبّذا أنت من وحيد ، وما أنت بوحيد ، إنّ الله معك

---

(٥) الناظر : الناظر

وملائكته والمؤمنين من أهل الأرض ، ثم قالت ظئرى : يا يتيماه ، استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك ، قال : فانكبوا علىّ وضموني إلى صدورهم ، وقبلوا رأسى وما بين عينىّ ، يعنى الملائكة ، وقالوا : حبذا أنت من يتيم ، ٣
ما أكرمك على الله ، لو تعلم ما يراد بك من الخير لقرت عيناك .

قال ﷺ : فوصلوا إلى شفير الوادى ، يعنى الحىّ ، قال : فلما أبصرتنى ظئرى ، يعنى مرضعته ، قالت : ألا أراك حيًّا بعد ؟ فجاءت انكبّت علىّ ثم ٦
ضمتنى إليها وإنّ يدى لفى يد بعضهم ، يعنى الملائكة .

قال : فجعلت أنظر إليهم ، فظننت أنّ القوم ينظرونهم ، فقال بعض القوم : إنّ هذا الغلام قد أصابه لمم أو طائف من الجنّ ، فانطلقوا به إلى كاهننا ينظر إليه ٩
ويداويه . قال النبىّ ﷺ : فقلت : يا هذا ما بى شىء مما تذكرون ، إنّى أرانى سليماً ، وفؤادى صحيح ، ليس بى غلبة ، فقال أبى — وهو زوج ظئرى — :
ألا ترون كلامه كلاماً صحيحاً ، إنّى لأرجو أن لا يكونَ بابنى بأس . ١٢

فاتفقوا على أن يذهبوا بى إليه[1] ، فلما قصّوا عليه قصّتى قال : اسكتوا حتى أسمع من الغلام فإنّه أعلم بأمره منكم . فسألنى فقصصت عليه أمرى من أوّله إلى آخره ، فوثب إلىّ وضمّنى إلى صدره ونادى بأعلا صوته : يال للعرب ، ١٥
يال للعرب (١٨) اقتلوا هذا الغلام واقتلونى معه ، فواللّات والعزّى لئن تركتموه وأدرك ليبدّلنّ دينكم وليسفّهنّ عقولكم وعقولَ آبائكم وليخالفنّ أموركم
وليأتينّكم بدين لم تسمعوا بمثله . ١٨

فعمدت ظئرى فانتزعتنى من حجره ، وقالت : لأنت أعتهُ وأجنُّ ، ولو

(١) المؤمنين : المومنون (١٠) إنى : ان || أرانى : ارانى (١١) سليما : سليمة

(١) يعنى إلى الكاهن

علمتَ هذا من قولِكَ لما أتيتُك به ، فاطلب لنفسك من يقتلك فإنّا غير قاتلى هذا الغلام .

٣ فأصبحت مفزّعاً مما عمل بى ، وأصبح أثر الشقّ ما بين صدرى إلى عانتى كأنّه الشراك .

ذلك حقيقة قولى وبدء شأنى يا أخا بنى عامر . فقال العامرى : أشهد بالله

٦ الذى لا إله غيره أنّ أمرك حقّ . ثم سأل العامرىُّ النبىَّ ﷺ عن مسائل عدّة غيرها .

ونحو ذلك ما روى بإسناده أنّ سادة قريش اجتمعوا فى دار الندوة يتشاورون

٩ وحضرهم قَيْـلٌ من أقيال اليمن ، والقَيْلُ ملك دون الملك الأعلى من حِمْيَر ، وكان ذلك القَيْل نافر إليهم ابن همّه ، أى حاكَمه فى الرياسة ، فدخل رسول الله ﷺ دار الندوة — وهو غلام — يدعو عمّه أبا طالب ، فأشار إليه ، فأتاه فناجاه ،

١٢ ثم خرجا معاً . فقال ذلك القَيْل : يا معشَر قريش ، من هذا الغلام الذى يمشى تلعاً[1] ولا يلتفت ، وينظر مرة بعينى لبؤة مجرّبة ، ومرة بعينى عذراء خفرة ؟ قالوا : يتيمُ أبى طالب وابنُ أخيه ، ثم قالوا له ، أو من قال منهم : إنّ وصفك له

١٥ لينبهنّ عن عظمة فى صدرك . فقال : أما ونَسر ، يعنى صنماً كانت حِمْير تعبده ، لئن بلغ هذا الغلام أشدّه ليميتنّ قريشاً ثم ليُحْيِيَنّها ، ولقـــد نظر إليكم نظرة لو كانت سهماً لانتظم أفئدتـكم فؤاداً فؤاداً . ثم نظر إليكم أخرى لو كانت

١٨ نسياً لأنشرت الموتى ، فقالوا له ، أو من قال منهم : يا قَيْـلَ حسبُك ، فإنّ الأمر غير ما تظنّ ، فقال : سترون .

---

(٣) مفزعا : مفرعا (٥) وبدء : وبدو (١٣) مجربة : مجربه
(١٤) أبى طالب : أبا طالب

---

(١) فى الأصل : تـكعا ، والتلع : الـكثير التلفت حوله . . . وتتلع فى مشيه وتتالع : مد عنقه ورفع رأسه ، لسان العرب ، ولعل المعنى الثانى هو المراد

ونحو ذلك ما روى أنّ أكثَمَ بن صيفى حكيمَ العرب تتبّع أبا طالب، فقال أكثم لأبى طالب : (١٩) يا بن عبد المطّلب ، ما أسرع ما شبّ أخوك ، يعنى رسول الله ﷺ، فقال له أبو طالب: إنّه ليس بأخى، ولكنّه ابنُ أخى عبد الله، ٣
قال: ابن الذبيح ؟! قال: نعم، قال أكثم: إنّى كنت رأيته فى حجر عبد المطّلب يوم أرسل السحاب إلى بلاد مضر(١) ، فظننته ابنه ، ثم جعل أكثم يتأمّل النبيّ ﷺ ويتفرّس فيه ، ثم قال : يا بن عبد المطّلب ، ما تظنّون بهذا الفتى ؟ ٦
فقال أبو طالب : إنّا لنحسن به الظنّ ، وإنّه لحيّ ، جَرِىّ ، سخىّ ، وفىّ ، فقال أكثم : هل غير ما تقول يا بن عبد المطّلب ؟ قال: نعم ، إنّه لذو شدّة ولين، ومجلس مكين ، ومفصل مبين ، فقال أكثم : هل غير ما تقول يا بن عبد المطّلب؟ ٩
فقال : نعم ، إنّه انتيمّن بمشهده ، ونتعرّف البركة فيما لمس بيده ، فقال أكثم : هل غير ما تقول يا بن عبد المطّلب؟ فقال أبو طالب : إنّه لغلام يمدّ ، وآخرته أن يسود ، ويتخرّق بالجود ، ويعلو جَدُّه الجدود ، فقال أكثم : لكنّى أقول غير ١٢
هذا ! قال أبو طالب : قل فإنّك نَقّابُ غيب ، قال : أخْلِقْ يا بن أخيك أن يضربَ العربَ قاطبة ، بيد خابطة، ورجل لابطة ، ثم يفعق بهم إلى مرتع مريع ، وورد تشريع، فمن اخرورط إليه هداه، ومن احرورف عنه أرداه . فقال أبو طالب: ١٥
إنّ عندنا لدوراً من ذلك .

وقيل إنّ أكثم بن صيفى هذا عاش مائة وتسعين سنة ، وقال فى ذلك :

وإن امرأً قد عاش تسعين حجّة ... إلى مائة لم يسأم العيش جاهل ١٨

(٤) ابن الذبيح : بن الذبيح
(١٢) يسود : سود || ويتخرق : ويتحرق || يعلو : يعلوا
(١٣) نقاب : ثقاب (١٦) عندنا : عنده

(١) روى النويرى قصة الاستسقاء هذه بتفصيل نقلا عن الزبير بن بكار فى نهاية الأرب ، ١٦ : ٤٨ ـ ٥٠

ولمّا بلغه دعوةُ النبيِّ ﷺ أمر قومه باتّباعه وحضّهم على طاعته ، وأبى هو أن يسلم .

٣ وفى هذا الكلام من الغريب ما يجب شرحه :

قوله : مجلس ركين ، الركانة ، وقار الحكم وطمأنينته .

(٢٠) وقوله : مِقْصل مبين ، المِقْصل بكسر الميم السناق ، والمبين للفصح

٦ ذو البيان .

وقوله : يتخرّق بالجود ، أى يتوسّع به ويفيضه فى كلّ جهة ، والخِرّق الواسع العطاء .

٩ وقوله : يعلو جَدّه الجدود ، الجَدّ بفتح الجيم العظمة وعلوّ القدر .

وقول أبى طالب : إنّكَ لنقاب غيب ، النقاب ، والنقّاب ، والنقيب : الذى يصيب بظنّه ما خفى عن غيره ، كأنّه ينقب عن ذلك الشيء حتى يستخرجه .

١٢ وقوله : جلاء ريب ، أى كشف شكّ .

وقوله : يضرب العرب قاطبة ، أى جميع العرب ، والقمط هو الجمع .

وقوله : بيد خابطة ورحل لابطة ، الخبط الضرب باليد ، واللبط الضرب

١٥ بالرجل .

وقوله : ينعق بهم ، أى يصرخ بهم ، والراعى ينعق بالغنم .

وقوله . مرتع مريع ، المرتع حيث ترتع الماشية أى تأكل كيف شاءت ،

١٨ والمُرِيع هو الخصيب .

وقوله : ورد تشريع ، التشريع أن يؤتى بالماشية الواردة إلى ماء ظاهر على وجه الأرض ، فتُمَكَّن من شريعته أى المدخل إليه فتشرب كيف شاءت من

٢١ غير كلفة ، ومنه المثل السائر : « إن أهونَ الورِدِ التشريعُ » .

وقوله : اخرورط إليه معناه : أسرع مقتحماً ، والاخروراط سير سريع لا يثنيه شيء .

وقوله : احرورف عنه ، هو مثل الحرف سواء فهو من الانحراف . ٣

وقوله : إنّ عندنا لدوراً من ذلك ، أى طرفاً من العلم به .

وهذا الحديث أيضا يتعلّق به حديثان نذكرهما جرياً على الرسم فى إكمال الفائدة ، وذلك ما رويناه[1] أنّ عبد المطّلب قيل له : احفر بئر زمزم ، خبيئة ٦ الشيخ الأعظم[2] ، فى مبحث الغراب الأعصم ، بين الفرث والدم ، عند قرية النمل .

فانطلق إلى المسجد ينظر ما سُمّى له ، فخرّت بقرة بالجزورة ، فانقلبت من ٩ الجازر بحشاشة نفسها (٢١) حتى غلبها الموت فى المسجد ، بموضع زمزم ، فجزرت البقرة فى مكانها ذلك ، واحتمل لحمها فجاء غراب فوقع فى الفرث ، فبحث عن قرية النمل ، وقرية النمل مجتمعها ومأواها . ١٢

فقام عبد المطّلب يحفر هناك ، وكانت السيول قد دفنت زمزم وعفّتها ، فجاء سادة قريش فقالوا لعبد المطّلب : ما هذا الصنيع ؟ إنّا لا نرميك بالجهل فما بالك تحفر فى مسجدنا ؟ فقال عبد المطّلب : إنّى حافر هذه البئر ، ومجاهد من صدّنى ١٥ عنها . وطفق يحفر هو وابنه الحارث ، ولم يكن له يومئذ ولد غيره ، فسفّهه الناس من قريش ونازعوه ، وانتهى عنه الأشراف لما يعلمونه من صدق عبد المطّلب واجتهاده فى دينهم ، واشتدّ عليه الأذى من السفهاء ، فنذر لئن ولد له عشرة من ١٨

(١٤) نرميك : نريك (١٦) فسفهه : فسفه

(١) لم يسبق للمصنف أن روى هذا الخبر فى هذا الجزء

(٢) فى الأصل : حسه الشيخ الأعظم ، وفى ابن كثير : وهى تراث من أبيك الأعظم ، انظر السيرة النبوية ، ١ : ١٧٠

الولد وبلغوا حتى يمتنع بهم ليذبحنّ أحدَهم عند البيت لله ، واحتفر البئر حتى بلغ
ما أراد من الريّ ، وذلك قول خويلد بن أسد بن عبد العزى :

٣ أقول وما قولى عليهم بسبّة إليك ابن سلمى أنت حافر زمزم
حفيرة إبراهيم يوم ابن آجر وركضةَ جبريل على عهد آدم

فقال عبد المطّلب : ما وجدتُ أحداً ورث العلم الأقدم غير خويلد بن أسد .

٦ وقوله : يوم ابن آجر يريد إسماعيل بن هاجر عليه السلام ، فأقلب الهاء ألفاً .

ولمّا تكامل بنو عبد المطّلب عشرة أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء ، فقالوا :
إنّا نطيعك فمن تذبح منّا ؟ فقال : ليأخذ كلّ رجل منكم قِدْحاً ، والقِدْحُ سهم
٩ بغير نصل ، ثم ليكتب فيه اسمه ، وليأتنّ به ! ففعلوا ، فأخذ قِداحهم ودخل على
هبل ، وكان فى جوف الكعبة ، وكانوا يعظّمونه ويضربون بالقداح عنده دائباً
(٢٢) فيستقسمون بها — أى يرتضون بما تقسم لهم — ولها قيّم يضرب بها ، فدفع
١٢ عبد المطّلب إلى ذلك القيِّم القداح ، وقام يدعو الله عزّ وجلّ ، وهو يرى أنّ
القِدْح إذا أخطأ عبد الله لم يبال من أصاب من بنيه ، فخرج القِدح على عبد الله .
وأخذ الشفرة ، ثم أقبل إلى أساف ونائلة ، وكانا صنمين عند الكعبة ينحر ويذبح
١٥ عندهما النسائك ، فقام إليه سادة قريش فقالوا : ما تريد أن تصنع ؟ فقال : أوفى
بنذرى ، فقالوا : لا نَدَعُك حتى تُعْذِر فيه إلى ربّك ، ولئن فعلت هذا لا يزال
الرجل يأتى بابنه فيذبحه وتكون سنّة .

١٨ وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والله لا تذبحه حتى تُعْذِر فيه
إلى ربّك ، ولئن كان من أموالنا فداءه له فديناه .

وقالوا له : انطلق إلى فلانة الكاهنة ، فلعلّها أن تأمرك بأمر فيه فرج لك ،

(٣) ابن : من (٥) ابن أسد : ابن ابن أسد (١٣) أخطأ : اخطى

فانطلقوا حتى أتوها بخيبر ، فقص عليها عبد المطّلب خبره ، فقالت: ارجعوا اليوم عنّى حتى يأتينى تابعى من الجنّ فأسأله ! فرجعوا عنها ثم غدوا عليها فقالت : كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشرة من الإبل ، فقالت : ارجعوا إلى بلادكم ، ثم قرّبوا ٣ صاحبكم، وقرّبوا عشرة من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح ، فإن خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا فى الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح ، فإن خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا فى الإبل، ثم اضربوا أيضاً هكذا حتى يرضى ٦ ربّكم ، فإذا خرجت على الإبل فانحروها فقد رضى ربّكم ، وتخلّص صاحبكم .

فرجع القوم إلى مكّة وقرّبوا عبد الله وقرّبوا عشرة من الإبل ، وقام عبد المطّلب يدعو الله، فخرجت القداح على عبد الله ، ولم يزل يزيد عشراً عشراً حتى ٩ بلغت الإبل مائة ، فخرجت القداح على الإبل ، فقال سادة قريش لعبد المطّلب : قد رضى ربّك ، فقال : لا والله حتى أضرب بها ثلاث مرات ، (٢٣) فضربوها فخرجت على الإبل فنحرت الإبل ، وتركت لا يُصَدُّ عنها إنسان ولا طائر ١٢ ولا سبع .

وانطلق عبد المطّلب بابنه عبد الله من فوره حين أنجاه الله من الذبح فمرّ بالكعبة ، وكانت أخت لورقة بن نوفل هناك ، فرأت عبد الله فدعته ، فجاءها، ١٥ فقالت : أين تذهب ؟ قال : مع أبى ، فقالت له : هلّاك يا عبد الله أن تقع علىّ ، فأعطيك مائة من الإبل مثل الذى نحرت عنك فدية ، فقال لها : إنّى لا أستطيع فراق أبى، وانطلق معه فأتى بهوهب بن عبد مناف بن زهرة فأنكحه ابنته آمنة، ١٨ وأدخل عليها مكانه ،فعلقت منه لوقتها برسول الله ﷺ ، ولبث عندها ثلاثاً ثم خرج ، فمرّ بأخت ورقة بن نوفل ، فلم تقل له شيئاً ، فقال لها : ما لكِ لم تعرضى

---

(٢) فأسأله : فاسله (٨) وقربوا : وقوبوا

عليّ اليوم ما عرضت عليّ قبل ؟ فقالت له : والله ما أنا بزانية ، ولكن رأيت في وجهك نوراً كغرّة الفرس ، فأحببت أن يكون فيّ ، وأراه قد فارقك ، فما الذي صنعت بعدي ؟ ٣

فقال : زوّجني أبي آمنة بنت وهب ، فكنت عندها إلى وقتي هذا ، فقال : أبى الله أن يجعله إلا حيث شاء ، ثم أنشدت :

٦ إني رأيت مخيلةً لمعتْ فتلألأت بقساير القَطْر

ورأيت نوراً قد أضاء له ما حوله كإضاءة البدر

لله ما زهريّة سلبت نوريك[1] ما سلبت وما تدري

٩ وهذا أحد الحديثين ، وهو متعلّق بقول أكثم بن صيفي : أهو ابن الذبيح ؟ ولهذا قال ﷺ : « أنا ابن الذبيحين » عبد الله والآخر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. وإن كان قد ذهب بعض العلماء إلى أنّ الذبيح إسحاق عليه السلام

١٢ فإن صحّ هذا فالعرب (٢٤) تجعل العمّ أباً ، قال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام : « واتبعت ملّة آبائي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب[2] » ، فسمّى إسماعيلَ أباً ، وإنّما هو عمّه لقوله تعالى [على لسان يعقوب][3] :

١٥ « ما تعبدون من بعدي ، قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل »[4] .

---

(١) عرضت : أعرضت (٥) أبي : أبا (٦) بقساير : بساير

---

(١) نوريك ، وفي الأصل نور بك ، وهو تصحيف

(٢) يوسف ، ٣٨ ، وفي الأصل : « واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسماعيل واسحاق » . وهذا خطأ ، ولعل المصنف يقصد ما جاء على لسان يعقوب في سورة البقرة ، ١٣٣ : « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون » . فلقد قال يعقوب عن إسماعيل إنه من آبائه، مع أنه أخو أبيه ، فهو إذن عمه وليس بأبيه

(٣) إضافة رأيناها ضرورية للمعنى

(٤) البقرة ، ١٣٣

وأمّا الحديث الآخر، فهو متعلّق بقول أكثم بن صيفى أيضاً : رأيته فى حجر عبد المطّلب يوم أرسل السحاب إلى بلاد مضر ، ومعنى ذلك ما روى أنّ بلاد قيس ومضر أجدبت وأتت عليهم سنة ذات حُطْمَة شديدة، فاجتمعوا إلى زعمائهم ٣ فتشاوروا ، فقام أحدهم خطيباً فقال : يا معشر مضر ، إنّكم أصبحتم فى أمر ليس بالهزل ، وقد بلغنا أنّ صاحب البطحاء استسقى فسُقِيَ ، وشُفِّعَ فَشَفَع ، فاجعلوا قصدكم إليه واعتمادكم عليه ، فارتحلت قيس ومضر ومن دانام حتى أتوا مكّة ، ٦ ودخل ساداتهم على عبد المطّلب ، فحيّوه ، فقال : أفلحت الوجوه ، وسألهم عمّا قصدوا فقام خطيبهم فقال : أبا الحارث [نحن][1] ذوو رحمك الواشجات[2] ، أصابتنا سنون مجدبات ، وقد بان لنا أثرك ، ووضح عندنا خبرك ، فاشفع لنا إلى ٩ شفيعك ! فقال عبد المطّلب : موعدكم جبل عرفات .

ثم خرج من مكّة وولده وولد ولده وفيهم رسول الله ﷺ وهو ابن ستّ سنين أو نحوها ، فركب عبد المطّلب ناقة وسدّل عمامته ذؤابتين على غارب ناقته، ١٢ وكان برايته صفائح الفضّة ، حتى انتهى إلى عرفات ، فنُصِب له كرسىٌّ فنزل عليه، وجلس متربّعاً، وقام رسول الله ﷺ بين يدى الكرسىّ، فأخذه عبد المطّلب، فأجلسه فى حجره ، وقال : اللهمّ ربّ البرق الخاطف ، والرعد القاصف ، والقطر ١٥ الواكِف ، وربَّ الأرباب (٢٥) ومسبّبَ الأسباب ، ومنشئ السحاب ، هذه قيس ومضر ، خير البشر ، قد شعثت شعورها ، وحدبت ظهورها ، يشكون شدّة

(٨) خطيبهم : خطبهم || الواشجات : الواشحات (١٧) شعثت : شعتت

(١) هذه الزيادة من النويرى، نهاية الأرب، ١٦ : ٤٩ ، وقد نقل النويرى هذا الخبر عن الزبير بن بكار من كتابه أنساب قريش

(٢) الأرحام الواشجة : المتصلة المتآلفة

المزال، وذهاب الأموال، فارخ اللّهم لهم سحاباً خوّارة، وسماء خرّارة، تضحك أرضهم، وتذهب ضرّهم.

٣ فما استتمّ كلامه حتى نشأت سحابة دكناء فيها دوىّ، فقال عبد المطّلب مخاطباً للسحابة: هذا أوانك، سحّى سحّاً، وانهلى مهحاً! ثم قال: يا معشر قيس ومضر، ارجعوا إلى بلادكم، فقد سُقيتم! فرجعوا إلى بلادهم، وقد كثرت

٦ أمواهُها، واخضرّ صحراها.

قلت: إنّما كانت السُّقيا ببركة سيّدنا رسول الله ﷺ، وأحسب أنّ عبد المطّلب تعمد أخذه إلى حجره لذلك، وقد صنع أبو طالب مثل هذا حين

٩ استسقى لمضر بعد موت عبد المطّلب، فإنّه قام على قدميه، واحتمل النبىّ ﷺ على كتفه، وكان ﷺ قد أربى على تسع سنين، لم يكن مثله يحمل على الكتف لغير ضرورة.

١٢ وفى هذا الحديث ألفاظ لغوية نزيل اللبس عنها: قوله: ذوو رحمك الواشجات، أى المشتبكات[1]، وإنّما جمع نعت الرحم يريد الأرحام.

وقوله: فارخ اللهم لهم سحاباً، أى سُقْها إليهم، أرخيت معناها: سقت

١٥ سوقاً رفيقاً.

وقوله: خوّارة، أى ضعيفة تسحّ ولا تستمسك.

وقوله: خرّارة، أى تسمع لها ولسيولها خريراً، أى صوتاً.

١٨ وبعد، فإنّى لم أعتمد فيما قدّمت من القول عن صدق الفراسة فيمن أهّله

(٤) للسحابة: السحابة (١٤) معناها: معناه

(١) فى الأصل: المشكلات، وفى لسان العرب: وشجت العروق والأغصان: اشتبكت، وكل شىء يشتبك

الله تعالى لحمل رسالاته ، والتحدّى بآياته ، وأضفى عليه سرابيل كراماته ، وكلأه بحفظ معقّباته[١] ، فإنّ من كان من الله سبحانه بعظيم هذه المنزلة ، فخطبه جليل ، وعليه لكلّ عين دليل . وإنما صدّرت (٢٦) هذه الدرر الفريدة ، والكلمات المفيدة، إذ بدأنا بذكرها ، وتزينّا بفخرها ، إذ هى من صحح الأحاديث الواردة، المتّفق على صحّتها من رجال الحديث المتواردة[٢] ، ولا طمع فى إحصاء جميع شواهد آياته، ولا إحصار معجزاته ، ولنبدأ بتلخيص ما تصل القدرة من ذكره ، إذ كل فصيح وبليغ يعجز عن أداء واجبات شكره .

وكفله بعد موت أبيه بخمسة أيام جدّه عبد المطّلب ، فلمّا حضرته الوفاة ، أوصى به أبا طالب عمّه ، وعمره يومئذ ﷺ ثمانى سنين ، وقيل أكثر ، وقيل أقلّ ، فأحسن تربيته ، إلى أن ملك نفسه ﷺ ، وانفرد عنه .

وكان أبو طالب قد خرج إلى الشام تاجراً ، ورسول الله ﷺ معه فرآه بحيرا الراهب فعرفه بعلامة النبوّة والصفة التى كانت عنده ، فقال لعمّه ، أتحبّ هذا الغلام ؟ قال : نعم ، فقال: والله لئن عاينه اليهود ليقتُلنّه ، فإنّه عدوّهم ! وأشار على عمّه بردّه إلى مكّة ، فردّه ، وأقام بها إلى أن بلغ خمساً وعشرين سنة .

ثم خرج إلى الشام لتجارة خديجة بنت خويلد ، ثم عاد إلى مكّة ، فتزوّجها بعد ذلك بشهرين .

(١) أضفى : أصفى || كراماته : كرماته (٥) إحصاء : احصى
(١٣) عاينه : عاينوه || ليقتلنه : ليقتلونه (١٤) عشرين : عشرون

(١) إشارة إلى قوله تعالى : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » ؛ الرعد ١١

(٢) كذا فى الأصل ، والجملة بهذه الصورة لا تستقيم ، ويبدو أن حرصه على النجاس قد أوقعه فى هذا الخطأ

وذلك أنه لمّا عاد من تجارة خديجة ، ورأى معه ميسرة فى طريقه من
المعجزات ما أبهره ، عرّف ذلك لسيّدته خديجة ، فطلبته إلى عندها وخطبته
٣ لنفسها ، وقالت : يا ابن العمّ ، إنّى رغبت فيك لقرابتك منّى ، وشرفك فى
قومك وأمانتك عندهم ، وصدق حديثك ، فلمّا قالت لرسول الله ﷺ ذلك
خرج فعرّف عمومته ، فخرج معه حمزة بن عبد المطّلب ، حتّى دخل على خويلد
٦ ابن أسد فخطبها إليه ، ثم حضر أبو طالب ، ورؤساء مضر ، فخطبها أبو طالب
فقال : الحمد لله الذى جعلنا من ذرّيّة إبراهيم ، وزرع إسماعيل ، وضئضىء
معدّ(١) ، وعنصر مضر ، وجعلنا حضَنَة بيته وسُوّاس حرمه ، وجعل لنا بيتاً
٩ محجوجاً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا الحكّام على الناس ، ثم إنّ ابن أخى هذا محمّد
ابن عبد الله ، لا يوزن به رجل إلّا رجح به ، فإن كان فى المال قُلٌّ فإنّ المال ظلّ
زائل ، وأمر حائل، ومحمّد من قد عرفتم [قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد ،
١٢ وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى كذا ، وهو والله بعد هذا له نبأ
عظيم ، وخطب جليل](٢) .

فتزوّجها وله من العمر خمس وعشرون سنة وشهران وعشرة أيّام ، وهى
١٥ يومئذ ابنة ثمان وعشرين سنة .

---

(٨) حضنة : حصب (١٤) وشهران : وشهرين (١٥) وعشرين : وعشرون

---

(١) ضئضىء معد ، كذا فى السيرة الحلبية، ١ : ٢٢٦ ، وشرح المواهب اللدنية للزرقانى، طبع بيروت ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م)، ١ ـ ٢٠٢ ، وفى الأصل صنعه ، وضئضىء معد :أى معدنه وأصله

(٢) مابين الحاصرتين غير واضح فى الأصل، وقد اعتمدنا فى إيراده على النويرى فى نهاية الأرب ، ١٦ : ٩٨ ، وانظر أيضا : الزرقانى ، شرح المواهب ، ١: ٢٠٢ ؛ والسيرة الحلبية ، ١ : ١٣٩

وروى أنه أصدقها اثنتى عشرة أوقية ذهب فبقيت عنده قبل الوحى خمس عشرة سنة ، وبعده إلى قبل الهجرة بثلاث سنين .

وماتت ولرسول الله تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وكانت له وزير صدق. ٣

روى أن آدم عليه السلام قال : « إنى سيد البشر يوم القيامة ، إلا رجلا من ذريتى ، فُضّل علىّ باثنتين : كانت زوجته عونًا له وكانت زوجتى عونًا علىّ ، وأعانه الله على شيطانه فأسلم وكفر شيطانى » . ٦

وقال رسول ﷺ : « أُمِرْتُ أن أبشّر خديجة ببيت فى الجنّة من قصب[1] لا صخب فيه ولا نصب » .

وأتى جبرائيل النبىّ ﷺ فقال : « أقرىء خديجة من ربّها السلام، فقالت: ٩ الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبرائيل السلام » .

فلمّا بلغ خمساً وثلاثين سنة شهد بنيان الكعبة وتراضت قريش بحكمه ، وكان ﷺ يدعى بينهم بالأمين . ١٢

فلمّا بلغ أربعين سنة بعثه الله لكافّة الخلق أجمعين ، ووكل به إسرافيل عليه السلام ثلاث سنين ، ولم ينزل القرآن العظيم على لسانه حتى جاء جبرائيل عليه السلام بالقرآن والرسالة ، فدعا إلى الدين ، فأجابه السابقون الأوّلون مثل ١٥ علىّ بن أبى طالب ، وزيد بن حارثة ، وأبى بكر ، وسعد بن أبى وقّاص ، ومن تلاهم للإيمان .

(١-٢) خمس عشرة : خمسة عشر (٣) صدق : صادق (٥) باثنتين : بابنتين
(٧) قصب : وصب (١١) وثلاثين : وثلاثون
(١٥) فدعا : فدعى

---

(١) القصب : هو اللؤلؤ المفرغ

(٢٧) وأوّل من أسلم من النساء خديجة رضى الله عنها ، ثم إنّ أهل العلم يقولون إنّها أوّل من أسلم من الناس ، وإنّ عليًّا عليه السلام تلاها ، وهل كان بالغًا أو صبيًّا ؟ فنى ذلك خلاف .

وأمّا المتفّق عليه فإنّ أوّل من أسلم من الرجال أبو بكر رضى الله عنه ومن الشباب علىّ عليه السلام ، ومن الموالى زيد بن حارثة رضى الله عنه ومن النساء خديجة رضى الله عنها ، هذا لا خلاف فيه بوجه من الوجوه .

ولمّا رأى المشركون ذلك خالفوه وعاندوه وهمّوا بقتله ، فأجاره عمّه أبو طالب ، وماتت خديجة بعده بخمسة أيّام ، فبان أثر موتهما على النبىّ ﷺ .

وقيل كان المبعث لمائة وخمسين من عام الفدر ، ولعشرين سنة من ملك أبرويز بن هرمز ، وكان جبرائيل عليه السلام أتاه بغار حِراء ــ جبل بمكّة ــ كان يتعبّد فيه الليالى ذوات العدد ، فقال : اقرأ ! فقال : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذ بيدى فغطّنى حتى بلغ منّى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ! فقلت : ما أنا بقارئ ، فقال : « اقرأ باسم ربّك الذى خلق إلى قوله علّم الإنسان ما لم يعلم » . فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره ، حتى دخل على خديجة ، فقال : « زمّلونى زمّلونى » فزمّلوه حتّى ذهب عنه الروع ، ثم قال : « أى خديجة » ، وأخبرها الخبر ، وقال : « لقد خشيت على نفسى » ! قالت له خديجة : أبْشر ، والله لا يخزيك اللهُ أبداً ، إنّك لتصل الرحم ، وتَصْدُقُ الحديث، وتحمل الكَلّ وتُكْسِبُ المعدوم ، وتَقْرِى الضيف ، وتُعين على نوائب الحقّ .

فانطلقت به حتى أتت به ورقة بن نوفل ، وهو ابن عمّها ، وكان امرأً قد

---

(١١) أبرويز : أبروز

تنصّر – وقد تقدّم خبره فى الجزء الأوّل من هذا التأريخ فى ذكر للبشّرين بسيّد المرسلين – فقالت له : « أى ابن عمّ ، اسمع من ابن أخيك » ! فقال له : « ماذا ترى يا بن أخ » ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : « بعد ٣ الناموس الذى أنزل على موسى ؟ يا ليتنى فيها جَذَعاً ، يا ليتنى أكون حيًّا حين يخرجك قومك » ! فقال ﷺ : « أو مخرجيّ هم » ؟ قال : « نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما أتيت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرْك نصراً مؤزّرا » ، ٦ ثم لم ينشب ورقة أن توفّى .

ثم أقام بمكّة ، فى أكثر الروايات، عشر سنين سوى الثلاث الأول، وخرج إلى الغار – غار ثور – الاثنين لثلاث بقين من صفر ، وخرج منه يوم الأحد لأربع ٩ خلون من شهر ربيع الأول ، وله ثلاث وخمسون سنة ، وذلك فيما ذكره الحسّاب، وأقام فى المدينة عشر سنين ، لا اختلاف فى ذلك .

ذكر المؤذين له ﷺ ١٢
من قريش

أبو لهب بن عبد العُزّى بن عبد المطّلب ، والحكم بن [أبى][1] العاص ابن أُميّة ، وعقبة بن أبى معيط ، وعمر بن الطلاطلة الخزاعى ، لم يسلم أحد من ١٥ هؤلاء إلّا الحكم بن [أبى] العاص ، وهو الطريد[2] ، وكان مغموزاً فى دينه على ما ذكر ، والله أعلم .

---

(١) فى الجزء الأول : يعنى فى الجزء الثانى ؛ قارن المقدمة الألمانية للجزء الأول
(١٢) المؤذين : المؤذون (١٦) مغموزا : مغمورا

---

(١) الزيادة من ابن هشام
(٢) انظر ذلك تفصيلا فى أسد الغابة فى معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير ، تصوير المكتبة الإسلامية ببيروت ، ٢ : ٣٣ – ٣٤ ؛ وانظر فى مخالفة ابن تيمية لما قيل من طرد الحكم بن أبى العاص ونفيه كتاب منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية ، تصوير دار الكتب العلمية ، بيروت ، عن طبعة بولاق سنة ١٣٢١ هـ ، ٣ : ١٩٥ ، وما بعدها

ذكر المستهزئين به ﷺ
من قريش

٣ قال أبو عبيدة ، قال : قال عبد الرحمن بن شبيب بن شبة ، فى قوله تعالى لنبيه ﷺ : « إنّا كفيناك المستهزئين » ، الآية ، أى أظهر أمرك (٢٨) فقد كفيناك الذين كانوا يستهزئون بك ويؤذونك ، هلكوا بمكّة فى يوم واحد ،
٦ وكانوا خمسة نفر من قريش ، وهم الوليد بن المغيرة المخزوميّ ، والعاص بن وائل السهميّ ، والحارث بن قيس السهميّ ، وهبّار بن الأسود بن المطّلب[١] ، والأسود بن عبد يغوث الزهريّ ، وهو ابن خال رسول الله ﷺ ابن أخى آمنة ،
٩ أهلكهم الله فى يوم واحد .

ذكر المؤلّفة قلوبهم
من قريش وغيرها

١٢ أبو سفيان بن حرب ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العُزّى ، وهبّار ابن الأسود ، والحارث بن هشام ، وحكيم بن حزام ، وصفوان بن أميّة . وقيس ابن عدىّ ، هؤلاء من قريش ، ومن فزارة : عيينة بن حصن الفزاريّ وهو
١٥ الأحمق[٢] المطاع الذى ورد فيه الحديث ، ومن تميم : الأقرع بن حابس التميميّ ، ومن النصر : مالك بن عوف النصريّ ، ومن مالك : عبد الرحمن بن يربوع المالكيّ ، ومن سليم : العبّاس بن مرداس السلمى ، ومن ثقيف : العلاء بن الحارث
١٨ الثقفى ، فهؤلاء المؤلّفة قلوبهم من أهل مكّة ، والله أعلم .

---

(١) المستهزئين : المستهزئون (٥) ويؤذونك : ويؤذوك (٨) يغوث : بغوث
(١٦) النصر : النظر || النصرى : النطرى : النظرى || يربوع : بربوع

---

(١) كذا فى الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى ، طبع مصر ١٣٢٨ هـ ، ٣ : ٥٩٧ ؛ وفى الأصل : ابن عبد المطلب
(٢) كذا فى الإصابة ، ٣ : ٥٤ ، وفى الأصل : الأحق

ذكر أصول قريش وفروعها وشعوبها وقبائلها

وأمّا قبائل قريش فمنهم بنو هاشم بن عبد مناف بن قصىّ ، منهم سيّدُنا رسول الله ﷺ ، ومنهم علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه ، ومنهم بنو أُميَّةَ ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصىّ ، منهم عثمان بن عفّان رضى الله عنه ، ومنهم معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه . ٣ ٦

ومن قريش بنو عبد المطّلب بن قصىّ ، منهم الزبير بن العوّام رضى الله عنه ، ومنهم خديجة رضى الله عنها .

ومن قريش بنو زهرة بن كلاب بن قصىّ بن كلاب (٢٩) ، منهم عبد الرحمن ابن عوف ، وسعد بن أبى وقّاص رضى الله عنهما ، ومنهم آمنة أمّ النبىّ ﷺ . ٩

ومن قريش بنو تيم بن مرّة بن كعب بن لؤىّ بن غالب ، منهم أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه . ومنهم طلحة بن عبد الله رضى الله عنه . ١٢

ومن قريش بنو عدىّ بن كعب بن لؤىّ بن غالب ، منهم عمر الفاروق رضى الله عنه ، ومنهم سعيد بن زيد رضى الله عنه .

ومن قريش بنو مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب ، منهم خالد بن الوليد رضى الله عنه . ١٥

ومن قريش بنو سهم وبنو أخيه جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤىّ ابن غالب ، ومن بنى سهم عمرو بن العاص رضى الله عنه . ١٨

ومن قريش بنو حيسل[1] بن عامر بن لؤىّ بن غالب ، منهم سهيل بن عمرو .

(١٥) يقظة : معطه (١٨) بنى : قريش بنو

(١) أورد المصنف هذا الاسم فيما بعد : حسل ؛ انظر فى ترجمة سودة بنت زمعة زوج النبى صلى الله عليه وسلم

ومن قريش بنو هلال بن لهيب بن ضبّة بن الحارث بن فهر بن مالك ابن النضر ، منهم أبو عبيدة بن الجرّاح رضى الله عنه .

٣ فهؤلاء قريش البطاح ، سمّوا بذلك لأنّهم دخلوا بطحاء مكّة مع قصىّ ، فأقاموا بها مع قصىّ ، ولم يكن أحد قبلهم يجترئ على أن يسكن لمجاورة الكعبة حتى افتتح ذلك قصىّ ، وكانت قريش تهيّبت أن تطيعه فى ذلك وخافت أن ينكر

٦ العرب عليها سُكناها عند الكعبة ، فلمّا كان وقت الحجّ نحر قصىّ على طرقات الحجيج الإبل ونحر بمكّة أيضاً ، وصنع الثريد ، وهو أوّل من أطعم الحجّاج وسقاهم ، فقال راجزهم فى ذلك :

٩ إن الحجيج طاعمين دسما نحر الهسا مستحقين الشحما

أوسعهم زيد قصىّ لحما ولبنا محيضا وخبزا هشما(١)

ومن قريش أيضا الظواهر ، وهم الذين لزموا ظواهر الحرم ، فأقاموا ببادية

١٢ مكّة ولم يدخلوا بطحاءها مع قصىّ ، منهم بنو بغيض(٢) بن عامر بن لؤىّ ابن غالب ، ومنهم بنو الأدرم بن غالب ، والأدرم لقب ، (٣٠) فهو بنو تيم ابن غالب أخو لؤىّ بن غالب ، ومنهم بنو محارب والحارث ولدى الفهر بن مالك

١٥ ابن النضر — سوى بنى هلال بن لهيب بن ضبّة بن الحارث الذين ذكرنا أنّهم دخلوا مكّة البطحاء فأوطنوها — فسمّوا قريش الظواهر .

ومن قريش أيضاً قبائل ليست بأبطحيّة ولا ظاهريّة ، فنهم بنو أسامة بن

١٨ غالب ، لحقوا بعمان ، ومنهم بنو خزيمة بن لؤىّ بن غالب ، لحقوا بنى شيبان ،

---

(٨) راجزهم : زاجرهم (٩) الشحما : الشحماء

(١٤) أخو : أخى (١٨) بنى شيبان : بنو شيبان

---

(١) الوزن غير مستقيم فى الشطرة الثانية

(٢) كذا فى الطبرى ، ٢ : ١٨٦ ؛ وفى الأصل : بغيض

ومنهم بنو سعد بن لؤىّ بن غالب ، لحقوا بغطفان ، فهؤلاء ليسوا بحُمْس
وكانت الحُمْس أمورا جاهليّة شرعوها لأنفسهم ، واختصّوا بها دون غيرهم
على معنى التديّن ، يأتى ذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى . ٣

ذكر الأعياص من بنى أميّة
ابن عبد شمس

كانت لأميّة بن عبد شمس بن عبد مناف أحد عشر ذكراً، كلّ واحد منهم ٦
يكنّى باسم أخيه ، وهم : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ،
وعمرو ، وأبو عمرو ، وحرب ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ، والعويص
لا كنية له . ٩

فهؤلاء الأعياص فيما أخبر به حرمى بن أبى العلاء واسمه أحمد بن محمد بن
إسحاق ، والطوسىّ واسمه أحمد بن سليمان ، قالا : حدثنا الزبير بن بكّار عن محمّد
ابن الضحّاك عن أبيه ، قال : الأعياص : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، ١٢
وأبو العيص ، والعويص .

وأمّا العنابس : فهم حرب ، وأبو حرب ، وعمرو ، وأبو عمرو ، وسفيان ،
وأبو سفيان ، وإنّما سمّوا العنابس لأنّهم ثبتوا مع أخيهم حرب بن أميّة بعكاظ ، ١٥
وعقلوا أنفسهم فقاتلوا أشدّ قتال فشُبِّهوا بالأسد ، والأسد يقال لهم العنابس ،
واحدها عنبسة .

وفى الأعياص يقول عبد الله بن فضالة بن شريك : ١٨

من الأعياص أو من آل حربٍ أغرّ كغرّة الفرس الجوادِ

وسيأتى ذكر سبب قوله هذا البيت فى جملة أبيات عند ذكر عبد الله بن الزبير
إن شاء الله تعالى . ٢١

وقال الهيثم بن عدىّ فى كتاب المثالب : إنّ عمرو بن أميّة كان عبداً لأميّة اسمه ذكوان فاستلحقه ، وهو أبو أبى معيط ، واسم أبو معيط أبان ، ٣ وهو جدّ أبو قطيفة الشاعر المشهور، واسمه عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، وهو القائل :

القصر فالنخل فالجمار بينهما أشهى إلى القلب من إيوان جيرون

٦ إلى البلاط فما حازت قرائنه دور نزحن عن الفحشاء والهون

قد تكتم الناس أسراراً فأعلمها ولا ينالون حتى الموت مكنونى

الشعر لأبى قطيفة المذكور ، واللحن فيه لمعبد ، ولأهل مكّة والمدينة مع ٩ الحجاز فى ذلك الوقت كانت عناية كبيرة بهذا الشعر ممّا يأتى ذكر بعض شىء منه فى موضعه اللائق به إن شاء الله تعالى .

ولمّا بلغ ﷺ إحدى وخمسين سنة قدم عليه جنّ نصيبين فأسلموا .

١٢ وفيها أُسْرِى به ﷺ ، وله من العمر إحدى وخمسون سنة وتسة أشهر ، من بين زمزم والمقام إلى بيت المقدس ، فشرح صدره فاستخرج قلبه فغسل بماء زمزم، ثم أعيد مكانه حتى حشى إيماناً وحكمة[1]، ثم أتى بالبراق فركبه، وعرج به ١٥ إلى السماء ، فأخبر ﷺ أنّه لقى آدم فى سماء الدنيا ، وفى الثانية عيسى ويحيى ، وفى الثالثة يوسف ، وفى الرابعة إدريس ، وفى الخامسة هارون ، وفى السادسة موسى ،

---

(٩) كانت : كان (١٠) اللائق : للايق (١٢) وخمسون : وخمسين

---

(١) قد يتوهم القارىء أن الفاء فى « فشرح » تدل على الترتيب والتعقيب، بمعنى أن شرح الصدر وما تلاه من غسل القلب قد تم فى بيت المقدس ، فى حين أن الأحاديث الصحيحة الواردة فى هذا الموضوع تدل على أن هذا قد حدث بمكة . راجع صحيح البخارى ، باب الإسراء .

وفى السابعة إبراهيم ، مسنداً ظهره إلى البيت المعمور صلوات الله عليهم أجمعين ، وفُرض على أمّته الصلوات الخمس .

ولمّا بلغ ثلاثاً وخمسين سنة هاجر من مكّة إلى المدينة ، وكانت هجرته يوم ٣ الاثنين لثمان خلون من ربيع الأوّل[1] ، وكان دخوله المدينة يوم الاثنين ، وكانت إقامته بمكّة بعد النبوّة ثلاث عشرة سنة .

وكان يتبع الناس فى منازلهم بعكاظ ومجنّة ، وفى المواسم يقول : من يؤوينى؟ ٦ من ينصرنى حتى أبلّغ رسالة ربّى وله الجنّة ، فيمشى بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعث الله الأنصار فآمنوا ، وكان الرجل منهم يسلم ثم ينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه حتى لم تبقَ دار من دور الأنصار إلّا وفيها رهط ٩ من المسلمين يظهرون الإسلام .

وكان يصلى إلى بيت المقدس تلك المدّة ولا يستدبر الكعبة بل يجعلها بين يديه ، وصلّى بعد قدومه إلى المدينة بيت المقدس سبعة عشر شهراً أو ستة عشر ١٢ شهراً .

ولمّا هاجر عليه السلام كان معه أبو بكر الصدّيق ، ومولى له يقال له عامر ابن فهيرة ودليلهم عبد الله بن الأريقط[2] الليثىّ ، وهو كافر ولم يعرف له إسلام . ١٥

قال أبو بكر : أسرينا ليلتنا ويومنا حتى إذا قام قائم الظهيرة وانقطع الطريق ، ولم يمرّ أحد ، رفعت لنا صخرة لها ظلّ [لم تأت عليه الشمسُ ، قال : فسوّيتُ

---

(٣) ثلاثاً وخمسين : ثلاثة وخمسين (٥) ثلاث عشرة : ثلاث عشر
(١١) يستدبر : مستدبر

---

(١) هذا يخالف ما ذكره المصنف فيما سبق حيث قال : « وخرج منه يعنى غار ثور يوم الأحد لأربع خلون من شهر ربيع الأول »

(٢) كذا فى الأصل وابن سعد ؛ وفى ابن هشام : عبد الله بن أرقط أو أريقط

للنبيّ ﷺ مسكاناً فى ظلّها ، وكان معى فرو ففرشته ، وقلت للنبيّ ﷺ : نم حتى أنفض ما حولك[1]] ، فخرجت فإذا أنا براع قد أقبل يريد من الصخرة
٣ مثل الذى أردنا ، وكان أتاها قبل ذلك ، فقلت : يا راعى لمن أنت ؟ قال: لرجل من أهل المدينة [يعنى مكة][1]، قال : فقلت : هل فى شاتك من لبن ؟ قال: نعم! فجاءنى بشاة فجعلت أنفض الغبار عن ضرعهـا ثم حلبت فى إداوة معى كثبة
٦ من لبن،وكان معى ماء للنبيّ ﷺ ، قال : فصببت[2] على اللبن من الماء لأبرّده، وكنت أكره أن أوقظ رسول الله ﷺ، قال : فوافيتُه حين قام من نومه ، فقلت : اشرب يا رسول الله ! قال : فشرب حتى رضيت ، فقال لأبى بكر : ما آن
٩ الرحيل ؟ قال : قلت : بـلى : فارتحلنا حتى إذا كنّا بأرض صلبة جاء سراقة ابن مالك بن جعشم ، فبكى أبو بكر ، وقال : يا رسول الله قد أتينا ، قال : كلاّ ! ودعا ﷺ بدعوات ، فارتطم فرسه إلى بطنه ، وقال : قد أعلم أنّ قد دعوتما
١٢ علىّ ، فادعوا لى ، ولكما علىّ أن أردّ الناس عنكما ولا أضرّكما ، قال : فدعا له فرجع ووفّى وجعل يردّ الناس .

وقيل كان الإسراء بعد قدومه من الطائف بسنة ونصف ، وفيها هاجر إلى
١٥ المدينة وله ثلاث وخمسون سنة ، وغزا بنفسه الشريفة ﷺ ستّاً وعشرين غزوة تأتى أسماؤها فى سنيها بعد ذلك إن شاء الله تعالى .

ولم يحجج بعد الهجرة إلّا حجّة الوداع،وإنّه ﷺ حجّ قبل النبوّة حجّات
١٨ لم يتّفق العلماء على عددها ، وقد اعتمر بعد الهجرة أربع عمر ﷺ .

(٥) كثبة : لبه (٦) وكان : فكان (١٠) فبكى : فبكا (١٣) ووفى : ووفا
(١٥) وعشرين : وعشرون (١٨) يتفق : تتفق

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من نهاية الأرب ، ١٦ : ٣٣٤

(٢) كذا فى نهاية الأرب ، ١٦ : ٣٣٥ ؛ وفى الأصل : وعسيت ، وربما كانت صحتها أو عسست : « عسست القوم إذا أطعمتهم شيئا قليلا » لسان العرب

ذكر شيء من بعض كلامه ﷺ
مما لم يسبق إليه

(٤٢) فمن ذلك ألفاظ لم يسبقه أحد إليها ، قوله : ٣

إيّاكم وخضراء الدمن .

كل الصّيد فى جوف الفرا .

مات فلان حتف أنفه . ٦

لا ينتطح فيها عنزان .

هُدنة على دخن[1] وجماعة على أقذاء .

إنّ المُنبَتّ لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع . ٩

نصرت بالرُّعب وأوتيتُ جوامعَ الكَلِم .

الآن حمى الوطيس .

الإيمان قيد الفتك . ١٢

يا خيل الله اركبى .

اشتدّى أزمة تنفرجى .

ومن ذلك ما أجراه فى عرض كلامه ﷺ تتمثّل به الناس قوله : ١٥

حوالينا ولا علينا .

جواها يد مدّت .

سَلْمانُ مِنّا أهلَ البيت . ١٨

---

(٣) ألفاظ : اللفاظ || أحد : أحدا
(٩) ظهرا : ظهر || أرضاً : أرض

---

(١) كذا فى مسند أحمد بن حنبل ، طبع مصر ، سنة ١٣١٣ هـ ، ٥ : ٣٨٦ ؛ وفى الأصل : دجن

مِنًى مناخ من سبق .

نبدأ بما بدأ الله به .

٣ اعقلْ وتوكّل .

زُرْ غِبًّا تزددْ حبًّا .

ومن ذلك تشبيهاته وتمثيلاته ﷺ قوله :

٦ الناس كأسنان المشط وإنّما يتفاوتون بالعافية .

الناس كمعادن الذّهب والفضّة ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام .

المؤمن هيّنٌ ليّنٌ ، [المؤمن][1] كالجمل الأنف ، إن قِيد انقاد وإن نيخ

٩ على صخرة استناخ .

عترتى كسفينة نوح ، من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها هلك .

أصحابى كالنّجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم .

١٠ مثل أصحابى كالملح ، لا يصلح الطعام إلّا به .

أمّتى كالمطر لا يدرى أوّله خير أم آخره .

مثل أبى بكر كالقطر أينما وقع نفع .

١٥ إنّ للقلوب صدأً كصدأ الحديد وجلاؤها الاستغفار .

عمّالُكم كأعمالكم ، وكما تكونون يُوَلَّى عليكم .

وقوله عليه السلام لمّا كتب كتاب المهادنة بينه وبين سهيل بن عمرو :

١٨ العقد بيننا كشرج العيبة ، يعنى متى انحلّ بعضه انحلّ جميعه .

وقوله : الدالّ على الخير كفاعله .

---

(١) منى : منا (١٥) صدأ كصدأ : صدى كصداء (١٦) يولى : يولا

---

(١) إضافة من مسند أحمد بن حنبل ، ٤ : ١٢٦ ؛ وابن ماجه، طبع مصر ، ٢ : ١٦، ولكن بلفظ : حيثما اقتيد انقاد

المرأة ضلع عوجاء ، (٣٣) إن قوّمتها كسرتها وإن داريتها استمتعت بها على عوج .

لو توكّلتم على الله حقّ توكُّلِه لرزقكم كالطير ، تغدو خماصاً وتعود بطاناً .

وعد المؤمن كالأخذ باليد .

الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخلّ اللح .

من نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فكأنّما ينظر فى النار .

العائد فى هبته كالعائد فى قيئه .

مثل المؤمن كالنحلة لا تأكل إلّا طيِّباً ولا تضع إلّا طيِّباً .

مثل المؤمن كالسنبلة تميل أحياناً وتعتدل أحياناً .

مثل الجليس السوء كصاحب الكير إن لم يحرق ثوبك آذاك بدخانه ، ومثل الجليس الصالح كالعطّار إن لم تصب من عطره أصبت من رائحته .

علم لا ينفع ككنز لا ينفق منه .

ومن حسن استعاراته ﷺ قوله :

المؤمن مرآة أخيه المؤمن .

جُنّة الرجل جاره .

من كنوز البرّ كتمان الصَّدقة ، والمرض ، والمصيبة .

دفن البنات من المكرمات[1] .

---

(٣) تغدو : تغدوا (٨) قيئه : قيه (١١) إن لم يحرق : ألم يحترق

---

(١) لم يرد فى كتب الصحاح ، غير أنه ورد بلفظ : موت البنات ، فى الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ، طبع مصر ، ٢ : ١١٣ ؛ وقال: رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير والبزاز ؛ وقد أورد المصنف هذا الحديث نفسه أيضاً فى موت رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم

(٤ / ٣)

داووا مرضاكم بالصدقة .

قد جدع الحلال أنف الغيرة .

٣ صدقة السرّ تطفىء غضب الربّ .

الودّ والعداوة يتوارثان .

العلماء ورثة الأنبياء .

٦ من هدم بنيان الله فهو ملعون ، لعين من قتل نفساً .

الحُمّى رائد الموت وسجن الله فى الأرض وقطعة من النار .

الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر .

٩ اتّقوا دعوة المظلوم فإنّها ليّنة الحجاب .

الخلق عيال الله وأحبّهم إليه أبرّهم بعياله .

الاستماع إلى الملهوف صدقة .

١٢ الحكمة ضالّة المؤمن .

اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله .

أكثروا ذكر هادم اللّذات ، يعنى الموت .

١٥ رأس العقل بعد الإيمان بالله التودّد إلى النّاس .

هل يكبّ النّاسَ على مناخرهم إلّا حصائدُ ألسنتهم .

اليوم الرهانُ وغدا السباقُ (٣٤) والجنّةُ الغايةُ .

١٨ المعاصى حِمَى الله ومن يرعى حول الحِمَى يوشك أن يقع فيه .

ومن ذلك حسن الطباق ، كقوله ﷺ : حُفّت الجنّة بالمكاره ، وحُفّت النارُ بالشهوات .

جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها .

الأرواح جنود[1] مجنّدة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

احذروا من لا يُرجَى خيرُه ولا يؤمن شرُّه .

وكقوله للأنصار : إنّكم لتقلّون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع . ٣

ومن ذلك حسن التجنيس ، كقوله ﷺ :

الظُّلم ظلمات يوم القيامة .

ليس الأعمى من عَمِي بصرُه ، ولكنّه من عميت بصيرته . ٦

إنّ ذا الوجهين لا يكون وجيهاً عند الله .

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم . ٩

وكلامه البديع ﷺ أكثر من أن يحصى جمعه ، أو يطمع فى معانى شرحه ، وإنّما ذكرنا هذه الكلمات للتبرّك بها فى كتابنا ، ولننجح فى مقصدنا ومرامنا .

ذكر للشبّهين به ﷺ ١٢

من قريش وغيرها

جعفر بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، وجاء عنه ﷺ أنّه قال : « أشبهتَ خَلْقى وخُلُقى يا جعفر . ١٥

والحسن بن علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليهما ، وكانت أمّه فاطمة ، صلوات الله عليها لمّا ترقّصه فى حال صغره تقول : وأنانى شبيه أبى ، غير شبيه بعلىّ ، وقثم الشهيد بسمرقند[2] ، وكاس بن ربيعة ، وقيل لمعاوية بن أبى سفيان ١٨

(١٢) المشبّهين : المشبهون

(١) فى الأصل : جند ، وقد رواه البخارى ومسلم

(٢) هو قثم بن العباس بن عبد المطلب ، راجع نهاية الأرب ، ١٨ : ٢٢٠

إنّ كابس بن ربيعة به شبه من رسول الله ﷺ فأشخصه ، فلمّا رآه من باب الدار قام له قائماً وقبّل بين عينيه وأقطعه المرغاب .

ذكر زوجاته أسماء

٣

من غير نسبة

وسيأتى ذكر نسبتهن إن شاء الله تعالى ، (٣٥) أمّا زوجاته ﷺ فإنه

٦ تزوّج بعد خديجة رضى الله عنها : سودة ، ثمّ عائشة ، ثمّ حفصة ، ثمّ أمّ سلمة[1] ، ثمّ جويرية ، ثمّ زينب بنت جحش ، ثمّ زينب بنت خزيمة ، ثمّ ريحانة ، ثمّ أمّ حبيبة ، ثمّ صفيّة ، ثمّ ميمونة ، ثمّ تزوّج فاطمة بنت الضحّاك ، وأسماء

٩ بنت النعمان ، وفيهما خلاف ، والمتّفق عليه أنّهن إحدى عشرة امرأة[2] ، مات ﷺ عن تسع ، ومات فى حياته منهنّ خديجة وزينب بنت خزيمة رضى الله عنهما .

١٢ وأمّا سراريه فهنّ أربع : مارية القبطيّة أمّ إبراهيم ولده وماتت فى خلافة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه سنة ستّ عشرة للهجرة ، وريحانة ، وأخرى وهبتها له زينب بنت جحش . وأخرى أصابها فى بعض السبى ، لم أقف على اسميهما .

---

(٥) نسبتهن : نسبتهم (٩) عشرة : عشر
(١٣) عشرة : عشر (١٤) اسميهما : أسماؤها

---

(١) يلاحظ أن هناك اختلافا فى ترتيب زوجات النبى صلى الله عليه وسلم بين المصنف ومعاصره النويرى فى نهاية الأرب ، ١٨ : ١٧٠ .

(٢) هذا هو قول ابن هشام فى السيرة ، لكن المصنف ذكر هنا اثنتى عشرة وليس إحدى عشرة ، مضيفا ريحانة بنت زيد التى ذكر اسمها فى السرارى أخذا بالرواية القائلة بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتقها ثم تزوجها ، بينما يبدو أن ابن هشام أخذ بالرواية القائلة بأن ريحانة ظلت فى ملك يمينه صلى الله عليه وسلم إلى أن مات عنها كذلك ، فلم يذكرها ابن هشام من بين الزوجات (راجع نهاية الأرب ، ١٨ : ١٨٤)

ذكر أولاده الذكور والإناث

جملة من غير تفصيل لما يأتى بعد ذلك

أمّا أولاده ﷺ فثمانية ذكور وإناث ، فالذكور : القاسم وبه كان يُكنَى ، ٣
وعبد الله ، والطّاهر ، وإبراهيم ، والإناث : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة
صلوات الله عليهم أجمعين ، وكلّهم من خديجة خلا إبراهيم فإنّه من مارية .

وكان له عليه السّلام اثنا عشر عمًّا ــ وقيل تسعة ــ والأصحّ عشرة ، ٦
وستّ عمّات .

وكان ابتداء مرضه الّذى مات فيه من صداع عرض له ، وكان مدّةُ
مرضه ﷺ عشرين يوماً ، وقيل ستّةَ عشرَ يوماً ، وقيل أربعة عشرَ يوماً ، ٩
كما يأتى بيانه فى تأريخ سنة وفاته ﷺ .

قلت : ولنبتدىء من هاهنا بذكر سياقة التّاريخ كلّ سنة من أوّل عام
الهجرة ، ونقدّم قبل كلّ حادث حدث فى تلك السنة خال النيل(٣٦) المبارك ، ١٢
إذ شرطنا سبق بذلك فى الجزء الأوّل من هذا التّاريخ .

وقد تقدّم من العبد القول أيضاً فى أمر النيل ، ومبتدأ أمره ، ومن كان
المعتنى بجريانه فى أوّل زمان ، وكيفيّة ما رتّبه من حين خروجه إلى حين منتهاه ، ١٥
وذكرنا جميع ذلك مع عجائب مصر وغرائب ماحصل من أحوالها ، ممّا كنت
نقلته من الكتاب القبطىّ الذى كنت وجدته فى الدير الأبيض بالوجه القبلىّ
الذى كان أحد الكتب الثلاثة الذين حثّونى على وضع هذا التاريخ لما طالعت ١٨
ما فيهم من غريب الأحاديث ، وقد تقدّم جميع ذلك فى الجزء الأوّل والثّانى ممّا
يغنى عن إعادة شىء منه ها هنا ، وأخّرنا شيئاً من أحوال مصر أيضاً نذكره عند

---

(٤) زينب : فزينب (١٨) أحد : إحدى || الثلاثة : الثلاث
(٢٠) وأخرنا شيئا : ووخرنا شىء

فتوحها إن شاء الله تعالى ، وهو مالم نذكره فى ذلك الجزء الأوّل والثانى ، بحيث
لا يخلو جزء من هذا التّاريخ من نكت غريبة ، وملح عجيبة ، وأنا أسأل الله
٣ تعالى حسن التوفيق إلى سلوك هذا الطريق ، إنهّ بالإجابة جدير ، وهو على كلّ
شىء قدير .

ذكر ابتداء سياقة ذكر النيل المبارك
٦ فى أوّل كلّ عام من أوّل الهجرة

قال العلماء رضى الله عنهم : كلّ موضع ذكر الله تعالى فيه أمر الماء فابن
عليه أمر البعث ، قال تعالى : « فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرضَ
٩ بعد موتها ، إن ذلك لمحيى الموتى[1] » ، وقال تعالى : « فإذا أنزلنا عليها الماء
اهتزّت وربت ، إن الّذى أحياها لمحيى الموتى[2] » ، وقال تعالى : « فأحيا به
الأرض بعد موتها كذلك النّشور »[3] ، وقوله تعالى : « ماء مباركا » ، الآية إلى
١٢ قوله : « كذلك الخروج »[4] .

وأمّا قياس النّيل المبارك فقد ذكر ابن لهيعة القاضى رحمه الله تعالى أنّ هذا
المقياس عاشر مقياس بُنى بأرض مصر ، وسيأتى ذكر ذلك عند ذكر فتوح مصر
١٥ إن شاء الله تعالى .

---

(٢) لا يخلو جزء : لا تخلوا جزوا (٨) البعث : البعثة

---

(١) سورة الروم ، ٥٠
(٢) سورة فصلت ، ٣٩
(٣) سورة النمل ، ٦٥
(٤) يشير إلى قوله تعالى : « ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد .
والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » . سورة ق .
الآيات من ٩ ـ ١١

ذكر فصل لطيف فى نيل مصر
يليق بهذا المكان ذكره

وهذا النيل هو أعجب مافى مصر ، ومجيؤه من خلف خطّ الاستواء بإحدى ٣
(٢٧) عشرة درجة إلى نحو الجنوب ، وينتهى إلى الاسكندرية[1] فرقة ، وإلى
دمياط فرقة ، عند عرض ثلاث وثلاثين فى الشمال ، فمن ابتدائه إلى انتهائه اثنتان
وأربعون درجة ، كل درجة ستّون ميلًا ، فيكون طوله من موضع مخرج ابتدائه ٦
إلى الموضع الذى ينتهى إليه من الجهتين وينصبّ فى المالح ثمانية آلاف وستّمائة
وأربعة عشر ميلاً وثلثا ميل على القصد والاستواء ، وله تعريجات شرقاً وغرباً
فيطول ويزيد على ما ذكرنا . ٩

قلت : هذا كلام القاضى ابن لهيعة فى أمر النيل ، وهذا فصل لم أكن قد
ذكرته فى ذلك الجزء ، بل أخّرته حتى ذكرته ها هنا ، لأكون قد جمعت جميع
ماوقفت عليه ، وأثبتُّ كلّ كلام فى موضعه اللائق به . ١٢

[وقال صاحب كتاب ترصيع الأخبار ، وهو أحمد بن محمّد بن أنس
العذرى : إنّ مخرج نيل مصر من خلف جبل القمر ، وينصبّ فى بحيرتين خلف
خطّ الاستواء ، ويطيف بأرض النوبة ، ثمّ يتشعّب دون الفسطاط فتصير شعبة ١٥
إلى الإسكندرية وشعبة إلى دمياط ، عدد أمياله من مخرجه إلى مصبّه خمسة آلاف
ميل وتسعمائة وثلاثون ميلاً ، والأوّل أقرب إلى الصحيح ، والله أعلم][2].

وأمّا هذا المقياس الآن فهو بناء المتوكّل على الله جعفر بن المعتصم بن الرّشيد، ١٨

---

(٣) ومجيؤه : ومجيه (٤) عشرة : عشر (٥-٦) اثنتان وأربعون : اثنين وأربعين
(٦) مخرج : يخرج (٨) أربعة : أربع (١٠) أكن : أكون
(١٢) اللائق : الايق (١٧) ثلاثون : ثلثون

---

(١) يعنى رشيد (٢) ما بين الحاصرتين إضافة أضافها الكاتب فى هامش الورقة

بنى فى سنة سبع وأربعين ومائتين ، وفيها قتل المتوكّل حسبما يأتى من ذكره ،
وتولّى عمارته الفرغانى وفيه عمد ، طوله تسعةَ عشرَ ذراعاً من أوّله إلى اثنى عشر
٣ ذراعاً مقسوم بثمانية وعشرين إصبعاً ، وما بعده مقسوم بأربعة وعشرين إصبعاً ،
والذّراعان متساويان ، فما فائدة الاختلاف فى قسمة عدّة الأصابع ؟ وما الفرق
فيه ؟ هذا من دقيق الحكم الغامضة ، وسألت ابن أبى الرداد فى وقت يحضره
٦ القاضى المرحوم فخر الدّين ناظر الجيوش المنصورة عن هذه العلّة ، لعلّه يكون
عنده فيها جواب مرض ، فلم يجب بما يقارب خصوصاً أن يكون الصحيح فيه ،
والله أعلم .

٩ ذكر

السنة الأولى من الهجرة النبويّة

الماء القديم خمسة أذرع وثلاثة أصابع ، مبلغ الزيادة ستّة عشر ذراعاً
١٢ وعشرون إصبعاً .

ما لخّص من الحوادث

كان سيّدنا رسول الله ﷺ بالمدينة ، ومكّة بيد الكفّار من قريش ،(٣٨)
١٥ واليمن فى مملكة الفرس مضافة إلى ملك فارس ، والشّام فى ملك الروم ، ومصر
فى مملكة الروم ، وبها يومئذ للمقوقس ، واسمه جريج بن مينا وهو يقوم بخراجها
لملك الروم بالشام ، وهو مقيم بالإسكندريّة ، وعنده تسمين البطرح[1] ، سبيله
١٨ فى النصرانية سبيل القاضى فى الإسلام .

(٦) لعله : لعل (٧) جواب : جوابا || يجب : يجيب
(١٠) السنة الأولى: سنة احدى

(١) كذا فى الأصل ، وفى لسان العرب : بطرك ، معروف ، مقدم النصارى

وفى هـــذه السنة بعث النبىُّ ﷺ فأحضر بناته ، وزوجته سودة ، وبنى بعائشة ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، ورأى عبد الله بن زيد[١] الأذان ، وعقد لحمزة لواء أبيض ، وقال : « خـــذه يا أسد الله » ، وهو أوّل لواء عقد فى الإسلام .

وفيها بعث عبيدة[٢] إلى بطن رابغ[٣] بأصحابه ، وفيها رمى سعدُ بن أبى وقّاص بسهم ، وجمع له رسول الله ﷺ التفدية بين أبيه وأمّه[٤] ، وهو أوّل سهم رُمى فى الإسلام .

وفيها غزاة المغيرة ، والأبواء ، وغزوة بواط ، قال ابن إسحاق : إنّ هـذه الغزوات كلّها فى السنة الثانية من الهجرة .

وفيها زيد فى صلاة الحضر ركعتان ، وقيـل فيها ولد عبد الله بن الزبير ، وهو أوّل مولود ولد فى الإسلام بعد الهجرة ، وكان يُزْعَم أنّ اليهود سحروا المهاجرين فلا يولد لهم ولد ، فلمّا وُلد عبد الله بن الزّبير زال زعمهم واشتدّ الفرح .

وفيها بنى مسجده ﷺ ، وبنى مسجد قباء .

وفيها غزوة العُشَيْرة ، وفيها أغار كرز بن جابر الفهرىّ على سرح المدينة فخرج النبىُّ ﷺ خلفه إلى وادى سفوان من ناحية بدر .

---

(١) فأحضر : أحضر || بنى : بنا (٦) بسهم : السهم
(٨) بواط : نواط (١٠) ركعتان : ركعتين (١١) يزعم : يزعموا
(١٤) العشيرة : العسرة

---

(١) هو عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحارث بن الخزرج : ابن كثير : البداية والنهاية ، طبع بيروت ١٩٦٦ ، ٣ : ٢٣٢

(٢) يعنى عبيدة بن الحارث بن المطلب

(٣) فى الأصل : بجمع الجمع ، والتصحيح من الطبرى ، ٢ : ٢٥٩

(٤) انظر تفصيل ذلك فى ابن سعد ، ٣ : ١٤١ وما بعدها

ذكر سنة اثنتين للهجرة النبويّة

النّيل المبارك فى هذه السّنة :

٣ الماء القديم ثلاثة أذرع وعشرون إصبعاً ، مبلغ الزيادة ستّة عشر ذراعاً وإصبعان .

ما لخّص من الحوادث

٦ (٣٩) سيّدنا رسول الله ﷺ بالمدينة ، ومكّة - شرّفها الله تعالى - بأيدى قريش ، والشام ومصر بأيدى الروم ، والعراق وفارس واليمن فى أيدى الفرس ، والحبشة للنجاشى .

٩ وفيها كانت غزاة بدر الأولى ، وفيها تزوّج علىّ بن أبى طالب - كرّم الله وجهه - بسيّدة نساء العالمين فاطمة بنت سيّد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

١٢ وفيها كانت غزاة الأبواء[١] ، وفيها حوّلت القبلة ، ونزلت فريضة صوم رمضان ، وأمر بزكاة الفطر .

وقيل : وفيها ولد عبد الله بن الزبير[٢] ، وفيها سريّة عمير بن عدىّ إلى

١٥ عصماء بنت مروان فقتلها ، وكانت تهجو النبىّ ﷺ ، وسريّة غزوة[٣] بنى قينقاع وتوفيت رُقَيّة بنت سيّدنا رسول الله ﷺ .

(١) اثنتين : اثنى (٩) وفيها كانت : كان (١٢-١٣) صوم رمضان : رمضان

(١) الأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا

(٢) ذكر المصنف فى الصفحة السابقة أن عبد الله بن الزبير ولد فى السنة الأولى من الهجرة ، ويبدو أن هذا قول آخر

(٣) كذا فى الأصل ، ولكن جرت عادة المحدثين وأهل السير أن يفرقوا بين الغزوة والسرية ، فيسموا كل عسكر حضره النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه غزوة ، وما لم يحضره ، بل أرسل بعضاً من أصحابه إلى العدو ، سرية وبعثاً ، انظر كتاب المغازى من كتاب المواهب اللدنية ، ١ : ٤٦٧ ، ولم يتفق لأحد من المؤرخين - فيما أعلم - أن جمع بين الغزوة والسرية كما فعل مصنفنا هنا

وفيها وُلد الحسن بن علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وكذلك ولد النعمان بن بشير ، وهو أوّل مولود ولد للأنصار فى الإسلام .

وفيها مات أميّة بن أبى الصلت المتقدّمُ ذكره فى الجزء الأوّل ، وكذلك هلك أبو لهب . ٣

وفيها قاتلت الملائكة ببدر ، وفيها غزاة العشيرة ، وبعث سعد بن أبى وقّاص ، وبعث عبد الله بن جحش ، وفيها أعطى لعكاشة جِذْلا[1] من حطب ، وقال له « دونك هذا » ، فلمّا أخذه صار فى يده سيفاً لم ير الناسُ مثلَه . ٦

وفيها أنزلت الأنفال ، وفيها كانت غزاة بنى سليم ، وغزاة السويق ، وغزاة ذى أمر ، وغزاة ودّان[2] . ٩

وفيها خرج ﷺ إلى المصلّى فصلّى بالمسلمين صلاة العيد .

وفيها حملت بين يديه العنزة[3] ، وكانت للزبير وهبها له النجاشى ، وقيل إنّها إلى الآن عند المؤذّنين بالمدينة ، والله أعلم . ١٢

ذكر سنة ثلاث للهجرة النبويّة

النيل المبارك فى هذه السّنة :

الماء القديم ستّة أذرع وثلاثة عشر إصبعاً ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وواحد وعشرون إصبعاً . ١٥

(٥) العشيرة : العرة (٦) جذلا : جدلا (١١) العنزة : العنره

(١) الجذل : عود غليظ أو أصل من أصول الشجرة

(٢) غزاة ودان : عند ابن هشام فى السيرة النبوية هى نفسها غزاة لأبواء التى ذكرها المصنف فى أول أحداث السنة الثانية

(٣) العنزة : عصا فى رأسها سنان مثل سنان الرمح

[ما لخّص من الحوادث][1]

(٤٠) سيّدنا رسول الله ﷺ بالمدينة ، ومكّة - شرّفها الله تعالى - بأيدى قريش ، والشام ومصر بأيدى الرّوم ، والعراق وفارس واليمن بأيدى الفرس ، والمقوقس بمصر ، وكذلك تسمين البطرخ ، وهى دار حرب .

وفيها كانت غزاة أُحد ، وفيها قتل حمزة بن عبد المطّلب رضى الله عنه ، وفيها غزاة قرقرة الكدر ، وغطفان ، كُسرت رباعيّتهُ ﷺ[2] ، وفيها كانت غزوة حمراء[3] الأسد .

وفيها تزوّج ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، وزينب بنت خزيمة ، وفيها تزوّج عثمان بن عفّان أمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، وفيها وُلد الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليهما السّلام فى قول ، وفيها غزوة نجران ، وغزوة بنى قينقاع من وجه ورواية ، وقُتل كعب بن الأشرف .

وفيها جرح سيّدنا رسول الله ﷺ[2] ، وفيها قتل حنظلة الغسيل[4] .

وفيها ردّ رسول الله ﷺ عين أبى قتادة بن ربعى[5] ، وكانت قد نزلت على وجنته ، فعادت أجمل عينيه .

(٤) وكذلك : ولذلك (٦) قرقرة الكدر : قرورة والكدر
(١٠) نجران : بحران (١١) غزوة : غزة

(١) سقطت من الأصل
(٢) يعنى فى غزوة أحد
(٣) كذا فى كتب السيرة وغيرها ، وفى الأصل : حمر الأسد
(٤) فى الأصل : حنظلة القتل ، وهو تصحيف ، وقد قتل حنظلة الغسيل ، وهو حنظلة ابن أبى عامر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن صاحبكم - يعنى حنظلة - لتغسله الملائكة » ، فسألوا أهله : ما شأنه ؟ فسئلت صاحبته عنه فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهائفة ؛ راجع ابن هشام فى أحداث غزوة أحد
(٥) فى الأصل : قتادة بن النعمان ، والتصحيح من ابن هشام وسائر كتاب السيرة والمؤرخين . وقد حدث هذا فى غزوة ذى قرد

ذكر سنة أربع للهجرة النبويّة

النيل المبارك فى هذه السّنة :

الماء القديم خمسة أذرع وثمانية أصابع ، مبلغ الزّيادة ستّة عشر ذراعاً ٣
واثنا عشر إصبعاً .

ما لخّص من الحوادث

سيّدنا رسول الله ﷺ بالمدينة ، ومكّة - شرفها الله تعالى - بأيدى قريش، ٦
والشام ومصر بأيدى الروم ، والعراق وفارس واليمن بأيدى الفرس .

وفيها كانت غزوة الخندق[1] ، وفيها ولد الحسين بن علىّ بن أبى طالب
من وجه ورواية . ٩

وفيها غزاة بئر معونة[2] ، وغزاة بنى النضير ، ونزلت صلاة الخوف ، وفيها
قُصرت الصّلاة ، وأنزلت سورة الحشر بأسرها .

فيها مات عبد الله (٤١) بن عثمان، وكان من رقيّة [بنت رسول الله ﷺ][3] . ١٢

وفيها اتّخذ ﷺ الخاتم ، وكان نقشه : محمّد رسول الله ، وفيها تعلّم زيد
[بن ثابت][4] كتابة اليهود بأمره له فى خمسة عشر يوماً .

وفيها غزاة ذات الرقاع . ١٥

(١٠) النضير : النظير (١١) قصرت : قصر

(١) المشهور أن غزوة الخندق كانت فى سنة خمس للهجرة النبوية ، ولكن هناك اختلافاً فى الشهر الذى جرت فيه ، إذ يرى ابن سعد فى الطبقات الكبرى أنها حدثت فى ذى القعدة ، بينما يرى ابن إسحاق كما ورد فى سيرة ابن هشام ، أنها وقعت فى شوال من نفس السنة الخامسة

(٢) كذا فى ابن هشام وسائر المؤرخين وأصحاب السير ، وهى سرية وليست بغزاة ، وفى الأصل : بئر معاوية الأولى ، وهو تصحيف وخطأ ، فلم يرسل النبى صلى الله عليه وسلم سرية أخرى غير هذه إلى بئر معونة ، لكى تكون هذه هى الأولى وتلك الثانية

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من ابن الأثير ٢ : ١٧٦

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من ابن الأثير أيضاً

وفيها تزوج ﷺ أمّ سلمة رضى الله عنها .

وفيها غزوة بئر معاوية الثانية(١) .

٣ ذكر سنة خمس للهجرة النبويّة

النّيل المبارك فى هذه السّنة :

الماء القديم ذراع واحد واثنان وعشرون إصبعاً ، مبلغ الزّيادة خمسة عشر

٦ ذراعاً واثنان وعشرون إصبعاً .

[ما لخّص من الحوادث(٢)]

سيّدنا رسول الله ﷺ بالمدينة .

٩ [وفيها كانت](٣) غزاة دومـة الجندل ، وبنى قريظة ، وبنى المصطلق ، وبنى لحيان(٤) .

وفيها أنزلت آية الحجاب ، وتزوّج زينب بنت جحش .

١٢ وفيها سقط العقد من عائشة ، ونزلت آية التيمّم .

وفيها كان حديث الإفك .

وفيها غزوة الخندق(٥) ، وغزوة المريسيع(٦) ، والله أعلم .

(٩) قريظة : قريضة (١٠) لحيان : لحان

(١) هذا كلام لا أصل له ، ولم يرد فى أى مصدر من المصادر ، راجع هامش (٢) فى الصفحة السابقة

(٢) سقطت من الأصل

(٣) سقطت الكلمتان من الأصل

(٤) وقعت غزوتا بنى المصطلق، وبنى لحيان على ما أورده محمد بن سعد فى الطبقات الكبرى وابن هشام فى السيرة النبوية نقلا عن ابن إسحاق فى سنة ست وليس فى سنة خمس كما يقول المصنف

(٥) سبق للمصنف أن ذكر غزوة الخندق فى أحداث السنة الرابعة ، راجع هامش (١) فى الصفحة السابقة

(٦) كذا فى كتب السيرة والتاريخ ، وفى الأصل : غزوة الربيع ، وهو تصحيف وخطأ ، لأن غزوة المريسيع هى نفسها غزوة بنى المصطلق

ذكر سنه ستّ للهجرة النبويّة

النّيل المبارك فى هذه السّنة :

الماء القديم ثمانية أذرع وأربعة أصابع ، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً واثنا ٣
عشر إصبعاً .

ما لخّص من الحوادث

سيّدنا رسول الله ﷺ بالمدينة ، ومكّة بأيدى المشركين من قريش ، والشام ٦
ومصر بأيدى الروم ، والعراق وفارس واليمن بأيدى الفرس .

وفيها كانت غزوة الغابة[1] ، وغزوة الحديبية .

وفيها كان إنفاذ الرسل إلى الملوك ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله ٩
ابن عبد الحكم ، قال : حدّثنا هشام بن إسحاق وغيره قال : لمّا كان سنة ستّ
من الهجرة ورجع رسول الله ﷺ من غزاة الحديبية بعث إلى الملوك ، قال :
حدّثنا أسد بن موسى قال حدّثنا عبد الله بن وهب قال حدّثنا يونس بن زيد ١٢
عن ابن شهاب قال : حدّثنى عبد الرحمن بن عبد القوى[2] أنّ رسول الله ﷺ
قام ذات يوم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وتشهّد ، ثم قال : « أمّا بعد فإنّ
أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك العجم ، فلا تختلفوا علىّ كما اختلف بنو إسرائيل ١٥
على عيسى بن مريم ، وذلك أنّ الله تعالى أوحى إلى عيسى بن مريم أن ابعث
الحواريّين إلى ملوك الأرض ، فأمر الحواريّين ، فأمّا القريب مكاناً فرضى ، وأمّا البعيد
مكاناً فكره وقال : لا أحسن كلام من تبعثنى إليه ، فقال عيسى : اللّهم أمرتُ ١٨

---

(٨) كانت : كان (١٥) تختلفوا : تخلفوا

---

(١) نهاية الأرب ، ١٧ : ٢٠١ : وهى غزوة ذى قرد
(٢) كذا فى الأصل ، وفى فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ، طبع ليدن ١٩٢٠ م ،
٤٥ : عبد الرحمن بن عبد القارى

الحواريين (٤٢) بالذى أمرت[١] فاختلفوا علىّ ، فأوحى الله إليه : إنّى سأكفيك ، فأصبح كلّ إنسان منهم يتكلّم بلسان الذين وجّه إليهم » ، فقال المهاجرون :
٣ يارسول الله ، والله لا نختلف عليك أبداً فى شىء فمرنا وابعثنا ! فبعث حاطب ابن أبى بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندريّة ، وشجاع بن وهب الأسدىّ إلى كسرى[٢] ، وبعث دحية بن خليفة إلى قيصر ، وبعث عمرو بن العاص إلى
٦ ابنى الجلندى أميرى عمان .

قال : فمضى حاطب بكتاب رسول الله ﷺ فلمّا انتهى إلى الإسكندريّة وجد المقوقس فى مجلس مشرف على البحر ، فركب فى البحر فلمّا حاذى مجلسه
٩ أشار بكتاب رسول الله ﷺ بين إصبعيه ، فلمّا رآه أمر بالكتاب فقبض ، وأمر به فأوصل إليه ، فلمّا قرأ الكتاب قال : ما منعه إن كان نبيًّا أن يدعو [علىّ][٣] فيسلّط علىّ ؟ فقال حاطب : ما منع عيسى بن مريم أن يدعو على
١٢ من أبى عليه أن يفعل به ويفعل[٤] ؟ فوجم المقوقس ساعة ثم استعادها ، فأعادها عليه حاطب ، فسكت ، فقال له حاطب : إنّه قد كان قبلك رجل زعم أنّه الربّ الأعلى فانتقم الله به ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ، ولا يعتبر بك ، وإنّ لك
١٥ ديناً لن تدعه إلّا لما هو خير منه ، وهو الإسلام الكافى الله به فقد ما سواه ،

---

(١) الحواريين : الحواريون (٢) الذين : الذى (٤) بلتعة : بليغه
(١٠ — ١١) يدعو : يدعوا ، وقد رسمت على هذا النحو فى كل المواضع التى وردت فيها فى الصفحات التالية
(١٤) يعتبر : يغتر

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى فتوح مصر لابن عبد الحكم : أمرتنى
(٢) فى ابن الأثير : الكامل ، ٢ : ٢١٠ أن مبعوث النبى صلى الله عليه وسلم إلى كسرى هو عبد الله بن حذافة ، وأن شجاع بن وهب بعث إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى
(٣) زيادة من ابن عبد الحكم
(٤) كذا فى ابن عبد الحكم ، وفى الأصل : ما فعل

وما بشارة موسى بعيسى إلّا كبشارة عيسى بمحمّد ﷺ ، وما دعاؤنا إيّاك إلى القرآن إلّا كدعائك أهلَ التوراة إلى الإنجيل ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنّا نأمرك به ، ثم قرأ الكتاب ، وهو : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمّد ٣ رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتّبع الهدى ، أمّا بعد، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، فأسلِمْ تسلمْ يؤتك اللهُ أجرَك مرّتين : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : ألّا نعبدَ إلّا الله ولا نشركَ به شيئاً ٦ ولا يتّخذَ بعضُنا (٤٣) بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون[١] » ، فلمّا قرأه أخذه فجعله فى حُقٍّ من عاج وختم عليه .

قال[٢] : حدّثنا عبد الرحمن قال حدّثنا عبد الله بن سعد المذحجىّ عن ربيعة ابن عثمان عن أبان بن صالح ، قال : أرسل المقوقس إلى حاطب ليلة ، وليس عنده إلّا ترجمان ، فقال: ألا تخبرنى عن أمور أسألك عنها فإنّى أعلم أنّ صاحبك قد تخيّرك حين بعثك ، قلت: لا تسألنى عن شىء إلّا صدقتك ، قال : إلى مايدعو محمّد ؟ قال : إلى أن تعبدَ الله لا تشرك به شيئاً ، وتخلع ماسواه ، ويأمر بالصلاة، قال : فكم تصلّون ؟ قال : خمس صلوات فى اليوم والليلة ، وصيام شهر رمضان وحجّ البيت ، والوفاء بالعهد ، وينهى عن أكل الميتة والدم ولحم الخنزير ، قال: من أتباعه ؟ قال : الفتيان من قومه وغيرهم ، قال : فهل يقاتل[٣] قومه ؟ قال : نعم ، قال : صفه لى ! قال : وصفت صفة من صفته لم آت عليها ، قال : قد بقيت

(٦) ألا : لا (١٢) تخيرك : تخبرك

(١) سورة آل عمران ، ٦٤ ، ٦٥
(٢) يعنى ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ٤٧
(٣) كذا فى ابن عبد الحكم : وفى الأصل : تقتل .

أشياء لم أرك ذكرتها ، أفى عينيه حمرة قلّ ماتفارقه ؟ وبين كتفيه خاتم النبوة ؟
ويركب الحمار ؟ ويلبس الشملة ؟ ويجتزئ بالتمرات[1] والكِسَر لا يبالى من لاقى
٣ [من] عمّ ولا ابن عمّ؟ قلت : هذه صفته ! قال : قد كنت أظنّ مخرجه الشام ،
وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله ، فأراه قد خرج من العرب فى أرض جهد
وبؤس ، والقبط لا تطاوعنى فى اتّباعه ، ولا أحبّ أن تعلم بمحاورتى إيّاك ،
٦ وسيظهر على البلاد ، وتنزل أصحابه بعده بساحتنا هذه حتّى يظهروا على ما هنا ،
وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفاً ، فارجع إلى صاحبك !

قال[2] : ثمّ رجع إلى حديث هشام بن إسحاق ، قال : ثمّ دعا كاتباً يكتب
٩ بالعربيّة فكتب : لمحمّد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام ، أمّا بعد :
فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت ، وما تدعو إليه ، وقد علمت أنّ نبيّاً قد
بقى ، وقد كنت أظنّ أنّه يخرج من الشام(٤٤) وقد أكرمت رسولك ، وبعثت
١٢ إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها
والسلام .

فلمّا قدم حاطب اتّخذ النبي ﷺ إحدى الجاريتين لنفسه ، ووهب الأخرى
١٥ لجهم بن قيس العبدرى ، فهى أمّ زكريّا بن جهم الذى كان خليفة عمرو بن العاص
على مصر ، ويقال بل وهبها لحسّان بن ثابت ، فهى أمّ عبد الرّحمن بن حسّان ،
ويقال بل وهبها لمحمّد بن مسلمة الأنصارى ، ويقال بل وهبها لدحية بن خليفة
١٨ الكلبىّ .

---

(٢) لاقى : لاقا (٨) دعا : دعى (١١) وبعثت : وبعث

---

(١) كذا فى ابن عبد الحكم ، وفى الأصل ويجترى بالثمار
(٢) يعنى ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ٤٧

قال : حدّثنا عبد الملك بن مسلمة ، قال حدّثنا إسماعيل بن عبّاس عن أبى بكر بن أبى مريم عن راشد بن سعد أنّ رسولَ الله ﷺ قال : لو بقى إبراهيم ما تركت قبطيّاً إلّا وضعت عنه الجزية ، والله أعلم . ٣

وفيها كانت بيعة الرضوان ، وفيها خرج صلّى الله عليه معتمراً ، فصدّه المشركون .

وفيها كانت غزاة بنى المصطلق[1] ، وأنزلت آية التيمّم ، وحديث الإفك ، ٦ وبنى لحيان ، وعمرة الحديبية .

وفيها كانت عدّة سرايا وغزوات ، منها سريّة عكاشة ، وسريّة محمّد بن سلمة ، وسريّة أبى عبيدة بن الجراح ، وسريّة زيد بن حارثة ، وسريّته أيضاً ، وسريّته ٩ أيضاً ، وسريّته أيضاً إلى وادى القرى[2] ، وسريّة علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه .

وفيها تزوّج عمر بن الخطّاب رضى الله عنه جميلة بنت ثابت أخت عاصم ١٢ ابن ثابت ، والله أعلم .

(٦) وفيها : وفيها وفيها (٧) لحيان : حيان

(١) سبق أن ذكر المصنف أن غزوة بنى المصطلق حدثت فى سنة خمس ، اعتماداً على ابن سعد فى الطبقات الكبرى فيما يبدو ، وها هو ذا المصنف هنا يذكرها مرة أخرى فى حوادث السنة السادسة ، اعتماداً على ابن إسحاق فيما يبدو ، غير أن المصنف لم يشر إلى أسباب هذا التناقض الذى وقع فيه ، وكذلك الأمر بالنسبة لنزول آية التيمم ، فقد سبق أن ذكرها المصنف ضمن الخمس من أحداث السنة الخامسة

(٢) المشهور أن زيد بن حارثة رضى الله عنه بعث على رأس خمس سرايا فى سنة ست ، كان آخرها سريته إلى وادى القرى ، وهو واد بين الشام والمدينة فيه قرى كثيرة ، انظر : الطبقات الكبرى ، ٢ : ٨٩

ذكر سنة سبع للهجرة النبوية

النيل المبارك فى هذه السنة :

٣ الماء القديم خمسة أذرع واثنا عشر إصبعاً ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثمانية أصابع .

ما لخص من الحوادث

٦ سيدنا رسول الله ﷺ بالمدينة ، والشام ومصر بأيدى الروم ، (٤٥) والعراق وفارس واليمن فى أيدى الفرس ، ومكة ـ شرفها الله تعالى ـ بأيدى المشركين من قريش .

٩ وفيها كانت غزاة حنين[1] ، وفيها كان قدوم جعفر بن أبى طالب من عند النجاشى إلى المدينة .

وفيها نهى النبى ﷺ عن أكل الحُمُرِ الأهلية .

١٢ وفيها تزوج ﷺ ميمونة بنت الحارث وهو مُحْرِم، وبنى بها وهو حلال[2]، وهى آخر امرأة تزوجها ﷺ .

وفيها ردّ ابنته إلى أبى العاص[3] .

١٥ وفيها غزوة خيبر ، والله أعلم .

---

(١) لا شك فى أن هذا خطأ من المصنف، فغزوة حنين ـ كما هو رأى الجمهور ـ إنما حدثت فى السنة الثامنة بعد فتح مكة ، وليس فى السنة السابعة كما ذكر

(٢) يعنى : دخل بها النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن تحلل من إحرامه فى عمرة القضاء ؛ راجع تاريخ الطبرى ، ٣ : ١٠٠ ـ ١٠١

(٣) يعنى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رد ابنته زينب إلى زوجها أبى العاص بن الربيع، بعد أن أسلم أبو العاص ، راجع ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الصحاب ، طبع على هامش كتاب الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ، طبع مصر ١٣٢٨ هـ ، ٤ : ١٢٥ وما بعدها

ذكر سنة ثمان للهجرة النبوية

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع وثلاثة أصابع ، مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعاً ٣
وخمسة أصابع .

ما لخص من الحوادث

سيدنا رسول الله ﷺ بالمدينة ، ومكة بأيدى قريش إلى حين فتحها ٦
فى هذه السنة .

وفيها ولدت مارية القبطية إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وكان الذى
بشر به أبو رافع ، فوهب له ﷺ عبداً ، وكان مولده فى دى الحجة . ٩

وفيها كانت غزاة حنين والطائف .

ذكر فتح مكة ـ شرفها الله تعالى ـ فى هذه السنة

قال ابن إسحاق : لما أمر رسولُ الله ﷺ بالجهاز إلى مكة دخل أبو بكر ١٢
رضى الله عنه على عائشة رضى الله عنها فقال: أىْ بنية ، أأمرَكم رسولُ الله ﷺ
أن تجهّزوه ؟ قالت : نعم ، قال : فأين ترينه يريد ؟ قالت : لا والله ما أدرى .
ثم إنه عليه السلام أعلمَ الناسَ أنه يريدُ مكة ، وأمرهم بالجد والتأهب ، ١٥
ثم قال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى لا يعلموا ما نريد[1] .

---

(١٢) دخل : فدخل || أبو بكر : أبى بكر (١٣) على : إلى || أأمركم : أمركم
(١٤) ترينه : تريه (١٦) العيون : بالعيون || لا يعلموا : لا يعلمون

---

(١) لفظ ابن إسحاق على نحو ما جاء فى ابن هشام: « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش
حتى نبغتها فى بلادها »

قال الطبرىّ : فلمّا أجمع رسول الله ﷺ (٤٦) السير[١] إلى مكّة ، كتب
حاطب ابن أبى بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ﷺ ،
٣ وأعطاه لامرأة يزعم محمّد بن جعفر أنّها من مزينة ، وزعم غيره أنّها سارةُ مولاةٌ
لبعض بنى عبد المطّلب ، وجعل لها جُعْلًا على أن تبلغه قريشاً ، فجعلَتْهُ فى رأسها
ثم ضمّت[٢] عليه قرونها ، ثم خرجت من المدينة ، ونزل الوحى بذلك على
٦ رسول الله ﷺ ، فبعث علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه والزبير بن العوّام
رضى الله عنه فقال : أدركوا[٣] امرأة قد كتب معها حاطب كتاباً إلى قريش
يحذّرهم بما اجتمعنا له[٤] ! فخرجا فى طلبها ، فأدركاها واستنزلاها والتمسا رحلها
٩ فلم يجدا[٥] شيئاً ، فقال لها علىّ عليه السلام : إنّى أحلف ما كذب رسول الله ﷺ
ولا كذبنا ؛ ولتُخْرِجِنّ هذا الكتاب أو لنكشفنّك ! فلمّا علمت أنّ لا لها بدّ
من إخراجه وخافت الفضيحة قالت : أعرض عنّى ! ثم استخرجته من قرونها
١٢ ودفعته إلى علىّ عليه السلام ، [فجاء به إلى رسول الله ﷺ][٦] فدعا رسول الله
حاطباً ، وقال : ما حملك على هذا ؟ فقال: يا رسول الله ، إنّى والله مؤمن ولستُ
بمنافق ، ما غيّرتُ ولا بدّلتُ ، ولكنْ لى بين أظهرهم أهل وولد ، فصانعتهم
١٥ عليهم ، فقال عمر رضى الله عنه : دعنى أضربْ عنقَه يا رسول الله فإنّ الرجل

---

(٢) بلتعة : بليغه (٦) وسلم : وسلم بذلك (٧) كتابا : كتاب
(١٣) حاطبا : حاطب || ولست : وليس

---

(١) فى الطبرى : المسير
(٢) فى الطبرى : فتلت
(٣) فى الطبرى : أدركا
(٤) فى الطبرى : ما قد أجمعنا له فى أمرهم
(٥) كذا فى الطبرى : وفى الأصل : يجدوا
(٦) ما بين الحاصرتين زيادة اقتضاها السياق من الطبرى

قد نافق ! فقال ﷺ : وما يدريك يا عمر ، لعلّ الله اطّلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد [غفرت][1] لكم .

قال ابن عبّاس : فأنزل الله تعالى فى حاطب : « يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّى وعدوّكم أولياء » الآية[2] .

قال : ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره ، واستخلف على المدينة كلثوم بن حصين الغفارى ، وخرج [لعشر][3] مضين من رمضان ، فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه حتى إذا كان بين عسفان (٤٧) وأمج أفطر رسول الله ﷺ ، ثم سار حتى نزل مرّ الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين مع جميع المهاجرين والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد . وعُمِّيَت الأخبارُ عن قريش فلا يأتيهم خبر.

قال : فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسّسون الأخبار ، وكان العبّاس بن عبد المطّلب قد أتى رسول الله ﷺ فى بعض الطريق، وكان قبل ذلك مقيماً بمكّة على سقايته ، ورسول الله ﷺ عنه راض ، فلمّا نزل ﷺ مرّ الظهران قال العبّاس : واصُبْحَ[4] قريش ، والله لئن بغتها رسول الله ﷺ بغتة، ودخل مكّة عنوة إنّه لهلاك قريش إلى آخر الدهر ، قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ وخرجت عليها حتى أتيت الأراك، فقلت لعلّى أجد حطّاباً أو صاحبَ لبن أو ذا حاجة يأتى إلى مكّة ، فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ، لعلّ أن يأتوه يستأمنون منه قبل أن يدخلها عنوة، فوالله إنّى

(٨) مر : مرا (٩) خبر : مخبر (١١) أتى : أتا (١٣) مر : موا
(١٣) لئن : لاين || بغتها : باغتها (١٦) ذا : ذو (١٧) يأتوه : يأتونه

(١) كذا فى الطبرى ، وهو المشهور ، وفى الأصل : مغفور
(٢) سورة الممتحنة ، ١
(٣) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : فى عشر
(٤) كذا فى الأصل : وفى الطبرى : يا صباح

لأطوف فى الأراك ألتمس ما خرجت إليه إذ سمعت صوت أبى سفيان وبُديل
ابن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانا قطّ ولا عسكراً،
٣ فقال بديل بن ورقاء: هى والله نيران خزاعة حمشتها الحرب، فقال أبو سفيان:
خزاعة ألأم من ذلك وأذلّ! قال العبّاس: فعرفت صوته فقلت: أى أبا حنظلة!
فعرف حسّى وصوتى فقال: العبّاس؟ قلت: نعم! قال: ما وراءك بأبى وأمّى
٦ أنت؟ فقلت: ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله ﷺ فى الناس، واصباحَ
قريش والله! قال: فما الحيلة فداك أبى وأمّى؟ قلت: لئن ظفر بك ليضربنّ
عنقك، فاركب فى عَجُزِ هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله تستأمن منه!

٩ قال: فركب خلفى ورجع صاحبه، فجئت به، فكلّما مررت بنار من نيران
المسلمين قالوا: عمّ رسول الله (٤٨) على بغلة رسول الله، حتى مررت بنار عمر
ابن الخطّاب فقال: من هذا؟ ثم قام إلىّ، فلمّا رأى أبا سفيان على عجز البغلة
١٢ قال: أبو سفيان عدوّ الله ورسوله؟ الحمد لله الذى أمكن منك بغير عهد ولا ميثاق!
ثم خرج يشتدّ نحو رسول الله ﷺ، وأنا قد ركضت البغلة، ودخلت على
رسول الله ﷺ ودخل عمر فى إثرى، فقال: يا رسول الله: هذا أبو سفيان قد
١٥ أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فأمُرْنى أضربْ عنقَه! فقلتُ: يا رسولَ الله
إنّى قد أجرته! فلمّا أكثر عمر فى شأنه قلت: مَهْلًا يا عمر، فوالله لو كان من
رجال عدىّ بن كعب ما أكثرتَ فيه، ولكنّك عرفتَ أنّه من رجال عبد مناف!
١٨ فقال: مهلًا يا عبّاس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحبّ إلىّ من أن أسلم
الخطّاب لو أسلم! فقال رسول الله ﷺ: اذهب به يا عمّ إلى رَحْلِك فإذا أصبحت
فأتنى به.

---

(٢) نيرانا: نيران (٧) لئن: لان

قال العبّاس : فذهبتُ به إلى رحلى، فلمّا أصبح غدوت به إلى النبى ﷺ، فلمّا رآه قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنّه لا إله إلّا الله ؟ قال : بأبى وأمّى أنت ، ما أحلمَك وأكرمَك وأوصلَك، والله لقد ظننتُ أنه لو كان ٣ مع الله غيره لقد أغنى عنّا شيئاً بعد ، قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنّى رسول الله ؟ قال : بأبى وأمّى أنت ، ما أحلمَك وأكرمَك وأوصلَك ، أما هذه فإنّ فى النفس منها شيئاً بعدُ الآن ، فقال العبّاس : ويحك أسلم قبل أن ٦ يأمرَ بك فتُضربَ عنقك ! قال : فأسلم وتشهّد شهادة الحقّ .

قال العبّاس : يا رسول الله، إن أبا سفيان يحبُّ الفخر فاجعل له منه نصيباً ! فقال عليه السلام: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ٩ فقال : وما يغنى منزلى والمسجد ، فدتك نفسى ، فقال عليه السلام : ومن أغلق بابَه فهو آمن ، فلمّا ذهب أبو سفيان لينصرف قال النبى ﷺ للعبّاس : يا عمّ احبسه بمضيق الوادى حتى تمرّ به جنودُ الله فيراها . ١٢

قال العبّاس : فخرجت به حتى حبسته بمضيق الوادى ، قال : ومرّت علينا القبائل (٤٩) فكان كلّما مرّت قبيلة يقول: من هذه يا عبّاسُ ؟ فأقول له : هذه سُلَيمٌ ، فيقول : مالى ولسُلَيم ، ثم تمرّ بنا أخرى فيقول : ومَن هذه أيضاً ١٥ فأقول : مزينة ، فيقول : مالى ولمزينة ، وعادت القبائل تمرّ بنا أولاً فأوّلاً ، وهو يسألنى وأنا أخبره وهو يقول كذلك حتى مرّ رسول الله ﷺ فى كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار ، لا يرى فيهم إلّا حماليق الحدق من الحديد ، ١٨ فقال : سبحان الله يا عبّاس ، من هؤلاء الذين قد ملئتُ منهم رعباً وخوفاً ؟

---

(٤) أغنى : أغنا || ألم : ما لم (٦) شيئاً : شىء (١٨) المهاجرون : المهاجرين
(١٩) ملئت : ملات

فقلت : هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار! فقال: ما لأحد بهؤلاء قبل، والله يا عبّاس لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً ! فقلت : يا سبحان الله ، إنّها النبوّة ، ثم قلت : النجئَ الآن إلى قومك !

قال : فخرج حتى [إذا][1] جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، ها محمّد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، فمن دخل دارى فهو آمن ! قال: فقامت إليه هند بنت عتبة زوجته فأخذت بشاربه وقالت: قاتلك الله ، وما تغنى عنهم دارك؟ قال : ومن دخل المسجدَ فهو آمن ، ومن أغلق بابَه فهو آمن! قال : فتفرّق الناس فى كلّ موضع من هؤلاء المواضع .

فلمّا انتهى رسول الله ﷺ إلى ذى طوى ، فرّق جيشه فأمر الزبيرَ بن العوّام وكان على الفرقة اليسرى أن يدخل ممّا يليه ، وأمر سعد بن عبادة الأنصارى أن يدخل ممّا يليه أيضاً ، قال ابن إسحاق : فزعم بعضهم أنّ سعداً حين وجه داخلًا قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحلّ [الحرمة][2] ، فسمعها بعضُ المهاجرين ، فقال : يا رسول الله ، ما بال سعد بن عبادة أنّه لا يؤمن أن يكون له فى قريش صولة ؟ فقال رسول الله ﷺ لعلىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه : « أدركه فخذ الرّايةَ منه وكن أنت الذى تدخل بها من جهته التى هو بها » .

وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضى الله عنه (٥٠)[٤] وكان على الفرقة اليمنى أن يدخل من أسفل مكّة ، قال : وكان عكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أميّة قد جمعا جمعاً وعزموا على القتال ، فلمّا دخل خالد بن الوليد لقيهم فناوشهم القتال

(٤) بأعلى : بأعلاء

(١) إضافة من المحقق ليستقيم السياق

(٢) كذا فى الطبرى ، وهو الصحيح ، وفى الأصل : المحرمة

فقُتل من المسلمين رجلان وأصيب من المشركين نحو من ثلاثة عشر رجلًا ، ثم انهزموا ، هذه رواية ابن إسحاق .

ودخل رسول الله ﷺ من أعلى مكّة وضرب هناك قُبّته ، قال ابن إسحاق: ٣
وكان النبي ﷺ قد عهد إلى أمرائه حين أمرهم بالدخول إلى مكّة ألاّ يقتلوا أحداً إلّا من قاتلهم ، إلا أنّه سمّى جماعة أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم : عبدُ الله بن أبى سرح وكان قد أسلم ثم ارتدّ ، وكان يكتب ٦
بين يدى سيّدنا رسول الله ﷺ فى الوحى فيكتب مكان الغفور الرّحيم : العزيز الحكيم ، ومكان عليًا حكيماً : غفوراً رحيماً ، وما أشبه ذلك ، وقال إن محمّداً على عليّ فأكتب أنا ما شئت أن أكتب ، فنزل الوحى بذلك ، ٩
فهرب حتى لحق بالمشركين من قريش ، وكان أخاً لعثمان بن عفّان من الرضاعة ، فغيّبه عثمان وسيّره حتى اطمأنّ أهل مكّة ، فجعل يستأمن له من النبي ﷺ ويشفع فيه ، قال ابن الحصين : فصمت النّبىُّ ﷺ طويلاً ثم قال : نعم ! فلمّا انصرف ١٢
عثمان به قال النبي ﷺ لمن حوله : أما والله لقد [صَمَتُّ] [(١)] ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه ، فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت إلىّ يارسول الله ؟ فقال : ما كان لنبيٍّ أن يكون له خائنة عين [(٢)] ، ثم إنّ ابن أبى سرح أسلم وحسن ١٥
إسلامه ، ونفع الله به وفتح إفريقية .

---

(١) رجلان : رجلين (٢) هذه : هذا

---

(١) كذا فى ابن هشام ٤ : ٢٠ ؛ والطبرى ، ٣ : ١١٩ ؛ وفى الأصل : همت
(٢) كذا فى الأصل ، وفى ابن هشام والطبرى ، وكلاهما ينقل عن ابن إسحاق : إن النبى لا يقتل بالإشارة

ومنهم عبد الله بن خطل من بنى الأدرم أعراب قريش[١] ، كان مسلماً فبعثه النبى ﷺ مصدقاً ، وبعث معه فنزل [منزلاً ، وأمر للولى][٢] أن يذبح له شاة أو تيساً ويصنع له طعاماً ، فنام واستيقظ ولم يصنع له شيئاً ، فعدا على الغلام فقتله وارتدّ مشركاً ، وكان له قينتان تغنّيان بما لا ينبغى فى هجوها النبى ﷺ ٣
فقُتل يوم الفتح وهو متعلّق بأستار الكعبة وقُتلت إحدى القينتين ، وتخفّت الأخرى ثم وطئها بعد ذلك فرس فقتلها . ٦

ومنهم [مقيس بن صبابة[٣]] كان مسلماً ، فقتل رجلاً من الأنصار وارتدّ مشركاً ، فقتله ذلك اليوم رجل فى معترك الحرب .

ومنهم عكرمة بن أبى جهل ، نجاه فزارة ، ثم إنّ امرأته أسلمت وهى أمّ حكيم [بنت الحارث[٤]] بن هشام ، واستأمنت له رسول الله ﷺ ، فرجع من فزارة ٩
وأسلم ، وصار الناس يقولون فيه ، فقال النبى ﷺ : لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات . ١٢

ومنهم [الحويرث بن نقيذ[٥]] ، قتله علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه ، لأنّه كان ممّن يؤذى رسولَ الله ﷺ بمكّة .

ومنهم سارّة مولاة بعض بنى عبد المطّلب ، كانت تؤذى النبى ﷺ فقُتلت يومئذ . ١٥

---

(٢) يذبح : تذبح (٤) تغنيان : يغنيان (٧) رجلا : رجل

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى ابن هشام ، والطبرى : من بنى تيم بن غالب
(٢) النص هنا مضطرب فى الأصل ، وهو : فنزل ولد المولى تأمر ، والتصحيح من ابن هشام والطبرى
(٣) كذا فى الطبرى ، ٣ : ١١٩ ، وفى الأصل : قيس بن ضبابه
(٤) كذا فى ابن هشام ، ٤ : ٢٠ ، والطبرى ، وفى الأصل بنت عم الحارث
(٥) كذا فى ابن هشام ، والطبرى ، وفى الأصل : الحويرث بن نقيل

ومنهم [قريبة(١)] ، قُتلت أيضاً ، ومنهم هند بنت عتبة أم معاوية ، بايعت ونجت .

قال ابن إسحاق : فلمّا نزل رسول الله ﷺ مكّة واطمأنّ الناس ، خرج ٣ حتى جاء البيت ، وأقبل الناس يبايعونه .

قال الطبرى : ثمّ إنّ رسول الله ﷺ قام قائماً حتى(٢) وقف على باب الكعبة ، فقال : لا إله إلّا الله وحده لاشريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، ٦ وهزم الأحزاب وحده ، ألا [كلّ مأثرة(٣)] أو دم أو مال يُدَّعى فهو تحت قدمىّ هاتين إلاّ سدانة البيت وسقاية الحاجّ ، ثمّ ، يامعشر قريش ، إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهليّة [وتعظُّمها(٤)] بالآباء ، [الناس(٥)] من آدم (٥٢) ٩ وآدم [خلق](٦) من تراب ، ثم تلا هذه الآية : « يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى ، » ـ الآية(٧) . ثم قال : يامعشر قريش ـ أو قال : يا أهل مكّة ـ ماترون أنّى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ! قال : اذهبوا ١٢ فأنتم الطلقاء ! فأعتقهم رسول الله ﷺ .

قال : ثم اجتمع الناس لبيعة رسول الله ﷺ على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، وكذلك كانت بيعته لمن بايع من الناس على الإسلام ، فلمّا فرغ ١٥

---

(١٢) خيرا : جزا

---

(١) كذا فى الطبرى ، ٣ : ١٢٠ ، نقلا عن الواقدى ، وفى الأصل : ورده
(٢) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى ، ٣ : ١٢٠ : حين
(٣) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : كلما تراه
(٤) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : وتعظيمها
(٥) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : والناس
(٦) زيادة من الطبرى
(٧) سورة الحجرات ، ١٣

من بيعة الرجال بايع النساء ، وكان ﷺ لا يصافح النساء ولا يَمَسُّ امرأة ولا تمسُّه امرأة من غير حلّة ، فاجتمع إليه نساء قريش فيهنّ هند بنت عتبة متنكّرة ،
٣ لما كان من صنيعها بحمزة فى غزاة أحد ، فلمّا [دنون[1]] منه للمبايعة قال النبى ﷺ : لتبايعننى على ألاّ تشركن بالله شيئاً ! قالت هند : والله إنّك لتأخذ علينا أمراً ما تأخذه على الرجال ! قال : ولا تسرقن ! قالت : والله إن كنتُ
٦ لأصيب من مال أبى سفيان الهنة وما أدرى أكان ذلك حلالاً أم لا ؟ فقال أبو سفيان ، وكان حاضراً شاهداً لما تقول : أمّا ما أصبت فيما مضى فأنت [منه][2] فى حلّ ، فقال رسول الله ﷺ : وإنّك لهند بنت عتبة ، قالت : أنا
٩ هند بنت عتبة فاعف عمّا سلف [عفا[3]] الله عنك ! ثم قال : ولا تزنين ! قالت : وهل تزنى الحرّة ؟ قال : ولا تقتلن أولادكن ! قالت : قد ربيناهم صغاراً وقُتلوا يوم بدر كباراً وأنت بهم أعلم ، قال[4] : فضحك عمر بن الخطّاب من قولها ،
١٢ قال : ولا [تعصيننى[5]] فى معروف ! قالت : مَا جَلَسَ هذا المجلس ونحوه من شهد أنّه يعصيك ! فقال النبىّ ﷺ لعمر (٥٣) : بايعهنّ واستغفر لهنّ الله ، فبايعهنّ عمر رضى الله عنه .

١٥ قال ابن إسحاق : وأتى أبو بكر رضى الله عنه بأبيه أبى قحافة يقوده ـ فقد كان كفّ بصره ـ إلى رسول الله ﷺ وهو فى المسجد ، فلمّا رآه قال : هلا تركتَ الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ فقال أبو بكر : بأبى أنت
١٨ وأمّى يا رسول الله هو أحقّ أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه ! قال :

(١) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : دنيت
(٢) زيادة من الطبرى
(٣) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : يعفوا
(٤) يعنى الطبرى
(٥) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : ولا تعصينى

فأجلسه بين يديه ثم مسح بيده على صدره ، ثم قال له : أسلم ! فأسلم .

المعجزة فى سقوط الأصنام

قال ابن إسحاق وغيره : دخل رسول الله ﷺ مكّة يوم الفتح على راحلته ، ٣
فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص ، فجعل يشير بقضيب فى يده
إلى الأصنام ، ويقول : « جاء الحقّ وزهق الباطل ، إنّ الباطل كان زهوقاً » ،
فما أشار لصنم فى وجهه إلّا سقط لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلّا سقط لوجهه ٦
حتى أتى على الجميع .

وكان فتح مكّة لعشر بقين من شهر رمضان ، وكان عدّة من شهد الفتح
من المسلمين عشرةَ آلاف ، فمن جهينة ألف وأربعمائة ، ومن مزينة ألف وثلاثمائة ، ٩
ومن سليم سبعمائة ، ومن أسلم أربعمائة ، ومن غفار أربعمائة ، والبقيّة من قريش
والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من أسد وقيس .

وأقام رسول الله ﷺ بعد فتح مكّة خمس عشرة ليلة بها يقضى الصلاة ، ١٢
والله أعلم .

وفيها كانت غزاة حنين والطائف ، وفيها تُوفّى جعفرُ بن أبى طالب ، وزيد
ابن حارثة ، وعبد الله بن رواحة ، وفيها تملّك أردشير بن شيرويه ملك فارس ، ١٥
وفيها اتّخذ النبى ﷺ المنبر ، وطلّق سودة ، وماتت زينب بنت رسول الله ﷺ ،
وفيها كانت غزاة ذات السلاسل ، وغزوة الخبط ، وفيها كان إسلام خالد بن الوليد
وعمرو بن العاص (٥٤) وفيها بُعث خالد بن الوليد إلى القرى ليهدمها ، وفيها ١٨
تزوّج ﷺ بفاطمة الضحّاك ، وهى للمستعيذة ، وفيها خلاف[1] ، والله أعلم .

(٤) أصنام : أصام (٦) إلا : الى (١٢) خمس عشرة : خمسة عشر
(١٧) الخبط : الخنط (١٩) للمستعيذة : المستعده

(١) راجع ابن سعد ، ٨ : ١٤١ ، وابن الأثير ، ٢ : ٢٧٢ ، ونهاية الأرب ، ١٨ : ١٩٠ – ١٩١

ذكر سنة تسع للهجرة النبوية

النيل المبارك فى هذه السنة :

٣ الماء القديم ستة أذرع وثلاثة أصابع ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وثمانية أصابع .

ما لخص من الحوادث

٦ سيدنا رسول الله ﷺ بالمدينة ، ومكة دار إسلام ببركاته عليه أفضل الصلاة والسلام ، وعليها أميراً عتاب بن أسيد من قبل النبى ﷺ . والشام للروم وملكها قيصر الهرقل ، ومصر للمقوقس عظيم القبط وهو يحمل الخراج إلى

٩ قيصر ملك الروم ، والعراق وفارس فى ملك الفرس ، وملكها يومئذ كسرى أردشير بن شيرويه ، واليمن ملكها باذان من قبل أردشير ملك الفرس ، والحبشة النجاشى وهو مسلم .

١٢ وفيها كانت غزاة تبوك ، وفيها نزلت سورة براءة ، وفيها نعى النبى ﷺ ، النجاشى ملك الحبشة ، وصلّى عليه صلاة الغائب ، وفيها ماتت أم كلثوم بنته ﷺ وفيها تتابعت الوفود ، وبعث علىٌّ كرم الله وجهه إلى القليص ليهدمه ، وأمر

١٥ بهدم الضرار ، وفيها غزاة عروة ، وفيها حجّ أبو بكر رضى الله عنه ، وفيها غزاة طى ، وفيها توفّى أبو عامر الراهب[1] عند النجاشى ، والله أعلم .

---

(١٠) أردشير : أزدشير (١٦) عند : عبد

---

(١) راجع ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة ، ٤ : ١٢٣

ذكر سنة عشر للهجرة النبويّة

النيل المبارك فى هذه السّنة :

الماء القديم سبعة أذرع وخمسة عشر إصبعاً ، مبلغ الزيادة ستّة عشر ذراعاً وتسعة أصابع . ٣

ما لُخّص من الحوادث

سيّدنا رسول الله ﷺ بالمدينة ، ومكّة دار إسلام ، والأقاليم حسبما (٥٥) تقدّم من ذكرهم فى السنة الخالية . ٦

وفيها توُفّى إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وكسفت الشمس يوم موته ، وتوفّى وله ثمانية عشر شهراً ، وقال ﷺ : «الشّمس والقمر آيتان لا تكسفان لموت أحد ولا لحياته» وفيها حجّ حجّةَ الوداع ، وفيها بُعِث علىٌّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه إلى اليمن ، وخالدُ بن الوليد رضى الله عنه إلى بنى الحارث بنجران ، وبُعث [جرير][1] إلى ذى قلاع ، وعمرو بن العاص إلى أبناء الجلندا[2] ، وفيها ظهر الأسود العنسى الملقّب بذى الحمار ، وكان يستعبد ويَسْبِى بحسن نطقه قلبَ من يسمعه ، وفيها هُدِم الخليصة وهو صنم بجيلة وخثعم ، ولمّا بلغه ﷺ سجد شكراً لله تعالى ، وفيها أسلم باذان باليمن . ٩ ١٢ ١٥

(٩) آيتان : آيتين (١٤) بجيلة : بجيله (١٥) باذان : زادان

(١) كذا فى ابن سعد ، ١ : ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، وفى الأصل : حرب ، والإشارة هنا إلى بعثة جرير بن عبد الله البجلى إلى ذى القلاع بن ناكور بن حبيب بن مالك بن حسان بن تبع
(٢) ذكر المصنف ذلك أيضا فى أحداث السنة السادسة

ذكر حجّة رسول الله ﷺ

وهى حجّة الوداع

٣ ولمّا أذّن فى الناس فى هذه السّنة أنّ رسول الله ﷺ حاجٌّ قدم المدينة بشرٌ كثير، كلّهم يلتمس أن يأتمّ برسول الله ﷺ، ويعمل مثل عمله، وخرج ﷺ نهاراً بعد أن ترجّل وادّهن وتطيّب وبات بذى الحليفة، وقال:
٦ أتانى الليلة آتٍ من ربّى فقال: صلّ فى هذا الوادى المبارك ركعتين وقل عمرة فى حجّة.

وأحرم النبى ﷺ بها بعد أن صلّى فى مسجده بذى الحليفة ركعتين وأوجب
٩ من[1] مجلسه، وسمع ذلك منه أقوام منهم ابن عبّاس، ثم ركب فلمّا استقلّت به ناقته أهَلّ، ثم لمّا علا على شرف البيداء أهَلّ، فمن ثَمّ قيل: أهَلّ حين استقلّت به ناقته، وحين علا على شرف البيداء، وكان يلبّى به تارة وبالحجّ
١٢ تارة أخرى، فمن ثم قيل إنّه منفرد، وكان تحته ﷺ (٥٦) رحلٌ رثٌّ عليه قطيفة لا تساوى أربعة الدراهم، وقال: اللّهمّ اجعله حجًّا لا رياء فيه ولا سمعة.

١٥ قال جابر[2]: ونظرت إلى مدّ بصرى بين يديه من راكب وماشٍ، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا وعليه أنزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل من شىء عملنا به.

---

(٥) صل: صلى (٨) ركعتين: ركعتيه (٩) ابن: بن
(١٥) وماش: وماشى

---

(١) كذا فى ابن حجر: فتح البارى فى شرح صحيح البخارى، طبعة المكتبة السلفية، ٣ : ٤٠١

(٢) هو الصحابى جابر بن عبد الله بن عمرو الخزرجى، ولد سنة ١٦ قبل الهجرة (٦٠٧ م) وتوفى ٧٨ هـ (٦٩٧ م)

ودخل ﷺ مكّة صبيحة يوم الأحد من [كَداء](1) من الثنيّة العليا التى بالبطحاء ، وطاف للقدوم مضطبعاً ، فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً ، ثم خرج إلى الصفا فسعى بعض سعيه ماشياً، فلمّا كثر عليه ركب ناقته ، ونزل ﷺ بأعلى الحجون، ٣
فلمّا كان يوم التّروية ــ وهو ثامن ذى الحجّة ــ توجّه إلى منى فصلّى بها الظهرَ والعصر والمغرب والعشاء ، وبات بها وصلّى بها الصبح .

فلمّا طلعت الشّمس سار إلى عرفة ، وضربت قبّتُه بنَمِرة ، فأقام بها حتى ٦
زالت الشمس ، فخطب الناس وصلّى بهم الظّهر والعصر جمع بينهما بأذان واحد وإقامتين ، ثم راح إلى الموقف ولم يزل واقفاً على ناقته القصوى يدعو ويهلّل ويكبّر حتى غربت الشمس، ثم دفع إلى المزدلفة بعد الغروب، وبات بها وصلّى بها ٩
الصبح ، ثم وقف على قزح ــ وهو المشعر الحرام ــ يدعو ويكبّر ويسبّح ويهلّل حتى أسفر ، ثم دفع قبل طلوع الشمس حتى أتى وادى محسّر ، فقرع ناقته فخبّت ،
فلمّا أتى منًى رمى جمرة العقبة بسبع حصيات ، ثم انقلب إلى المنحر ومعه بلال ١٢
وأسامة ، أحدهما أخذ بخطام الناقة ، والآخر بيده ثوب يُظلّه من الشمس ، وليس ثم ضرب ولا طرد ولا إليك إليك ، ثم نحر فى المنحر ، وكان قد أهدى
مائة بدنة فنحر منها ثلاثاً وستّين بيده ، ثم أعطى عليًّا ما غبر منها ، وأشركه ١٥
فى هديه ، (٥٧) ثم أفاض إلى البيت فطاف به سبعاً ، ثم أتى السقاية فاستسقى ، ثم رجع إلى منًى وأقام بها بقيّةَ يوم النحر وثلاثة أيّام التشريق ، يرمى فى كلّ
يوم منها الجمرات الثلاث ماشياً بسبع سبع ، يبدأ بالتى تلى فى الخيف ثم بالوسطى ، ١٨

---

(٢) مضطبعا : متطبعا || الصفا : الصفاء (٣) ناقته : فى ناقيه
(١٠) يدعو : يدعوا (١٥) ثلاثا : ثلاث (١٨) بالتى : بالذى

---

(١) كذا فى ابن حجر : فتح البارى ، ٣ : ٤٣٦ ، وفى الأصل : مزكدا

ثم بجمرة العقبة ، ويطيل الدعاء عند الأولى والثانية . ثم نفر فى اليوم الثالث ، ونزل المحصّب فصلّى به الظهر والعصر والمغرب وعشاء الآخرة ، ورقد رقدة ٣ من الليل ، وأعمر عائشة من التنعيم تلك الليلة ، ثم لمّا قضت عمرتها أمر بالرحيل، ثم طاف للوداع وتوجّه إلى المدينة ، فكان مدّةُ إقامتِه بمكّة وأيّام حَجّه عشرةَ أيّام .

٦ وقد أوردنا لصفة حَجّه ﷺ من الأحكام والشرائع منذ خرج من المدينة إلى حين رجع إليها ما هذا صفته لِيَنْتَفِع به ويأتمّ سامعه .

وأمّا عُمَرُه فأربع ، وكلّها فى ذى القعدة : عمرة الحديبية ، وصدّه المشركون ٩ عنها ثم صالحوه على أن يعود من العام المقبل معتمراً ، ويخلوا له مكّة ثلاثة أيّام ولياليها ، ويصعدون رؤوس الجبال ، فحلّ من إحرامه بها ؛ ونحر سبعين بَدَنة كان ساقها ، فيها جمل لأبى جهل فى رأسه برة فضّة يغيظ بذلك المشركين .

١٢ وعمرة القضية من العام المقبل أحرم بها من ذى الحليفة ، وأتى مكّة وتحلّل منها وأقام بها ثلاثة أيّام ، وكان تزوّج ميمونة الهلاليّة قبل عمرته ولم يدخل بها، فأنفذ إليهم عثمان بن عفّان فقال : إن شئتم أقمت عندكم ثلاثاً أخر ، وأولمت بكم ١٥ وعرست بأهلى ، فقالوا : لا حاجة لنا فى وليمتك اخرج عنّا ! فخرج فأتى سرف ، وهى على عشرة أميال من مكّة فعرس بأهله هناك .

وعمرة الجعرانة فى سنة ثمان لمّا فتح مكّة وخرج إلى الطائف فأقام عليها ١٨ شهراً ، ثم تركها ورجع على دجنا ، ثم علا على قرن المنازل ، ثم علا نخلة حتى خرج (٥٨) إلى الجعرانة ، فلحقه أهل الطائف بها وأسلموا ، وأحرم ﷺ بها

---

(٩) ويخلوا : ويخلون (١١) يغيظ : يغيض (١٨) علا : على

ودخل مكّة معتمراً لثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ، وفرغ من عمرته ليلًا ، ثم رجع إلى الجعرانة وأصبح بها كبائت ورجع إلى المدينة .

وعُمرته مع حجّته ﷺ . ٣

ذكر سنة إحدى عشرة للهجرة النبويّة

النيل المبارك فى هذه السنة : ٦

الماء القديم أربعة أذرع واثنا عشر إصبعاً ، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً وسبعة أصابع .

ذكر وفاته ﷺ ٩

فى هذه السنة كانت وفاته ﷺ ، قال ابن إسحاق : ابتدىء رسول الله ﷺ فى مرضه الذى قبضه الله فيه ورفع روحه الطاهرة إليه ، لما أراد من كرامته ﷺ فى ليالٍ بقين من صفر وربيع الأوّل ، وذلك أنّه كان خرج إلى بقيع الغرقد فى جوف ١٢ الّليل فاستغفر لهم ، ثمّ رجع إلى أهله ، فلمّا أصبح ابتدىء بوجعه من يومه .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لمّا رجع ﷺ من البقيع وجدنى وأنا أجد صداعاً فى رأسى وأقول وارأساه ! فقال : بل أنا يا عائشة وارأساه ! قالت : ١٥ ودام به وجعه وهو يدور على نسائه حتى [استُعِز][1] به وهو فى بيت ميمونة ، قالت ميمونة : فدعا نسائه فاستأذنهنّ فى أن يُمَرَّض فى بيت عائشة ، فأذنّ له .

---

(١) لثنتى : لثنى (١٢) الغرقد : العرقد (١٥) وارأساه : وارساه

---

(١) كذا فى ابن هشام : وفى الأصل : استعر بالراء ، واستعز به : اشتد عليه وغلبه على نفسه ، لسان العرب

وعن عائشة قالت: لمّا استغرق ﷺ في مرضه قال: « مروا أبا بكر فليصلّ بالناس » قالت، فقلت: يارسول الله إنّ أبا بكر رجل رقيق ضعيف الصوت
٣ كثير البكاء إذا قرأ القرآن، قال: « [مروه][1] فليصلّ بالنّاس»، قالت فأعدت عليه القول فقال: « إنّكنّ صويحباتُ يوسف. مروه فليصلّ بالنّاس » .

قال القضاعي: وصلّى أبو بكر (٥٩) بالنّاس سبعَ عشرةَ صلاةً، وكذا
٦ روى الدولابيّ أيضاً .

وقال ابن إسحاق: فلمّا كان يوم الاثنين خرج رسولُ الله ﷺ عاصباً رأسه إلى صلاة الصبح، وأبو بكر يصلّي بالناس، قال فلمّا خرج ﷺ [تفرّج][2]
٩ النّاس، فعرف أبو بكر رضي الله عنه بجمجمة النّاس واشتداد فرجهم أنّ رسول الله ﷺ بينهم، فنكص عن مُصلّاه، فدفع رسول الله ﷺ في ظهره ثم قال: « صلّ بالنّاس » ! وجلس ﷺ إلى جنبه فصلّى قاعداً عن يمين
١٢ أبي بكر، فلمّا فرغ من صلاته أقبل على النّاس بوجهه الكريم فكلّمهم رافعاً صوته: حتى خرج صوته من باب المسجد، وهو يقول: « أيّها النّاس، سعّرت النار، وأقبلت [الفتن][3] كقطع الليل المظلم، إنّي والله ما تمسكون عليّ بشيء،
١٥ إنّي لم أحلّ إلّا ما أحلّ القرآن، ولم أحرّمْ إلّا ما حرّم القرآن » ، قال: فلمّا فرغ من كلامه دخل إلى أهله .

---

(١) فليصل : فليصلى ، وتكررت في ٣ ، ٤ (٣) مروه : امروه
(٥) أبو : أبا || سبع : سبعة || وكذا : وكذى
(٨ و ٩) أبو : أبي (٩) أن : إلى (١١) صل : صلى
(١٣) سعرت : سفرت (١٤) بشيء : شي

---

(١) كذا في ابن هشام ، وفي الأصل : وامره
(٢) كذا في ابن هشام ، ٤ : ٢٣٥ ، وفي الأصل : فرح
(٣) كذا في ابن هشام ، وفي الأصل : جهم

قال ابن إسحاق: إنّ العبّاس أخذ بيد عليّ كرّم الله وجهه فقال : يا عليّ ، أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله ﷺ، كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطّلب فانطلق بنا إليه ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه ، وإن كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا النّاس ، فقال عليّ عليه عليه السّلام : لا أفعل والله ولا أعزّيه في نفسه ، لئن مَنَعَناه لا [يُؤْتِيناه][1] أحدٌ بعدَه . ثم تُوفّي من ذلك اليوم حين اشتدّ الضحى .

ومن رواية المسعودي في ذكر وفاة رسول الله ﷺ عن جماعة الصحابة رضي الله عنهم قال : دخلنا على رسول الله ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق منه ، فنظر إلينا ثم دمعت عيناه ثم قال: « مرحباً بكم حيّاكم الله آواكم الله نصركم الله ، أوصيكم (٦٠) بتقوى الله وأوصى بكم الله ، إنّي لكم منه نذير مبين ، ألا تعلوا على الله في عباده وبلاده ، فقد دنا الأجل ، والمنقلب إلى الله ، وإلى سدرة المنتهى ، وإلى جنّة المأوى والكأس الأوفى ، فاقرءوا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي منّي السلام ورحمة الله » .

ورُوِي أنّه قال لجبريل عند موته: « مَنْ لأمّتي بعد بعدي » فأوحى الله تعالى إلى جبريل أنْ بشّر حبيبي أنّي لا أخذله في أمّته ، وبشّره أنّه أسرعُ النّاس خروجاً من الأرض إذا بُعِثوا، وسيّدُهم إذا جُمعوا ، وأنّ الجنّة محرّمةٌ على الأمم حتى تدخلها أمّته ، فقال : « الآن طاب قلبي وقرّت عيني » .

وقالت عائشة رضي الله عنها : أمرنا رسول الله ﷺ أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ، ففعلنا ، فوجد راحة في ذلك ، فخرج يصلّي بالناس، واستغفر لهم،

(١٢) فاقرأوا : فاقروا

(١) كذا في ابن هشام ، وفي الأصل : لا يوساه

واستغفر لأهل أحد ، ودعا لهم وأوصى بالأنصار فقال : « أمّا بعد ، يا معشر المهاجرين ، فإنّكم تزيدون ، وأضحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها

٣ اليوم ، وإنّ الأنصار هي عيبتي[1] التي أويتُ إليها ، فأكْرِموا كريمهم - يعني محسنهم - وتجاوزوا عن مسيئهم » . ثم قال : « إنّ عبداً خُيِّر بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله » ، فبكى أبو بكر رضى الله عنه ، وظنّ أنّه يريد

٦ نفسه ، فقال النبي ﷺ : « على رسلك يا أبا بكر ، سدّوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلّا باب أبي بكر ، فإنّي لا أعلم امرأً أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر » .

٩ وقالت عائشة رضي الله عنها : قبض ﷺ في بيتي وبين سَحري[2] ونحري ، وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت ، دخل عليه عبد الرحمن أخي وبيده سواك فجعل ينظر إليه ، فعلمت أنّه قد أعجبه ذلك السواك ، فقلت : آخذه لك

١٢ يا رسول الله (٦١) فأومأ برأسه أي نعم ، فليّنته وكان بين يديه ركوة ماء فناولته إيّاه ثم جعل يدخل يده في تلك الركوة ويقول : « لا إله إلّا الله ، إنّ للموت سكرات » ، ثم يصبّ يده ويقول : « الرفيق الأعلى ، الرفيق الأعلى »

١٥ وعن سعيد بن عبد الله عن أبيه قال : لمّا رأت الأنصار أنّ النبي ﷺ يزداد ثقلًا طافوا بالمسجد ، فدخل العبّاس على النبي ﷺ فأعلمه بمكانهم ، ثم دخل الفضل فأعلمه بمثل ذلك ، ثم دخل عليّ عليه السلام فأعلمه بذلك ، فمدّ

١٨ يده ، قال : « ما يقولون ؟ » قال : يقولون نخشى أن تموت ، قال : فبادر

(٥) أبو : أبي (٦) يا أبا بكر : يا با بكر (٧) باب أبي : باب أبا
(١٨) نخشى : نخشا

(١) عيبة الرجل : موضع سره ، لسان العرب
(٢) السحر : الرئة

رسول الله ﷺ فخرج متوكئاً على علىّ كرّم الله وجهه ، والفضل رضى الله عنه والعبّاس رضى الله عنه أمامه ، ورسول الله ﷺ معصوب الرأس يخطّ برجله حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر ، وثاب الناس حواليه فحمد الله تعالى ٣
وأثنى عليه ، وقال : « أيّها الناس ، إنّه بلغنى أنّكم تخافون علىّ الموت ، كأنّه استنكار منكم للموت ، وما تنكرون من موت نبيّكم ؟ هل خلّد نبى قبلى فيمن بعث فأخلّد فيكم ؟ ألا إنّى لاحق بربّى ، وإنّكم لاحقون به ، وإنّى ٦
أوصيكم بالمهاجرين الأوّلين خيراً ، وأوصى للمهاجرين فيما بينهم ، فإنّ الله تعالى قال : « والعصر إنّ الإنسان لفى خسر إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر »[1] ، وإنّ الأمور تجرى بإذن الله ، ٩
ولا يحملنّكم استبطاءُ أمر على استعجاله ، فإنّ الله تعالى لا يعجل بعجلة أحد ، ومن غالب اللهَ غلبه ، ومن خادعه خدعه : « فهل عسيتم إنْ تولّيتم أنْ تفسدوا فى الأرض وتقطّعوا أرحامكم »[2] ، وأوصيكم بالأنصار خيراً فإنّهم الذين تبوّأوا ١٢
الدّار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ، ألم يشاطروكم الثمار ؟ ألم يوسّعوا لكم فى الدار ؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم (٦٢) الخصاصة ، ألا فمن وُلّى أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، ألا ولا تستأمروا ١٥
عليهم ، ألا وأنى فرط لكم ، وأنتم لاحقون بى ، ألا وإنّ موعدكم الحوض حوضى أعرضُ ممّا بين بصرى الشام وصنعاء اليمن ، فيه ماء أشدُّ بياضاً من

---

(٥) استنكار : استنكارا (١٢) تبوأوا : تبوءا
(١٥) ولا تستأمروا : ولا تستأمرون

---

(١) سورة العصر
(٢) سورة محمد ، ٢٢

اللبنِ وألين من الزّبد وأحلى من الشّهد ، من شرب منه شربة لم يظمأ أبداً ،
ألا من أحبّ أن يَرِدَه فليكف لسانه ويده إلّا فيما ينبغى » .

٣ فقال العبّاس : يا نبى الله أوصِ لقريش ! فقال : « إنّما أوصى بهذا الأمر
قريشاً ، والنّاس تبع لقريش ، بَرّهم لبَرّهم ، وفاجرهم لفاجـرهم ، فاستوصوا
آل قريش بالنّاس خيراً ، يا أيّها الناس إنّ الذّنوب تغيّر النّعم وتبدّل النّسم ،
٦ فإذا برّ النّاس فبرّوهم وإذا فجر النّاس عقّوهم ، قال الله تعالى : « وكذلك نولّى
بعض الظّالمين بعضاً بما كانوا يكسبون »[(١)] .

وعن ابن مسعود أنّه ﷺ قال لأبى بكر : « سل يا أبا بكر » ! فقال :
٩ يا رسول الله دنا الأجل ؟ فقال : « قد دنا وتدلّى » ، فقال: ليهنك يا نبىّ الله
ما عند الله ، فليت شعرى عن منقلبنا ؟ فقال : « إلى الله وإلى سدرة المنتهى ،
وإلى جنّة المأوى ، والفردوس الأعلى ، والكأس الأوفى » قال : فيما نكفّنك ؟
١٢ فقال : « فى ثيابى وفى حلّة يمانيّة وفى بياض مصر » ، فقال : يا نبىّ الله من
يغسّلك ؟ فقال : « رجل من أهل بيتى الأدنى » .

قال : فكيف الصّلاة عليك منّا ؟ وبكى وبكى رسول الله ، ثم قال : « مهلا
١٥ غفر الله لكم ، وجزاكم عن نبيّكم خيراً ، إذا غسّلتمونى وكفّنتمونى فضعونى
على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ، ثم اخرجوا عنّى ساعة ، فإنّه أوّل من
يصلّى علىّ ربّى عزّ وجلّ : « هو الذى يصلّى عليكم وملائكته »[(٢)] . ثم يأذن

(١) ألين : اللين (٣) أوص : أوصى (٥) آل ، الى
(٨) يا أبا بكر : يا با بكر (١٠) المنتهى : المنتها
(١١) المأوى : الموا ‖ الأعلى : الاعلا ‖ الأوفى : الاوفا
(١٣) وبكى : وبكا

(١) سورة الأنعام ، ١٢٩
(٢) سورة الأحزاب ، ٤٣

الله للملائكة فى الصلاة علىّ ، فأول من يصلّى علىّ من الملائكة جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ، ثم ملك الموت مع جنود كثيرة من الملائكة (٦٣) ، ثم الملائكة بأجمعها ، ثم أنتم . فادخلوا علىّ أفواجاً أفواجاً فصلّوا علىّ زمرة زمرة ، وسلّموا تسليماً ، وليبدأ فى الصّلاة أهلُ بيتى الأدنى ، ثم أصحابى الأخصّاء ، ثم النساء زمراً زمراً ، ثم الصّبيان كذلك » ، قال : فمن يدخل القبر ؟ قال : « أهل بيتى الأدنى فالأدنى ، مع ملائكة كثيرة لاترونهم ويرونكم » .

قال عبدُ الله بن زمعة : جاء بلال فى أول ربيع الأوّل فأذّن للصّلاة ، فقال النبي ﷺ : « مروا أبا بكر يصلّى بالنّاس » . قال [عبد الله][1] : فخرجت فلم أجد بالباب إلّا عمر بن الخطّاب فى رجال ليس فيهم أبو بكر ، فقلت : قم يا عمر فصلّ بالنّاس ! فقام عمر فلما كبّر ، وكان رجلاً صيّتاً ، فسمعه النّبىّ ﷺ فقال : « وأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، قالها ثلاث مرات ، مروا أبا بكر فليصلّ بالنّاس » . فقالت عائشة : يا رسول الله ، إنّ أبا بكر رجل رقيق القلب إذا قام فى مقامك غلبه البكاء فقال : « إنكنّ صويحبات يوسف ، مروا أبا بكر فليصلّ بالناس » ، قال فصلّى أبو بكر بعد تلك الصلاة التى صلّاها عمر وكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة بعد ذلك : ويحك ماذا صنعت بى ؟ والله لولا أنّى ظننت أنّ رسول الله أمرك بذلك لما فعلت ، فيقول عبد الله : إنّى لم أر أحداً أولى بذلك منك .

---

(٩) أبو بكر : أبى بكر (١٠) فصل : فصلى (١١) أبو بكر : أبى بكر
(١٢و١٤) فليصل : فليصلى (١٤) أبو بكر : أبا بكـ || لولا : لو لم

---

(١) كذا فى ابن سعد ، ٢ : ٢٢٠ ، مع اختلاف فى ... ، وهو الصحيح ، وفى الأصل : بلال

قالت عائشة رضى الله عنها : ما قلت ذلك ولا صرفته عن أبى بكر إلّا رغبة به عن الدّنيا وما فى الولاية من المخاطرة والهلكة ، إلّا من سلّم الله ، وخشيت أيضاً ألّا تكون الناس يحبّون رجلًا صلّى فى مقام النبى ﷺ وهو حىّ أبداً ـ إلّا أنْ يشاء الله ـ يحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به ، فإذن الأمر أمر الله، والقضاء قضاؤه ، عصمه الله من كلّ ما تخوّفت عليه فى أمر الدنيا والدين .

قالت عائشة رضى الله عنها : (٦٤) فلمّا كان اليوم الذى مات فيه رسول الله ﷺ رأيت منه فى أول النهار خفّة ، فتفرّق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين ، وأخلوا رسول الله ﷺ بالنّساء ، فبينا نحن على ذلك لم يكن مثل حالنا فى الرخاء والفرح قبل ذلك إذ قال النبى ﷺ : « اخرجْنَ عنّي ، هذا المَلَك يستأذن علىّ » ، قالت : فخرج من فى البيت غيرى ، ورأسه فى حجرى ، فجلس، فقمت عنه فى ناحية من البيت ، فناجى الملك طويلًا ، ثم إنّه دعانى فأعاد رأسه فى حجرى ، وقال للنّسوة : « ادخلْنَ » ، فدخلن ، فقلت : يا رسول الله ما هذا بحسّ جبريل عليه السّلام . فقال : « أجل يا عائشة ، هذا ملك الموت جاء إلىّ وقال إنّ الله أرسلنى إليك ، وأمرنى أن لا أدْخُل عليك إلّا بإذن منك ، وإن لم تأذن لى وإلّا رجعت ، وأمرنى أن لا أقبض نفسك إلّا بأمرك ، فقلت : تربص حتى يأتينى جبريل عليه السّلام » ، قالت عائشة : وجاء جبريل فى ساعته ، فعرفت حسّه نخلا به ساعة ، فسمعناه يقول : « الرّفيق الأعلى ، الرّفيق الأعلى » ثم قبض ﷺ ضحى نهار .

وجرت أحواله ﷺ كلّها على يوم الاثنين ، وذلك أنّه ولد يوم الاثنين ، وبُعث يوم الاثنين ، وخرج من مكّة يوم الاثنين ، ودخل المدينة مهاجراً

(١٠) قالت : قال (١١) فناجى : فناجا (١٧) الأعلى : الأعلا

يوم الاثنين ، وقبض يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة من الهجرة النبويّة .

قال ابن إسحاق : فلمّا توفّى ﷺ قام عمر فقال : إنّ رجالًا يزعمون أنّ ٣ رسول الله ﷺ قد مات، وإنّ رسول الله ﷺ ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب (٦٥) موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثمّ رجع إليهم بعد أن قيل فيه إنّه مات ، والله ليرجعنّ رسول الله كما رجع موسى ، وليقطعنّ ٦ أيدى رجال وأرجلهم .

قال : فأقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر وعمر رضى الله عنه يكلّم الناس، فلم يلتفت إلى شىء حتى وصل إلى رسول الله ﷺ ٩ فى بيت عائشة ، فوجده مسجّى فى ناحية البيت ، فأقبل حتى كشف عن وجهه الكريم ﷺ فقبّله ، ثم قال : بأبى وأمّى أنت يا رسول الله ، أمّا الموتة التى كتبها الله عزّ وجلّ عليك فقد ذقتها ، ثم لن [تصيبك][1] بعدها موتة أبداً ، ١٢ ثم ردّ الثوب — وهى البردة — على وجهه الكريم ، ثم خرج وعمر يكلّم الناس ، فقال : على رسلك يا عمر ، أنصت ، فأبى إلّا أن يتكلّم ، فلمّا رآه لا ينصت أقبل على الناس، فحمد الله وأثنى عليه ، فلمّا سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر، ١٥ ثم قال : أيّها النّاس من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حىٌّ لا يموت ، ثم تلا : « وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرّسل »[2] — الآية، قال: فوالله لكأنّ النّاس لم يعلموا أنّ هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر، ١٨

---

(٨) أبو بكر : أبى بكر (١٢) ذقتها : دقتها (١٤) فأبى : فأبا
(١٥) سمع : سمعوا (١٨) أبو بكر : أبى بكر

---

(١) كذا فى ابن هشام، ٤ : ٢٣٧ ، وفى الأصل : يصيبك
(٢) سورة آل عمران ، ١٤٤

قال عمر : ما هو إلّا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرخت حتى وقعت [إلى][1] الأرض ما حملتني رجلاى . وعرفت أنّ رسول الله ﷺ قد مات حقًّا .

٣ وتُوفِّيَ صلّى الله عليه وله من العمر ثلاث وستّون سنة ، وهو المتفق عليه ، وكان له بالمدينة عشر سنين ، وغسّله علىّ عليه السّلام والعبّاس والفضل وقثم رضوان الله عليهم ، فكان علىّ يسنده إلى صدره ، والعبّاس والفضل (٦٦) يقلبونه ، وأسامة وشقران يصبّان عليه الماء ، ويقال : كان فيهم أوس بن خولى

٦ من الخزرج ، وكُفّن ﷺ فى ثلاثة أثواب بيض سحوليّة[2] ، وفُرغ من جهازه يوم الثلاثاء ، وصلّى عليه النّاس زمراً زمراً بغير إمام ، ودخل قبره العبّاس وعلىّ

٩ والفضل وقثم وشقران ، وقيل أدخلوا معهم عبد الرّحمن بن عوف ، وقيل إنّهم اختلفوا فى مكان الدّفن ، فقال بعضهم : ندفنه فى مُصلّاه ، وقال بعض : بالبقيع ، فقال أبو بكر رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما دفن نبىّ قطّ إلّا

١٢ فى المكان الذى توفّى فيه » ؛ فدفن فى الموضع الذى قبض فيه ، وحفر له مكان فراشه ولحد وأُطبق عليه تسع لبنات ، وقيل : اختلفوا أيلحد له أم لا ، وكان بالمدينة حفّاران أحدهما يلحد ، وهو أبو طلحة والآخر لايلحد وهو أبو عبيدة ، فاتّفقوا

١٥ على أىّ مَن جاء منهم أوّلًا عَمِل عَمَلَه ، فجاء الذى يلحدُ فلحده ﷺ .

---

(٤) عشر : عشرة (٦) خولى : حولى

(١٣) وأطبق : وطبق

---

(١) الإضافة من ابن هشام

(٢) نهاية الأرب ، ١٨ : ٣٩١ : سحولية من ثياب سحول ، بلدة باليمن

ذكر أسمائه ﷺ

قال ﷺ : « أنا محمّد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يُمْحَى بي الكفرُ ، وأنا الحاشر الذي أحشر الناس ، وأنا العاقب فلا نبيّ بعدي .

وفي رواية : وأنا المقفّي ، ونبيّ التّوبة ونبيّ المرحمة ، وفي رواية : « الملحمة » وسمّاه الله في كتابه العزيز : بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً ، ورؤوفاً رحيماً ، ورحمة للعالمين ، ومحمّداً ، وأحمد ، وطه ، ويس ، ومزمّلاً ، ومدثّراً وعبداً في قوله : « سبحان الذي أسرى بعبده »[1] . وعبد الله في قوله : « وأنّه لمّا قام عبد الله »[2] ونذيراً مبيناً ، ومذكّراً في قوله : « إنّما أنت مذكّر » ﷺ ، وقد ذُكرت له أسماء كثيرة ؛ منها المتوكّل والفاتح والخاتم والضحوك (٦٧) والقتّال والأمين والمصطفى والرسول النبي الأمّي والقثم ، ومعلوم أنّ أكثر هذه الأسماء صفات ، وقد تقدّم شرح الماحي والحاشر والعاقب والمقفّي والمرحمة بمعنى الرحمة ، والملاحم : الحروب ، والضحوك صفته في التوراة ، قال ابن فارس : إنّما سُمّي بذلك لأنّه كان طيّب النفس فكهاً ، والقثم من معنيين : أحدهما العطاء ، يقال : قثم له أي أعطاه ، وكان صلّى الله عليه أجود من الريح المرسلة ، والثاني من القثم الجمع ، يقال للرّجل الجامع للخير قثوم وقثيم ، والله أعلم .

(٢) يمحى : يمحو (١٢) ابن فارس : بن فارس (١٥) وقثيم : وقثم

(١) الإسراء ، ١ ه
(٢) الجن ، ١٩

ذكر صفته ﷺ

كان ﷺ ربعة من القوم : لا بائن من طول ، ولا تقتحمه العين من قصره غصن بين غصنين ، بعيد ما بين المنكبين ، أبيض اللون مشرب بحمرة ، وقيل أزهر(١) ، ليس بالأبيض الأمهق(٢) ولا بالآدم ، له شعر رَجِلٌ يبلغ شحمة أذنيه إذا طال ، وإذا قصر إلى أنصافهما ، لم يبلغ شيبه فى رأسه ولحيته عشرين شعرة ، كأنّ عنقه جيد دمية فى صفاء الفضّة ، ظاهر الوضاءة مبلج الوجه يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، حسن الخلق معتدله لم تعبه ثجلة(٣) ، ولم تُزْرِ به صعلة(٤) ، وسيماً قسيماً ، فى عينيه دَعَج ، وفى بياضهما عروق دقاق ، وفى أشفارها غطف(٥) ، وفى صوته صحل(٦) ، وفى عنقه سطح ، وفى لحيته كثاثة(٧) . إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلّم سما وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب ، حلو المنطق فصل : لا نزر ولا هذر(٨) ، كأنّ منطقه خرزات نظم تنحدر من عقد ، واسع الجبين ، أزجّ(٩) الحواجب فى غير قَرَن ، بينهما

---

(٣) غصن بين : غصن من || مشرب : مشربا
(٧) تلألؤ : تلألأ || ثجلة : نخله || صعلة : ضعلة
(٨) قسيما : قسما || بياضهما : بياضها || أشفارها : أشفارها
(٩) صحل : صحك

---

(١) يعنى أزهر اللون
(٢) الأمهق : الكريه البياض ، لسان العرب
(٤) الثجلة : عظم البطن
(٤) الصعلة : صغر الرأس
(٥) كذا فى نهاية الأرب ، ١٨ : ٢٣٨ ، وفى الأصل : وطف ، والغطف: هو أن يطول شعر الأجفان ثم ينعطف
(٦) الصحل : بحة فى الصوت وعدم حدته
(٧) كذا فى نهاية الأرب ، وفى الأصل : كثافة
(٨) أى ليس بقليل أو كثير
(٩) الزجج : تقوس فى الحاجب مع طول فى طرفه وامتداد

عرق يدرّه الغضب[١]، أقنى العرنين[٢]، له نور يعلوه، يحسبه من لم (٦٨) يتأمّله أشم[٣]، سهل الخدّين[٤] ضليع[٥] الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، من لبّته إلى سرّته شعر يجرى كالقضيب، ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره، ٣ أشعر الذراعين والمنكبين، بادن[٦] متماسك، سواء البطن والصدر، [سبيح[٧]] الصدر، ضخم الكراديس[٨]، أنور المتجرّد[٩]، عريض الصّدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن[١٠] الكفّين والقدمين، سائل الأطراف، سبط ٦ القصب[١١]، خمصان الأخمصين[١٢]، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعاً[١٣]، ويخطو تكفّياً[١٤] ويمشى هوناً، ذريع المشية، إذا مشى كأنّما ينحطّ من صبب[١٥]، وإذا التفت التفت جميعاً، بين كتفيه خاتم النبوة ٩

---

(١) أقنى : أقنا (٢) ضليع : صليع (٣) لبته : لبثه

---

(١) عرق يدره الغضب : أى يمتلىء دما إذا غضب كما يمتلىء الضرع لبنا إذا در، نهاية الأرب

(٢) القنى فى الأنف طوله ورقة أرنبته مع حدب فى وسطه، والعرنين : الأنف

(٣) الشمم : ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها

(٤) يعنى غير مرتفع الوجنتين

(٥) ضليع الفم : أى عظيمه، وقيل واسعه، والعرب تمدح بذلك وتذم بعكسه

(٦) البادن : الضخم

(٧) كذا فى نهاية الأرب، وفى الأصل : مسيح . والسبيح : العريض

(٨) الكراديس : رؤوس العظام

(٩) المتجرد : ما كشف من جسده، أى مشرق الجسد

(١٠) شثن الكفين والقدمين : أى يميلان إلى الغلظ والقصر

(١١) سبط القصب : القصب الساعدان والساقان، أى ممتدان ليس فيهما نتوء

(١٢) أى مرتفع الأخمصين، وهما أسفل القدمين

(١٣) أراد قوة مشيه، صلى الله عليه وسلم

(١٤) أى تمايل إلى قدام

(١٥) الصبب : الموضع المرتفع

كأنّه زرّ حجلة[١] أو بيضة حمام ، لونه كلون جسده ، عليه خيلان[٢] ، كأنّ عَرَقه اللؤلؤ ، ولَرِيحُ عَرَقِهِ أطيب من ريح المسك الأذفر ، يقول ناعته : لم أر ٣ قبله ولا بعده مثله ﷺ

وعن البراء بن عازب قال : رأيت رسول الله ﷺ فى [حلّة][٣] حمراء لم أر شيئاً قطّ أحسن منه ، وعن أنس قال : ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين ٦ من كفّ رسول الله ﷺ ، ولا شممت رائحة قطّ أطيب من رائحته ﷺ ، وكان أبو بكر رضى الله عنه إذا رأى النبىّ ﷺ يقول :

أمينٌ مصطفى بالخير يدعو ... كضوء البدر زايله الظلامُ

٩ وعن أبى هريرة قال : كان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ينشد قول زهير ابن أبى سلمى فى هرم بن سنان فيقول :

لو كنتَ من شىء سوى بشرٍ ... كنت المضىء لليلة البدرِ

١٢ ثم يقول عمر وجلساؤه حوله : كذلك كان رسول الله ﷺ (٦٩) ولم يكن كذلك غيره ، وفيه يقول عمه أبو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ربيع اليتامى عصمة للأراملِ

١٥ يطيف به الهُلّاك[٤] من آل هاشم ... فهم عنده فى نعمة وفضائلِ

وميزان حقّ لا يَخِيس[٥] شعيرة ... ووزّان عدل وزنه غير عائلِ

(١) كأن : كأنه (٤) البراء : البر (٥) أر : أرى
(١١) سوى : سوا (١٦) شعيرة : شعره

(١) زر حجلة : الزر أحد الأزرار التى تشد بها الكلل والستور على ما يكون فى حجلة العروس ، والحجلة : بيت كالقبة يستر بالكلل وتكون له أزرار
(٢) خيلان : جمع خال ، وهو الشامة فى الجسد
(٣) كذا فى نهاية الأرب ، ١٨ : ٢٤٠ ، وفى الأصل : مصله
(٤) الهلاك : جمع هالك ، وهو الذى يقتاب الناس ابتغاء معروفهم
(٥) خاس بالعهد إذا نقضه وأفسده

ذكر صفاته المعنوية ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سألت عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ ، فقالت : كان خلقه القرآن ، يغضب لغضبه ، ويرضى لرضاه ، وكان لا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها إلّا أن تنتهك حرمات الله عزّ وجلّ فيكون لله ينتقم ، وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد ، وكان أشجع الناس وأجرأهم صدراً .

قال عليُّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه : كنّا إذا اشتدّ البأس اتقينا برسول الله ﷺ .

وكان أسخى الناس وأجودهم ، ما سُئل قطّ شيئاً فقال لا ، وأجود ما كان في شهر رمضان ، وكان لا يبيت في بيته دينار ولا درهم ، فإن فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأوِ إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه ، لا يأخذ ممّا آتاه الله إلّا قوت أهله عاماً فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ، ويضع سائر ذلك في سبيل الله ، ولا يدّخر لنفسه شيئاً ، ثمّ يؤثر[1] من قوت أهله حتّى ربّما احتاج قبل انقضاء العام .

وكان أصدق الناس لهجة ، وأوفاهم بذمّة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشيرة ، محفود محسود ، لا عابس ولا مفند، فخماً مفخّماً[2] ، وكان أحلم الناس، وأشدّ حياءً من العذراء في خدرها ، لا يثبّتُ بصره في وجه أحد ، خافض لطرفه، نظرُه إلى الأرض (٧٠) أطولُ من نظره إلى السماء ، جُلُّ نظره الملاحظة .

وكان أكثر الناس تواضعاً ، يجيب من دعاه من غنيّ أو فقير ، أو شريف أو دنيء ، أو حرّ أو عبد ، يصغّي الإناء للهرّة فما يرفعه حتى تروى رحمة لها ، ويسمع بكاء الصغير وهو مع أمّه في الصلاة فيتخفّف رحمة لها .

---

(١) أي يعطي .

(٢) أي معظما في الصدور والعيون

وكان أعفّ النــاس لم تمسّ يده امرأة قطّ لا يملك رقّها أو نــكاحها أو تــكون ذات رحم .

٣ وكان أشدّ الناس كرامة لأصحابه ، ما رؤى قطّ مادًّا رجله بينهم ، ويوسّع عليهم إذا ضاق المــكان ، ولم تــكن ركبتاه تتقدّمان ركبة جليسه ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه أحبّه ، له رفقاء يحفّون به ، إن قال أنصتوا لقوله ،

٦ وإن أمر تبادروا لأمره ، يسوق أصحابه ، ويبدأ من لقيه بالسلام .

وكان يقول : « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، إنّما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » . وكان يتجمّل لأصحابه فضلًا ، ويقول :

٩ « إنّ الله يحبّ من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيّأ لهم ويتجمّل » ، وكان يتفقّد أصحابه ويسأل عنهم ؛ فمن كان مريضًا عاده ، ومن كان غائبًا دعا له وتفقّد أهله ، ومن مات استرجع فيه وأوسعه بالدعاء ، ومن كان يتخوّف

١٢ أن يكون وجد فى نفسه شيئًا قال : « لعلّ فلانًا وجد علينا فى شىء ، أو رأى منّا تقصيراً ، انطلقوا بنا إليه » . فينطلق حتى يأتيه فى منزله ، وكان يخرج إلى بساتين أصحابه ويأكل ضيافة من أضافه فيها ، ويتألّف أهل الشرف ويكرم

١٥ أهل الفضل ، ولا يطوى بشره عن أحد ، ولا يجفو عليه ، ولا يقبل الثناء إلّا من مكافىء ، ويقبل معذرة من يعتذر إليه ، والقوىّ والضعيف والقريب والبعيد عنده فى الحقّ سواء .

١٨ وكان لا يدع أحداً يمشى خلفه ويقول : « خلّوا ظهرى للملائــكة » ، ولا يدع أحداً يمشى معه وهو راكب حتى يحمله ، فإن أبى قال : « تقدّمنى المــكانَ

---

(٢) ذات : ذا (٣) رؤى : رأى (٤) تتقدمان : يتقدمان

(١٢) أن يكون : أو يكون (١٨) للملائــكة : وللملايكه

الذى (٧١) تريد » ، وركب ﷺ حماراً عريانًا إلى قباء ، وأبو هريرة معه ، فقال : « يا أبا هريرة ، أحملك » ؟ [فقال : ما شئت ، فقال : « اركب »][1] ، وكان فى أبى هريرة ثقل فوثب ليركب ، فلم يقدر ، فاستمسك برسول الله ﷺ ٣ فوقعا جميعاً ، ثم ركب ﷺ ، فقال : « أحملك ؟ » فقال: ما شئت يا رسول الله ، فقال : « اركب » ، فلم يقدر فاستمسك بالنبى ﷺ فوقعا جميعاً ، ثم قال : « يا أبا هريرة ، أحملك ؟ » فقال : لا ، والّذى بعثك بالحقّ لا صرعتك ثالثاً . ٦

وكان ﷺ له عبيد وإماء لا يترفّع عليهم فى مأكل ولا ملبس ويخدم من خدمه ، قال أنس رضى الله عنه : خدمت النبى ﷺ نحواً من عشرين سنة فوالله ما صحبته فى سفر ولا حضر لأخدمه إلّا وكانت خدمته لى أكثر ٩ من خدمتى له ، وما قال لى أفّ قطّ ، ولا لشىء فعلتُه لم فعلتَ كذا .

وكان ﷺ فى بعض أسفاره ، فأمر بإصلاح شاة فقال رجل : يا رسول الله علىّ ذبحها ، وقال آخر : وعلىّ سلخها ، وقال آخر : وعلىّ طبخها ، فقال ﷺ : ١٢ « وعلىّ جمعُ الحطب » . فقالوا : يا رسول الله نحن نكفيك ، فقال : « إنّ الله يكره من عبده أن يراه متميّزاً بين أصحابه » ، وقام ﷺ وجمع الحطب .

وكان ﷺ فى سفر فنزل للصلاة ، فتقدّم إلى مُصَلّاه ، ثم كرّ راجعاً ، ١٥ فقالوا : يا رسول الله أين تريد ؟ قال : « أعقل ناقتى ! » قالوا : نحن نكفيك ! قال : « لا يستعن أحدكم بالناس ولو فى قضمة من سواك » .

وكان يوماً جالساً يأكل هو وأصحابه تمراً ، فجاء صهيب وقد غَطّى على عينه ١٨

(٢و٦) يا أبا هريرة : يا با هريرة (٦) ثالثا : تالتا
(٨) نحوا : نحو (١٣) يا رسول : يرسول (١٧) يستعن : يستعين

---

(١) كذا فى نهاية الأرب ، ١٨ : ٢٥٧ ، وفى الأصل : ماشيت اركب

وهو أرمد ، فنلمّ وأهوى فى التمر يأكل ، فقال ﷺ : « تأكل الحلوى وأنت أرمد ؟ » فقال : يا رسول الله إنّما آكل بشقّ عيني الصحيحة .

٣ (٧٢) وكان يأكل ذات يوم رطباً ، فجاءه علىّ عليه السلام وهو أرمد ، فدنا ليأكل فقال : « أتأكل الحلوى وأنت أرمد ؟ » ، فتنحّى ناحية ، فنظر إليه ﷺ وهو ينظر إليه ، فرمى له برطبة ثم أخرى ، حتى رمى إليه سبعاً ،

٦ فقال : « حسبك ، فإنّه لا يضر من التمر ما أكل وتراً » .

وأهدت إليه أمّ سلمة رضى الله عنها قصعة ثريد ، وهو عند عائشة، فرمت بها عائشة وكسرتها ، فجعل ﷺ يجمع ذلك فى القصعة ويقول : « غارت أمّكم ،

٩ غارت أمّكم » .

وحدّث ﷺ ذات ليلة نساءه حديثاً ، فقالت امرأة منهم : كأنّ الحديث حديث خرافة ، فقال ﷺ : « أتدرون ما خرافة ؟ إنّ خرافة كان رجلاً

١٢ فى عذرة ، أسرته الجنّ فى الجاهليّة ، فمكث فيهم دهراً ، ثم ردّوه إلى الإنس ، فكان يحدّث الناس بما رأى منهم من العجائب ، فقال الناس : حديث خرافة ».

وكان ﷺ إذا دخل منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء ، جزء لله ، وجزء لنفسه

١٥ وجزء لأهله ، ثم جزّأ جزأه بينه وبين الناس ، فيردّ ذلك بالخاصّة على العامّة .

وكان ﷺ من سيرته فى جزء الأمّة إيثار أهل الفضل بإذنه ، وقسمته على قدر فضلهم فى الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ،

١٨ فيتشاغل بهم ، ويشغلهم فيما يصلحهم ، ويخبرهم بالذى ينبغى لهم، ويقول : « ليبلغ

---

(١) الحلوى : الحلوا (٤) فتنحى : فتنحا (٥) فرمى : فرما

(١٦) جزء : اجزؤ || قسمته : قسمه

الشاهد [منكم][1] الغائب وأبلغونى حاجة من لايستطيع [إبلاغها ، فإنّه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها][1] ثبّت الله قدميه يوم القيامة » لايذكر عنده [إلّا][1] ذلك ولا يقبل من أحد غيره ، ويدخلون روّاداً[2] ، ولا [يتفرّقون][3] إلّا ذُواق[4] ، ويخرجون أدلّة ، يعنى على الخير .

وكان ﷺ يؤلّف أصحابه ولا ينفرهم ، [ويكرم كريم كلّ قوم][5] ويولّيه عليهم ، والّذى يليه من النّاس خيارهم ، أفضلهم عنده (٧٣) أعمّهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة ، ولا يجلس ولا يقوم إلّا على ذكر ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس : ويأمر بذلك ويعطى كلّ جلسائه [نصيبه][6] ، لا يحسب جليسه أنّ أحداً أكرمُ عليه منه ممّن جالسه ، وإذا جلس أحد إليه لم يقم حتى يقوم الذى جلس إليه إلّا إن استعجله أمر فيستأذنه ، ولا يقابل أحداً بما يكره ، ولا ضرب خادماً قطّ ولا امرأة ولا أحداً إلّا فى جهاد أو حدّ ، ويصل ذا رحمه من غير أن يؤثره على من هو أفضل منه ، ولا يجزى السيئة بمثلها بل يعفو ويصفح ، وكان يعود المرضى ، ويحبّ المساكين ومجالسهم ، ويشهد جنائزهم ، ولا يحقر فقيراً لفقره ، ولا يهاب ملكاً لملكه ، ويعظّم النعمة وإن قلّت ، لا يذمّ منها شيئاً ، ويحفظ ويكرم ضعيفه ويبسط له رداءه .

(١) نقص فى الأصل ، والزيادة من الشمائل المحمدية للترمذى ، طبع سورية ١٣٩٦ ، ص ١٧٧

(٢) روادا : أى محتاجين وطالبين لما عنده من النفع لدينهم ودنياهم

(٣) كذا فى نهاية الأرب ، وفى الأصل : لا يفترون

(٤) أى : لا يتفرقون من عنده إلا على علم يقوم لأنفسهم وأرواحهم مقام الطعام والشراب لأجسامهم

(٥) كذا فى نهاية الأرب ، ١٨ : ٢٧٧ ، وفى الأصل : ويكرم كل كريم قوم

(٦) كذا فى نهاية الأرب ، وفى الأصل : بنصيبه

وجاءته ظئرُه التي أرضعته يوماً فبسط رداءه لها وقال : « مرحباً بأمّي » وأجلسها عليه .

٣ وكان أكثر النّاس تبسّماً وأحسنهم بشراً ، مع أنّه كان متواصل الأحزان ، دائم الفكرة ، لايمضى له وقت من غير عمل لله ، أو فيما لابدّ له . أو لأهله منه ، ولا خُيّر فى شيئين قطّ اختار أيسرها ، إلّا أن يكون فى قطيعة رحم فيكون أبعد

٦ النّاس منه .

وكان يخصف نعله ، ويرقّع ثوبه ويخدم فى مهنة أهله ويقطع اللّحم معهنّ . ويركب الفرس والبغل والحمار ، ويُردف خلفه عبده أو غيره ويمسح وجه فرسه

٩ بطرف كمّه ، أو بطرف ردائه ، وكان يتوكّأ على العصى ، وقال : « التوكّؤ على العصى من أخلاق الأنبياء » ، ورعى الغنم ، وقال : « ما من نبيٍّ إلّا وقد رعاها » .

١٢ وعقّ ﷺ عن نفسه بعد ما جاءته النبوّة . وكان لايدع العقيقة عن المولود من أهله ، ويأمر بحلق رأسه (٧٤) يوم السّابع ، وأن يُتصدّق عنه بزنته فضّة ، وكان يحبّ الفأل ، ويكره الطّيرة ، ويقول : « ما منّا إلّا من يجد فى نفسه ،

١٥ ولكن الله يذهبه بالتوكّل » .

وكان إذا جاءه ما يحبّ قال : « الحمد لله ربّ العالمين » ، وإذا جاءه ما يكره قال : « الحمد لله على كل حال » ، وإذا رفع الطّعام من بين يديه قال : « الحمد لله

١٨ الذى أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا من المسلمين » ، وروى فيه : « الحمد لله حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه غير مودّع ولا مستغنى عنه ربّنا » ، وإذ عطس خفض صوته واستتر بيده أو بثوبه .

---

(٧) مهنة : بهند   (١٠) ورعى : ورعا

وكان يكثر الذّكر ويقلّ اللّغو ويطيل الصّلاة ويقصّر الخطبة ويستغفر فى المجلس الواحد مائة مرّة ، وينام أوّل الليل، ثم يقوم من السحر ثم يوتر، ثم يأتى فراشه ، فإذا سمع الأذان وثب ، فإن كان جنباً أفاض عليه وإلّا توضّأ وخرج ٣ إلى الصّلاة ، وكان يصلّى قائماً وربّما صلّى قاعداً ، قالت عائشة رضى الله عنها : لم يمت ﷺ حتى كان أكثر صلاته جالساً . وكان يُسمَع لجوفه أزيزٌ كأزيز الرجل من البكاء وهو فى الصّلاة . ٦

وكان يصوم الاثنين والخميس ، وثلاثة أيّام من كلّ شهر، وعاشوراء ، وقلّ ما كان يفطر يوم الجمعة ، وأكثر صيامه فى شعبان ، وكانت تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظاراً للوحى ، وإذا نام نفخ ولا يغطّ غطيطاً ، وإذا رأى فى منامه ٩ ما يروعه قال : « هو الله لا شريك له » ، وإذا أخذ مضجعه وضع كفّه اليمنى تحت خدّه ، وقال : « ربِّ قِنِى عذابك يوم تبعث عبادك » ، وكان يقول : « اللّهمّ باسمك أموت وأحيا » ، وإذا استيقظ قال : « الحمد لله الذى أحيانا بعد ١٢ ما أماتنا وإليه النشور » .

وكان إذا تكلّم بيّن كلامه حتى يحفظه من جلس إليه ، ويعيد الكلمة ثلاثاً ليُعقل عنه ، ويخزن لسانه لا يتكلّم فى غير حاجة ، ويتكلّم بجوامع الكلام ، ١٥ فصل لا فضول ولا تقصير .

(٧٥) وكان يتمثّل بشىء من الشعر ، وكثيراً ما يتمثّل بقول :

ويأتيك بالأخبار من لا تزوّد[1] ١٨

(٨) كانت : كان || عيناه : عينه (٩) انتظارا : وانتظارا
(١٤) ثلاثا : ثلثا (١٧) وكثيرا ما : وكثير مما

(١) كذا فى الأصل ، وهو شطر بيت مشهور من معلقة طرفة بن العبد ، وفى المعلقة : من لم تزود

أو بغير ذلك . وكان جلّ ضحكه التبسم ، وربّما ضحك لشيء يعجبه حتى تبدو نواجذه ﷺ من غير قهقهة .

٣ وما عاب ﷺ طعاماً قطّ ، إن اشتهاه أكله وإن لم يشتهه تركه ، وكان لا يأكل متكئاً ولا على خوان ، ولا يمتنع من مباح ، ويأكل الهديّة ويكافئ عليها ، ولا يأكل الصدقة ولا يتأنّق فيما كان يأكل، يأكل ماوجد تمراً كان أو

٦ خبزاً ، وإن وجد شواء أكله وإن وجد لبناً اكتفى به ، ولم يأكل خبزاً مرقّقاً حتى مات ﷺ .

قال أبو هريرة :خرج رسول الله ﷺ من الدّنيا لم يشبع من خبز الشعير ،

٩ وكان يأتى على آل محمّد الشّهرُ والشّهران لا يوقد فى بيت من بيوته نار ، كان قوتهم التمر والماء ، وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع ، وقد أتاه الله مفاتيح خزائن الأرض ، فأبى أن يقبلها واختار الآخرة عليها .

١٢ وكان يأتى عائشة فيقول : « عندك غذاء ؟ » فتقول : لا ، فيقول : « إنّى صائم » . فأتاها يوماً ، فقالت :يارسول الله : أهدى لنا هديّة ، قال: «وماهى؟» قالت : حيسا . قال : « أما إنّى أصبحت صائما » ، قالت، ثمّ أكل وأكل ﷺ

١٥ الخبز بالخلّ ، وقال : « نعم الإدام الخلّ »،وأكل لحم الدّجاج ،ولحم الحبارى ، وكان يحبّ الدّبّاء ويتبعه ، ويعجبه الذراع من الشاة ، وقال « إنّ أطيب اللحم لحمُ الظهر »،وقال:« كلوا الزيت وادّهنوا به، فإنّه من شجرة مباركة » ، وكان

١٨ يعجبه الثفل ، يعنى مابقى من الطّعام ، وكان يأكل بأصابعه الثلاثة ويلعقهم .

---

(٦) مرققا : مرقرقا ، والمرقق : الملين المحسن (٩) نار : نارا
(١٠) مفاتيح : بمفاتيح (١٧) ادهنوا : اندهنوا
(١٨) بأصابعه : باصبعه || الثلاثة : الثلاث

وعن سلمى زوجة أبي رافع أنّ الحسن وابن عبّاس وابن جعفر أتوها فقالوا: اصنعي لنا طعاماً ممّا كان يعجب رسول الله ﷺ ويُحسن أكله! فقالت: إنّكم لاتشتهونه اليوم، قالوا: بلى، اصنعيه! قال: فقامت فطحنت شعيراً ٣ وجعلته في قدر، وصبّت عليه شيئاً من زيت، ودقّت الفلفل والتوابل وقرّبته إليهم، فقالت: هذا ما كان يعجب رسول الله ﷺ ويُحسن أكله.

وأكل ﷺ خبز الشعير بالتمر، وقال: هذا أدم هذا، وأكل ﷺ البطيخ ٦ بالرطب، والقثّاء بالرطب، والتمر بالزبد. وكان يحبّ الحلوى والعسل، وكان يشرب قاعداً، وربّما شرب قائماً، وتنفّس ثلاثاً، وإذا فضل منه فضلة وأراد أن يسقيها بدأ بمن عن يمينه. ٩

وشرب ﷺ لبناً، وقال: «من أطعمه الله طعاماً فليقل: اللهمّ بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه، ومن أسقاه الله لبناً فليقل: «اللهمّ بارك لنا فيه وارزقنا منه»، وقال ﷺ: «ليس شيء يجزى مكان الطعام والشراب غير اللبن». ١٢

وكان ﷺ يلبس الصوف وينتعل بالمخصوف، ولا يتأنّق في ملبس، ويلبس ما وجد مرّة شملة، ومرّة برداً، ومرّة حبرة، ومرّة جبة صوف، وكان يلبس النعال السِبْتيّة[1]، ويتوضّأ فيها، وكان لنعليه قبالان، وأوّل من عقد عقداً واحداً ١٥ عثمان، وكان أحبّ اللباس إليه الحبرة؛ وهى من برد اليمن، فيها حُمرة وبياض، وكان أحبّ الثياب إليه القميص، وكان إذا استجدّ ثوباً سمّاه باسمه: عمامة أو قميصاً أو برداً أو غير ذلك، يقول: «اللهمّ لك الحمد كما ألبستنيه، أسألك خيره ١٨ وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شرّه وشرّ ما صنع له»، وكان تعجبه الثياب

---

(٤) التوابل: الثوابل (٧) القثاء: القثا (١٤) بردا: برد

---

(١) السبتية: من السبت، وهو القطع، لأنه قطع عنها الشعر وحلق

الخضر ، وكانت تكون قميصه مشدودة الأزرار، وكان يلبس الكساء الصوف
وحده فيصلّى فيه ، وربّما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره ، يعقد طرفيه من
٣ كتفيه يصلّى فيه ، وكان يلبس القلانس تحت العمائم ويلبسها دون (٧٧) العمائم ،
ويلبس العمائم دونها ، ويلبس القلانس ذات الآذان فى الحرب، وربّما نزع قلنسوته
وجعلها سدّة بين يديه وصلّى إليها ، وربّما مشى بلا قلنسوة ولا عمامة ولا رداء
٦ راجلًا يعود المرضى كذلك فى أقصى المدينة ، وكان يعتمّ ويسدل طرف عمامته
بين كتفيه ، وعن علىّ عليه السّلام : عمّمنى رسول الله ﷺ بعمامة وسدل طرفها
على منكبي ، وقال : « إنّ العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين » .
٩ وكان يلبس يوم الجمعة برده الأحمر ، ويعتمّ ، ويلبس خاتمًا من فضّة ، فصّه
منه، نقشه : محمّد رسول الله، فى خنصره الأيمن ، وربّما لبسه فى الأيسر ، ويجعل
فصّه ممّا يلى باطن كفّه .
١٢ وكان ﷺ يحبّ الطيب ويكره الريح الخبيثة ، ويقول : « إنّ الله عزّ وجلّ
حبّب إلىّ النّساء والطّيب وجعل قرّة عينى فى الصّلاة » . وكان يتطيّب بالغالية
والمسك حتى يرى وبيصه[1] فى مفارقه ، ويتبخّر بالعود ويطرح معه الكافور ،
١٥ وكان يُعرَف فى الليلة المظلمة بطيب ريحه ، وكان يكتحل بالإثمد فى كلّ ليلة
فى كلّ عين ، وربّما اكتحل ثلاثًا فى اليمين واثنين فى اليسار ، وربّما اكتحل
وهو صائم ، وكان يقول : عليكم بالإثمد فإنّه [يجلو[2]] البصر وينبّت الشعر ،
١٨ وكان يكثر دهن رأسه ولحيته . وكان يترجّل غبًّا[3] ، وكان يحبّ التيمّن فى

(١٣) حبب الى : اذنى ق

(١) الوبيص : البريق
(٢) كذا فى الشمائل المحمدية ، ٣١ ، وفى الأصل : يجلى
(٣) الغب : اليوم بعد اليوم ، أى يرجل شعره وينظفه ويحسنه من وقت لآخر

ترجّله وتنعله وطهوره ، وفى شأنه كلّه ، وكان ينظر فى المرآة وربّما نظر فى الماء فى ركوة فى حجر عائشة وسوى جمته ، وكان لا يفارقه فى سفره قارورة الدهن ، والمكحلة ، والمرآة ، والمشط ، والمقراض ، والسواك ، والخيوط والإبرة فيخيط بها ثيابه ، ويخصف نعله . ٣

وكان يستاك بالأراك ، وكان إذا قام من النوم يشوّص فاه بالسواك فيستاك فى الليلة ثلاث مرار : قبل النوم ، وعند القيام من النوم ، وعند الخروج (٧٨) إلى صلاة الصبح . ٦

وكان يحتجم فى الأخدعين وبين الكتفين ، واحتجم وهو محرم [بملل[1]] على ظهر القدم ، وكان يحتجم لسبعة عشر وتسعة عشر وإحدى وعشرين . ٩

وكان ﷺ يمزح ولا يقول إلّا حقًّا ، دخل يوماً على أمّ سلمة وقد مات نُغَير[2] ابنها من أبى طلحة ، [فقال له : « يا أباعمير[3]] ، ما فعل النُغير؟ »وجاءته امرأة فقالت: يارسول الله ، احملنى على جمل، فقال:«أحملك على ولد النّاقة ؟»فقالت: لا يطيقنى ، قال : « لا أحملك إلّا على ولد النّاقة » . قالت : لا يطيقنى . فقال لها الناس : وهل الجمل إلّا ولد الناقة ؟ وجاءته أخرى فقالت : يا رسول الله إنّ زوجى مريض ، وهو يدعوك ، فقال : « لعلّ زوجك الذى فى عينيه بياض » . فرجعت المرأة وفتحت عين زوجها لتنظر إليها ، فقال : مالك ؟ فقالت : أخبرنى رسول الله ﷺ أن فى عين زوجك بياضاً ، فقال : ويحك وهل أحد إلّا وفى عينيه بياض ؟ وجاءته أخرى فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنّة ! فقال : ١٢ ١٥ ١٨

(١٠) يوما : يوم (١١) نغير : نغر (١٢) امرأة : امرأ (١٨) ادع : ادعوا

(١) كذا فى الشمائل المحمدية ١٩٥ ؛ وملل: محل بين مكة والمدينة : يبعد سبعة عشر ميلا عن المدينة

(٢) النغير : بضم النون ، تصغير النغر ـ بضم النون وفتح الغين ، وهو طائر صغير

(٣) كذا فى الشمائل المحمدية ١١٩ ، وفى الأصل : فقال لها يابى عمير

« يا أمّ فلان إنّ الجنّة لا يدخلها عجوز » ، فولّت المرأة وهى تبكى ، فقال رسول الله ﷺ : أخبروها أنّها لاتدخل الجنّة وهى عجوز ، إنّ الله تعالى يقول : « إنّا أنشأناهنّ إنشاء فجعلناهنّ أبكاراً ، عرباً أترابا »[١] .

وقالت عائشة رضى الله عنها : سابقته ذات يوم فسبقته ، فلمّا كثر لحمى سابقته فسبقنى ، ثمّ ضرب كتفى ، وقال : « هذه بتلك » وجاء ﷺ إلى السوق من وراء ظهر رجل اسمه زاهر ، وكان ﷺ يحبّه ، فوضع يده على عينيه ، وما كان يعرف أنّه رسول الله ﷺ ، حتى قال : « من يشترى [هذا][٢] العبد ؟ » فجعل يمسح ظهره برسول الله ﷺ ، ويقول : إذًا تجدنى كاسداً يا رسول الله! فقال : « لكنّك عند ربّك لست بكاسد » ، ورأى ﷺ حسيناً مع صبية فى السكّة فتقدّم ﷺ أمام القوم وطفق (٧٩) الحسين يفرّ هاهنا وهاهنا ورسول الله ﷺ يضاحكه ، حتى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه ، والأخرى فوق رأسه .

وكان رسول الله ﷺ يدخل على عائشة رضى الله عنها والجوارى يلعبن عندها ، فإذا رأينه تفرّقن فسيّرهن إليها ، وقال لها يوماً : وهى تلعب بلعبها : « ما هذه يا عائشة » ؟ فقالت : خيل سليمان بن داود ، فضحك وطلب الباب ، فابتدرته واعتنقته ، فقال : « ما لك يا حميراء » ؟ فقالت : بأبى أنت وأمّى يا رسول الله ، ادع الله أن يغفر لى ما تقدّم من ذنبى وما تأخّر ، قالت : فرفع يديه حتى بان بياض إبطيه ، وقال : « اللّهمّ اغفر لعائشة بنت أبى بكر ظاهره وباطنه مغفرة لا تغادر ذنباً ولا تكسب بعده خطيئة ولا إثماً » ، وقال ﷺ : « أفرحت

---

(١٧) ادع : ادعوا

(١) سورة الواقعة ، ٣٧

(٢) زيادة من الشمائل المحمدية ، ١٢١

يا عائشة » ؟ فقلت : إى والذى بعثك بالحقّ ، فقال : أما والذى بعثنى بالحقّ ما خصصتك بها من بين أمّتى ، وإنّها لصلاتى لأمّتى فى الليل والنهار فيمن مضى منهم ومن بقى ومن هو آت إلى يوم القيامة ، وأنا أدعو لهم والملائكة يؤمّنون على دعائى .

قلت : إنّ فى هذا الخبر من البشارة لأمّة محمّد ﷺ ما يوجب أن يدعو لواضعه فى هذا التاريخ[1] بالعفو والمسامحة والآخرة الصالحة .

وكان ﷺ خاتم النبيّين وسيّد المرسلين ، وآتاه الله علم الأوّلين والآخرين ولا يُحصى مناقبه أحدٌ من العالمين ، صلّى الله عليه وعلى آله أجمعين ، وأصحابه صلاة دائمة إلى يوم الدين .

وأنشد الأمين العاصمى يقول :

يا جاعلًا سننَ النبىّ شعــــارَه ودثارَهُ
مستمسكاً بحــديثه متتبعاً أخبـــارَهُ
[سنن الشريعة خذ بها متوسّمـــاً آثارهُ][2]
وكذا الطّريقةَ فاقتبس فى سُبْلها أنـــوارَهُ
هو قدوةٌ لك فاتّخذ فى السنّتين شعارَهُ
قد كان يقرى ضيفه كرماً ويحفظ جارَهُ
ويجالس المسكين يؤ ثر قربَه وجوارَهُ
الفقر كان رداءه والجوعُ كان شعارَهُ

(٤) دعائى : دعاء (٥) يدعو : يدعوا

(١) كذا فى الأصل ، ولعله يريد : يدعى لواضع هذا التاريخ
(٢) أضفنا هذا البيت نقلا عن : نهاية الأرب ، ١٨ : ٢٦٤

يلقى [بغرّة ضاحك](١) مستبشراً زُوّارَهُ
بسط الرداء كرامة لكريم قوم زارَهُ
٣ ما كان مُختالاً ولا مرحاً يجرّ إزارَهُ
قد كان يركب بالرّدي ف من الخشوع حمارَهُ
فى مهنة هو [أو](٢) صلا ة ليله ونهارَهُ
٦ فتراه يحلب شاة منـ زله ويوقد نارَهُ
ما زال كهف مهاجريـــه ومكرماً أنصارَهُ
برّاً بمحسنهم [مقيـ ـلاً](٣) للمسىء عثارَهُ
٩ يهب الّذى تجوى يدا ه لطالب إيثارَهُ
زكّى عن الدّنيا الدّنـ يّة ربُّه مقدارَهُ
جعل الإله صلاته أبداً عليه نثارَهُ
١٢ فاختر من الأخلاق ما كان الرّسولُ اختارَهُ
لتُعدّ سنّياً وتو شك أن تبوّأ دارَهُ

صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم
١٥ أجمعين .

قلت : وأمّا المدائح الكريمة فى سيّدنا رسول الله ﷺ فأكثر من أن تحصى، وقد اعتنى بجمع ذلك الأمير علاء الدين علىّ بن أمير حاجب متولّى يومئذ

---

(١٧) الأمير ، للأمير

---

(١) كذا فى نهاية الأرب ، وفى الأصل : بغرته ضاحكا
(٢) كذا فى نهاية الأرب ، وفى الأصل : و
(٣) مقيلا ، كذا فى نهاية الأرب ، وفى الأصل : وقيلا

مصر المحروسة ، فالذى وصلتْ إليه قدّرته ما وقفت له من ذلك على مجلّد كبير
ضخم جدًّا ، يتضمّن فهرستاً بعدّة أسماء الكتب المجلّدات التى ضمّنها ما جمع
من المدائح النبويّة ، فكان عدّة ذلك مائةً وخمسين مجلّدة ، وعدّةُ القصائد ٣
المضمّنة مدحه ﷺ ثمانيةَ آلاف ومائتى قصيد وقصيد واحد ، وعدّةُ الأبيات
فى هذه القصائد المذكورة أربعمائة ألف بيت وأربعةً وعشرين ألف بيت وأربعمائة
وأربعةً وأربعين بيتاً . ٦

ذكر ما لخّص من كتاب الشفاء

من معجزاته ﷺ

وعظّم وكرّم ٩

فمنه القرآن العظيم المعجز الذى أعجز الفصحاء معارضته ، وقصرت البلغاء
عن مشاكلته ، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وأيقن الملحدون
بصدقه لمّا سئلوا أن يأتوا بعشر سور أو بسورة أو بآية من مثله . ١٢

ومنها حديث سلمان ، وقول العالم الذى كان يأتى بيت المقدس فى كلّ عام
مرّة له : لا أعلم فى الأرض أعلم من يتيم خرج من أرض تهامة ، إن ينطلق الآن
توافقه ، وفيه ثلاث خلال : يأكل الهديّة ولا يأكل الصدقة ، وعند غضروف ١٥
كتفه الأيمن خاتم النبوّة مثل البيضة ، لونها لون جلده ، فانطلق فوجده ﷺ ،
ووجد العلامات .

---

(٢) فهرستا : فهرست (٥) عشرين : عشرون
(٦) أربعة : أربع || بيتا : بيت (١٢) سئلوا : سألوا || يأتوا : يأتى

ومنها شرح صدره لمّا عُرِج به ، وإخراج العلقة التى هى حظّ الشيطان من قلبه ، ثم غسله بماء زمزم وأعاده ، وقد تقدّم ذكره .

٣ ومنها إخباره عن بيت المقدس وما فيه وهو بمكّة حين تردّدوا فى عروجه ، وسألوه أن يصف لهم بيت (٨١) المقدس ، فكشف الله عزّ وجلّ له عنه فوصفه لهم .

٦ ومنها انشقاق القمر له فرقتين حين سألته قريش آية ، وأُنزِل ذكرُ ذلك فى القرآن العظيم .

ومنها أنّ ملأً من قريش جلسوا فى الحجر بعد ما تعاقدوا على قتله

٩ فخرج ﷺ فخفضوا أبصارهم ، وسقطت أذقانهم على صدورهم ، ولم يقم إليه منهم رجل ، فأقبل ﷺ حتى وقف على رؤوسهم ، فقبض قبضة من تراب وقال : « شاهت الوجوه » ، ثم حصبهم فما أصاب رجلاً منهم حصبة من ذلك الحصى

١٢ إلّا قتل يوم بدر .

ومنها أنّه رمى القوم يوم حُنين بقبضة من تراب فهزمهم الله تعالى ، وقال بعضهم : لم يبق منّا أحد إلّا امتلأت عيناه تراباً ، وفيه أنزل : « وما رميتَ

١٥ إذ رميتَ ولكنّ الله رمى »[1] .

ومنها آية الغار ، إذ خرج القوم فى طلبه ، فعمى عليهم أثره ، وصدّوا عنه وهو نصب أعينهم ، وبعث عنكبوت فنسجت عليه .

---

(٣) عروجه : رجوعه (١٠) رجل : رجلا (١١) رجلا : رجل
(١٤) امتلأت عيناه ترابا : امتلى عينيه تراب (١٧) عنكبوت : عنكبوتا

---

(١) سورة الأنفال ، ١٧

ومنها أنّه مسح على ضرع عناق ولم يثر عليها الفحل فضرّت وشرب وسقى أبا بكر .

ومنها أنّه مسح على ضرع شاة أمّ معبد وهى حائل أجهدها الهزال فدرّت وتحفّل ضرعها . ٣

ومنها دعوته لعمر بن الخطّاب رضى الله عنه أن يُعَزّ به الإسلام، أو بأبى جهل ابن هشام فسبقت لعمر ، ودعوته أيضاً لعلىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه أن يذهب الله عنه الحرّ والبرد فأذهبهما الله عنه ، ودعوته له أيضاً وهو يشكو وجعاً فلم يشكه بعد . ٦

ومنها أنّه تفل فى عينيه وهو أرمد فبرأ من ساعته لم يرمد بعدها . ٩

ومنها أنّ رجلاً أنصاريّاً أصيبت رجله فى حرب فمسحها فبرأت من ساعتها، ومنها أنّ سمرة أصابته ضربة يوم حُنين فنفث فيها ثلاث (٨٢) نفثات ، قال : فما اشتكيتها حتّى الساعة . ١٢

ومنها دعوته لعبد الله بن عبّاس أن يفقّهه فى الدين ويعلمه الله التأويل ، فكان يدعى البحر لسعة علمه .

ومنها دعوته لجمل جابر بن عبد الله فصار سابقاً بعد أن كان مسبوقاً ، ومنها أن الله بارك فى تمر جابر حتى قضى منه دينه عن أبيه ، وفضل منه ثلاثة عشر وسقاً ، وكان سأل غرماءه أن يأخذوا التمر بما عليه لهم فأبوا . ١٥

ومنها دعوته لأنس بطول العمر وكثرة المال والولد وأن يبارك له فيهما ، فولد له مائة وعشرون ولداً لِصُلْبه ، وكان نخله يحمل فى السنة مرّتين ، وعاش نحو المائة سنة . ١٨

---

(٥) بأبى : بأبو (٧) يشكو : يشكوا (١٠) أنصاريا : أنصارى

ومنها أنه شُكى إليه قحوط المطر وهو على المنبر فدعا الله تعالى وما فى السماء قزعة فثارت سحابة مثل الترس ثم انتشرت ، ومطروا إلى الجمعة الأخرى حتى شكوا إليه انقطاع السبل ، فدعا الله فارتفع عنهم .

ومنها دعوته على عيينة بن أبى جهل [(١)] أن يسلّط عليه كلباً من كلابه فقتله أسد بالزرقاء [(٢)] من أرض الشام ، ومنها دعوته على سراقة لمّا اتّبعه حين هاجر فارتطمت فرسه ، وقد تقدّم ذكرها . ومنها شهادة الشجر له بالرسالة حين عرض على أعرابى الإسلام ، فقال : هل من شاهد على ما تقول ؟ فقال ﷺ : « هذه السَّمُرة » فدعاها فأقبلت إليه تخدّ الأرض حتّى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً ، فشهدت كما قال ، ثم رجعت إلى منبتها ، ومنها أنّ أعرابيًّا من بنى عامر قال له : إنّك تقول أشياء فهل لك أداويك ؟ وكان يداوى ويعالج ، فقال له النبى ﷺ : « هل لك أن أريك آية » ؟ وعنده نخل وشجر ، فدعا رسول الله ﷺ عزقاً منها (٨٣) فأقبل إليه وهو يسجد ويرفع رأسه ، ويسجد ويرفع رأسه ، حتى انتهى إليه ، فقام بين يديه ثم قال له رسول الله ﷺ : « ارجع إلى مكانك » فرجع إلى ما كان عليه ، فقال له العامرى : والله لا أكذّبك فى شىء تقوله أبداً .

ومنها أنّه أمر شجرتين فاجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا ، ومنها أنّه أمر أنساً أن ينطلق إلى نخلات ، إلى جانبهن رُجُم من حجارة فيقول لهن : يقول لكنّ

(٥) أسد : أسدا || سراقة : سارقة (٦) فارتطمت : فارتمطت
(٧) عرض : أعرض (١٢) عزقا : عر
(١٥) فاجتمعتا ـ فافترقتا : فاجتمعا ـ فافترقا

(١) كذا فى الأصل ، أما فى الشفاء للقاضى عياض الذى يزعم المصنف أنه ينقل عنه : عتبة ابن أبى لهب ، انظر : شرح الشفا فى شمائل صاحب الاصطفا لنور الدين القارى ، طبع مصر ١٣٩٨ هـ بتحقيق حسنين مخلوف ، ٣ : ٢٠٧ ، هذا وقد صحح المصنف خطأه هذا فيما يلى

(٢) كذا فى المواهب اللدنية ، ٣ : ٢٣٧ ، ونهاية الأرب ، ١٨ : ٢١٤ وفى الأصل : الزورة

رسول الله : تلفعن بعضكن إلى بعض ، حتى تكنّ سترة لخرج رسول الله ﷺ ،
قال أنس : فخرجت فقلت لهنّ الذى أمرنى به ، فو الذى بعثه بالحق لكأنى أنظر
إلى قفزهنّ بعروقهن وترابهن حتى لصق بعضهن ببعض ، فكنّ كأنهنّ نخلة واحدة ٣
وكأنى أنظر إلى الرُّجم وقفزه حجراً حجراً حتى كأنهن على بعض حتى كأنهن كنّ
جداراً ولما قضى رسول الله ﷺ حاجته قال لى : « انطلق ، فقل لهن : يأمركن
رسول الله ﷺ تعدن إلى ما كنتنّ عليه » ، فقلت لهن ، فعاد كل إلى ما كان ٦
عليه .

ومنها أنّه نام فجاءت شجرة تشقّ الأرض حتى قامت عليه ، فلمّا استيقظ
ذكرت له ذلك ، فقال : « هى شجرة استأذنت ربّها أن تسلّم علىّ فأذن لها » . ٩

ومنها تسليم الشجر والحجر عليه ليالى بعثه بمكّة ﷺ ، ومنها حنين الجذع
الذى كان يخطب عليه حين اتّخذ المنبر ﷺ ، ومنها تسبيح الحصى فى كفّه ثم وضعه
فى كفّ أبى بكر ثم عمر ثم عثمان فسبّح ، ومنها تسبيح طعام دعا أصحابه إليه ﷺ ، ١٢
ومنها تكلّم الذراع من الشاة بأنّى مسموم ، ومنها شكوى البعير إليه إيذاءه
فى العمل وقلّة العلف (٨٤) ، ومنها أنّ ظبية وقعت فى شبكة صائد فسألته أن
يطلقها لترضع أولادها ثم ترجع فأطلقها ، وجلس حتى رجعت وأتى الصّائد فاستوهبها ١٥
منه وخلّى سبيلها ، فاتّخذ القوم ذلك المكان مسجداً ، ومنها انقياد الفحلين من
الإبل له لمّا عجز صاحبهما عن أخذها فجاءا فبركا بين يديه فخطمهما ودفعهما إليه ،
ومنها أنّه أراد أن ينحر ستّ بدنات أو سبعاً فجعلن تزدلفن إليه بأيّتهن ١٨
يبدأ ، ﷺ .

---

(٣) ببعض : بعض (٥) جدارا : جدار (١٠) ليالى : ليال
(١٣) إيذاءه : إذاايه (١٤) ظبية : ضبية (١٥) وأتى : وأا (١٦) خلى : خلا

ومنها أنّ عين قتادة بن النعمان ندرت وصارت على وجنته فردّها ﷺ فكانت أحسن عينيه ، ومنها إخباره يوم بدر بمصارع المشركين فلم يتعدّ أحد منهم مكان صرعه الذى عيّنه .

ومنها أنّه أخبر أنّ طوائف من أمّته يغزون البحر ، وأنّ أمّ حرام فيهم وهى بنت مُلحان[1] فكان كذلك ، ومنها قوله لعثمان رضى الله عنه إنّه ستصيبه بلوى شديدة فكانت قتلته رضى الله عنه ، ومنها قوله للأنصار « إنّكم سترون بعدى أثرة » فكانت فى ولاية معاوية رضى الله عنه ، ومنها قوله للحسن عليه السلام: «إنّ ابنى هذا سيّد، ولعلّ الله يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين»، فكان كذلك .

ومنها أنّه أخبر بقتل العنسى الكذّاب ليلة قتله ، ومن قتله وهو بصنعاء اليمن ، فكان كذلك ، ومنها أنّه أخبر عن الشيماء الأزديّة أنّها رفعت له فى خمار أسود على بغلة شهباء ، فأخذت فى زمان أبى بكر رضى الله عنه فى جيش خالد ابن الوليد بهذه الصفة بعينها .

ومنها قوله ﷺ : « زويت لى الأرض مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمّتى ما زوى لى منها » ، فكان كما قال ، وبلغ ملكهم من أوّل المشرق من بلاد الترك إلى آخر المغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر ، ولم يتّسعوا فى الجنوب ولا فى الشمال ، ومنها قوله [لثابت][2] بن قيس : « تعيش حميداً وتموت شهيداً » ، فعاش حميداً (٨٥) وقتل يوم اليمامة .

(٢) يتعد : يتعدا

(١) هى من خالات النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاع، وكانت تحت عبادة بن الصامت، انظر شرح الشفا ، ٣ : ٢٨٥

(٢) كذا فى الإصابة ، ١ : ١٩٥ ، وفى الأصل : لثابت

ومنها أنّ امرأة أبي لهب لما نزلت « تبّت يدا أبي لهب » جاءته ومعه أبو بكر ، فقال للنبي ﷺ : إنّها امرأة بذيئة ، وأخاف أن تؤذيك فلو قمت ، قال : « إنّها لن تراني » ، فجاءت فقالت : يا أبا بكر إنّ صاحبك هجاني ، قال : إنّه لايقول الشعر ، قالت : أنت عندى مصدّق ، وانصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله إنّها لم ترك ، قال : لم يزل ملك يسترنى منها بجناحه » .

ومنها أنّ رجلًا ارتدّ ولحق بالمشركين ، فبلغ النبي ﷺ أنّه مات فقال : « إنّ الأرض لاتقبله » ، قال أبو طلحة : فأتيت تلك الأرض التي مات فيها ، فوجدته منبوذاً ، فقلت : ما شأن هذا ؟ فقالوا : دفنّاه فلم تقبله الأرض .

ومنها أنّ رجلًا كان يأكل بشماله ، فقال له النبي ﷺ : « كل بيمينك »! فقال : لا أستطيع ، فقال النبي ﷺ : « لا استطعت » ، قال: فما رفعها بعد ذلك إلى فيه أبداً ، ومنها سقوط الأصنام يوم فتح مكّة ، وقد تقدّم ذكر ذلك .

ومنها أنّ مازن بن الغَضُوبة كان يسدن صنماً ، فسمع صوتاً من الصنم يقول ويبشر بنبوّته ﷺ ، ويحضّه على اتّباعه وعلى ترك عبادة الصنم ، ومنها أنّ سوّاد بن قارب[1] أتاه رَئِيُّه في ثلاث ليال متتابعات يضربه برجله ويوقظه ويخبره ببعث النبي ﷺ ويحرّضه على اتباعه ، ومنها شهادة الذئب بنبوّته ﷺ ومنها شهادة الضبّ برسالته .

ومنها أنّه أطعم أهل الخندق وهم ألف من صاع شعير فشبعوا وانصرفوا والطعام أكثر ممّا كان ، ومنها أنّه أطعمهم من تمر يسير جاءت به ابنة بشير بن سعد إلى أبيها وخالها عبد الله بن رواحة فسكفاهم به ، ومنها أنّ أصحابه ﷺ استأذنوه

(١٤) رئيه : ريه || ثلاث : ثلث || يوقظه : يوقضه

(١) شرح الشفاء ، ٣ : ٤٠٨ : سواد بن قارب ، بكسر الراء ، أزدى ، كان كاهنهم في الجاهلية

فى نحر ظهورهم لقلّة الزاد فقال : « ولكن ائتونى بما فضل من أزوادكم » ، فبسطوا (٨٦) أنطاعا، ثم صبّوا عليها ما فضل من أزوادهم ، فدعا لهم فيها بالبركة فأكلوا حتى تضلّعوا شبعاً ثم كُفُوا ما فضل منها جربهم .

ومنها أنّ أبا هريرة أتاه بتمرات قد صفّهنّ فى يده فقال : يا رسول الله ، ادع لى فيهنّ بالبركة ! قال : فدعا لى فيهنّ بالبركة وقال : « إن أردت أن تأخذ شيئًا فأدخل يدك ولا تنثره نثراً » . قال أبو هريرة : فأخرجت من ذلك التمر كذا وسقاً فى سبيل الله ، وكنا نَطْعَمُ منه ونُطْعِم ، وكان فى حقوى حتى انقطع منّى ليالى عثمان[1] .

ومنها أنه أتى بقصعة من ثريد ، فدعا عليها أهل الصّفّة ، قال أبو هريرة : فجعلت أتطاول حتى يدعونى حتى قام القوم ، وليس فى القصعة إلّا شىء يسير فى نواحيها ، فجمعه بإصبعه ﷺ ، فصار لقمة ، فوضعها على أصابعه وقال لى : « كل بسم الله » ، فو الذى نفسى بيده ما زلت آكل منها حتى شبعت .

ومنها أنّه أروى أهل الصفة من قدح لبن ، ثم فضلت منه فضلة فشربها أبو هريرة ، ثم النبي ﷺ ، ومنها أنّه أطعم فى بنائه بزينب من جَفْنَة ثريد أهدتها له أمّ سليم فكفى بها خلقاً كثيراً ، ثم رفعت ولا يدرى أىّ الطّعام كان فيها أكثر ، حين وضعت أم حين رفعت، ومنها أنّه أتى بقصعة ثريد فوضعت بين يدى القوم فتعاقبوها من غدوة إلى الظّهيرة ، يقوم قوم ويجلس آخرون .

ومنها أنّه أطعم ثمانين رجلا فى بيت أبى طلحة من أقراص شعير جملها أنس

(٦) أبو هريرة : أبا هريرة (١٣) فشربها : بشربها
(١٥) فكفى : فكفا || يدرى : يدرا (١٧) الظهيرة : الظهير
(١٨) ثمانين : ثمانون

(١) شرح الشفاء ، ٣ : ٧٠ : إلى أن قتل عثمان فانتهب منى فذهب

تحت إبطه حتى شبعوا والطعام بحاله ، ومنها أنّه أمر عمر رضى الله عنه أن يزود أربع مائة راكب من تمر فزوّدهم وبقى كأنّه لم ينقص تمرة واحدة .

وعن جابر بن عبد الله قال : حضرت صلاة العصر وليس معنا ماء غير فضلة، ٣ فجُعِلت فى إناء وأتى بها النبى ﷺ فأدخل (٨٧) فيه [يده][1] ،وفرج أصابعه وقال : « حىّ على الوضوء والبركة من الله » ، قال فلقد رأيت الماء ينفرج من بين أصابعه ﷺ ، وتوضأ الناس ، وشربوا ، وهم ألف وأربع مائة رجل . ٦

وعن جابر أيضا قال : أصاب الناس عطش يوم الحديبية فجلس الناس إلى رسول الله ﷺ ، فوضع يده فى ماء قليل فى ركوة ، فرأيت الماء مثل العيون ، وكنّا خمس عشرة مائة . ٩

ومنها أنّه أتى بقدح فيه ماء فوضع أصابعه فى القدح فما وسع أصابعه كلّها فوضع هؤلاء الأربع وقال : « هلموا فتوضّأوا أجمعين » ، وهم من السبعين إلى الثمانين ، ومنها أنّه أتى بقعب فيه ماء يسير ، فوضع كفّه على القعب ، فجعل الماء ١٢ ينبع من بين أصابعه ﷺ حتى توضّأ القوم وشربوا ، وهم زهاء من ثلاثمائة .

ومنها قضيّة ذات المزادتين وشرب القوم من مزادتها وملأوا ظروفهم ولم ينقص منها شيء ١٥

ومنها أنّه ورد بئراً فى غزوة تبوك ، وفيه ماء لا يروى واحداً ، والقوم عطاش

---

(٩) خمس عشرة : خمس عشر (١١) فتوضأوا : فتوضوا

(١٣) من ثلاثمائة : عن ثلثمايه (١٦) بئرا : بير || واحداً : واحد

---

(١) إضافة من الشفاء ؛ وعبارته: فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الإناء يده، شرح الشفا ، ٣ : ٢٥

فشكوا إليه ، فأخذ سهماً من كنانته وأمر من غرزه فيه ففار الماء وارتوى القوم وكانوا المئتى ألفاً .

٣ ومنها أنّ قوماً شكوا إليه ملوحة فى مائهم وأنّهم فى جهد من الظمأ لذلك مع قلته ، فجاء إليهم فى نفر من أصحابه حتى وقف على بئرهم فتفل فيها وانصرف فتفجر الماء كأعذب ما يكون .

٦ ومنها أنّ أبا جهل طلب غرّة منه ﷺ فوافاه ساجداً ، فأخذ صخرة بوسع طاقته وقوّته ، وأقبل بها حتى أراد أن يطرحها عليه فألزقها الله بكفّه ، وحيل بينه وبينه .

٩ ومنها أنّه كان ﷺ فى غزو الطائف فبينما هو يسير ليلاً على راحلته بواد قرب الطائف إذ غشى سدرة فى سواد الليل وهو فى وسن (٨٨) النوم ، فانفرجت السدرة له نصفين ، فمر بين نصفيها وبقيت منفرجة على حالها .

١٢ ومنها أنّ امرأة أتته بصبىّ لها ، فيه عاهة ، فمسح على رأسه فاستوى شعره وبرأ داؤه ، فسمع أهل اليمامة بذلك فأتت امرأة بصبىّ إلى مسيلمة فمسح على رأسه فصلع شعره وعاد الصلع فى نسله .

١٥ ومنها أنّ سيف عكاشة بن محصن انكسر يوم بدر ، فقال يا رسول الله انكسر سيفى ، فأخذ رسول الله ﷺ جذلًا من حطب وأعطاه إيّاه ، وقال : « هزّه » ! فهزّه فصار سيفاً ، فتقدّم وجالد به الكفّار ، وكان لم يزل بعد

١٨ ذلك معه .

---

(١) وارتوى : وارتوا (٢) المئتى : المئتين
(٦) أبا جهل : أبو جهل || فوافاه : فوفاه (٧) فألزقها : ألزقها

---

(١) الوسن : أول النوم ، لسان العرب

ومنها كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكّة فأطلعه الله عليه ، وقد تقدّم شرحه .

ومنها أنّه لمّا سُمّ في الطعام مات الّذين أكلوا معه ، وعاش ﷺ بعده أربع سنين .

ومنها أنّ رجلًا كان في عسكره ، لا يدع سادة ولا قادة إلّا اتّبعها ، يضربها بسيفه ، وقال أصحابه : ما أجزى منّا اليوم أحد ما أجزى فلان ، فقال ﷺ : « إنّه من أهل النار » ، فقتل نفسه .

ومنها أنّه عرض في الخندق كدية لمّا حفروه ، فأخذ المعول فضربها فصارت كثيبا أهيل .

ومنها : لمّا انكسرت رجل أبي رافع[1] في الحرب ، أو قيل سقط من علوة فمسح رجله بيده ، فكأنّه لم يشكها قطّ .

وله ﷺ من المعجزات الظاهرة ، والبراهين الباهرة ما هي أكثر من أن تحصى ، ﷺ وعظّم وكرّم .

---

(١) أبي بلتعة : أبي بليغه (٦) أجزى : أجزا

---

(١) هو أبو رافع القبطي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، راجع ترجمته في الاستيعاب، والإصابة، ٤ : ٦٧، ٦٨ ؛ غير أنه لم يرد في الشفاء للقاضي عياض الذي يزعم المصنف أنه يعتمد عليه في هذا الفصل، اسم أبي رافع بين أسماء من برئوا من جراحاتهم ببركة النبي صلى الله عليه وسلم؛ انظر شرح الشفا، ٣ : ١٧٣ ـ ١٩١

ذكر أزواجه وأنسابهنّ وعدّتهنّ
رضوان الله عليهنّ أجمعين

٣ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ بن كلاب ، تلقى رسول الله ﷺ فى قصيّ بن كلاب ، وكان قد تزوّجها قبل رسول الله ﷺ رجلان : أوّلهما ، وهى بكر ، عتيق بن (٨٩) عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
٦ فولدت له جارية ثم هلك عنها ، فخلف عليها النبّاش بن زرارة ، وقيل هند بن زرارة التيمى[1] ، فولدت له ابناً وبنتاً ، ثم هلك عنها، فتزوّجها رسول الله ﷺ وماتت عنده حسبما تقدّم ، ولم يتزوّج ﷺ عليها حتّى ماتت رضى الله عنها .
٩ وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها، واستغفار لها ، فذكرها ذات يوم فاحتملتنى الغيرة فقلت : عوضك الله من كبيرة السنّ ، قالت : فرأيت رسول الله ﷺ غضب غضباً
١٢ شديداً ، وسقطت فى جلدى ، وقلت : اللّهمّ ، إن أذهبت غضب رسولك لم أعد أذكرها بسوء ما بقيت ، فقال : «كيف قلتِ ، والله لقد آمنت بى إذ كفر بى الناس ، وآوتنى إذ رفضنى الناس ، وصدّقتنى إذ كذبنى الناس ، ورزقت منها
١٥ الولد حيث حرمتموه » ، قالت : فغدا وراح علىّ بها شهراً .

سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤىّ ، تزوّجها بعد خديجة بمكّة قبل الهجرة ، وكانت قبله

---

(١) وأنسابهن وعدتهن : وأنسابهم وعدتهم (٢) عليهن : عليهم
(٣) تلقى : تلقى (٥) عائذ : عائد (١٠) واستغفار : واستغفارا
(١٦) نصر : نضر

---

(١) الإصابة ، ٤ : ٢٨١ : وكانت عند أبى هالة بن زرارة بن النباش ، وراجع أيضا نهاية الأرب ، ١٨ : ١٧٠

تحت السكران بن عمرو ، أخى سهل بن عمرو ، فكبرت عند رسول الله ﷺ فأراد طلاقها ، فوهبت نوبتها لعائشة فقالت : لا رغبة لى فى الرجال ، وإنّما أريد أن أحشر فى أزواجك ، فأمسكها ، وصار يقسّم لبقيّة نسائه دونها ، ونوبتها ٣
لعائشة .

عائشة بنت أبى بكر الصدّيق عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة بن كعب بن لؤىّ بن غالب التيمى ، تلقى ٦
رسول الله ﷺ فى مُرّة بن كعب ، تزوّجها بمكّة قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث ، وهى إذ ذاك ابنة (٩٠) ست سنين وقيل سبع ، وبنى بها ﷺ بالمدينة وهى ابنة تسع على رأس سبعة أشهر من الهجرة ، وقيل ثمانية عشر شهراً ، ومات عنها ٩
وهى ابنة ثمانى عشرة سنة ، وتوفّيت فى المدينة سنة ثمان وخمسين وقيل سبع وخمسين ، ودُفنت فى البقيع وصلّى عليها أبو هريرة رضى الله عنه ، ولم يتزوّج ﷺ بكراً غيرها ، وكنيتها أمّ عبد الله ، وروى أنّها سقطت منه ﷺ سقطاً ، ١٢
ولم يثبت .

حفصة بنت عمر بن الخطّاب بن نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله ابن قيظ بن رزاح بن عدىّ بن كعب بن لؤىّ ، تلقى رسول الله ﷺ فى كعب ١٥
ابن لؤىّ ، وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمى ، وكان صحابيًّا بدريًّا ، توفّى بالمدينة ، وروى أنّ رسول الله ﷺ طلّقها ، فأتاه جبريل عليه السّلام ، فقال : إنّ الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنّها صوّامة قوّامة . وروى أنّه لمّا بلغ ١٨
عمر بن الخطّاب رضى الله عنه طلاقها حثا التراب على رأسه وقال : ما يعبأ الله

---

(٤) لعائشة : من عايشه (٦) تلقى : تلقا (٨) وبنى : وبنا
(١٧) السلام : السلم

بعمر وابنته بعد هذا ! فنزل جبريل من الغد وقال للنبىّ ﷺ : إنّ الله تعالى
يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر ، وتوفّيت عام تسع وعشرين وقيل ثمان
٣ وعشرين وهو عام إفريقية ، والله أعلم .

أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد
مناف . تلقى رسول الله ﷺ فى عبد مناف ، وكانت قبله تحت [عبيدالله][1]
٦ ابن جحش ، وهاجرت معه إلى الحبشة ، فتنصّر بها وأتمّ الله لها الإسلام . وتزوّجها
رسول الله ﷺ وهى بالحبشة ، وأصدقها عند النجاشى أربع مائة دينار (٩١) ،
وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أميّة الضمرى فيها إلى الحبشة ، وولى نكاحها
٩ عثمان بن عفّان ، وقيل خالد بن سعيد بن العاص ، تُوفّيت سنة أربع وأربعين

أمّ سلمة هند بنت أبى أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن [عمر][2] بن مخزوم
ابن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤىّ ، تلقّى رسول الله ﷺ فى مرّة بن كعب ،
١٢ وكانت قبله تحت أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن [عمر][2]
ابن مخزوم ، وولدت له [عمر][2] وزينب ، فكانا ربيبى رسول الله ﷺ ،
وكان عمر مع علىّ عليه السّلام يوم الجمل ، وولّاه البحرين ، وله عقب بالمدينة ،
١٥ تُوفّيت سنة اثنتين وستين[3] ، ودُفنت بالبقيع ، وهى آخر أزواج رسول الله ﷺ
وقيل إنّ ميمونة آخر أزواجه ، وهو الصحيح .

زينب بنت جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرّة بن كثير بن غنم بن
١٨ دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، تلقى رسول الله ﷺ فى خزيمة

---

(١٥) اثنتين : اثنين (١٧) رياب : رئاب

---

(١) كذا فى الإصابة ، ٤ : ٣٠٥ ، وفى الأصل : عبد الله ، وهو تصحيف
(٢) كذا فى الإصابة ، ٤ : ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، وفى الأصل : عمرو
(٣) هذا أضعف الأقوال ، راجع ، الإصابة ، ونهاية الأرب ، ١٨ : ١٧٩ ـ ١٨٠

ابن مدركة ، وهي ابنة عمّته أميمة بنت عبد المطّلب ، كانت قبله تحت مولاه زيد
ابن حارثة ، فطلّقها ، فزوّجها الله تعالى إيّاها من السماء ، ولم يُعْقَد عليها ، وصحّ
أنّها كانت تقول لأزواج النبيّ ﷺ : زوّجكنّ آباؤكنّ وزوّجني الله من ٣
فوق سبع سموات ، وتوفّيت بالمدينة سنة عشرين ، ودُفنت في البقيع ، وهي أوّل
من مات من أزواجه بعده ، وأوّل من حمل على نعش .

جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن [حبيب][1] بن عائذ بن مالك ٦
ابن المصطلق الخزاعيّة ، سبيت في غزوة بني المصطلق ، فوقعت في سهم ثابت بن قيس
ابن شمّاس ، فكاتبها ، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابها ، وكانت (٩٢)
امرأة مُلاحة[2] ، فقال لها رسول الله ﷺ : « أو خير من ذلك أؤدّي عنك ، ٩
وأتزوّجك » ، فقبلت ، فقضى رسول الله ﷺ عنها ، وتزوّجها في سنة ستّ من
الهجرة ، وتوفّيت في شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وخمسين .

صفيّة بنت حيّ بن أخطب بن أبي يحيى بن كعب بن الخزرج[3] النضيريّة ، ١٢
من ولد هارون بن عمران سبيت من خيبر سنة سبع من الهجرة ، فاصطفاها ﷺ
لنفسه ، وأعتقها ، وجعل عتقها صداقها ، وكانت قبله تحت كنانة بن أبي الحُقَيق ،
قتله رسول الله ﷺ ، وتُوفّيت سنة ستّ وثلاثين[4] ، وقيل سنة خمسين ، وقد ١٥
قيل إنّها آخر أمّهات المؤمنين موتاً ، والله أعلم .

---

(١٠) فقضى : فقضا

---

(١) كذا في الإصابة ، ٤ : ٢٦٥ ، وفي الأصل : الحارث

(٢) ملاحة : شديدة الملاحة ، وهو من أبنية المبالغة

(٣) كذا في الأصل ، وفي الاستيعاب : بنت حي بن أخطب بن سعنة بن ثعلبة بن عبيد ابن كعب بن الخزرج ، الاستيعاب ، على هامش الإصابة ، ٤ : ٣٤٦

(٤) أثبت ابن حجر في الإصابة خطأ القول بأنها رضى الله عنها توفيت سنة ست وثلاثين ، راجع الإصابة ، ٤ : ٣٤٨

ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهرم بن رُوَيبة بن [عبد الله][1]
ابن هلال بن عامر بن صعصعة ، وهي خالة خالد بن الوليد ، وعبد الله بن عبّاس
٣ رضي الله عنهما ، تزوّجها رسول الله ﷺ بسرف[2] ، وبنى بها فيه ، وماتت
ودفنت به، وقيل هي آخر من تزوّج من أمّهات المؤمنين، وآخر من توفّى منهنّ،
حكاه المنذرى ، وكانت قبله تحت أبى سـبرة[3] العامرىّ ، توفّيت سنة
٦ ثلاث وستّين .

فهؤلاء بعد خديجة ، وهنّ جملة من مات عنهنّ ﷺ ، وتزوّج زينب بنت
خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمر بن عبد مناف بن هلال ، وكانت تسمّى
٩ أمّ المساكين لكثرة إطعام المساكين ، وكانت قبله تحت عبد الله بن جحش ،
وقيل الطفيل بن الحارث ، وتزوّجها سنة ثلاث من الهجرة ، ولم تلبث عنده إلّا
يسيراً وتوفّيت عنده .

١٢ وتزوّج فاطمة بنت الضحّاك بعد وفاة ابنته زينب ، وخيّرها حين نزلت آية
التخيير فاختارت الدنيا ، ففارقها ، وكانت بعد ذلك تلقط البعر وتقول : (٩٣)
أنا الشقيّة اخترت الدنيا[4] .

١٥ وتزوّج أساف أخت دحية الكلبي ، وخولة بنت الهذيل ، وقيل خولة
بنت حكيم ، وهي التي وهبت نفسها للنبي عليه السلام ، وقيل الواهبة نفسها

---

(٣) وبنى : وبنا (٦) ثلاث : ثلث
(٧) من مات : ما مات (٨) الحارث : الحرث

---

(١) كذا فى الاستيعاب ؛ والإصابة، ٤ : ٣٩٨ ، فى ترجمة لبابة بنت الحارث، وفى الأصل: عبد مناف

(٢) سرف : ككتف ، موضع قرب التنعيم من ضواحى مكة

(٣) كذا فى الأصل ، وفى الاستيعاب ، ٤ : ٤٠٦ : سبرة

(٤) راجع مناقشة ابن حجر لهذه الرواية فى الإصابة ، ٤ : ٣٨٢

أمّ شريك ، ويجوز أن تكونا وهبتا أنفسهما له ﷺ، وتزوّج أسماء بنت كعب الجونيّة ، وعمرة بنت يزيد ، إحدى نساء بنى كلاب ، ثم من بنى الوحيد ، وطلّقهما قبل أن يدخل بهما ، وتزوّج امرأة من غفار فلمّا نزعت ثيابها رأى بها بياضاً ٣ فقال : « الحقى بأهلك » ، وتزوّج امرأة تميميّة فلمّا دخل عليها قالت : أعوذ بالله منك ! فقال ﷺ : « منع الله عائذه ، الحقى بأهلك » ، وقيل إنّ بعض نسائه علّمتها ، وقالت لها : إنّك لتحظين به عنده ، وتزوّج عالية بنت [ظبيان][(١)] ، ٦ وطلّقها حين دخلت عليه ، وتزوّج بنت الصلت ، وماتت قبل أن يدخل عليها ، وتزوّج مليكة الليثيّة ، فلمّا دخل عليها قال لها : « هبى لى نفسك » ، قالت : وهل تهب المليكة نفسها للسوقة؟ فسرّحها ، وخطب امرأة من مرّة ، فقال أبوها : إنّ ٩ بها برصاً ، ولم يكن بها فرجع ، فإذا هى برصاء ، وخطب أخرى من أبيها ، فوصفها له وأطنب ، وقال : وأزيدك أنّها لم تمرض قطّ ، فقال : « ما لهذه عند الله من خير » ! فتركها وقيل إنّه تزوّجها ، فلمّا قال أبوها ذلك طلّقها ولم يبن بها . ١٢

وذكر أبو سعيد فى شرف النبوة أن جملة أزواج النبى ﷺ إحدى وعشرين امرأة ، طلّق منهنّ ستّاً ، ومات عنده خمس ، وتوفّى ﷺ عن عشر ، منهن واحدة لم يدخل بها ، وكان يقسم لتسع ، وكان صداقه لنسائه خمس مائة درهم ١٥ لكلّ واحدة ، هذا أصحّ ما قيل ، إلّا صفيّة ، فإنّ صداقها عتقها ، لم يرو لها صداقٌ غيره ، وأمّ حبيبة أصدقها عند النجاشى أربع مائة دينار والله أعلم .

---

(٢) يزيد : زيد (٦) لتحظين : لتحضين

---

(١) كذا فى الإصابة ، ٤ : ٣٥٩ ، وفى الأصل : ضبيان

(٩٤) ذكر أولاده الذكور والإناث ومن تزوّج بهن

ولدت له خديجة فى الجاهليّة ولداً ، وسمّى عبد مناف ، وولدت فى الإسلام
٣ القاسم ، وبه كان يكنى ﷺ ، وعبد الله ويسمى الطيّب والطاهر ، وقيل الطيّب
غير الطاهر ، ومن الإناث : زينب ، ورقيّة ، وأمّ كلثوم ، وفاطمة صلوات الله
عليهن أجمعين .

٦ وعن محمّد بن إسحق أنّ ولده كلّهم ولدوا قبل الإسلام ، وهلك البنون قبل
الإسلام ، وهم يرضعون ، وقيل مات القاسم وهو ابن سنتين ، وقيل بلغ أن
يركب النجيب ويسير عليه ، وأمّا البنات فأدركن الإسلام ، وآمنّ به واتّبعنه ،
٩ وهاجرن معه ﷺ ، وقيل ولدوا كلّهم فى الجاهليّة إلّا عبد الله ، وأكبر بنيه
القاسم ، ثم الطيّب ، ثم الطاهر[٧] ، وأكبر بناته زينب ، ثم رقيّة ، ثم أمّ كلثوم ،
وقيل بل فاطمة أصغرهنّ ، هؤلاء كلّهم من خديجة رضى الله عنها .

١٢ وأمّا إبراهيم فإنّه ولد له من مارية القبطيّة ، ومات وله من العمر سبعون ليلة
وقيل سبعة أشهر ، وقيل ثمانية عشر شهراً ، فكلّ أولاده ماتوا قبله إلّا فاطمة
رضى الله عنها ، فإنّها ماتت بعده بستّة أشهر ، والله أعلم .

١٥ ### ذكر من تزوّج ببناته ﷺ

زينب ، تزوّجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزّى بن عبد شمس ، وهو
ابن خالتها ، أمّه هند ، وقيل هالة ، بنت خويلد ، أخت خديجة ، وكانت خديجة
١٨ أشارت بزواجها منه ، وكان ﷺ لا يخالفها ، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحى .
وكان من الرجال المعدودين فى المال والتّجارة والأمانة ، ولمّا بدأ رسول الله ﷺ

---

(٧) القاسم : القسم

وبادأ قريشاً بأمر الله عزّ وجلّ ، (٩٥) جاءوا إلى أبى العاص فقالوا له ، فارق صاحبتك ونحن نزوّجك بأىّ امرأة شئت ، فقال : لاأفارق صاحبتى ، ومايسرّنى أنّ لى بامرأتى أفضل امرأة من قريش . ٣

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان الإسلام قد فرّق بين زينب وبين أبى العاص حين أسلمت ، إلّا أنّ رسول الله ﷺ كان لا يقدر على أن يفرّق بينهما ، إذ كان مغلوباً بمكّة ، ولمّا أسر المسلمون أبا العاص أرسل إلى زينب ٦ يقول : خذى لى أماناً من أبيك ، فخرجت فأطلعت رأسها من باب حجرتها ، والنبى ﷺ يصلّى بالناس ، فقالت : أيّها النّاس ، أنا زينب بنت رسول الله ﷺ وإنّى قد أجرت أبا العاص ، فلمّا فرغ رسول الله ﷺ قال : « أيّها الناس، ٩ إنّى لم أعلم بهذا حتى سمعتموه ، ألا وإنّه يجير على المسلمين أدناهم » .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنّ النبى ﷺ ردّ زينب على أبى العاص بمهر جديد ونكاح جديد ، وقيل بل ردّها عليه بالنكاح الأوّل[1] ، ١٢ وقد ولدت زينب لأبى العاص عليًّا ، مات صغيراً ، وأمامة الّتى حملها رسول الله ﷺ فى الصلاة ، وعاشت حتى تزوّجها علىّ عليه السّلام ، بعد فاطمة رضى الله عنها ، فكانت عنده حتّى أصيب : فخلف عليها المغيرة بن زيد بن الحارث بن عبد المطّلب ١٥ فتوفّيت عنده .

فاطمة عليها السلام ، تزوّجها علىّ كرّم الله وجهه فى الإسلام ، ولدت له حسناً وحسيناً ومحسناً ، فذهب محسن صغيراً ، وولدت له رُقيّة ، وزينب ، وأمّ كلثوم ، ١٨

---

(١) قريشا : قريش (٦) أبا العاص : أبى العاص (١٤) السلام : السلم
(١٧) السلام : السلم

---

(١) راجع مناقشة السهيلى فى الروض الأنف ، ٢ : ٨٣ ، لهذه القضية

وتوفّيت رقيّه ولم تبلغ ، وتزوّج زينب عبد الله بن جعفر ، وتزوّج أمّ كلثوم عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، فولدت (٩٦) له زيد بن عمر ، ثم خلف عليها بعده ٣ عون بن جعفر ، فلم تلد له شيئاً ، وماتت عنده .

رقيّة ، تزوّجها عثمان بن عفّان رضى الله عنه فولدت له عبد الله ، وبه كان يكنى أوّلا ، ثم كنى بأبى عمرو ، وكانت قبله عند عتيبة[1] بن أبى لهب ، ولم ٦ يبنِ بها ، حتى بُعث ﷺ ، فلمّا أنزلت عليه « تبّت يدا أبى لهب وتبّ » ، وآمنت رقيّة ، قالت له أمّ جميل بنت حرب بن أمية ـ حمّالة الحطب ـ : طلّقها يا بنى ، فإنّها قد صبأت ، فطلّقها ، فخلف عليها عثمان ، وقيل إنّ نكاح عثمان ٩ كان فى الجاهليّة ، وهاجر عثمان إلى الحبشة ، وهاجرت معه ، توفّيت رقيّة يوم ورد زيد بن حارثة بشيراً بفتح بدر ، وجاء وعثمان واقف على قبر رقيّة يدفنها ، وكان تمريضها منعه من شهود بدر ، وضرب له رسول الله ﷺ بسهم فى غنيمتها .

١٢ وروى أنّه لما عزّى بابنته رقيّة قال : « الحمد لله ، دفن البنات من المكرمات » .

أمّ كلثوم ، تزوّج بها عثمان بعد موت أختها رقيّة ، وكانت قبله عند أخى ١٥ عتيبة بن أبى لهب زوج رقيّة ، فلمّا أنزلت : « تبّت يدا أبى لهب وتبّ » قال أبو لهب : رأسى من رءوسكما حرام إن لم تطلّقا ابنتى محمّد ، فطلّقاهما ولم يبنيا بهما ، وجاء عتيبة حين فارق أمّ كلثوم النبى ﷺ وقال : كفرتُ [بدينك][2]

---

(١) وردت فى هذه الصفحة من الأصل بأشكال عديدة : عيينه ، وعتبه ، ثم استقرت عند المصنف فى النهاية على : عتيبة . وهى فى الاستيعاب ، والإصابة ، ٤ : ٢٩٩ ، ٣٠٤ : عتبة غير أن النويرى فى نهاية الأرب ، ١٨ : ٢١٢ ، أوردها نقلا عن ابن عبد البر فى الاستيعاب نفسه : عتيبة

(٢) كذا فى نهاية الأرب ، ١٨ : ٢١٤ ، وفى الأصل : كفر بدينه

وفارقتُ ابنتك، وسطا عليه ، وشقّ قميصه ﷺ فقال النبي ﷺ : « أما إنّى أسأل الله أن يسلّط عليك كلباً من كلابه » ، فكان خارجاً إلى الشام تاجراً مع
٣ نفر من قريش حتى نزلوا مكاناً من الشام يقال له الزرقاء ليلًا ، فأطاف بهم الأسد تلك الليلة ، فجعل عتيبة يقول : يا ويل أمه، هو والله آ كلى بدعوة محمّد ، وقال أبو لهب : يا معشر قريش ، أعينونا (٩٧) هذه الليلة ، فإنّى أخاف دعوة محمّد !
٦ فجمعوا أحمالهم وفرشوا لعتيبة فى أعلاها وناموا حوله ، وانصرف الأسد عنهم ، حتى أمنوا وعتيبة فى وسطهم، ثم أقبل الأسد يتخطّاهم ويتشمّمهم حتّى أخذ برأس عتيبة فقدغه ، فمات بدعوته ﷺ .

٩ ولم تلد أمّ كلثوم لعثمان شيئاً ، وقيل ولدت له فلم يعش منها ولا من أختها له ولد ، وتوفّيت عنده فى شعبان سنة تسع ، وقال رسول الله ﷺ : « لو كانت عندنا ثالثة زوّجنا كها يا عثمان » .

١٢ وجلس النبي ﷺ على قبرها، قال محمّد بن عبد الرّحمن بن زرارة [عن أنس رضى الله عنه][1] : فرأيت عينيه ﷺ تدمعان ، وقال : « هل منكم أحد لم [يقارف][2] الليلة أهله »؟ فقال أبو طلحة : أنا يا رسول الله . قال: « انزل » !
١٥ يعنى : فوارها .

ذكر أعمامه وعمّاته ﷺ

وكان له من العمومة أحد عشر ، أولاد عبد المطّلب :

١٨ الحارث : وبه كان يكنى ، لأنّه أكبر ولده ، ومن ولده وولد

(٤) آكلى : أكله (٧) وسطهم : أوسطهم || ويتشممهم : ويتشتمهم
(١٤) أنا : قال أنا (١٧) أحد : إحدى

(١) إضافة يقتضيها السياق . راجع ابن سعد ٨ : ٣٨ ؛ الإصابة ٤ : ٤٨٩
(٢) كذا و المصادر المذكورة و الحاشية لسابقة ، وفى الأصل : يفارق

[ولده][1] جماعة لهم صحبة من النبي ﷺ، منهم: أبو سفيان بن الحارث، أسلم عام الفتح وشهد حنيناً، وقال له رسول الله ﷺ: « أبو سفيان سيّد فتيان الجنّة ».

٣ ولم يعقب، ونوفل بن الحارث، هاجر وأسلم أيّام الخندق، وله عقب، وعبد شمس، وسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله، وله عقب بالشام.

قثم، مات صغيراً، وهو أخو الحارث لأمّه.

٦ الزبير، وكان من أشراف قريش، وابنه عبد الله شهد حنيناً وثبت يومئذ واستشهد بأجنادين[2]، وروى أنه وجد إلى جنب سبعة قد قتلهم وقتلوه، وضباعة بنت الزبير، لها صحبة، وأمّ الحكم بنت الزبير (٩٨) وروت عن

٩ النبي ﷺ.

أبو طالب، واسمه عبد مناف، وهو أخو عبد الله أبي النبي ﷺ لأبيه وأمّه. وعاتكة صاحبة الرؤيا في [شأن[3]] بدر، أمّهم فاطمة بنت عمرو بن

١٢ عائذ بن عمر بن مخزوم وله من الولد: طالب مات كافراً، وعقيل، وجعفر، وعليّ، وأمّ هانئ، لهم صحبة، واسم أمّ هانئ فاختة، وقيل هند.

أبو لهب، واسمه عبد العُزّى، كنّاه أبوه بذلك لحسن وجهه، وكان له من

١٥ الولد عتبة [ومُعَتّب[4]] ثبتا مع رسول الله ﷺ يوم حنين، ودرّة، لهم

(١٠) أبي : أبو

(١) إضافة من نهاية الأرب، ١٨ : ٢١٥

(٢) أجنادين، موضع بفلسطين حيث وقعت الموقعة المشهورة بين المسلمين والروم

(٣) زيادة من نهاية الأرب، ١٨ : ٢٢٠، ويروى عنها أن قالت : « رأيت رجلا أقبل على بعير له، فوقف بالأبطح، فقال : انفروا يا آل بدر لمصارعكم، في ثلاث . . . ثم أخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل، فأقبلت تهوى حتى ترضضت، فما بقيت دار ولا بنية إلا دخل فيها بعضها ». فصدقت رؤياها، الإصابة ٤ : ٣٥٨؛ وانظر أيضا ابن هشام : باب غزوة بدر، وسائر كتب السيرة

(٤) كذا في النويري ١٨ : ٢٢١، وفي الأصل : مغيث

صحبة ، وعتيبة قتله الأسد بالزّرقاء بدعوة النبي ﷺ ، وقد تقدّم ذكر ذلك .

عبد الكعبة ، حجل ، وقيل اسمه المغيرة ، ضرار ، أخو العبّاس . شقيقه :
الغيداق ، وسمّي بذلك لأنّه كان أكرم قريش وأكثرهم إطعاماً . ٣

وروى ابن ماجة بسنده عن عليّ بن صالح قال : كان ولد عبد المطّلب كلّ
واحد منهم يأكل جذعة .

حمزة بن عبد المطّلب ، أسد الله ، وأسد رسوله ، وأخو رسول الله ﷺ ٦
من الرضاعة ، أسلم قديماً ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً ، وقُتل يوم أحد
شهيداً ، ولم يكن له إلّا ابنة .

أبو الفضل العبّاس ، أسلم وحسن إسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وكان أسنّ ٩
من النبي ﷺ بثلاث سنين ، وكان له من الولد : الفضل ، وهو أكبر ولده ،
وبه كان يكنى ، وعبد الله ، وقثم ولهم صحبة ، وكان له السقاية وزمزم ، دفعهما له
النبي ﷺ يوم الفتح ، وكان عليهما من قبل . ١٢

ذكر شيء من ابتداء أمره

ولمع من خبره

قلت : لنذكر هاهنا طرفاً من أخباره ، إذ هو أحد أعمام النبي المصطفى ، ١٥
(٩٩) وأحد الاثنين الشرفاء ، وجدّ الأئمّة الخلفاء .

روى أنّ عبد المطّلب بن هاشم أتته امرأته نتيلة النّمريّة بولده العبّاس وهو
رضيع فقالت : يا أبا الحارث، قل في هذا الغلام مقالة واحدة ، فجعل يرقّصه ، ويقول : ١٨

ظنّي بعبّاس حبيبي إن كبر يمنع القوم إذا ضاع الدّبرْ

---

(١٠) بثلاث : بثلث (١٤) ولمع : ولما

(١٥) أحد : احدى || المصطفى: المصطفا (١٧) امرأته : امراه

ويُنزع السَّجل إذا اليوم اقطرّ وسبأ الزقّ العظيم المفنْجرّ
ويفصل الخطّة فى اليوم المُبرّ ويكشف الخطب إذا الخطب نفرْ
٣ أكمل من عَبْد كلال وحجر لو جمعا لم يبلغا منه العشرْ

تفسير كلمات من هذا الرجز

قوله : ضاع الدبر ، أى أسلم القوم أدبارهم ، ولم يكن لهم حافظ .

٦ وقوله : ينزع السجْل ، هذا مثل ضربه لغنائه فى الحرب ، وكشفه الكرب ، والسجْل : الدلو فيه ماء .

وقوله : إذا اليوم اقطرّ ، أى اشتدّ حرّه .

٩ وقوله : سبأ الزقّ ، يقال سبأ الرجل الخمرة إذا اشتراها للشرب ، لا للبيع ، والعرب كانت تتمدّح بذلك ، وهو عندهم السخاء الكبير .

وقوله : المفنجرّ ، هو الكبير الذى ينفجر ما فيه لكثرته ، والنون زائدة .

١٢ وقوله : الخطّة ، هو الأمر .

وقوله : المبرّ ، هو الذى له فضل على غيره .

وقوله : عبد كلال ، هو ملك من التبابعة ، يقال إنّه كان على دين المسيح

١٥ ابن مريم عليه السلام .

وقوله : حجر ، هو ملك من كندة ، وهو أبو امرئ القيس الشاعر ، وقد تقدمّ الإخبار عنهما فى الجزء الأوّل من هذا التاريخ .

١٨ ويروى أنّ عبد المطّلب رأى العبّاس ، رضى الله عنه يلعب مع الصبيان القلة ، فقال صبىّ منهم :

---

(١) المفنجر : الفنجر (٥) حافظ : حافظا
(١٧) الجزء الأول : يعنى الجزء الثانى ، قارن المقدمة الألمانية للجزء الأول

والبيتِ لا يضرب هاتيك القُلَّهْ إلّا ابنُ وثغاء كتونٍ مهملهْ

فقال العبّاس رضى الله عنه :

وبيتِ ربّى لا لعبت معنا إنّك بذّاء قئول (١٠٠) بالخنا ٣

فأكبّ عليه عبد المطّلب واحتمله ، وارتجز يقول :

لم يبننى عمرو ولا قصى إن لم يسوّد فتى لؤى

مخيلة ما ليس فيها لى ٦

تفسير ذلك

قوله : هاتيك القُلَّة ، هى لعبة يلعبها الصبيان ، يأخذون عودين طول أحدهما نحو من ذراع ، والآخر صغير ، فيضربون الأصغر بالأكبر ، وهى يقال لها اليوم ٩ العقلة ، وكان صبيان الأحياء قديماً يلعبونها .

وقوله : وثغاء ، هى الفاجرة ، وثغت فرجها أى أفسدته وأهلكته .

وقوله : كتون ، هى اللصوق بالرجال لفجورها . ١٢

وقوله : مهملة ، هى التى لا ضابط لها .

وقول العبّاس : إنّك بذّاء ، أى تقول الفجر .

وقول عبد المطّلب : لم يبننى عمرو ولا قصىّ : يرفع نسبى ، بنيت الشىء أى ١٥ رفعته ، وعمرو هو هاشم ، وقصىّ هو أبو عبد مناف ، وكان اسمه زيداً ثم لقب قصيًّا ؛ لأنّه كان قاصياً عن قومه ثم قدم عليهم فجمعهم فى الحرم فسمّى مجمّعاً .

---

(٣) بذاء قئول : بذا قوول (٨) طول : طوال (١٠) وكان : وكانوا

(١٥) عبد المطلب . أبوط

قال الشاعر :

أبوهم قصىٌّ كان يدعى مُجَمِّعاً به جمع الله القبائل من فهرِ

وقوله : لؤىّ، هو لؤىّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، والنضر عند
٣
أكثر النسّابين هو قريش ، وقد تقدّم القول فى ذلك .

وقوله : المخيلة ، هى الميسم والعلامة ، يخال من أجلها أى يظنّ ، وقد ظهرت
٦ على فلان مخيلة خير .

وقوله : ليس فيها لىّ ، اللىّ هو المَطل ، والله أعلم .

ويروى أن قريشاً سوّدت العباس رضى الله عنه فى حال صغره ، وذلك أنّهم
٩ كانوا إذا حضرتهم الحرب أقرعوا بين السّادات منهم (١٠١) ، فأيّهم خرج سهمه
قدّموه وصدروا عن رأيه ، فأدخلوا معهم فى القرعة مرّة العبّاس وهو صغير ،
لما كان يبدو عليه من النجابة ، فخرج سهمه فأجلسوه على ترس وأحاطوا به ،
١٢ وذلك فى حرب الفجار .

وروى أن الإسلام أدرك العبّاس رضى الله عنه وجَفْنَتُه دائرة على فقراء
قريش من بنى هاشم ، وجنده مُعَدّان لسفهائهم ، وانتهت السيادة بمكّة إليه
١٥ وإلى أبى سفيان بن حرب ، وفى ذلك قال العبّاس بن مرداس السُّلَمى يأمر رجلا
من قومه كان ظلم بمكّة أن يعوذ بهما مستجيراً ، فقال :

إن كان جارك لم تنفعك ذمّته وقد شربت بكأس الذلّ أنفاسا
١٨ فأتِ البيوت وكن من أهلها صَدَداً لا يلق باديهم فحشا ولا باسا
وثَمّ كن بفناء البيت معتصماً تلق ابن حرب وتلق القرم عبّاسا
قرما قريشٍ وحلّا فى ذوائبها المجد والحزم ما حازا وما ساسا

---

(٩) بين : بينهم

ساق الحجيج وهذا ياسر فلج والمجد يورث أخماسا وأسداسا

وكانوا يفتخرون به ، وإذا قمروا شيئاً لم يأخذوه وأطعموا ذوى الحاجة .

وقوله : فلج ، أى غالب لمن قمره فى الميسر ، وإنّما كانوا يتقامرون على ٣ الجزر ، ويقسّمون لحمها على عشرة أنصبة ، ثم يضربون عليها بالقداح ، ثمّ إنّ العبّاس انفرد بسيادة قريش ، وشهد له النبي ﷺ فقال : « هذا العبّاس أجود قريش كفّاً وأوصلها يداً » . ٦

ذكر عمّاته ﷺ

وكان له من العمّات ست :

صفيّة بنت عبد المطّلب ، أسلمت وهاجرت ، وهى أمّ الزّبير بن العوّام ، ٩ توفّيت بالمدينة فى خلافة عمر (١٠٢) رضى الله عنه ، وهى أخت حمزة لأمّه .

عاتكة ، أسلمت ، وهى صاحبة الرُّؤيا فى بدر[1] ، وكانت عند أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، فولدت له عبد الله ، أسلم وله صحبة[2] ، وزهيراً ١٢ وقريبة الكبرى .

أروى ، وكانت عند عمير بن وهب بن عبد الدّار بن قصىّ ، فولدت له طليب بن عمير ، وكان من المهاجرين الأوّلين شهد بدراً ، وقُتل بأجنادين شهيداً ، ١٥ ليس له عقب .

(٤) أنصبة : أنصبا (٦) يدا : لا (٨) ست : ستة (١١) الرؤيا : الروياء
(١٢) زهيرا : زهير

(١) انظر فيما سبق
(٢) نهاية الأرب ، ١٨ : ٢٢٢ ، هامش٢ : إفراد عبد الله بالصحبة يشعر أن زهيرا ليس بصحابى : والذى فى شرح المواهب أنهما أسلما وصحبا

أمية ، كانت عند جحش بن [رئاب[1]] ، ولدت له عبد الله ، قتل بأحد شهيداً ، وأبا أحمد الشاعر الأعمى ، واسمه عبيد[2] ، وزينب زوج النبي ﷺ ، وحبيبة وحمنة ، كلهم لهم صحبة ، وعبيد الله بن جحش ، أسلم ثم تنصر ومات بالحبشة كافراً .

برّة ، وكانت عند عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له أبا سلمة ، واسمه عبد الله ، وكان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ ، وتزوجها بعد عبد الأسد أبو رهم بن عبد العزّى بن أبي قيس ، فولدت له أبا سبرة بن أبي رهم .

أم حكيم ، وهي البيضاء ، وكانت عند كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، فولدت له أروى بنت كريز ، وهي أم عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ذكر مواليه ﷺ

كان عدة مواليه ﷺ من الرجال واحداً وثلاثين نفراً ، منهم : زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي وكان لخديجة رضي الله عنها ، فاستوهبه ﷺ منها وأعتقه .

ابنه أسامة بن زيد ، وكان يقال حِبّ رسول الله ﷺ بن حب رسول الله ﷺ (١٠٣) .

ثوبان بن بجدد ، وكان له نسب في اليمن .

---

(٥) أبا سلمة : أبا مسلمة (١١) واحدا وثلاثين : أحد وثلثين

---

(١) كذا في المواهب اللدنية ، ٣ : ٣٤٦ ، وفي الأصل : ريان ، وهو تصحيف ؛ وفي الإصابة ٤ : ٢٤٢ : حجير بن رئاب الأسدي

(٢) كذا في الأصل ، وفي المواهب : عبد

أبو كبشة ، من مولّدى مكّة شرّفها الله تعالى وقيل إنه من دوس واسمه سليم ، شهد بدراً ، ابتاعه ﷺ ثم أعتقه ، وتوفّى فى أوّل يوم استخلف عمر بن الخطّاب رضى الله عنه . ٣

أنسة[1] من مولدى السراة ، اشتراه ﷺ وأعتقه .

شُقْران واسمه صالح ، قيل ورثه من أبيه ، وقيل اشتراه من عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وأعتقه . ٦

رَبَاح ، أسود نوبى ، اشتراه من وفد عبد القيس فأعتقه .

يسار ، نوبى ، أصابه ﷺ فى بعض غزواته وهو الذى قتله العُرَنيّون ، قطعوا يده ورجله ، وغرزوا الشوك فى عينيه ، واستاقوا لقاح النبى ﷺ ،وأدخل المدينة ميّتاً . ٩

أبو رافع ، واسمه أسلم،وقيل إبراهيم .وكان عبداً للعبّاس فوهبه النبى ﷺ ، فأعتقه حين بشّره بإسلام عمّه العبّاس وزوّجه سلمى مولاته ، فولدت عبيد الله ، وكان عبيد الله كاتباً لعلىّ عليه السّلام خلافته كلّها . ١٢

أبو موهبة[2] من مولّدى مزينة اشتراه وأعتقه فضالة ، نزل الشام ومات بها . ١٥

رافع ، كان مولى لسعيد بن العاص ، فورثه ولده فأعتقه بعضهم وأمسك بعضهم ، فجاء رافع إلى النبى ﷺ يستعينه ، فوهب له ، وكان يقول : أنا مولى رسول الله ﷺ . ١٨

مِدْعَم ، أسود وهبه له رفاعة بن زيد الجذامى ، قتل بوادى القرى ، أصابه

---

(١) كذا فى الإصابة ، ١ : ٧٥ ، وفى الأصل أنيسة

(٢) راجع فى الاختلاف فى صحة اسمه الإصابة ، ٤ : ١٨٨

سهم ، وهو الذى قال فيه رسول الله ﷺ : « إنّ الشملة التى غلّها تشتعل عليه فاراً[1] » .

٣ كركرة ، كان على ثقل النبى ﷺ ، وكان نوبياً ، أهداه له هوذة بن علىّ الحنفى فأعتقه .

زيد ، جدّ [بلال بن يسار بن زيد[2]] .

٦ طهمان ، [مابور[3]] القبطىّ أهداه (١٠٤) له المقوقس صاحب مصر .

واقد ، أبو واقد . هشام ، أبو ضميرة ، حنية ، أبو عسيب ، أبو عبيد .

سفينة ، كان سفينة هذا عبداً لأمّ سلمة زوج النبى ﷺ فأعتقته ، واشترطت

٩ عليه أن يخدم النبى ﷺ [مدة][4] حياته ، فقال : لو لم تشترطى علىّ مافارقته ، وكان اسمه رباح ، وقيل مهران ، فسمّاه ﷺ سفينة ، لأنّه كان معهم فى سفر ، وكان كلّ من أعيا ألقى عليه متاعه ، ترساً أو سيفاً ، فمرّ به النبى ﷺ وقد

١٢ أوسق[5] متاعاً ، فقال : « أنت سفينة » ، وكان أسود من مولّدى الأعراب .

أبو هند ، وهو الذى قال فى حقّه : « زوّجوا أبا هند وتزوّجوا إليه » ، ابتاعه منصرفه من الحديبية وأعتقه .

١٥ أنجشة ، وكان حادياً للجمال ، وهو الذى قال له : « رويدك يا أنجشة ، رفقاً بالقوارير » .

---

(٣) كركرة : ا كوكرة (٧) أبو عسيب : اعسيب
(٨) واشترطت : واشرطت (٩) لو : ولو (١١) ألقى : ألقا
(١٥) أنجشة : الجشه || يا أنجشة : يا نحسه

---

(١) الغل : أخذ شىء من الغنيمة قبل القسمة ، وقد أخذ مدعم شملة من فىء المسلمين يوم خيبر قبل القسمة (٢) كذا فى المواهب ، وفى الأصل : هلال بن يساو بن رند

(٣) كذا فى المواهب ، وفى الأصل : ماثور

(٤) زيادة من نهاية الأرب ، ١٨ : ٢٣٣

(٥) أوسقت البعير : حملته حمله ، لسان العرب

أبو لبابة ، كان لبعض عمّاته فوهبته له فأعتقه .

رويفع ، سباه من هوازن وأعتقه ﷺ .

قلت : هؤلاء المشهورون ، وقد قيل إنّهم أربعون رجلاً ، والله أعلم . ٣

ذكر الإناث من مواليه ومن اصطفى منهنّ لنفسه

أمّا سراريه ﷺ : مارية القبطيّة ، أمّ إبراهيم ولده ﷺ ، وريحانة بنت عمرو القريظيّة ، اصطفاها لنفسه من سبي بني قريظة . ٦

وأمّا خدمه فخمس : سلمى أمّ رافع ، وبركة أمّ أيمن ، ورثهـا من أمّه وكانت حاضنته ﷺ ، وميمونة بنت سعد ، وقيل إنّها من جملة من اصطفاهنّ لنفسه ، مع خلاف فى ذلك ، [وخضرة][(١)] ورضوى . ٩

ذكر من خدمه من الأحرار ﷺ

وهم أحد عشر نفراً : أنس بن مالك بن النّضر الأنصارى (١٠٥) .

هند وأسماء ابنتا حارثة الأسلميّتان . ١٢

ربيعة بن كعب الأسلمىّ .

عبد الله بن مسعود ، وكان صاحب نعليه إذا قام ألبسه إيّاهما ، وإذا جلس جعلهما فى [دراعته[(١)]] حتى يقوم . ١٥

عقبة بن عامر الجهنى ، وكان صاحب بغلته يقود به فى الأسفار .

بلال بن رباح المؤذّن .

---

(١) أبو لبابة : ابى لبابه (٣) المشهورون : المشهورين (٤) اصطفى : اصطفا
(٥) سراريه : سرايه (٨) اصطفاهن:اصطفاها (١١) أحد : إحدى
(١٢) ابنتا حارثة الأسلميتان : ابنا حارثة الأسلميان

---

(١) كذا فى نهاية الأرب ، ١٨ : ٢٢٥ ، وفى الأصل : دواعيه ، والدراعة نوع من الثياب

سعد مولى أبى بكر الصدّيق .

ذو مخمر ابن أخى النجاشى ملك الحبشة ، وقيل ابن أخته ، ويقال ذو مخبر .

٣ بكير بن شدّاخ الليثىّ .

أبو ذرّ الغفارىّ ، رضى الله عنهم أجمعين .

ذكر من كان يحرسه فى غزواته ﷺ

٦ وهم ثمانية نفر : سعد بن معاذ ، حرسه يوم بدر حين نام بالعريش ، ذكوان ابن عبد الله بن قيس ، محمد بن مسلمة الأنصارى ، حرسه بأحد ، الزّبير بن العوّام ، حرسه يوم الخندق ، عباد بن [بشر[١]] ، كان يلى حرسه ، سعد بن أبى وقّاص ، ٩ أبو أيّوب الأنصارى ، حرسه بخيبر ، بلال ، حرسه بوادى القرى ، ولمّا نزلت : « يا أيها الرّسول بلغ ما أنزل إليك من ربّك » إلى قوله « والله يعصمك من الناس[٢] » ترك الحرس .

١٢ ذكر رسله إلى الملوك والقبائل

قلت : قد تقدّم القول فى ذكر ذلك ، وما كان بين المقوقس ، وبين حاطب ابن أبى بلتعة ، ولم نذكر ما تمّ لبقيّة رسله ، فأردنا أن نذكر ذلك ها هنا ، ١٥ وبالله نستعين .

أمّا الرسل فعدّتهم أحد عشر : عمرو بن أميّة الضمرىّ ، أرسله إلى النجاشى ، واسمه أصحمة ، ومعناه عطية ، فأخذ الكتاب ، ووضعه على عينيه ونزل عن

(١) أبى بكر : أبو بكر (٩) نزلت : نزل (١٠) يا أيها : يايها
(١٤) بلتعة : بليغة (١٦) أحد عشر : احدى عشر

(١) كذا فى الإصابة ، ٢ : ٢٦٣ ، وفى الأصل : بشير (٢) سورة المائدة ، ٦٧

سريره فجلس على الأرض ، وأسلم وحسن إسلامه ، وصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب ، وقد تقدّم ذلك ، وروى أنّه كان لا يزال يرى على قبره النور .

دحية بن خليفة الكلبي ، بعثه (١٠٦) إلى قيصر ملك الروم ، واسمه ٣ هرقل ، فسأله عن النبي ﷺ ، وثبت عنده صحة نبوّته فهمّ بالإسلام ، فلم توافقه الروم ، وخافهم على ملكه فأمسك .

عبد الله بن حذافة السّهميّ ، بعث إلى كسرى ملك فارس ، فمزّق الكتاب، ٦ فقال ﷺ : « مزّق الله ملكه » فمزّق الله ملكه ، وملك قومه فهل ترى لهم من باقية .

حاطب بن أبي بلتعة اللخمى ، بعثه إلى المقوقس ، وقد تقدّم ذكر ذلك . ٩

عمرو بن العاص ، بعثه إلى ملكى عمان جيفر وعبد ابنى الجلندى وهما من [الأزد[1]] ، فأسلما وصدقا ، وخلّيا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بينهم ، فلم يزل عندهم حتى توفى ﷺ . ١٢

سليط بن عمرو العامرى ، بعثه إلى هوذة بن علىّ الحنفى ، فأكرمه ونزّله ، وكتب إلى النبي ﷺ : ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ، وأنا خطيب قومى وشاعرهم ، فاجعل لى بعض الأمر ، فأبى النبىّ ﷺ ، ولم يزل ، ومات زمن ١٥ الفتح .

شجاع بن وهب الأسدى ، بعثه إلى الحارث بن أبي شمر الغسّانى ملك البلقاء من أرض الشام ، قال شجاع : فانتهيت إليه وهو بغوطة دمشق ، فقرأ كتاب

(٩) بلتعة : بليغه (١٤) تدعو : تدعوا (١٨) فانتهيت : فأنهيت

(١) كذا فى ابن سعد، ١ : ٢٦٢ ، وفى الأصل: الأسد

رسول الله ﷺ، ثمّ رمى به، وقال : أنا سائر إليه ، وعزم على ذلك فمنعه قيصر .

المهاجر بن أبي أميّة المخزوميّ ، بعثه إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك

٣ البحرين[1] ، فأسلم وصدق إسلامه .

وأبو موسى الأشعرى بعثه إلى اليمن .

ومعاذ بن جبل ، رفيقه فكانا جميعاً فى حملة اليمن داعين إلى الإسلام ، فأسلم

٦ عامّة أهل اليمن ، ملوكهم وعامّتهم ، طوعاً من غير قتال ، والله أعلم .

ذكر كتّابه ﷺ

وهم ثلاثة عشر نفراً : أبو بكر الصّدّيق رضى الله عنه ، عمر بن الخطّاب

٩ رضى الله عنه (١٠٧) عثمان بن عفّان رضى الله عنه ، علىّ بن أبى طالب رضى

الله عنه، عامر بن فهيرة رضى الله عنه ، عبد الله بن أرقم رضى الله عنه ، أبىّ بن

كعب رضى الله عنه ، ثابت بن قيس رضى الله عنه ، خالد بن سعيد رضى الله عنه،

١٢ حنظلة بن الرّبيع الأسدىّ ، زيد بن ثابت رضى الله عنهما ، معاوية بن أبى سفيان

رضى الله عنه ، شرحبيل بن حسنة رضى الله عنه . وكان معاوية وزيد بن ثابت

ألزمهما لذلك وأخصّهما به ، والله أعلم .

---

(٨) ثلاثة : ثلثة

---

(١) فى ابن سعد، ١ : ٢٦٣ أن الذى بعثه النبى صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين إنما هو العلاء بن الحضرمى ، أما المهاجر بن أبى أمية المخزومى فقد بعث إلى الحارث الحميرى ملك اليمن

ذكر رفقائه النجباء رضوان الله عليهم أجمعين

وهم اثنا عشر نفراً : أبو بكر ، عمر ، عليّ ، حمزة ، جعفر ، أبو ذرّ ، المقداد، سلمان ، حذيفة ، ابن مسعود ، عمّار ، بلال ، وكان عليّ عليه السّلام والزّبير ، ٣ ومحمّد بن مسلمة ، وعاصم بن أبي الأفلح ، والمقداد بن الأسود ، يضربون الأعناق بين يديه .

ذكر دوابّه ﷺ ٦

وكان له ﷺ عشرة أفراس : السَّكْب : وهو أوّل فرس ملكه ، وأوّل فرس غزا عليه ، اشتراه من أعرابي من بني فزارة ، وكان تحته يوم أحد ، وكان اسمه عند الأعرابي الضرس سمّاه رسول الله ﷺ السكب ، وكان أغرّ محجّلاً ، ٩ طلق اليمين ، له [سمحة[1]] ، وسابق عليه فسُبِق ، وكان أعزّ خيله عليه .

المُرْتَجِز : اشتراه من أعرابي من بني مرّة ، وجحده الأعرابي ، وقال : من يشهد لك فشهد له خزيمة بن ثابت ، فقال : « كيف تشهد على ما لا تحضر » ؟ ١٢ فقال : يا رسول الله ، نصدّقك في خبر السماء ، ولا نصدّقك في خبر الأرض ؟ فسمّاه رسول الله ذا الشهادتين .

لِزاز : أهداه له المقوقس ، وكان يعجبه ويركبه في أكثر غزواته . ١٥

اللّحيف أهداه له الربيعة بن أبي البراء [فأثابه[2]] (١٠٨) عليه فرائض من نعم بني كلاب .

(٢) اثنا : اثنى (١٥) أهداه : هداه

(١) في الأصل : بسحة ، وهو تصحيف ، والسمحة من الخيل : الطيعة المنقادة ، ويقال : ساحة سمحة ، إذا كان غلظها مستوى النبتة ، (اللسان) ، وذكر القسطلاني في شرح المواهب (٣ : ٣٨٤) من أوصاف خيله صلى الله عليه وسلم ما يتفق مع ما أثبتناه ، غير أن ابن سعد، ١ : ٤٩٠ يذكر اسم فرس آخر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الاسم قريب مما ذكره المصنف: بسحة ، يقول ابن سعد : راهن رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس يقال لها سبحة، فجاءت سابقة ، فهش لذلك وأعجبه

(٢) كذا في الطبري ، ٣ : ١٨٣ ، وفي الأصل : فأتى به

والظرب : أهداه له فروة بن عمرو الجذامىّ .

الورد : أهداه له تميم الدارى فأعطاه عمر فحمل عليه فى سبيل الله .

٣ ملاوح : وكان لأبى بردة بن [نيّار[1]] .

سبحة : سمى بذلك كونه جاء سابقا فسبح عليه .

البحر : اشتراه من تجّار قدموا من اليمن فسبق عليه ثلاث مرّات ، فمسح

٦ ﷺ وقال : « ما أنت إلّا بحر » .

وكان له ﷺ بغلة شهباء يقال لها الدُّلْدُل ، يركبها فى المدينة وفى الأسفار، أهداها له المقوقس ، وقد تقدّم ذلك ، وهى أوّل بغلة ركبت[2] فى الإسلام ،

٩ وعاشت بعده حتى كبرت وزالت أضراسها ، وكان يجشّ لها الشعير ، وبقيت إلى زمان معاوية ، وماتت بينبع .

وكانت له بغلة أخرى يقال لها فضّة ، وهبها [لأبى] بكر[3] ، وبغلة أخرى

١٢ يقال لها الأيليّة ، أهداها له ملك أيلة ، وكان له حمار يقال له يعفور، وعفير مات فى حجّة الوداع ، والله أعلم .

ذكر نعمه ﷺ

١٥ كانت له عشرون لقحة بالغابة ، يراح له كلّ ليلة منها بقربتين من اللبن ، من أسمائهم : لقاعز ، والحنّاء ، والسّمراء ، والعريس ، والسعدية ، والبُغُوم ، [واليُسَيْرة[4]] ، [والرّيا[4]] ، وكانت له لقحة تدعى بردة ، أهداها له

(٥) ثلاث : ثلث (١٢) الأيلية : أيلية (١٧) تدعى : تدعا

(١) كذا فى الإصابة ، ٤ : ١٨ ، وفى الأصل : ثيار

(٢) كذا فى الأصل ، وفى الكامل لابن الأثير ، ٢ : ٣١٤ : رؤيت

(٣) كذا فى الطبرى ، ٣ : ١٨٣ ، وفى الأصل : وهبها من ابى

(٤) اليسيرة والريا : كذا فى الطبرى ، ٣ : ١٨٣ ، وفى الأصل : النسيره والزبا ، وقد وردت هذه القائمة فى الطبرى فى الموضع المذكور ، وفى نهاية الأرب ، ١٠ : ١١٤ دون ذكر لأول اسم منها وهو لقاعز

الضحاك بن سفيان ، كانت تحلب كما تحلب لقحتان غزيرتان ، وكانت له [مَهْرِيَّة[١]] أرسلها إليه سعد بن عبادة من نعم بنى عقيل ، وكانت له القصواء ابتاعها أبو بكر وأخرى [معها][٢] من بنى قشير بثمان مائة درهم ، وهى التى هاجر ٣ عليها ، وكانت إذ ذاك رباعيّة ، وكان لا يحمله إذا نزل عليه الوحى غيرها ، وهى العضباء والجدعاء ، وهى التى سُبقت فشقّ ذلك على المسلمين فقال ﷺ (١٠٩) : « إن من قدر الله تعالى أن لا يرتفع شىء إلّا وضعه الله » . وكان له ﷺ ٦ مائة من الغنم ، ولم يعلم أنه أقنى شيئًا من البقر ، وكان [له][٣] سبع شياة ، وهنّ عجرة ، وزمزم ، وسُقْيَا ، وبَرَكة ، [وَوَرْسَة[٤]] ، وأطلال ، وأطراف ، وكانت ترعاهنّ أمّ أيمن ، وكانت له شـاة يختصّ بشرب لبنها تدعى غَيْثة ، ٩ وكان له ديك أبيض ، ذكره أبو سعد ، والله أعلم .

ذكر سلاحه ﷺ

وكانت له أربعة رماح ، ثلاثة أصابها من رماح بنى قينقاع ، واحد يقال له ١٢ المثنّى ، وكان له عنزة وهى حربة دون الرمح ، كان يمشى بها فى يده ، وتحمل بين يديه فى العيدين حتى تركز أمامه ، يتّخذها سترة يصلّى إليها ، وكان له محجن قدر ذراع يتناول به الشىء ، وهو الذى استلم به الركن فى حجّته ، حجّة الوداع وكان ١٥ له مخصرة سمّى العرجون ، وقضيب يسمّى الممشوق .

وكان له أربع قِسِىّ ؛ قوس من شوحط تدعى الروحاء ، وآخر من شوحط

---

(١٧) تدعى : تدعا

---

(١) كذا فى نهاية الأرب ، ١٨ : ٣٠١ ، والأصل : مهرة ، والمهرية من قرائن الإبل

(٢) إضافة من الطبرى ، ٣ : ١٨٣

(٣) زيادة من الطبرى

(٤) كذا فى الطبرى ، ٣ : ١٨٤ ، وفى الأصل : روسه

أيضاً تدعى البيضاء ، وأخرى من نبع تدعى الصّفراء ، وقوس تدعى الكتوم ، كسرت يوم بدر .

٣ وكان له جعبة تدعى الكافور ، وترس كان عليه تمثال عقاب ، أهدى له فوضع يده عليه فأذهبه الله تعالى .

وكان له تسعة أسياف : ذو الفقار [تنفّله][1] يوم بدر ، وهو الذى رأى منه

٦ كانّ فى ذبابه ثلمة فأوّلها هزيمة ، فكانت يوم أُحد ، وكان قبله لمنبّه بن الحجّاج السّهمىّ ، وثلاثة أسياف أصابها من بني القينقاع : سيف قلعىّ ، وسيف يدعى البتّار ، وآخر يدعى الحتف ، وكان له آخر سمّى المِخْذَم ، وآخر يدعى الرسوب ؛

٩ وآخر ورثه من أبيه ، وآخر يقال له العضب ، وهو أوّل سيف تقلّد به ﷺ (١١٠) ، قال أنس بن مالك : كان نعل سيف رسول الله ﷺ فضّة ، [وقبيعته][2] فضّة وما بين ذلك حَلَق فضّة .

١٢ وكان له درعان ، أصابهما من سلاح بنى قينقاع ، يقال لأحدهما : السعديّة ، والأخرى فضّة .

وعن محمّد بن مسلمة قال : رأيت رسول الله ﷺ يوم أُحد عليه درعاه ،

١٥ درعه ذات الفضول ، ودرعه فضّة ، ورأيت عليه يوم حنين[3] درعين : ذات الفضول والسعديّة ، ويقال كانت عنده درع داود عليه السّلام .

وكان له مغفر يسمّى السَّبُوغ ، ومنطقة من أدم مبشور ، وفيها ثلاث حلق

---

(١) نبع : نتع (٧) ثلاثة : ثلثه (١٤) درعاه : درعيه

---

(١) كذا فى نهاية الأرب ١٨ : ٢٩٦ ، وفى الأصل : عقله

(٢) كذا فى نهاية الأرب ، ١٨ : ٢٩٧ ، وفى الأصل : وقبيعه

(٣) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى ، ٣ : ١٨٥ : يوم خيبر

من فضّة ، والإبزيم من فضّة ، والطرف من فضّة .

وكان له راية سوداء يقال لها العُقَاب .

ذكر أثوابه ﷺ

٣

وترك ﷺ لمّا مات ثوبين حِبَرة[1] ، وإزاراً عمانيًّا ، وثوبين صحاريّين ، وقميصاً صحاريًّا ، وقميصاً سُحُوليًّا ، وجبّة يمنيّة ، وخميصة ، وكساء أبيض ، وقلانس صغاراً لاطيه[2] ثلاثاً أو أربعاً ، وإزاراً طوله خمسة أشبار ، وملحفة مورسّة .

٦

وكان له ربعة فيها مرآة ومشط عاج ومكحلة ومقراض وسواك .

وكان له فراش من أدم حشوه ليف .

٩

وكان له قدح مضبّب[3] [بثلاث][4] ضباب ، وقيل حديد ، وفيه حلقة يعلّق بها ، يسع أكثر من نصف المُدّ ، وكان له قدح آخر يدعى الريّان ، [وتَوْر][5] من حجارة يدعى المخضب ، ومخضب من شبّة يكون فيه الحنّاء ، والكتم[6] توضع على رأسه إذا وجد حرًّا وقدح من زجاج ، ومغسل من صُفْر ، [وقصعة][7] ، وصاع يخرج به فطرته .

١٢

---

(١) والابزيم : والابزم (٤ ، ٦) وازارا : وازار

(٧) مورسة : مورثة

---

(١) الحبرة من برود اليمن ، فيها حمرة وبياض ، لسان العرب

(٢) كذا فى الأصل

(٣) مضبب : مشعب ، والإناء يصان إذا جعل شعب من فضة أو حديد أو صفر

(٤) كذا فى نهاية الأرب ، ١٨ : ٢٩٤ ، وفى الأصل : ثلاث

(٥) كذا فى نهاية الأرب ، وفى الأصل : ثور والتور الإناء الصغير

(٦) الكتم : نبت يخلط بالحناء يخضب به الشعر فيبقى لونه

(٧) كذا فى نهايه الأرب ، وفى الأصل : فضة

وكان له سرير وقطيفة ، وخاتم من فضة فصّه منه ، نقشه محمّد رسول الله ، وقيل كان من حديد ملوىّ بفضة .

٣ وأهدى له النجاشى خفّين أسودين(١١١) ساذجين فلبسهما، وكان له كساء أسود كساه فى حياته ، فقالت له يوماً أم سلمة : بأبى أنت وأمّى يا رسول الله ، ما فعل كساؤك الأسود ؟ قال : « كسوته » ، قالت : ما رأيت شيئاً قطّ كان
٦ أحسن من بياضك فى سواده .

وكانت له عمامة يعتمّ بها يقال لها السحاب ، فكساها لعلىّ بن أبى طالب عليه السّلام ، فربّما طلع علىّ فيها فيقول : « إيّاكم علىّ فى السحاب » .

٩ وكان له ثوبان للجمعة غير ثيابه التى كان يلبسها فى سائر الأيّام،وكان له منديل يمسح به وجهه الكريم من الوضوء ، وربّما مسحه بطارف ردائه ، ﷺ وكرم وعظّم .

١٢ وفى أوّل هذه السنة ــ وهى سنة إحدى عشرة ــ قبل وفاته ﷺ كان قد سيّر أسامة بن زيد إلى أرض السراة بناحية البلقاء، وأمّره على جماعة من المهاجرين والأنصار .

١٥ وفيها كان ظهور مسيلمة الكذّاب ، وفيها كان ظهور الأسود العنسى ، وكذلك ظهور طلحة بن خويلد ، وكلٌّ من هؤلاء ادّعى النبوّة، وكذلك ظهرت سجاح فى بنى تميم وادّعت النبوّة ، وكان طلحة بن خويلد قد تسمّى بذى النون،
١٨ وزعم أنه اسم الذى يأتيه بالرسالة .

وفيها كان أمر الردّة وحدثها ، وفيها كانت خلافة أبى بكر رضى الله عنه.
وفيها توجّه خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى اليمامة لحرب مسيلمة فى بنى حنيفة ،
٢١ ممّا يأتى لمع من ذلك فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه .

---

(٢١) لمع : لما

ذكر خلافة

الإمام أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه

ونسبه وبعض سيرته ٣

أمّا نسبه رضي الله عنه فهو : أبو بكر عبد الله عتيق بن أبي قحافة عثمان ابن عامر بن عمرو [بن كعب][1] بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤىّ بن غالب ، يلقى رسول الله ﷺ في مرّة بن كعب، وكان يُسمّى أبو بكر في الجاهليّة ٦ عبد الكعبة كما يأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى . أمّه تسمى (١١٢) أمّ الخير ، واسمها سلمى بنت صخر بن عامر الأكبر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة ابن كعب ، ولد رضي الله عنه بمِنًى ، روى أنّ سلمى بنت صخر وهى أمّ الصدّيق ٩ رضي الله عنه أرضعته أربع سنين ، ثم أرادت فصاله فوضعت على ثديها صبراً ، فلمّا وجد طعمه قال : يا أمّاه اغسلى ثديك ! فقالت : يا بُنيَّ ، إنّ لبنى فسد وخبث طعمه ، فقال لها : إن وجدت ذلك الخبيث قبل أن يخرج اللبن فاغسلى ١٢ ثديك ، وإن كنت قد بخلت بلبانك فإنى أصدّ عنه ، فضمّته إلى صدرها ورشفته ، وجعلت ترقّصه ، وتقول :

يا ربّ عبد الكعبهْ أَمْتِعْ به يا ربّهْ ١٥
فهو بصخر أشبهْ

ثم تحوّلت عن هذا الروىّ فقالت :

عتيق يا عتيقْ ذو المنظر الأنيقْ ١٨

---

(٢) أبي بكر : أبو بكر (٧) إن شاء : إنشاء

---

(١) زيادة من الإصابة ، ٢ : ٣٤١

والمقول الدّليقْ كالمصعب الفنيقْ
رشفت منه ريقْ كالزرنب الفتيقْ

ثم تحوّلت عن هذا الروىّ فقالت :

ما نهضت والدة عن ندّهْ أروعُ بهلول نسيجُ وَحدِهْ

ثم إنّ السرور استخفّها ، فهتفت بأعلى صوتها كما تهتف النساء عند الفرح، ودخل أبو قحافة فقال : ما بالك يا سلمى ؟ أحمقت ؟ ! فأخبرته ، بمقاله ، فقال : أتعجبين من هذا ، فوالذى كان يحلف به أبو قحافة ، ما نظرت إلى ابنك هذا قطّ إلا تبيّنتُ السّؤددَ في حماليق عينيه .

تفسير كلمات من هذا الخبر

أما قولها : عبد الكعبة ، فهو اسم كان للصدّيق رضى الله عنه ، فسمّاه النبي ﷺ : عبد الله .

وقولها : فهو بصخر أشبه ، فإنّها تعنى أباها ، وهو صخر بن عمرو بن كعب ابن تيم بن مرّة ، وهى بنت عمّ أبى قحافة .

وقولها : المنظر الأنيق ، فهو المعجب للمستحسن .

وقولها : المقول (١١٣) الدليق ، فهو اللسان الحادّ الماضى .

وقولها : كالمصعب الفنيق ، المصعب : الفحل من الإبل الّذى لم يذلّل بالعمل، والفنيق : المكرّم الممتلىء الجسم العبل[١] .

---

(٥) بأعلى : باعلا (١٥) الحاد : الحد (١٦ ، ١٧) الفنيق : الفتيق

---

(١) العبل: الضخم من كل شىء، لسان العرب

وقولها : كالزرنب الفتيق ، يقال إنّ الزرنب نبت طيّب الريح ، ويقال إنّه أخلاط من الطيب .

وقولها : أروع ، هو الحسن للنظر ، الذى يروع من رآه . ٣

وقولها : بهلول ، يقال : هو الحسن ، ويقال : الشجاعة .

وقولها : نسيج وحده، أى لاشبيه له ، وهو مثال يضرب، وأصله من الثوب النفيس ، فهو ينسج وحده . ٦

وقوله : هتفت : أى رفعت صوتها ، وكلّ مصوّت هاتف ، والله أعلم .

وروى عن القاضى الإمام أبى الحسن أحمد بن محمّد الزبيرى بإسناده ، فى كتابه المسمى معالى الفرش إلى عوالى العرش عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ٩ اجتمع المهاجرون والأنصار عند رسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر : وعيشك يا رسول الله إنّى لم أسجد لصنم قطّ ، فغضب عمر بن الخطّاب رضى الله عنه وقال: تقول وعيشك يا رسول الله إنّى لم أسجد، وقد كنت فى الجاهليّة كذا كذا سنة؟ ١٢ فقال أبو بكر رضى الله عنه : إنّ أبا قحافة أخذ بيدى فانطلق بى إلى مخدع فيه الأصنام ، فقال لى : هذه آلهتك الشمّ العلى فاسجد لها ، وخلّانى وذهب، فدنوت من الصنم ، وقلت : إنّى جائع فأطعمنى ، فلم يجبنى . فقلت : إنّى عطشان فاروِنى، ١٥ فلم يجبنى : فقلت : إنّى عارٍ فاكسُنى ، فلم يجبنى ، فأخذت صخرة وقلت : إنّى ملقٍ هذه الصخرة عليك، فإن كنت إلهًا فامنع نفسك ! فلم يجبنى، فألقيت الصخرة عليه ، فخرّ لوجهه ، وأقبل والدى، فقال: ما هذا يا بنىّ ؟ فقلت : هذا الذى ترى، ١٨ فانطلق بى (١١٤) إلى أمّى ، وأخبرها ، فقالت: دَعْه ! فهذا الذى ناجانى الله به ، فقلت : يا أمّاه ، وما الذى ناجاك به ؟ فقالت : ليلة أصابنى المخاض لم يكن عندى

(٢٠) يا أمّاه : يا ماه

أحد ، فسمعت هاتفاً يقول : يا أمة الله على التحقيق ، ألا أبشري بالولد العتيق ، اسمه في السماء الصدّيق ، لمحمد صاحب وصديق ، قال أبو هريرة رضى الله عنه : فلمّا انقضى كلام أبي بكر رضى الله عنه نزل جبريل على النبي ﷺ ، وقال : صدق أبو بكر ، فصدّقه ثلاثاً .

بويع له بالخلافة يوم قُبض رسول الله ﷺ بإجماع المهاجرين والأنصار ، وكان ذلك في سقيفة بني ساعدة ، وله من العمر يومئذ ستّون سنة وأشهر ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً ، وقُبض رضى الله عنه يوم الإثنين لعشر بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة ، وهو ابن ثلاث وستّين سنة وأشهر ، وصلّى عليه عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، ودُفن مع النبي ﷺ : قال الكلبي : سُمّ ، سَمّه يهودى ، وهو أول خليفة سُمّ ، ولم يلِ الخلافة مَنْ أبوه حيّ غير أبي بكر ، ومات في حياة أبيه ، ولحقه بعد ستّة أشهر ، والله أعلم .

ذكر شيء من أمر الرِّدّة ومنع الزّكاة

قال : أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن إسحق بن إبراهيم البغدادىّ ، قراءة عليه من كتابه في منزله ، سنة خمس عشرة وخمس مائة ، قال : حدّثنا أبو العبّاس الوليد بن حمّاد الرّملىّ ، قال : أخبرنا الحسين بن زياد التّميمىّ ، عن أبي إسماعيل محمّد بن عبد الله الأزدىّ البصرىّ ، قال : إنّ الله عزّ وجلّ لمّا قبض نبيّه ﷺ ارتدّ كثير من العرب (١١٥) عن الإسلام بعد وفاة

---

(٣) أبي بكر : أبو بكر (٤) ثلاثا : ثلاث (٧) وثلاثة : وثلثه
(٨) ثلاث : ثلث (١٠) يل : يلي

رسول الله ﷺ ، وكفروا بالزّكاة ، وقالوا : قد كنّا ندفع أموالنا إلى محمّد فما بال ابن أبى قحافة يسألنا أموالنا ؟ والله لا نعطيه منها شيئاً أبداً ، فمنعوا أبا بكر الزّكاة ، وكفروا بها ، فاستشار أبو بكر أصحاب رسول الله ﷺ فيهم ، فأجمع ٣
رأيهم جميعاً على أن يتمسّكوا بدينهم ، وأن يخلّوا بين النّاس وبين ما اختاروه لأنفسهم ، وظنّوا أنّهم لا طاقة لهم بمن ارتدّ منهم عن الإسلام ، لطول ما قاسى رسول الله ﷺ من جهاده فيهم ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : والله لو لم أجد ٦
أحداً يؤازرنى لجاهدتهم بنفسى وحدى حتى أموت ، أو يرجعوا إلى الإسلام ، ولو منعونى عقالًا ممّا كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لجاهدتهم حتى ألحق بالله ، فلم يزل أبو بكر رضى الله عنه يجاهدهم بأصحاب رسول الله ﷺ ، وبالمقبل من ٩
المسلمين مدبرهم ، حتى عادوا جميعاً إلى الإسلام ، ودخلوا فيما كانوا خرجوا منه ، فلمّا دوّخ الله عزّ وجلّ العرب ، وانتهت الفتوح من كل وجه إلى أبى بكر رضى الله عنه ، واطمأنّت العرب بالإسلام ، وأذعنت به ، واجتمعت عليه ، حدّث ١٢
أبو بكر نفسه بغزو الرّوم ، وأسرّ ذلك فى نفسه ، فلم يطلع عليه أحداً كما يأتى ذكر ذلك فى سنة اثنتى عشرة ، إن شاء الله تعالى .

وفيها أمر أبو بكر رضى الله عنه بجمع القرآن العظيم ، وفيها مات عبد الله ١٥
ابن أبى بكر رضى الله عنهما ، وهو أعرق الناس فى صحبة رسول الله ﷺ ، فإنّه وأباه وجدّه كلّهم رأوا النبىّ ﷺ وصحبوه .

---

(١٣) أحدا : أحد (١٤) إن شاء : إنشاء (١٧) وأباه : وأبوه

ذكر سنة اثنتى عشرة للهجرة النبويّة

النيل المبارك فى هـذه السّنة :

٣ الماء القـديم خمسة أذرع وسبعة أصابع ، مبلغ الزيادة ثلاثة عشر ذراعاً وتسعة أصابع .

ما لُخّص من الحوادث

٦ الإمام أبو بكر رضى الله عنه خليفة رسول الله ﷺ فى هذه [السّنة] (١١٦) بالمدينة، على ساكنها أفضل الصّلاة والسّلام، ومكّة شرّفها الله تعالى دار الإسلام، ومصر فى يد المقوقس ملك القبط ، وهو يقوم بالخراج للرّوم بالشّام والشام فى يد
٩ قيصر هرقل ملك الرّوم ، والعراق وفارس والعجم فى مملكة الفرس ، واليمن دار إسلام أكثرها ، فيها سار خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى اليمامة ، وقتل مسيلمة الكذّاب ، وصالح الحِيرة من طرف بلاد العراق على تسعين ألف درهم ، وصالح
١٢ بانقيا وباروسما على عشرة آلاف درهم ، وفتح الأنبار ، واستشهد من المسلمين باليمامة ألف ومائتا رجل ، منهم سبعون يجمعون القرآن .

ذكر لمع من خبر مُسَيلمة وسَجَاح

١٥ ادّعت سجاح وهى ببنى تميم النّبوّة بعد وفاة النبى ﷺ ، وكان فيما ادّعت به أنّه أنزل عليها : يا أيّها المؤمنون لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكن قريشاً قوم يبغون ، فاجتمعت بنو تميم كلّها لينصروها ، وكان منهم الأحنف
١٨ ابن قيس ، وحارثة بن بدر ، ووجوه تميم كلّها ، وكان قيس بن عاصم مؤذّنها لأنّه ارتدّ بعد الإسلام ثم عاد فأسلم .

---

(٣) وسبعة : وسبع (٣و٤) ثلاثة ـ ذراعا وتسعة : ثلث ـ ذراع وتسع
(١٣) ومائتا : ومائتى (١٤) لمع : لمعا (١٦) يا أيها : ياايها
(١٧) لينصروها : لينصرونها

ولمّا بلغها خبر مسيلمة الكذّاب وأنه ادّعى أيضاً النبوّة ، وأنّه يزعم أنه نزل عليه قرآن ووحى ، فجمعت جيوشها وقالت لبنى تميم : إنّ الله لم يجعل هذا الأمر فى ربيعة وإنّما اختص به مضر ، فأطاعوها وساروا معها بجموعهم لحرب ٣ مسيلمة فى بنى حنيفة ، وبلغ مسيلمة خبرها فاشتدّ عليه ذلك ، وتحصّن فى اليمامة ، فجاءت سجاح وجيوشها من تميم وغيرها ، فأحاطت به فأرسل إلى وجوه قومه ، وقال : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن تسلّم هذا الأمر إليها وتدعنا ، فإن لم تفعل فهو ٦ البوار (١١٧) فقال : أنظرونى .

وكان مسيلمة داهية من أكبر دهاة العرب ، ثم بعث إليها يقول : إنّ الله جلّ ذكره — عن زعمه — أنزل إلىّ كتاباً وعلىّ وحياً قرآناً ، وأنت تدّعين ٩ كذلك ، فهلمّ نجتمع فنتدارس ، فمن عرف الحقّ تبعه ، فاجتمعنا فأكلنا العرب قاطبة بقومى وقومك ، فأجابت لذلك ، فأمر مسيلمة أن تضرب قبّة من أدم وأمر بالعود والمندل ، فسجر[1] فيها ، وقال : أكثروا من الطيب ، فإنّ المرأة إذا ١٢ تنشقت رائحة الطّيب حنّت للباه ، ففعلوا ذلك ، واجتمعا فى تلك القبّة ، ولم يكن بينهما ثالث ، فقالت : هات ما أنزل عليك . فقال : ألم تر كيف فعل ربّك بالحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق وحشى ، ومن بين ذكر وأنثى ، ثم إلى ١٥ ربّك المنتهى ، قالت : ثم ماذا ؟ فقال : ألم تر أنّ الله خلقنا أفواجاً ، وجعل النساء للرّجال أزواجاً ، نولج فيهن [قعساً][2] إيلاجاً ، ونخرجها منهنّ إخراجاً ، وهو مع ذلك يتراءى لها بفرموله وقد أنعظ ، فلحّت ببصرها نحوه ، ثم قالت وقد ١٨ الانت كلامها : فبأىّ شىء أمرك ، فما أظنّك إلّا على حقّ دونى ، فقال :

(١٥) وحش : وحشا (١٨) يتراءى : يترااا

(١) السجر : إيقادك فى التنور ، تسجره بالوتود سجرا ، لسان العرب
(٢) كذلك فى الطبرى ، ٣ : ٢٣٩ ، وفى الأصل : فيسهن

ألا قومى إلى الخدع فقد هيّء لك للضجعْ
فإن شئتِ سلقناك وإن شئتِ على أربعْ
٣ وإن شئتِ بثلثيه وإن شئتِ به أجمعْ

فقالت : بل به أجمع يا نبى الله ، فقام إليها ، فقام إليها وواقعها ، فلمّا قام عنها قالت : إنّ مثلى لايجرى أمرها هكذا ، فتكون وصمة على قومى ، ولكنّى مسلمّة ٦ الأمر إليك ، ومعترفة بأمرك ، واخطبنى من أوليائى يزوّجوك ، فخرجت وخرج ، واجتمع الحيّان ، فقالت لهم سجاح : إنّه قد قرأ علىّ ما أنزل عليه فوجدته حقًّا فاتبعته .

٩ ثم إنّه خطبها من قومها فزوّجوه (١١٨) وسألوه عن المهر فقال : قد وضعت عن تميم خاصة صلاة العصر[١] ، فبنو تميم إلى الآن بالرّمل لايصلّون العصر ، ويقولون هذا حقّ لنا ، ومهر كريمة منّا ، ويفخرون بذلك ، وفى ذلك قال الشاعر :

١٢ أضحت نبيّتنا أنثى يُطاف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

وقيل : أسلمت سجاح بعد قتل مسيلمة ، وكان عمره إلى حين قُتل مائة وخمسين سنة .

١٥ وفيها شرب خالد بن الوليد السمّ ، وقال : بسم الله وبالله ربّ الأرض والسّماء الذى لايضرّ مع اسمه شىء ، فلم يضرّه ذلك .

وفيها حجّ أبو بكر رضى الله عنه بالنّاس ، واستخلف عثمان بن عفّان رضى ١٨ الله عنه بالمدينة .

وفيها كانت البعوث إلى الشام .

---

(٥) هكذا : هكذى (٧) قرأ : قرى (١٠) فبنو : فبنى
(١٢) وأصبحت : وأضحت (١٤) وخمسين : وخمسون (١٩) كانت : كان

---

(١) فى الطبرى ، ٣ : ٢٤٠ : وذكر الكلبى أن مشيخة بنى تميم حدثوه أن عامة بنى تميم بالرمل لا يصلونهما

ذكر ابتداء فتح الشام وما لخّص عنه

وذلك أنّ أبا بكر رضى الله عنه لما حدّث نفسه بغزو الروم ، وكتم ذلك فى سرّه ، فبينما هو فى ذلك إذ جاءه شرحبيل بن حسنة فقال : يا خليفة رسول الله ، ٣
أتحدّث نفسك أن تبعث إلى الشام جنداً ؟ فقال : نعم ، قد حدّثت نفسى بذلك فما أطلعك عليه ؟ فقال : إنّى رأيت فيما يرى النائم كأنّك فى ناس من المسلمين
فوق جبل ، فأقبلت تمشى معهم حتى صعدت منه إلى قبّة عالية أعلى الجبل ، فأشرفت ٦
على الناس ومعك أصحابك أولئك ، ثم إنّك هبطت من تلك القبّة إلى أرض سهلة دمثة ، فيها القرى والعيون والزروع والحصون ، فقلت : يا معشر المسلمين
شنّوا الغارة على المشركين ، فأنا الضامن لكم الفتح والغنيمة ، وأنا فيهم ومعى ٩
راية فتوجّهت (١١٩) بها إلى أهل القرية ، فدخلتها فسألونى الأمان ، فأمّنتهم ثم جئت ، فأجدك قد انتهيت إلى حصن عظيم ففُتح لك ، وألقوا إليك السلم ،
وجُعل لك عرش فجلست عليه ، ثم قال لك قائل : يفتح الله عليك وينصرك ، ١٢
فاشكر ربّك واعمل بطاعته . ثمّ قرأ عليك : « إذا جاء نصر الله والفتح . . » إلى آخر السورة ، ثم انتهت .

قال أبو بكر رضى الله عنه : نامت عينك ، ثم دمعت عيناه ، وقال : أمّا ١٥
الجبل الذى رأيت ، فإنّا نكابد من أمر هذا الجند مشقّة ويكابدونه ، ثم نعلو بعد ويعلو أمرنا ، وأمّا نزولنا من القبّة إلى تلك الأرض الدمثة السهلة ذات
الزروع والحصون ، فإنّا ننزل إلى أمر أسهل ممّا كنا ، فيه الخصب والمعاش ، وأمّا ١٨
قولى للمسلمين : شنّوا الغارة ، فإنّى ضامن لكم الفتح والغنيمة ، فإنّ ذلك توجيهى

---

(١٠) فتوجهت : فتودهلت (١٢) عرش : عرشا
(١٦) نعلوا : نعلو (١٧) يعلوا : ويعلو (١٩) للسلمين : المسلمين

إن شاء الله تعالى المسلمين إلى بلاد المشركين ، وأمرى إيّاهم بالجهاد فى سبيل الله ،
وأمّا الراية التى كانت معك فتوجّهت إلى قرية قد دخلتها فاستأمنوك فأمّنتهم ،
فإنك تكون أحد الأمراء من المتوجّهين ، ويفتح الله على يديك ، وأمّا الحصن
الذى فتح الله لى فهو ذلك الوجه يفتح الله علىّ ، وأمّا العرش الذى رأيتنى جالساً
عليه فإنّ الله عزّ وجلّ يرفعنى ويضع المشركين ، وأمّا أمرى بطاعة ربّى ، وقرأ
علىّ هذه السورة ، فإنه نعى إلىّ نفسى ، فإنّ هذه السورة حين نزلت [على
رسول الله ﷺ علم أنّ نفسه نعيت إليه ، ثم سالت عيناه بالبكاء
رضى الله عنه .

ثم قال : لآمرنّ بالمعروف ، ولأنهينّ عن المنكر ، ولأجاهدنّ من ترك
أمر الله عز وجل ، ولأجهّزنّ الجيوش إلى العادلين بالله فى مشارق الأرض
ومغاربها ، حتى يقولوا أحد ، أو يؤدّوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، فإذا توفّانى
(١٢٠) ربّى لم يجدنى مقصّراً ، ولا فى ثواب المجاهدين زاهداً ، ثم إنّه بعد ذلك
أمّر الأمراء وجهّز البعوث .

قال : حدّثنا الوليد بن حمّاد ، قال: حدّثنا الحسن[1] بن زياد عن أبى إسمعيل
محمّد بن عبد الله ، قال : حدّثنى الحارث بن كعب ، عن عبد الله بن أبى أوفى
الخزاعى ، وكانت له صحبة ، قال : [لمّا[2]] أراد أبو بكر رضى الله عنه أن
يجهز الجنود إلى الشام دعا عمر ، وعثمان ، وعليّاً ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن
ابن عوف ، وسعد بن أبى وقّاص ، وأبا عبيدة بن الجرّاح ، ووجوه المهاجرين

(١) إن شاء : إنشاء (٢) فأمّنتهم : فاستأمنتهم (١٧) دعا : دعى

(١) كذا فى الأصل ، وفى محمد بن عبد الله الأزدى: تاريخ فتوح الشام، طبع مصر ١٩٧٠ م ، تحقيق عبد المنعم عامر ، ١ : الحسين

(٢) كذا فى فتوح الشام ، ١ ، وفى الأصل : فلما

والأنصار من أهل بدر وغيرهم، فدخلوا عليه، قال عبدالله بن أبى أوفى الخزاعى:
وأنا فيهم ، فقال : إنّ الله تعالى لا تحصى نعمُه ، ولا تبلغ الأعمالُ جزاءها ، فله
الحمد كثيراً على ما اصطنع عندكم ، قد(١) جمع كلمتكم ، وأصلح ذات بينكم ، ٣
وهداكم إلى الإسلام ، ونفى عنكم الشيطان ، فليس يطمع أن تشركوا بالله، ولا أن
تتخذوا إلهاً غيره ، والعرب بنو أمّ وأب(٢) ، وقد أردت أن أستنفرهم إلى الروم
بالشام ، فمن هلك منهم هلك شهيداً ، وما عند الله خير للأبرار ، ومن عاش منهم ٦
عاش مدافعاً عن الدين ، مستوجباً على الله عزّ وجلّ ثواب المجاهدين ، هذا رأيى
الذى رأيت ، فليشر علىّ كلّ امرئ بمبلغ رأيه .

فقام عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النبى ٩
ﷺ ، ثم قال : الحمد لله الذى يختصّ بالخير من يشاء من خلقه ، والله ما استبقتنا
إلى شىء من الخير إلّا سبقتنا إليه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، قد والله
أردت [لقاءك](٣) بهذا الرأى الذى ذكرت ، فما قضى الله أن يكون ذلك حتى ١٢
ذكرته الآن ، فقد أصبتَ ، أصاب الله بك سبل الرشاد ، سرِّبْ إليهم الخيل فى
إثر الخيل ، وابعث الرجال تتبعها الرجال (١٢١) والجنود تتبعها الجنود ، فإن الله
عزّ وجلّ ناصر دينه ، ومعزّ الإسلام وأهله ، ومنجز ما وعد رسوله ﷺ . ١٥

ثم قام عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، فقال : يا خليفة رسول الله ،
إنّها الروم وبنو الأصفر، حدّ حديد، وركن شديد، والله ما أرى أن تقحم الخيل

(٥) إلها : الها (٦) خير : خيرا (٧) رأيى : رأى
(٨) فليشر : فيلشر || امرئ : امر (١٠) استبقتنا : استبقنا
(١٧) تقحم : تقتحم

(١) كذا فى الأصل ، وفى الأزدى : من
(٢) كذا فى الأصل ، وفى فتوح الشام : فالعرب أمة واحدة ، بنو أب وأم
(٣) كذا فى فتوح الشام ، وفى الأصل : اللقاك

عليهم إقحاماً ، ولكن تبعث الخيل فتغير فى أدانى أرضهم ، ثم تبعثها فتغير ، ثم ترجع إليك ، ثم تبعثها فتغير ثم ترجع ،فإذا فعلوا ذلك مراراً أضرّ[١] بعدوّهم، ٣ وغنموا من أدانى أرضهم فقووا به على قتالهم ، ثم تبعث إلى أقاصى أهل اليمن ، وإلى أقاصى ربيعة ومضر ، فتجمعهم إليك جميعاً ، فإن شئت عند ذلك غزوتهم بنفسك ، وإن شئت بعثت إليهم من ترى لغزوهم ، ثم جلس ، وسكت الناس .
٦ فقال لهم أبو بكر رضى الله عنه : ماذا ترون رحمكم الله ؟

فقام عثمان رضى الله عنه ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلّى على النبى ﷺ ، ثم قال : نرى أنّك ناصح لأهل هذا الدين ، عليهم شفيق ، فإذا رأيت ٩ رأيك [عامّتهم][٢] رشداً وصلاحاً وخيراً ، فاعزم على إمضائه، فإنّك غير ظنين ولا متّهم[٣] عليهم .

فقال طلحة ، والزبير ، وسعد ، وأبو عبيدة ، رضى الله عنهم ، وسعيد بن ١٢ زيد ، وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار : صدق عثمان فيما قال ما رأيت من رأى فأمضه ؛ فإنّا سامعون لك مطيعون، لا نخالف أمرك، ولا نتّهم رأيك ، ولا نتخلّف عن دعوتك وإجابتك ، فذكروا هذا وشبهه ، وعلىّ بن أبى ١٥ طالب كرّم الله وجهه فى القوم لا يتكلّم ، فقال له أبو بكر: ما ترى يا أباالحسن؟ قال : أرى أنّك مبارك ميمون النقيبة[٤] ، وأنّك إذا سرت إليهم بنفسك ، أو بعثت إليهم نصرت إن شاء الله تعالى ، (١٢٢) [فقال أبو بكر : بشّرك ١٨ الله][٥] بخير ، فمن أين علمت هذا ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال

(١٥) يا أبا : يابا (١٧) إن شاء : إنشاء

(١) كذا فى الأصل ، وفى فتوح الشام : أضروا
(٢) كذا فى فتوح الشام ، وفى الأصل : لعامتهم كان رشدا
(٣) كذا فى فتوح الشام ، وفى الأصل : ولا مهم
(٤) النقيبة : هى العقل والمشورة
(٥) التصحيح من فتوح الشام ٤ ، وفى الأصل : شكر الله ، وهو سقط وتصحيف

هذا الدين ظاهراً على كلّ من ناوأه ، حتى يقوم الدين وأهله ظاهرين » .

فقال أبو بكر : سبحان الله ، ما أحسن هذا الحديث لقد سرّك الله فى الدّنيا والآخرة . ٣

ثمّ إنّ أبا بكر قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ، وذكره بما هو أهله ، وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال : أيّها الناس ، إنّ الله عزّ وجلّ قد أنعم عليكم بالإسلام ، وأعزّكم بالجهاد ، وفضّلكم بهذا الدين على أهل كلّ دين ، ٦ فتجهّزوا عبادَ الله إلى غزو عدوّكم الروم بالشام ، فإنّى مؤمّر عليكم أمراء ، وعاقد لهم عليكم ، فأطيعوا ربّكم ، ولا تخالفوا أمراءكم ، ولتحسنْ نيّتكم وسريرتكم[1] ، فإنّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون . ٩

قال : وسكت النّاس ، فوالله ما أجابه أحد هيبة لغزو الروم ، لما يعلمون من كثرة عددهم وشدّة شوكتهم ، فقام عمر بن الخطّاب رضى الله عنه فقال : يا معشر المسلمين ، ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله ﷺ إذا دعاكم ١٢ لما يحييكم ؟

فقام خالد بن سعيد بن العاص ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ ثم قال : الحمد لله الذى لا إله إلّا هو ، بعث محمّداً ، ﷺ بالهدى ودين الحقّ ١٥ ليظهرهُ على الدين كلّه ولو كره المشركون ، فإنّ الله تعالى منجز وعده ، ومعزّ دينه ، ومهلك أعدائه ، ثم أقبل على أبى بكر فقال : نحن غير مخالفين لك ، ولا متخلّفين عنك ، وأنت الوالى الناصح الشفيق ، ننفر إذا استنفرتنا ، ونطيعك ١٨ إذا أمرتنا ، ونجيبك إذا دعوتنا : ففرح أبو بكر رضى الله عنه بمقاله ، وقال :

---

(١٢) إذا : إذ

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى فتوح الشام : وسيرتكم وطعمتكم

جزاك الله من أخ وخليلى خيراً ، فقد أسلمت مرتغبا (١٢٣) وهاجرت محتسباً ، وهربت بدينك من الكفار ، لكى يطاع الله ورسوله وتكون كلمة الله العليا ، فسر[1] رحمك الله .

قال : فتجهز خالد بن سعيد بن العاص بأحسن جهاز ، ثم أتى أبا بكر وعنده المهاجرون والأنصار ، فسلّم ثم قال : والله لئن أخرّ من رأس حالق ، أو تخطّفنى الطير فى الهواء بين السماء والأرض أحبّ إلىّ [من][2] أن أبطىء عنك ولا أجيب دعوتك ، فوالله ما أنا فى الدنيا براغب ، ولا على البقاء بحريص ، وإنّى أشهدكم أنّى وإخوتى وفتياتى ومن أطاعنى من أهلى حبيس فى سبيل الله ، نقاتل المشركين حتى يهلكهم الله ، أو نموت عن آخرنا .

فقال له أبو بكر خيراً ،ودعا له المسلمون بخير ، وقال له أبو بكر : إنّى لأرجو أن تكون من نصحاء الله فى عباده : بإقامة كتابه ، واتّباع سنّة نبيّه ﷺ ، فخرج هو وإخوته وغلمانه ومن تبعه ، فكان أوّل من عسكر إلى الروم ، ثم تبعه الناس .

وأنفذ أبوبكر رضى الله عنه إلى اليمن،فأتت حمير بنسائها وأولادها، فاستبشر أبوبكر بذلك ، ثم عقد الألوية وأمّر الأمراء المقدمين مثل:أبى عبيدة بن الجرّاح ويزيد بن أبى سفيان ، ومعاذ بن جبل ، وشرحبيل بن حسنة ، وأمّر عليهم، وأمّر على الجميع أبا عبيد بن الجرّاح ، إذا اجتمعوا كان الأمير عليهم ، فإن تفرّقوا فكلّ من هؤلاء أمير بحاله ، وأوصاهم بما يعتمدونه .

(٤) أنّى : أنا (٥) المهاجرون : المهاجرين || لئن : لان
(١٣) تبعه : تبعوه (١٦) على : عليهم (١٨) أمير : أميرا

(١) كذا فى الأصل ، وفى فتوح الشام : فتيسره
(٢) زيادة من فتوح الشام ، ٦

ذكر سنة ثلاث عشرة للهجرة النبويّة

النيل المبارك في هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع وستة عشر إصبعاً ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً ، ٣
وسبعة عشر إصبعاً .

ما لخّص من الحوادث

(١٢٤) الإمام أبو بكر الصدّيق ، رضى الله عنه ، بالمدينة إلى أن تُوفّى ٦
فى تاريخ ما تقدّم، وفيها كان عبور الجيوش الإسلاميّة إلى الشام ، وكان قد أمّر
خالد بن الوليد ثم عزله ، وولّى أبا عبيدة بن الجرّاح ، وذلك لما رأى من شفقة
أبى عبيدة على المسلمين ، وكونه لم يجسر على العبور إلى الشام ، وكان أبو عبيدة ٩
قد نزل البلقاء وصالح أهلها بعد قتال ، وهو أوّل صلح كان بالشام ، ثم إن خالد
ابن الوليد رضى الله عنه قطع للفازة لمّا جاءه أمر أبى بكر رضى الله عنه ، وهى
مفازة العلا وتبوك ، وخطم الجمال بعد ما عطّشها وسقاها ، وعاد فى كل يوم ينحر ١٢
عشرة ، فيأكلون لحومها ، ويشربون ما فى بطونها من الماء ، حتى قطع بهم
المفازة .

وفيها كانت وقعة اليرموك،وكان المسلمون أربعين ألفاً ، منهم ألف صحابى، ١٥
فيهم نحو من مائة ممّن شهد بدراً ، وكانت الروم فى مائتى ألف ، منهم ثمانون
ألف مقيّد ، وأربعون مسلسل ، وأربعون ألف مشدود بالعمائم ، كلّ ذلك لئلا
ينهزموا . وأبى الله إلّا نصرة دينه ، وإظهار كلمة الإيمان على كلمة عبدة ١٨
الصلبان .

---

(١) ثلاث : ثلث (٣) سبعه : سبع (٨) وولى : وولا
(١١) أبى بكر : أبو بكر (١٥) أربعين : أربعون (٦) بدرا : بدر
(١٧-١٨) لئلا ينهزموا : لين لا ينهزمون (١٨) وأبى : وأبا

وفيها فتحت صيدا ، وجبيل ، وبيروت ، وبيسان ، وطبرية .

وفيها كانت وقعة النساطين بكسكر ، ووقعة الجالينوس وغيرها ، وسيأتى
٣ ذكر شيء من ذلك فى أيام خلافة عمر رضى الله عنه .

وفيها كانت خلافة عمر رضى الله عنه .

وفيها كانت وفاة أبى بكر رضى الله عنه بطرف من سل ، وقيل بل من سقية
٦ اليهودى له ، حسبما تقدّم من الكلام ، والله أعلم .

وقيل إنّ أبا بكر رضى الله عنه لم يكن يأكل من بيت مال المسلمين شيئاً .
ولا يجرى عليه من الفيء درهم ، إلّا أنّه استسلف (١٢٥) من بيت المال مالًا ، فلما
٩ حضرته الوفاة أمر عائشة رضى الله عنها بردّه ، فردّته .

ومن كلام عائشة رضى الله عنها فى أبيها بعد وفاته

قالت : من جملة كلام [عن] أبى بكر : والله من لا تعطونه الأيدى ذاك
١٢ طود منيف ، وظلّ مديد ، نجح إذ كذّبتم ، وسبق إذ ونيتم ، سبق الجواد إذا
استولى على الأمد ، فتى قريش ناشئاً ، وكهفها كهلًا ، يفكّ عانيها ، ويريش ملقها
وتراب شعبها ، فمّا برحت شكيمته فى ذات الله تشتدّ ، حتى اتّخذ بفنائه مسجداً ،
١٥ يحيى فيه ما أمات المبطلون ، كان والله قيد الجوانح ، غزير الدّمعة ، شجىّ
النّشيج ، فانقضّت إليه نسوان مكّة وولدانها ، يسخرون منه ويستهزئون به ،
والله يستهزئ بهم ويمدّهم فى طغيانهم يعمهون ، وأكبرت ذلك رجالات قريش ،
١٨ فما فلّوا صفاة ، ولا قصفوا له قناة ، حتى ضرب الحقّ بجرانه ، وألقى بركنيه ،
ورست أوتاده ، فلمّا قبض الله نبيه ﷺ ضرب الشيطان رواقه ، ومدّ طنبه ،

---

(٢) بكسر : بكيسكر (٥) أبى بكر : أبو بكر

(١٦) ويستهزئون : ويستهزون

ومدّ حباله ، وأجلب بخيله ورجله ، فقام الصدّيق حاسراً مشمراً ، فردّ الإسلام على غرّة ، وأقام أود نفاقه ، فانذعر النفّاق بوطئه ، وانتاش الناسَ بعدله ، حتى أراح الحقّ على أهله ، وحقن الدماء فى أهلها . ٣

صفة الإمام أبى بكر رضى الله عنه وأرضاه

كان أبيض ، نحيفاً ، طويلا ، خفيف العارضين ، غائر العينين ، أجنأ[1] ، ناتئ الجبهة ، عارى الأشاجع[2] ، لا يستمسك إزاره ، يسترخى عن حَقْويه[3] ، ٦ يخضب ، وفى تاريخ القضاعىّ رحمه الله تعالى أنّه كان آدم اللون ، والله أعلم .

(١٢٦) ومن كلامه رضى الله عنه

المعروف بقى مصارع السوء ، والموت أشدّ ما قبله وأهون ما بعده ، أربع ٩ من كنّ فيه كان من خيار عباد الله : من فرّج للتائب ، واستغفر للمذنب، وأعان المحسن ، ودعا للمدبر ، ثلاث من كنّ فيه كنّ عليه: البغى، والنّكث، والمكر.

أسماء كُتّابه رضى الله عنه ١٢

كان كاتبه عثمان بن عفّان إلى حين وفاته ، رضى الله عنه .

أسماء حجابه رضى الله عنه

كان حاجبه سويدا ، ويقال شريف مولاه رضى الله عنه . ١٥

نقش خاتمه رضى الله عنه

كان نقش خاتمه : نعم القادر الله ، وقال ابن عبّاس رضى الله عنه : بل كان نقش خاتمه : عبد ذليل لربّ جليل ، والله أعلم . ١٨

(٤) أبى بكر : أبو بكر (٥) نحيفا طويلا : نحيف طويل || أجنأ : اجنى
(١٥) سويدا : سويد (١٧) ابن عباس : بن عباس

(١) أجنأ : أشرف كاهله على صدره
(٢) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف
(٣) الحقو ، بالفتح والكسر ، ج الكشح ، والإزار أو معقده

ذكر خلافة
الإمام الفاروق عمر بن الخطّاب
ونسبه وبعض سيرته رضى الله عنه

٣

أما نسبه ، رضى الله عنه فهو أبو حفص عمر بن الخطّاب بن نفيل بن عبد العزّى بن رَيَاح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدىّ بن كعب ، يلتقى رسول الله ﷺ فى كعب بن مرّة ، أمّه [حنتمة[1]] بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله ٦ ابن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب .

بويع له رضى الله عنه يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث عشرة للهجرة ، وله اثنتان وخمسون سنة وأشهر ، وكانت خلافته عشر سنين ، ٩ وستّة (١٢٧) أشهر ، وأربعة أيّام .

أجمع أهل العلم أنّ أفرس الناس أربعة نفر : رجلان وامرأتان ، صفراء بنت شعيب ، لما تفرّست فى موسى صلوات الله عليه ، فقالت : « يا أبت استأجره ١٢ إنّ خير من استأجرت القوىّ الأمين »[2] ، وعزيز مصر ، لما تفرّس فى يوسف صلوات الله عليه ، فقال : « أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتّخذه ولداً »[3] .

وخديجة بنت خويلد رضى الله عنها ، لما تفرّست فى رسول الله ﷺ ، فخطبته ١٥ لنفسها ، وكانت أوّل من آمن به ، فسادت سيّدة نساء العالمين ، وأبو بكر رضى الله عنه لما تفرّس فى عمر رضى الله عنه فاستخلفه على الأمّة ، فكان نعم الخليفة ، ونعم من استخلف عنه . ١٨

---

(٨) الثلاثاء : الثلثا || ثلاث : ثلث (٩) اثنتان : اثنان
(١١) أربعة : أربع

---

(١) كذا فى ابن قتيبة : المعارف ، ٧٨ ، طبع بيروت ، سنة ١٣٩٠ هـ ؛ وفى الأصل : ختيمه

(٢) سورة القصص ، ٢٦

(٣) سورة يوسف ، آية ٢١

وكان نفيل جدّ عمر شريفاً نبيلًا ، تتحاكم إليه قريش ، وولد عمر رضى الله عنه بعد الفيل بثلاث سنين ، وقيل بعد الفيل بثـــلاث عشرة سنة ، وكان عمر شديداً على المسلمين ، فلمّا أسلم أعزّ الله به دينه ، أسلم بعد أربعين رجلًا ، وإحدى عشرة امرأة . ٣

وكان لعمر فى الجاهليّة السفارة ، وكانت قريش إذا وقعت بينهم عداوة بعثوه سفيراً ، وإن نافرهم منافر أو فاخرهم بعثوه منافراً ومفاخراً ورضـــوا به ، ٦ وأسلمت فاطمة بنت الخطّاب أخته ، وزوجها سعيد بن عمرو بن نفيـــل ، وكانا يكتمان إسلامهما من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النّحام من قوم عمر من بنى عدىّ قد أسلم مستخفياً من عمر . ٩

ذكر إسلام عمر بن الخطّاب رضى الله عنه

قال : وخرج عمر يوماً متوشّحاً سيفه ، يريد رسول الله ﷺ وأصحابه ، ذكروا له أنّهم مجتمعون فى بيت عند الصفا ، معه (١٢٨) ﷺ عمّه حمـزة ، ١٢ وأبو بكر ، وعلىّ ، فى رجال من المسلمين ممّن كان أقام مـع رسول الله ﷺ بمكّة[1] ، فلقيه نعيم بن عبد الله ، فقال : أين تريد يا عمر ؟ قال : أريد محمّداً ، هذا الصابئ الذى فرّق أمرنا ، وسفّه أحلام قريش ، وعاب دينها ، وسبّ آلهتها ، ١٥ فأقتله ! فقال : غرتّك نفسك يا عمر ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمّداً ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : أىّ أهل بيتى ؟ قال : أختك ، وابن عمّك سعيد بن زيد ، فعليك بهما . ١٨

فرجع عمر إليهما وعندهما خبّاب بن الأرتّ ، معه صحيفة فيها سورة طه ،

---

(١٢) مجتمعون : مجتمعين

---

(١) بقية هذه العبارة فى سيرة ابن هشام : ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة

يقرئهما إياها ، فلمّا سمعوا حسّ عمر تغيّب خبّاب ، فلمّا دنا قال: ما هذه الهينمة[1] ؟ فأنكراه ، فقال : بلى ! قالا : لا ، فقال: قد أخبرت أنكما تابعتما محمّداً على دينه ، وبطش بسعيد ، فدفعت عنه فاطمة ، فضربها فشجّها ، فقالا له : نعم ، قد أسلمنا وآمنّا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك !

فلمّا رأى عمر الدم رقّ وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة ، لأنظر ما جاء به محمّد ، فقالت : أخشاك عليها ؟ فحلف ليردنّها ، فقالت : يا أخى ، أنت نجس مشرك ، وما يمسّها إلّا طاهر ، فقام فاغتسل وقرأ الصحيفة ، فقال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! فلمّا سمعه خبّاب خرج وقال : إنّى لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيّه ، فإنّى سمعته يقول أمس : « اللّهم أيّد الإسلام بأبى الحكم ابن هشام أو بعمر بن الخطّاب » ! فالله الله يا عمر .

فقال عمر : دلّنى يا خباب على محمّد ، فدلّه عليه ، فأخذ عمر سيفه وعمد إلى رسول الله ﷺ ، فضرب الباب عليهم ، فسمعوا صوت عمر ، ورآه رجل من خلل الباب ، فرجع فزعاً ، فقال : يارسول الله ، هذا (١٢٩) عمر متوشّحاً سيفه ! فقال حمزة : فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه ، وإن أراد شرًّا قتلناه بسيفه ، فأذن له النبى ﷺ ، وخرج إليه رسول الله ﷺ ، فلقيه فى الحجرة ، فأخذ بجمع ردائه ، وجذبه جذباً شديداً وقال[2] : « ما جاء بك يابن الخطّاب ، فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة » ، فقال : جئتك يارسول الله لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله ، فكبّر عليه السلام تكبيرة عرف

---

(٦) يا أخى : يا خى (٨) لأرجو : لأرجوا (١٤) أراد : راد

---

(١) الهينمة : صوت كلام لا يفهم

(٢) كذا فى الأصل ، وفى ابن هشام : ثم جبذه به جبذة شديدة

أهل البيت أنّ عمر قد أسلم، فتفرّق أصحاب النبي ﷺ من مكانهم، وقد عزّوا في أنفسهم، حين أسلم عمر وحمزة.

وروى أنّ عمر رضى الله عنه قال: كنت للإسلام مباعداً، وكنت صاحب ٣ شراب في الجاهليّة، وكنت أجتمع مع رجال من قريش، فخرجت أريدهم، فلم أجد أحداً منهم، فقلت: لو أتيت فلاناً الخمار، لعلّى أجد عنده خمراً فأشربها، فأتيته فلم أجده، فقلت: لو أتيت الكعبة فطفت بها سبعاً، فجئت المسجد فإذا ٦ رسول الله ﷺ قائماً يصلّى، فقلت: لو أنّي استمعت لمحمّد الليلة، حتى أسمعَ ما يقول، ثم قلت: لئن دنوت منه لأروّعنّه، فجئت من قبل الحجرة التي تحت ثيابها، فشيت رويداً، ورسول الله ﷺ قائم يصلّى ويقرأ، فلمّا سمعت القرآن ٩ رق قلبي ودخلني الإسلام.

فبتّ مكاني حتّى انصرف عليه السلام، فتبعته، فلمّا سمع رسول الله ﷺ حسّي عرفني وظنّ أنّي إنّما اتّبعته لأوذيه، فنهمني[1]، ثم قال: «ما جاء بك ١٢ يابن الخطّاب هذه الساعة؟ فقلت: جئت لأومن بالله ورسوله، وبما جاء من عند الله، قال: فحمد الله رسول الله ﷺ، ثم قال: «هداك الله يا عمر»! ثم مسح صدري، ودعا لي بالثبات، ثم دخل عليه السلام بيته، وانصرفت. ١٥

قال ابن مسعود: ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر، ولقد رأيتُنا وما نستطيع أن نطوف بالبيت ونصلّى حتّى أسلم عمر، فقاتلهم حتى تركونا نصلّى، فصلّينا وطفنا. ١٨

وقال ابن مسعود: كان إسلام عمر فتحاً، وهجرته نصراً، وإمارته رحمة،

(٥) فلانا : فلان

(١) فنهمني : أى زجرني وصاح بي، لسان العرب

قال عمر رضى الله عنه : لمّا أسلمت قلت : أىّ رجل أنقل للحديث ؟ فقيل لى : جميل بن معمر الجمحى ، فأتيته فقلت : هل علمت أنّى أسلمت وتابعت محمّداً ؟ فما راجعنى حتى قام يجرّ رداءه ، فوقف على باب المسجد ، فصرخ بأعلى صوته ، وقريش فى أنديتها حول الكعبة : ألا وإنّ ابن الخطّاب قد صبأ ، فقلت : كذب ، ولكنّى أسلمت ، ودخلت فى دين محمّد ، قال : وثاروا إلىّ فقاتلونى وقاتلتهم حتّى قامت الشمس على رءوسهم ، فقعدت وقاموا على رأسى ، فنالوا منّى .

قال عمر رضى الله عنه : فقلت : اصنعوا ما شئتم ، فأقسم لو كنّا ثلاثمائة لتركناها لكم ، أو تركتموها لنا .

قال عبد الله بن عمر : فبيناهم كذلك إذ أقبل شيخ من قريش ، عليه جبّة من أعلى مكة ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صبأ عمر ، قال : فه ! رجل اختار لنفسه أمراً فما تريدون منه ؟ ، أترون بنى عدىّ يسلمونه ، فوالله لكأنّما كانوا ثوباً كُشِف عنه .

قال عبد الله : فقلت لأبى بعد أن هاجر : يا أبتِ ، من الذى وزّع الناس عنك بمكّة يوم أسلمت جزاه الله خيراً ، قال : ذلك العاص بن وائل السهمىّ ، لاجزاه الله خيراً .

ولد عمر رضى الله عنه قبل يوم الفجار بأربع سنين ، وولدت ابنته حفصة ، زوج النبي ﷺ ، قبل المبعث بخمس سنين ، وأسلم عمر ، رضى الله عنه ، بعد المبعث فى السنة السادسة ، وهو يومئذ ابن تسع وعشرين سنة ، وتوفّى لهلال المحرم سنة أربع وعشرين (١٣١) وهو ابن ستّين سنة ، وهو الصحيح .

وشهد عمر المشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ ، وتوفّى رسول الله ﷺ وهو

(٣، ١٠) بأعلى : بأعلا (١٣) يا أبت : يابه

عنه راض ، وولى الخلافة سنة ثلاث عشرة ، فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر رضى الله عنه بوصيّة من أبى بكر، وكانت سيرته من محاسن السّير، وأنزل نفسه من مال الله تعالى بمنزلة رجل من المسلمين ، لم يستأثر بشىء دونهم . ٣

وهو أوّل من دوّن الدواوين فى الإسلام، ونوّر شهر رمضان بصلاة الأشفاع وهو أوّل من تسمّى بأمير المؤمنين ، ناداه رجل : يا خليفة الله ، قال: ذاك نبى الله داود ، قال : يا خليفة رسول الله ، قال : ذاك صاحبكم المفقود ، قال: يا خليفة خليفة ٦ رسول الله . قال : ذاك أمر يطول ، أنتم المؤمنون وأنا أميركم .

ويروى أنّه قيل له : يا عمر ، فقال : لاتبخس مقامى شرفه ، ويقال إنّ المغيرة ابن شعبة أوّل من دعاه بأمير المؤمنين ، فقال ذاك إذاً ، وقيل السبب فى ذلك أنّ ٩ عمر كتب إلى عامله بالعراق أن تبعث إلىّ رجلين نبيلين جلدين نسلهما عن العراق وأهله ، فبعث إليه لبيد بن ربيعة العامرى وعدىّ بن حاتم الطائى ، فأناخا بباب المسجد ، فلقيا عمرو بن العاص ، فقالا : استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فوثب ١٢ عمرو فقال : السّلام عليك يا أمير المؤمنين .

وكان عمر كما وصفه علىّ عليهما السلام، فقال فى كلام ذكر فيه أبا بكر وأثنى عليه ، ثم قال : ثم ولى عمر الأمر بعده ، بعد أن استشار المسلمين فيه ، فكره قوم ١٥ ورضى قوم ، فكنت ممّن رضى فلم يفارق الدنيا حتى رضى به من كان كرهه ، فأقام الأمر على منهاج صاحبيه، يتّبع آثارهما كاتّباع الفصيل أمّه، رحيماً بالضعفاء ناصراً للمظلومين (١٣٢) قويًّا فى حقّ الله وأمره ، لا تأخذه فيه لومة لائم ، ١٨ ضرب الله بالحقّ على لسانه، شبّهه رسول الله ﷺ بجبريل فى غلظته على الأعداء ، والغيظ على الكفّار ، فمن أحبّنى فليحبّهما ، ومن أبغضهما فقد أبغضنى ، وأنا منه برىء .

---

(١) راض : راضى || ثلاث : ثلاثة || أبو : أبى

وقال ﷺ : « إنّ الله جلّ جلاله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه » ، ونزل القرآن بموافقته فى أسرى بدر قال الله تعالى : « لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم »[1] ، وذلك أنه لمّا جىء بالأسرى يوم بدر قال لأصحابه: « ما تقولون فى هؤلاء »؟ فقال أبو بكر : يارسول الله، قومك وأهلك استبقهم [واستتبهم][2] ، لعلّ الله أن يتوب عليهم ، وخذ منهم فدية تكون قوة على الكفّار ، وقال عمر : يارسول الله ، كذّبوك ، وأخرجوك ، فاضرب أعناقهم ، ومكّن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه، ومكّنى من فلان – [نسيب][3] لعمر – فأضرب عنقه ، فإنّ هؤلاء أئمة الكفر ، فقال عبد الله بن رواحة : انظروا واديًا كثير الحطب ، فأدخلهم فيه ، ثم أحزمه عليهم ناراً ، فقال العبّاس : قطعتك رحم[4] .

فسكت النبى ﷺ ، فقال ناس : يأخذ بقول أبى بكر ، وقال آخرون : يأخذ بقول عمر ، وقال آخرون : يأخذ بقول ابن رواحة ، فخرج النبى ﷺ فقال : « إنّ الله سبحانه وتعالى ليليّن قلوب رجال [فيه][5] ، حتى تكون ألينَ من اللبن ، وإنّ الله سبحانه وتعالى ليشدّد قلوب رجال ، حتى تكون أشدّ من الحجارة ، وإنّ مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم ، قال : « فمن تبعنى فإنّه منّى ، ومن عصانى فإنّك غفور رحيم »[6] ، ومثلك كمثل عيسى ، قال : « إن تعذّبهم فإنّهم

(١٢) ابن رواحة : بن رواحة (١٥) يا أبا بكر : يا با بكر

(١) سورة الأنفال ، آية ٦٨

(٢) كذا فى مسند أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك ، وفى الأصل : واستان بهم

(٣) كذا فى مسند أحمد بن حنبل من حديث آخر عن ابن عباس ، وفى الأصل : لنسيب

(٤) فى مسند أحمد بن حنبل : قطعت رحمك

(٥) إضافة من مسند أحمد بن حنبل

(٦) سورة إبراهيم ، ٣٦

عبادك، وإن تغفر لهم فإنّك أنت العزيز الحكيم »[١]، ومثلك يا عمر كمثل نوح، حيث قال : « لا تذر على الأرض (١٣٣) من الكافرين ديّاراً »[٢] . ومثل موسى قال : « ربّنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتّى يروا العذاب الأليم »[٣] . ٣

ثم قال رسول الله ﷺ : « أنتم اليوم عالة ، فلا يفلتنّ أحد منكم إلّا بفداء أو ضربة عنق » ، قال عبد الله بن مسعود : إلّا سهيل بن بيضاء ، فإنّي سمعته يذكر الإسلام ، فسكت النبي ﷺ ، فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليّ الحجارة من السماء منّي في ذلك اليوم حتّى قال النبي ﷺ : « إلّا سهيل بن بيضاء »، فلمّا كان من الغد جئت النبي ﷺ ، وإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان ، فقلت: يا رسول الله ، خبّرني عن أيّ شيء تبكيان ؟ فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد تباكيت ، فقال النبي ﷺ : « أبكي على أصحابي من أخذهم الفداء ، ولقد عُرِض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة » ، لشجرة قريبة من النبي ﷺ . ٦ ٩ ١٢

قال ابن عبّاس : كان هذا يوم بدر ، والمسلمون يومئذ قليل ، فلمّا كثروا واشتدّ سلطانهم أنزل الله عزّ وجلّ : « فإمّا منّاً بعد ، وإمّا فداء »[٤] فخيّر الله سبحانه نبيّه والمؤمنين في أمر الأسارى : إن شاءوا قتلوهم واستعبدوهم ، أو فادوهم ، أو أعتقوهم ، « لولا كتاب من الله سبق »[٥] ، أي : في اللّوح المحفوظ ، بأنّ الله سبحانه يحلّ لكم الغنيمة « لمسّكم » في أخذ الغنيمة والفداء قبل أن تؤمروا « عذاب عظيم » . قال ﷺ : « لو نزل عذاب من السّماء ما نجا ١٥ ١٨

(٩) قاعدان : قاعدين (١٥) واستعبدوهم : واستيعدوهم

(١) سورة المائدة ، ١١٨ (٢) سورة نوح ، ٢٦ (٣) سورة يونس ، ٨٨
(٤) سورة محمد ، ٤ (٥) سورة الأنفال ، ٦٨

منه إلا عمر بن الخطّاب وسعد بن معاذ ، فإنهما أمسكا عمّا أخذ من الغنائم » .

وقيل معنى قوله تعالى : « لولا كتاب من الله سبق» أنّه لا يعذّب أحداً ممّن

٣ شهد بدراً مع النبي ﷺ ، لمسّكم العذاب .

ووافق عمر القرآن فى مقام (١٣٤) إبراهيم ، وذلك أنّ النبي ﷺ مرّ بالمقام

ومعه عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا مقام أبينا إبراهيم ؟ قال « نعم » ، قال :

٦ أفلا نتّخذه مصلّى ؟ فقال النبي ﷺ : « لم أؤمر بذلك » ، فلم تغب الشمس من

ذلك اليوم حتى نزلت : « واتّخِذُوا من مقام إبراهيم مصلًّى »[1] ، ووافق عمر

القرآن فى الحجاب ، وذلك أنّه قال للنبي ﷺ : إنّه يدخل عليك البرّ والفاجر ،

٩ فلو حجبت أمّهات المؤمنين ، فنزلت آية الحجاب .

قال عمر : بلغني شيء كان بين أمّهات المؤمنين وبين النبي ﷺ ، فاستعرضتهنّ

أقول لهنّ : لتكفنّ عن رسول الله أو ليبدلنّه الله عزّ وجلّ أزواجاً خيراً

١٢ منكنّ ، حتى أتيت على آخرهنّ ، فقالت أمّ سلمة : يا عمر ، ما فى رسول الله ﷺ

ما يعظ به نساءه حتى تعظهنّ ، فأمسكت ، فنزلت : « عسى ربّه إن طلّقكنّ أن

يبدله أزواجاً خيراً منكنّ »[2] الآية .

١٥ ولمّا أصاب عمرُ أرضَه بخيبر ، قال للنبي ﷺ : يا رسول الله ، ما أصبتُ

مالًا أنفس عندى منه ، فما تأمر ؟ فقال عليه السلام : « إن شئت تصدّقت بها ،

وحبست أصلها » ، فجعلها عمر صدقة لا تباع ، ولا توهب ، ولا تورث ، وتصدّق

١٨ بها على الفقراء ، والمساكين ، وأبناء السبيل ، والغزاة فى سبيل الله ، والضيف ،

---

(١٦) مالا : مال

---

(١) سورة البقرة ، ١٢٥ (٢) سورة التحريم ، ٥

وفى الرقاب، لاجناح على من وليها أن يأكل منها ، ويطعم صديقاً غير متموّل مالًا ، ثم أوصى بها إلى حفصة، ثم إلى الأكابر من ولده، وهى أوّل صدقة تُصُدِّق بها فى الإسلام .

وقال عليه السّلام: « لست أدرى ما مقامى فيكم، فاقتدوا باللّذين من بعدى: أبى بكر وعمر، واهتدوا بهدى ابن عمّار، وتمسكوا بعهد أمّ معبد»، وقال ﷺ: « أتيت فى منامى (١٣٥) بقدح لبن فشربته، حتّى رأيت الرىّ يخرج من أظافرى، ثم أعطيته عمر بن الخطّاب فشرب فضله » ، قالوا فما أوّلته يا رسول الله ؟ قال : « العـــلم » وقال عليه السّلام : « إنّ الله تعالى وضع العلم على لسان عمر ، فهو يقول به » .

قال ابن شهاب: كنا نتحدّث أنّ ملَكاً ينطق على لسان عمر، قال ابن مسعود: لو وضع علم أحياء العرب فى كفّة ، ووضع علم عمر فى كفّة لرجح علم عمر ، وقال : ما شىء أنفع من كلام ، ولا أحسن من كلام ، أخذت مضجعى ، فسمعت قائلًا يقول: السّلام على أهل البيت، خذوا من دنياكم، أو قال : من دنيا فانية لأخرى باقية، واستعدّوا للمعاد إلى الله عزّ وجلّ ، فإنّه لا قليل من الأجر، ولا غنىّ عن علم الله عزّ وجلّ ، ولا عمل بعد الموت ، أصلح الله أعمالكم .

وسمع عمر رجلًا يقول : اللّهم اجعلنى من الأقلّين ، فقال له : ما هذا الدعاء ؟ فقال الرجل : سمعت الله عزّ وجلّ يقول : « وقليل من عبادى الشكور »[١] ، و « وما آمن معه إلّا قليل »[٢] ، فقال عمر رضى الله عنه : عليك من الدعاء بما يعرف .

---

(١) سورة سبأ ، ١٣ (٢) سورة هود ، ٤٠

وقال ناس من الصحابة لعمر رضى الله عنه : ما بال الناس فى الجاهلية كانوا إذا ظلموا فدعوا يستجاب لهم ، ونحن اليوم ندعو فلا يستجاب لنا ، وإن كنّا مظلومين؟ فقال عمر : كان ذلك ولا أجر لهم إلّا ذاك ، فلمّا نزل الوعد والوعيد، والحدود والقصاص ، والعقود وَكَلهم الله عزّ وجلّ إلى ذلك .

ومن أجوبته الحسنة أنّه قال : إنّ فى يوم كذا من شهر كذا ساعة لايدعو الله سبحانه فيها أحد إلّا استجاب له ، فقيل له: أرأيت إن دعا اللهَ عزّ وجلّ فيها منافق ؟ فقال : إنّ المنافق لا يوفّق لتلك السّاعة ، وقال ﷺ : « قد كان فى الأمم (١٣٦) قبلكم محدّثون ، فإن يكن فى هذه الأمّة أحد فعمر » ، وقال عليه السلام : « لو كان بعدى نبىّ لكان عمر » .

وكان عمر شديد الغيرة ، قال النبى ﷺ : « دخلت الجنّة ، فرأيت فيها داراً أو قصراً ، وسمعت فيها ضوضأة ، فقلت : لمن هذا ؟ فقيل : لرجل من قريش ، فظننت أنّى أنا هو ، فقلت : من هو ؟ فقالوا عمر ، فلولا غيرتك يا أبا حفص لدخلته » ، فبكى عمر ، وقال : أعليك أغار يا رسول الله ؟

خرج عمر رضى الله عنه يوماً ومعه النّاس ، فمرّ بعجوز فاستوقفته، فوقف لها وجعل يحدّثها وتحدثه، فقال الجارود العبدرى: حبست الناس على هذه العجوز ؟ فقال : ويلك، أتدرى من هذه ؟ هذه امرأة سمع الله عزّ وجلّ كلامها وشكواها من فوق سبع سموات ، هذه خولة بنت ثعلبة ، التى أنزل الله عزّ وجلّ فيها : « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله » ، والله لو وقفت إلى اللّيل ما فارقتها إلّا إلى الصلاة ، ثم أرجع إليها .

(٢ ، ٥) ندعو و يدعو : ندعوا (٤) والعقود : والقود (٦) دعا : دعى

(١٣) فبكى : فبكا

وروى أنّها قالت لعمر : إيها يا عمر ، عهدتك تسمّى عميراً فى سوق عكاظ تزع الصبيان بالعصىّ ، فلم تذهب الأيّام حتّى دعيت عمر ، ثم لم تذهب الأيّام حتى سمّيت أمير المؤمنين ، فاتّق الله فى الرعيّة ، واعلم أنّ من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشى الفوت ، فقال لها الجارود : قد أكثرتِ أيّتها المرأة على أمير المؤمنين ، فقال له عمر ، ثم ذكر ما تقدّم ، وقيل إنّ اسم المرأة خولة بنت حكيم ، امرأة عبادة بن الصامت ، كذلك اختلف فى اسم أبيها ، فقيل حكيم وقيل ثعلبة .

مرّ عمر رضى الله عنه بضجنان ، فقال : لقد رأيتنى وأنا أرعى غنم الخطّاب فى هذا المكان ، وعلىّ مدرعة صوف ، وكان والله ما علمت فظّاً غليظاً يضربنى إذا (١٣٧) قصّرت ، ويتعبنى إذا عملت ، ثم أصبحت اليوم وأمر أمّة محمد ﷺ إلىّ ، ثم تمثّل :

لا شىء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويفنى المال والولدُ
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنُه ... والخلدَ قد حاولت عادٌ فما خلدوا
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بدّ من ورده يوماً كما وردوا

قال ابن عبّاس رضى الله عنه[١] : قال لى عمر رضى الله عنه : أنشدنى لأشعر شعرائكم زهير ، قلت : كيف جعلته أشعر شعرائنا ؟ قال : لأنّه كان لا يعاظل بين الكلام ، ولا يطلب [وحشىّ الشعر][٢] ، ولا يطلب الرجل إلا بما يكون فى الرجال ، وقال عمر : أشعر الشعراء من يقول :

فلستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمّه ... على شعث أىّ الرّجال المهذّب

(١) ووردت هذه القصة بلفظ آخر فى الأغانى لأبى الفرج الإصبهانى ، طبع بولاق ، ٩ : ١٦٢

(٢) كذا فى الأغانى ، وفى الأصل : ولا يطلب حوشيه ، وهو تصحيف

وهو النابغة .

قال الشّعبى : كان أبو بكر ، وعمر وعلىّ كلّهم شعراء ، وكان علىّ عليه السّلام أشعرَ الثلاثة ، سار عمر رضى الله عنه يوماً على ناقة له فظلعت ، فعرض له رجل معه ناقته فركبها وقال :

كأنّ راكبها غصن بمروحة   إذا تخطّت به أو شارب ثمل

وشهد رجل عند عمر على هلال رمضان ، وكان قد أصيب بعينه فى غزاة مع رسول الله ﷺ ، فقال له عمر : بأىّ عينيك رأيته؟ قال : بشرّها ، يعنى الصحيحة ، فقال له عمر : فإن أفطرت فما أنت صانع ؟ فقال : أفطر معكم ، فقبل شهادته .

وقال عمر رضى الله عنه : من أعطى الدعاء لم يحرم الإجابة ، ومن أعطى الشكر لم يحرم الزّيادة ، ومن أعطى الاستغفار لم يحرم القبول ، قال الله تعالى : « ادعونى أستجب لكم »[١] ، وقال تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنّكم »[٢] ، وقال تعالى : « استغفروا (١٣٨) ربّكم إنّه كان غفّارا »[٣] .

وممّا يستحسن من عدله وإنصافه

ما ذكره عبد الله بن عبّاس قال : أتدرون من يتكلّم بملء فيه : عمر بن الخطّاب ، كان يكسوهم الليّن ويلبس الخشن ، ويطعمهم الطيّب ويأكل الخبز المغلوث[٤] ، قال : وأعطى عمر رجلاً عطاء وزاده ألفاً ، فقيل له : لو زدت عبد الله بن عمر ، فإنّه ابنك ، وهو لذلك مستحقّ ، فقال : هذا ثبت أبوه مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد ، ولم يثبت أبو هذا — يريد نفسه . وكان يجرى لنفسه

---

(١) سورة غافر ، ٦٠ (٢) سورة إبراهيم ، ٧ (٣) سورة نوح ، ١٠

(٤) الخبز المغلوث : ما خلط فيه البر بغيره

من بيت المال درهمين كلّ يوم ، فلمّا ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قيل له:
لو أخذت ما كان عمر يأخذ ، فقال : إنّ عمر كان لا مال له ، وأنا لى ما يغنينى .
٣ وقال عمر : أتدرون ما يحلّ لى من مال الله ؟ يحلّ لى حلّتان : حلّة للشّتاء
وحلّة للصّيف ، وما أحجّ عليه وأعتمر من الظهر ، ومولى، وقوت عيالى كقوت
رجل من قريش ليس بأغنام ولا بأفقرهم ، ثم أنا بعد ذلك رجل من المسلمين
٦ يصيبنى ما أصابهم .

سمع عمر رجلًا ينشد :

فلولا ثلاث هنّ من عيشة الفتى وجدّك لم أحفل متى قام عوّدى(١)

٩ فقال عمر : لولا أن أسير فى سبيل الله ، وأضع جبهتى على الأرض لله ،
وأجالس قومًا ينتقون أحسن الحديث ، كما ينتقى أطايب الثمر ، لم أبال
أن أكون متّ .

١٢ ذكر سنة أربع عشرة للهجرة النبويّة

النيل المبارك فى هذه السّنة :

الماء القديم ستّة أذرع وعشرة أصابع ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعًا وثمانية
١٥ عشر إصبعًا .

ما لخّص من الحوادث

(١٣٩) الإمام عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أمير المؤمنين بالمدينة ،
١٨ والجيوش الإسلاميّة فى حروب الشّام ، وفيها أمر عمر رضى الله عنه بقيام شهر
رمضان ، وكتب بذلك إلى سائر الأمصار التى عادت فى أيدى المسلمين ،

(٨) ثلاث : ثلث (١٢) أربع عشرة : أربع عشر

(١) البيت لطرفة بن العبد ، راجع البيان والتبيين للجاحظ ، ٢ : ١٥٧

وفيها ولد سعيد بن المسيّب ، وفيها كانت وقعة القادسيّة ، كما يأتى ذكرها بعد ذلك إن شاء الله تعالى ، وفيها كان فتح الأردنّ ودمشق وحمص .

٣ ذكر فتح دمشق وحمص وما معهما ملخّصاً

وذلك أنّ الأمير كان على العساكر خالد بن الوليد رضى الله عنه طول خلافة أبى بكر رحمه الله وأرضى عنه ، فلمّا ولى الأمر عمر بن الخطّاب رضى الله عنه

٦ قال : والله لأعزلنّ خالد بن الوليد ، والمثنّى بن حارثة ، ليعلما أنّ الله عزّ وجلّ هو الناصر لدينه ، فعزلهما ، وعزل خالد بأبى عبيدة ، فجاءه الكتاب وهما فى حصار دمشق ، فكتمه أبو عبيدة رضى الله عنه ولم يطلع عليه خالداً ، وبقى خالد يصلّى

٩ بالناس على حاله ، ولمّا علم خالد ذلك قال لأبى عبيدة : كيف لم تعلمنى بولايتك وأنت تصلّى خلفى ، والسلطان سلطانك ؟ فقال أبو عبيدة : ما السلطانَ أردتُ ، وكلّ ما ترى إلى زوال ، ونحن إخوان فأيّنا وُلّىَ عليه أخوه لم يضرّه فى دينه

١٢ ولا دنياه ، بل للولى يكون أقربهما إلى الفتنة ، وأوقعهما فى الخطيئة ، إلّا من عصم الله .

وكان أبو عبيدة منازل دمشق من باب الجابية ، وخالد من باب شرقى ،

١٥ وكان الروم أبو عبيدة أحبّ إليهم من خالد رضى الله عنهما ، للينه ، ولما بلغهم أنّه أقدم هجرة وإسلاماً ، وفتح لأبى عبيدة باب الجابية فدخل صلحاً ، وخالد على الباب الشرقى ليس عنده خبر ، فولج دمشق عنوة ، وأراد سبيهم ، فمنعه

١٨ أبو عبيدة ، وقال : قد أمّنتهم ، وفُتِحَت منتصف رجب سنة أربع عشرة ، لثلاثة عشر شهراً من خلافة عمر ، وهو الصحيح .

---

(٢) إن شاء : انشاء (٥) أبى : أبو (٦) ليعلما : ليعلمان
(١٨) أربع عشرة : أربع عشر (١٩) شهرا : شهر

(١٤٠) وفتح الله تعالى لعمر رضى الله عنه على يد خالد ، وهو أمير من قبل أبى عبيدة حمص ، افتتحها صلحاً على مائة ألف وتسعين ألف دينار ، ودخلها المسلمون . ٣

وكان هرقل ملك الروم فى كلّ ذلك بأنطاكيّة ، وهو يمدّهم بالعساكر ، فيرجعون خائبين ، وكان يقول لأهل دينه : أنتم أكثر من المسلمين ، وأنتم بشر وهم بشر ، فما بالهم يُنْصَرون عليكم ؟ فقال شيخ من أصحابه : ذلك من أجل ٦ أنّ القوم يصومون بالنهار ، ويقومون بالليل ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ومن أجل أنّا نشرب الخمر ، ونرتكب المحارم ، وننقض العهد ، ونأمر بما يسخط الله ، وننهى عما يرضى الله ، ونفسد فى الأرض ، فقال ٩ هرقل : صدقتَ لأخرجنّ من هذه القرية ، وما لى فى صحبتكم من خير ، فأشيرَ عليه بأن لا يفعل ، فأقام واستصرخ بأهل روميّة وأهل قسطنطينيّة ، وأرمينيّة ، وأجناد الجزائر ، وأمر أن يحشر إليه كلّ من بلغ الحلم من أهل مملكته ، وبعث ١٢ إلى المسلمين جيوشاً لا تحصى .

وجاءت الأخبار إلى أبى عبيدة من جهة عيونه بذلك ، فأطلع المسلمين على ذلك واستشارهم ، فقال يزيد بن أبى سفيان : أرى أن نعسكر على باب حمص المسلمين ، ١٥ وتدخل النساء والذرارى المدينة ، وابعث إلى المسلمين وأمّر بهم كعمرو بن العاص وخالد بن الوليد فيكونوا معك ، فقال شرحبيل : لا أرى أن تدخل ذرارى المسلمين مع أهل حمص وهم على دين عدوّنا ، ولا نأمن إن تشاغلنا بحرب من يأتينا ١٨ أن تثب أهل حمص على ذرارينا ، فيتقرّبوا بهم إلى عدوّنا ، فقال أبو عبيدة : سلطان المسلمين أحبّ إليهم من سلطان عدوّكم ، وإنّى أرى أن أخرجهم من المدينة

---

(٨) نرتكب : نركب

وأدخل النساء ، وأنزل معهم الرجالة ، ونسكون نحن بإزاء العدوّ ، فقال شرحبيل: كيف يحلّ (١٤١) إخراجهم ، وقد صالحناهم على تركهم فى ديارهم ؟ فقال ميسرة
٣ ابن مسروق : إنّا لسنا أهل مدائن وحصون ، وإنّا أصحاب البرّ والبلد القفر ، فأخرجْنا من بلاد الروم إلى بلادنا ، واضمم قواصيك ، واكتب لأمير المؤمنين فليمدّك ، فاستصوب رأيه المسلمون .

٦ وأمر أبو عبيدة بردّ المال الذى أخذه من أهل حمص بخروجه عنهم ، فدعوا له بالنصر ، وردّ على أهل دمشق أيضاً ما كان أخذ منهم ، وقال : إنّما أخذناه على أنّا نمنعكم ، ونحن بأقون على الوفاء لكم .

٩ وأشار شرحبيل بن حسنة على أبى عبيدة ألّا يخرج من الشام وقد افتتحها، وأنّه إن فعل ذلك عسر عليه أيضاً دخولها، ونقض أهل إيلياء الصلح، فسار إليهم عمرو بن العاص ، وبلغهم ذلك فداخلهم الرعب ، وكان ذلك قصد عمرو ، ثم سار
١٢ خالد بن الوليد إلى عمرو مدداً ، فنزل اليرموك، وأقبل عمرو بن العاص معه، وأقام أبو عبيدة باليرموك .

وأقبلت جموع الرّوم ، وهى ثلاثة عساكر ، فلم يمرّوا بقرية من القرى التى
١٥ افتتحها المسلمون إلّا سبوا أهلها ، ونزلوا اليرموك على ألويتهم وراياتهم ، وأمر خالد رجالًا كانوا نصارى ثم أسلموا أن يدخلوا عسكر الروم ويكتموا إسلامهم، ليكونوا عيوناً للمسلمين ، ثم إنّ الروم أساءوا السيرة مع أهل القرى والمدن ،
١٨ وجاروا عليهم ، وقطعت المؤن عن المسلمين ، إلّا ما كان يأتيهم من الأردنّ ، لأنّه كان فى أيديهم .

---

(١٤) وأقبلت : واقبل || ثلاثة : ثلاث
(١٨) المؤن : المآن

وجاءت جيوش الرّوم فأحاطت بالمسلمين من كلّ جانب، فكتب أبو عبيدة لعمر بن الخطّاب رضى الله عنه كتاباً يطلب المدد، ويعلمه ما هم فيه، فبكى المسلمون لما قُرىء عليهم كتاب أبى عبيدة، وقالوا : سيِّرنا إلى إخواننا وسر معنا، فلو ٣ قدمت الشام شدّ الله ظهور المسلمين ! فقال (١٤٢) للّذى جاء بالكتاب : كم بين المسلمين وبين الروم ؟ قال : بين أدناهم وبين المسلمين ثلاثة أيّام، وبين جمعهم وجمعهم خمس ليال، فقال عمر : هيهات، متى يأتى هؤلاء غياثنا، ثم كتب إلى ٦ أبى عبيدة كتاباً شجّعه فيه، ورغّبه فى الشهادة، وأخبره بقوله تعالى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله »[1]، وسيّر نجدة بألف فارس، فلمّا دخلوا عسكر أبى عبيدة قويت نفوسهم .

ذكر وقعة اليرموك

قال : وسار أبو عبيدة بالنّاس من دمشق حتى نزل اليرموك، ولما تدانى العسكران لم يتقدّم عليهم الروم، وألقى الله فى قلوبهم الرّعب، هذا والمسلمون ١٢ على مصافّهم، ثم انصرفت الرّوم عنهم ذلك اليوم، فلمّا كان من الغد وأقبلت الرّوم كأنّها سحابة منقضة، بدر أمراء الأجناد يعظون أصحابهم، فبرز معاذ ابن جبل رضى الله عنه، وقال : معاشر المسلمين اصبروا، فوالله لا ينجيكم اليوم ١٥ إلّا الصبر، ثم نزل عن فرسه وقال : من أراد أن يركبه ويقاتل عليه فليفعل، فوثب عليه ابنه عبد الرحمن، وهو غلام حين احتلم، وقال : يا أبت، إنّى لأرجو أن لا يكون فارس أعظم غناء منّى، ولا راجل أعظم غناء منك . ١٨

(٢) فبكى : فبكا (٨) نجدة : انجده (١١) تدانى : تدانا
(١٧) يا أبت : يابه || لأرجو : لأرجوا

(١) سورة البقرة، ٢٤٩

وحملت الرّوم حملة رجل واحد ، فزال المسلمون عن الميمنة إلى القلب ، وانكشفوا عن راياتهم ، وصبرت طوائف من قبائل العرب مع أمرائهم ، وحمل خالد بن الوليد رضى الله عنه على ميسرة الرّوم ، وقد كانت دخلت عسكر المسلمين حتى صارت ميمنة المسلمين والقلب شيئاً واحداً ، فقتل خالد – وهو فى قريب من الألف – ستّة آلاف فارس ، وكان بإزائه قريب من المائة ألف ، فنادى خالد رضى الله عنه : يا أهل الإسلام ، لم يبق للقوم من الحيلة إلّا (١٤٣) ما رأيتم ، الشدّة الشدّة ، فو الذى نفسى بيده إنّى لأرجو أن يمنحكم الله تعالى أكتافهم ، وانتهى خالد فى تلك الساعة بالحملة إلى [الدّرنجار][1] ، وفضّ الله جموع الروم ، وهم ثلاثة عساكر .

وكان لمّا انهزم المسلمون أوّلا سمعوا صوتاً ملأ العسكر يقول : يا نصر الله اقترب ، الثّبات الثّبات يا معشر المسلمين ، فانعطف عليه ، فإذا هو أبو سفيان ابن حرب تحت راية ابنه يزيد .

وانتهى الرّوم إلى مكان مشرف على أهوية ، فسقط فى تلك الأهوية تقدير ثمانين ألفاً ، لم يعدوا إلّا بالقصب ، وبات المسلمون على مراكزهم ، فلمّا أصبحوا لم ينظروا فى ذلك الوادى شيئاً ، فظنّوا أنّ العدوّ قد كمن لهم ، فبعثوا الخيل إثرهم ، فأخبرهم الرعاة أنّه قد ترحّل منهم البارحة نحو من أربعين ألفاً فاتّبعهم خالد فى الخيل ، فقتل سائرهم ، حتى مرّ بدمشق فاستقبله أهلها فسألوه البقاء على العهد ، ففعل ، ثم مرّ فى إثرهم حتى أتى حمص ، فخرج إليه أهلها فقالوا : نحن

(٩) ثلاثة : ثلاث (١٤) ثمانين : ثمانون

[1] (١) كذا فى فتوح الشام ، ٢٣٠ ، وفى الأصل : ادربيجان وهو تصحيف ، والدرنجار هو قائد جيش الروم

على العهد ، وأعطنا أمانك ، ففعل ، وبقى أبو عبيدة باليرموك ، يدفن قتلى المسلمين .

وسار ملك الرّوم منهزماً، راجعاً إلى القسطنطينيّة، وأقام أبو عبيدة بموضعه ٣ حتى اجتمعت إليه جنود المسلمين ، وولّى دمشق وحمص وغيرها لولاته، ثم رحل حتى أتى الأردنّ فعسكر بها .

ذكر سنة خمس عشرة للهجرة النبويّة ٦

النيل المبارك فى هذه السّنة :

الماء القديم أربعة أذرع وعشرون إصبعاً ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وستة عشر إصبعاً . ٩

ما لخّص من الحوادث

الإمام عمر بن الخطّاب ، رضى الله عنه ، أمير المؤمنين بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسّلام(١٤٤) والحجاز واليمن دارا إسلام، وكذلك الشام فى أيدى ١٢ المسلمين .

وقيل فى هذه السنة كان فتح دمشق ووقعة اليرموك حسبما تقدّم من ذلك ، وفيها كانت وقعة مرج الديباج ، عندما لحق خالد بالروم من أهل دمشق به ، ١٥ وفيها كان فتح حمص ، وبعلبك ، وقنّسرين ، والعواصم ، وحماة ، وحلب ، وأنطاكية ، وقيسارية ، حسبما شهد بذلك فتوح الشّام ، وفيها توفّى سعد بن عبادة رحمه الله تعالى ، وفيها حجّ بالناس عمر رضى الله عنه . ١٨

---

(٥) أتى : إذا (٨) سبعة عشر : سبع عشر
(١٢) دارا : دارى (١٥) بالروم : الروم

ذكر سنة ستّ عشرة للهجرة النبويّة

النيل المبارك فى هذه السّنة :

٣ الماء القديم ستّة أذرع وخمسة أصابع ، ومبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً .

ما لخّص من الحوادث

٦ الإمام عمر بن الخطاب، رضى الله عنه ، أمير المؤمنين بالمدينة إلى حين قدومه بيت المقدس فى هذه السّنة ، والحجاز واليمن دارا إسلام ، وكذلك الشام فى أيدى الأمراء من المسلمين ، فيها دوّن الإمام عمر رضى الله عنه الدواوين ، وفيها كان ٩ فتح بيت المقدس .

ذكر فتح إيلياء

وهى بيت المقدس الشّريف ، وهو أوّل فتوح فتحه الإسلام له ، قيل : لمّا ١٢ نزل أبو عبيدة رضى الله عنه الأردنّ بالعساكر كاتب أهل إيلياء ، ودعاهم إلى الإسلام أو يعطوا الجزية ، فامتنعوا ، فنزل عليهم بالجيوش وحاصرهم ، فخرجوا ذات يوم فقاتلوا المسلمين ، وكانت النوبة يومئذ لخالد بن الوليد رضى الله عنه ، ١٥ ويزيد بن أبى سفيان ، فهزموهم حتى أدخلوهم (١٤٥) الحصن ، ثم قدم سعيد ابن يزيد ، وكان على دمشق من قبل أبى عبيدة ، وكان قد كتب إلى أبى عبيدة قبل قدومه : أيّها الأمير ، ما كنت لأوثر على الجهاد شيئاً ، فابعث إلى عملك ، ١٨ فإنّى قادم عليك والسّلام .

فأنفذ أبو عبيدة يزيد بن أبى سفيان عاملًا على دمشق ، فلمّا اشتدّ على أهل

---

(٣) ستة : ست || سبعة عشر : سبع عشر (٧) دارا : دارى
(١٥) أدخلوهم : دخلوهم (١٧) شيئا : شىء

أهل إيلياء الحصار من المسلمين طلبوا من أبى عبيدة الصلح ، فأجابهم ، فقالوا : أرسل إلى خليفتك عمر ، فهو الذى يعطينا العهد ، ويكتب لنا الأمان ، فكتب أبو عبيدة لعمر رضى الله عنه بذلك ، فلمّا جاءه الكتاب استشار الصحابة ٣ رضوان الله عليهم فى السفر ، فقال له عثمان رضى الله عنه : إنّ الله تبارك وتعالى قد أذلّ المشركين ولن يزدادوا إلّا ذلًّا ، ولن يزداد المسلمون إلّا قوّةً وعزًّا ، فإن أقمت بمكانك كان ذلك استخفافًا بأمرهم ، واستحقارًا لهم ، وإنّ القوم ٦ لن يلبثوا حتى ينزلوا على حكم أبى عبيدة ويعطوا الجزية .

قال علىّ كرّم الله وجهه : يا أمير المؤمنين ، إنّهم سألوك منزلة لهم فيها الذلّ والصغار ، وللمسلمين فيها العزّ والفتح ، وليس بينك وبين ذلك إلّا أن تقدم ، ٩ ولك الأجر ، وفى كلّ ظمأ ومخمصة ، والثواب فى قطع كلّ واد ، وفى كلّ نفقة ، ولست آمن إن يئسوا من قبولك الصلح أن يتمسّكوا بحصنهم ، ويأتيهم مدد فيطول حصار المسلمين إيّاهم ، ولا آمن أن يدنو المسلمون من حصنهم فيرشقوهم ١٢ بالنبل ، ويقذفونهم بالمجانيق ، ورجل من المسلمين خير ممّا طلعت عليه الشّمس ، فقال عمر رضى الله عنه : قد أحسن عثمان النظر فى مكيدة العدوّ ، وقد أحسن علىّ النظر لأهل الإسلام . سيروا على اسم الله . ١٥

فسار عمر وولّى علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه ، وخرج العبّاس رضى الله عنه ، عمّ النبى ﷺ ، فعسكر بالناس ، وخرج معه وجوه المهاجرين والأنصار ، (١٤٦) وخرج عمر رضى الله عنه راكبًا على بعير له عليه غرارتان ، إحداهما سويق ، ١٨ والأخرى تمر ، وبين يديه قربة فيها ماء ، وخلفه جفنة .

---

(٥) يزداد المسلمون : يزاد المسلمين (٨) يا أمير : يا مير
(١٢) يدنو : يدنوا || المسلمون : المسلمين || فيرشقوهم : فيرشقونهم

فلمّا قربوا من إيلياء استقبله الناس ، وكان أوّل مِقْنَب[١] لقيه ، فسلّموا
عليه ، ولم يعرفوا عمر ، فقالوا : هل عندكم من أمير المؤمنين علم ؟ فسكتوا ،
٣ ثم لقيهم مِقْنَب[١] آخر ، فسألوهم عن أمير المؤمنين عمر ، فقال عمر : ألا تخبرون
القوم عن صاحبهم ؟ فقالوا : هذا أمير المؤمنين ، فاقتحموا عن خيلهم ، فقال عمر :
لا تفعلوا .

٦ فساروا قبل المسلمين يصفّون الخيل ، ويشرعون الرماح على حافتى الطريق ،
ثم طلع أبو عبيدة بن الجرّاح فى كبكبة من الخيل وهو على قلوص مكنّفا[٢]
بعباءة ، وخطام ناقته من شعر ، وعليه سلاحه ، وقد تنكّب قوسه ، فلمّا رأى
٩ عمرَ أناخ راحلته ، وأناخ عمر بعيره فنزلا ، ومدّ أبو عبيدة يده إلى عمر ليصافحه ،
فمدّ عمر يده إليه ، فأهوى أبو عبيدة ليقبّل يد عمر ، يريد تعظيمه فى العامّة ،
فأهوى عمر إلى رجل أبى عبيدة ليقبّلها ، فقال أبو عبيدة : مه يا أمير المؤمنين ،
١٢ وتفحّى عنه ، فقال عمر : مه يا أبا عبيدة ، فتعانقا ، ثمّ ركبا وتسايرا ، ونزلا
بالجابية .

وجنود أبى عبيدة محاصرة إيلياء . وأتى إلى عمر ببرذون وثياب بيض ،
١٥ وسألوه ركوب البرذون ، ولباس الثياب ، وقالوا : إنّ ذلك أهيب لك عندهم ،
فلم يلبس الثياب ، وركب البرذون فهملج به ، وخطام ناقته بيده لم يفلته بعد ،
فنزل عن البرذون وقال : لقد غرّنى هذا ، وأنكرت نفسى ، ثم قال : يا معشر

(١ ، ٣) مقنب : مقتب (٧) مكنفا : ملسعا
(١٢) وتنحى : وتنحا || يا أبا عبيدة : ياباعبيدة

---

(١) المقنب من الخيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، وقيل هو دون المائة ، لسان العرب
(٢) مكنف أى أحيط به من جميع جوانبه ، لسان العرب ، وفى فتوح الشام للواقدى ، طبع
مصر ، ١ : ١٥٠ : مغطى بعباءة قطوانية

المسلمين عليكم بالقصد ، وبما أعزّكم به الله ، ثم دعا عمر أبا عبيدة ، وأمره أن يكتب لهم الأمان ، ويخبرهم بقدومه

وسار أبو عبيدة وتبعه عمر فى المنازل حتى قدما ، فتلقاه يزيد (١٤٧) ٣
ابن أبى سفيان ، وسأله أن يغيّر زيّه ، وأخبره أنّ ذلك أجمل فى النّاس ، وأعظم فى نكاية العدوّ، فقال: يا ابن أبى‌سفيان، ما أزيّن نفسى بما يشيننى عند الله تعالى،
ولا أعظّم نفسى عند النّاس بما يصغّرنى عند الله عزّ وجلّ، فلمّا نزل عمر رضى‌الله ٦
عنه إيلياء نزل إليهم عظيمهم فصالحهم .

وولّى أبو عبيدة عمرو بن العاص فلسطين، وطهّر الله تعالى البيت للمقدّس على
يد أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه . ٩

وفيها كان عبور الجيوش الإسلاميّة العراق ، وحرب فارس .

ذكر ابتداء دخول المسلمين العراق

ثم إنّ الإمام عمر رضى الله عنه ، ندب النّاس إلى العراق لقتال الفرس ، ١٢
فتثاقل الناس عنه لمّا سمعوا ذكر الفرس ، ثم انتدب أبا عبيدة بن مسعود الثقفى
وسار معه المسلمون ، فقاتلهم الفرس بالفيلة ، وكانت العرب لاتعرف الفيلة فانهزم
المسلمون ، وقتل أبو عبيدة بن مسعود ــ رحمه الله تعالى ــ وأشراف الناس ، ١٥
وغرق من المسلمون بشر كثير، وسبق عبد الله بن يزيد إلى‌الجسر فقطعه، فقيل له:
لِمَ فعلت ذاك ؟ فقال : حتى تقاتلوا عن أميركم، فأخذ الراية المثنى بن حارثة، فجال
بها ورجعت الفرس عنه ، ونزل خفّان ، وكتب إلى عمر يستمدّه ، وبلغت الهزيمة ١٨
للمدينة ، فكان أوّل من قدمها عبد الله بن يزيد منهزماً ، فلمّا رآه عمر قال :

---
(١٣) أبا عبيدة : أبو عبيدة

ما عندك ؟ فأخبره ما جرى على المسلمين، فقال: ما سمعت رجلًا حضر أمراً فحدّث الناس عنه كان أثبت خبراً من عبد الله بن يزيد .

٣ ورأى عمر جزع النّاس من فرارهم، فقال : معاشر المسلمين « إذا لقيتم »[1] ، يعنى إلى قوله تعالى: « ومن يولّهم يومئذ دبره إلّا متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة »[2] ، فكان يُطيّب قلوب النّاس بقوله .

٦ وكان ذلك الجيش أوّلَ جيش هزمته فارس من المسلمين ، فأقام (١٤٨) عمر مدّة لا يذكر العراق ، ثم جاءته قبائل العرب يطلبون الجهاد واللّحاق بالشّام ، فحرّضهم على قتال فارس والمسير إلى العراق، وأخبر بما قتل من جند المسلمين بها،

٩ فأجابوه بعد أن أبطأوا ، وأمّر على كلّ قبيلة رجلًا منهم ، وأمّر على بجيلة جرير ابن عبد الله .

فساروا حتّى إذا كانوا قريباً من المثنّى بن حارثة كتب إليه أن أقبل إلىّ

١٢ فإنّما أنت مدد لى ، فكتب إليه جرير : لست فاعلًا ذلك إلّا أن يأمرنى أمير المؤمنين، وأنت أمير وأنا أمير، ثم ساروا نحو الجسر فلقيه مهران بن باذان، وهو عظيم من عظماء الفرس عند النخيلة ، فاقتتلوا وقُتل مهران ، وكوتب عمر

١٥ رضى الله عنه باختلاف المثنّى وجرير ، فكتب عمر إلى المثنّى: إنّى لم أكن لأستعملك على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ،وقد وجهت سعد بن أبى وقّاص إلى العراق وأمرتكما بالسّمع والطّاعة له .

١٨ وشنّ المسلمون الغارات على السّواد ، وتحصّن الدّهاقين فى الحصون ، وبعثوا إلى المدائن يستغيثون بأهل فارس، وملكهم يومئذ بوران بنت شيرين ابنة كسرى

---

(١) رجلا : رجل (٩) أبطأوا : أبطوا

---

(١) فى الأصل : أنا فيتكم ، وهو خطأ

(٢) سورة الأنفال ، ١٦

الذى قتل أبوه وكان صبيًّا ، وجاءت الأعاجم فى ثلاثة صفوف ، ومع كلّ صفّ فيل ، ولفرسانهم رَجَل كرجل الرعد ، فقال المثنّى : يا معشر المسلمين ، إنّ هذه الأصوات منهم فشل ، فالزموا الصمت .

ثم حملت الأعاجم على المسلمين فثبتوا ، ثم حملوا عليهم ثانية فثبتوا ، فلمّا كانت الحملة الثالثة انتقضت صفوف المسلمين ، ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصرف الله وجوه أهل الكفر ، فهزموا إلى شاطىء الفرات ، وعبر أهل القوّة منهم الجسر فقطعوه ، لئلا يلحقهم المسلمون ، فاقتحم رجل من المسلمين الفرات وهو يقرأ : « وما كان لنفس أن تموت (١٤٩) إلّا بإذن الله » الآية[1] ، وتبعه النّاس ، فما فقد منهم عقال ، إلّا وقد صاح رجل انقطع من سرجه ، فدار فوق الماء إلى أن أخذ وسلم ، وحصل من الكسب والأموال والأسلاب ما لا يحصى كثرة .

ثم سار المسلمون إلى بغداد ومرّوا على الأنبار فتحصّن صاحبها، فأرسل إليه: ما يمنعك أن تنزل إلينا ونؤمّنك على قريتك ؟ فنزل، فطلبوا منه أن يبعث إليهم دليلًا إلى بغداد ، ليكون العبور منها إلى مدائن كسرى ، ففعل ، وسيّر معهم الأدلّاء ،فسار بهم، فصبحوا القوم فى أسواقهم، فقتلوا وسبوا، وأخذوا الأموال، وغنموا غنائم عظيمة .

(١) ثلاثة : ثلث

(٦) الفرات : الفراه ، كذا فى كل المواضع

(١) سورة آل عمران ، ١٤٧

ذكر وقعة القادسيّة مع رستم

ثم إنّ عمر رضى الله عنه مدّهم بسعد بن أبى وقّاص رضى الله عنه ، بعد أن
٣ همّ أن يمدّهم بنفسه، ثم بدا له أن يوجّه عبد الرحمن بن عوف، فقال له عبدالرحمن:
فداك أبى وأمّى ، قال عبد الرحمن : ما فديت أحداً بأبوى بعد رسول الله ﷺ
غير عمر، انصرفْ إلى المدينة ، فوالله لئن قتلت إنّى أخاف على المسلمين، ولكن
٦ ابعث يا أمير المؤمنين ، قال : فمن أبعث ؟ قال : ابعث الأسد على براثنه ، سعد
ابن أبى وقّاص ! فبعثه فى أربعة آلاف فارس ، فنزل القادسيّة ، ثم استمدّ عمر ،
فمدّه بالمغيرة والأشعث بن قيس وغيرهما من فرسان العرب .

٩ وبلغ المثنّى قدوم سعد أميراً ، فوجّه إليه من يلقاه ، ثم لقيه بعد ذلك ، فأراه
سعد كتاب عمر ، فسمع وأطاع ، وأعطاه الخمس ، وجاءه جرير أيضاً فأطاعه .

وسار سعد فى ستّة آلاف ، وشنّ الغارات ، فسار إليه رستم فى ستّين ألفاً
١٢ من أساورة العجم ، وكان بينهما جسر القادسيّة ، وتراسلوا ، وكان (١٥٠)
رسول المسلمين المغيرة بن شعبة، ثم تزاحفوا وعامّة أجنّة المسلمين التى يتترّسون بها
برادع الرحال، وقد يعرّض فيه الجريد، لكن بقلوب أقوى من الحديد، فاقتتلوا
١٥ وسعد فى القصر، قصر العذيب، ومعه زوجتاه، فسرّح إليه رستم خيلًا، فأحدقوا
بسعد ، ومعه فى القصر قريب من ثلاثين رجلًا، فقالت له سلمى زوجته : اخرج
إلى القوم ! فقال : أخاف أن ألقى بيدى إلى التهلكة ، فقالت : كم من فئة قليلة
١٨ غلبت فئة كثيرة ! ثم قالت : وامثنّاه ، لا مثنّى اليوم ، وكانت قبل ذلك عند
المثنّى ، فغار سعد ، فلطم وجهها ، فقالت : يا سعد : غيرةً وجبناً .

---

(٩) سعد : سعداً (١١) ألفا : ألف (١٦) ثلاثين : ثلثين

وبلغ المسلمين خبر الخيل، فنفذوا[1] إلى سعد خيلًا فيهم عمرو بن معدى كرب، فقتلوهم جميعاً.

وكان أبو محجن الثقفى محبوساً فى القصر وهو مريض، فلمّا رأى ماتصنع ٣ الخيل قال لأمّ ولد سعد: أطلقينى، ولك عهد الله، أنّى إن لم أقتل رجعت إليك ولأضعنّ رجلى فى الحديد، فأطلقته، فركب فرساً لسعد، فنظر سعد فجعل ينكر فرسه ويعرفها، فلمّا فرغوا من القتال وقتل الله رستم وهزم جيشه، دخل أبو محجن ٦ القصر، ووضع رجله فى قيده، وأنزل سعد من القصر، فسأل عن فرسه فعرف ما كان من أبى محجن، فأطلقه وآلى ألا يحبسه أبداً.

دخل ابن لأبى محجن على معاوية بن أبى سفيان، فقال معاوية: يا أهل الشّام، ٩ تدرون من هذا؟ قالوا: لا، قال: هذا ابن الذى يقول:

إذا متّ فادفنّى إلى جنب كرمة تروّى عظامى بعد موتى عروقَها
ولا تدفننّى بالفــلاة فإنّنى أخاف إذا ما متّ أن لا أذوقَها ١٢

فقال ابن أبى محجن: أما والله لو شئت لذكرت من شعره ما هو (١٥١) أحسن من هذا، قوله:

لا تسأل النّاس عن مالى وكثرته وسائل النّاس عن بأسى وعن خلقِى ١٥
قد أطعن الطّعنة النّجلاء عن عرض وأكتم السرّ فيه ضربة العنقِ

وكان مع الفرس يوم القادسيّة ثمانية عشر فيلًا.

وذكر الشّعبى أنّ الفرس كانوا يوم القادسيّة فى مائة ألف وعشرين ألفاً، ١٨ معهم ثلاثون فيلًا، ولحقت الفرس بدير قرّة، ونهض سعد بالمسلمين فنزل بهم دير قرّة، وقسم بينهم سعد الأموال، وأعطاهم على قدر ما قرأوا من القرآن.

---

(٨) وآلى: والى

---

(١) النفذ: اسم الإنفاذ، لسان العرب

وكان لرستم ستمائة ألف من أوانى الذهب والفضة ، وأعجبهم بياض الفضة
فكانوا يقولون من يأخذ صفراء ببيضاء ، ووجدوا من الكافور شيئا كثيرا
٣ فلم يعرفوه ، فتبايعوه بينهم كيلا بكيل من بر وشعير .

وهربت الفرس حتى نزلوا المدائن ، ومعهم الخزائن والأموال ، وبنات
كسرى .

٦ وتبعهم سعد بالعسكر ، وتخلف عنهم لمرض ناله ، فلما أفاق لحقهم ، وحاصرهم
بالمدائن إلى أن دخلت سنة سبع عشرة .

ذكر سنة سبع عشرة

٩ ## للهجرة النبوية

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ستة أذرع وخمسة أصابع ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا
١٢ وخمسة عشر إصبعا .

ما لخص من الحوادث

الإمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمير المؤمنين بالمدينة ، والحجاز واليمن
١٥ دارا إسلام ، وكذلك الشام بكماله ، والعراق إلى حدود المدائن ، والمدائن فى
أول هذه السنة فى حصار المسلمين ، ومصر دار حرب (١٥٢) ، والمقوقس بها ،
وقسمين البطرخ إلى سنة عشرين ، افتتحها المسلمون ، وكان فتحها على يد عمرو
١٨ ابن العاص ، وسيأتى ذكر ذلك فى سنة عشرين ، إن شاء الله تعالى .

---

(٢) شيئا كثيرا : شىء كثير (١١) ستة : ست || سبعة : سبع
(١٥) دارا : دارى (١٨) إن شاء : إنشاء ، كذا فى كل المواضع

وفى هذه السّنة قام بأمر ملك فارس يزدجرد بن كسرى أبرويز ، فأمرهم بالتّحمّل من المدائن ، ثم شخص بالجنود حتى نزل حلوان ، واستعمل عليهم أخا رستم صاحب القادسيّة . ٣

ذكر وقعة جلولا بين الفرس والمسلمين

ولمّا ظهر المسلمون على الأعاجم ، وقام فيهم يزدجرد كاتب أهل الرىّ وهمدان وقومس وإصبهان ونهاوند ، وتراسلوا وتعاقدوا على أن يغزوا عمر ٦ ابن الخطّاب فى بلاده ، وأن يسيروا مع ملكهم يزدجرد إلى سائر أرض المسلمين ، وكتب سعد بن أبى وقّاص بذلك إلى عمر رضى الله عنه ، فاشتدّ ذلك على عمر ، فصعد المنبر وصرخ : يا أهل الإسلام ، يا أبناء المسلمين ، أين المهاجرون ؟ أين ٩ الأنصار ؟ فاجتمع الناس إليه يهرعون ، فقال : إنّ سعداً كتب إلىّ أن الشّيطان قد جمع جموعاً ليطفىء نور الله ، وهم أهل همدان والرّىّ وقومس وإصبهان ونهاوند وغيرهم أمم مختلفة ألسنتها وأهوائها وأديانها وممالكها ، وإنّهم تعاقدوا أن ١٢ يخرجوكم من بلادكم ، ويخرجوا إخوانكم من بلادهم ، فأشيروا علىّ وأوجزوا ولا تطنبوا ، فإنّ هذا يوم له ما بعده من الأيّام !

فقام طلحة رضى الله عنه فقال ، بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيّه ﷺ : ١٥ أمّا بعد ، فقد حنّكتك الأمور ، وجرّبتك الدّهور ، ومحّنتك البلايا ، وأحكمتك[1] التّجارب ، فأنت ولىّ ما وليت ، لا ننبو فى يديك ، ولا نكل[2] عليك ، بل نقبلها منك ، ونأخذها عنك ، فادعنا نجبك ، وقدنا نتبعك ، واحملنا نركب ، ١٨

(٩) يا أهل . . يا أبناء : يا هل . . يا بناء || المهاجرون : المهاجرين
(١٢) وممالكها : ومملكها (١٨) نجبك : نجيبك

(١) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى ، ٤ : ٢٣٨ : واحتنكتك
(٢) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : نجل

فإنّك مبارك الأمر ، لم ينكشف عن شيء من عواقب قضاء الله (١٥٣) لك إلّا عن توفيق .

٣ فقال عمر رضى الله عنه : تكلّموا أيّها الناس ، فقام عثمان رضى الله عنه فقال بعد حمد الله والصلاة على رسوله ﷺ : أما بعد يا أمير المؤمنين ، فإنّى أرى [أن] تكتب لأهل الشام فيسيروا من شامهم ، وإلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ،

٦ وتسير أنت بجيش من أهل الحرمين إلى أهل الكوفة ، فيلتقى جموع المسلمين بجموع المشركين ، فإنّك إن فعلت ذلك لم يبق أحد من العرب يتخلّف عنك ، ثم جلس .

٩ فقال عمر رضى الله عنه : تكلّموا أيّها النّاس ! فقال علىّ كرّم الله وجهه : أما بعد يا أمير المؤمنين ، فإنّ الله لم يزل يعرفك ويعرف المسلمين ، البركة فى رأيك واليُمْن ، وإنّك إن شخصت بأهل الشام من شامهم لم تأمن مسير الروم إلى ذراريهم

١٢ برًّا وبحرًا ، وإن شخصت بأهل اليمن من يمنهم لا تأمن مسير الحبشة ، وإن شخصت بأهل الحجاز لم تأمن من انتقاض سفهاء العرب وجهّالهم ، حتّى تكون ما تدع من العورة خلفك أهمّ إليك ممّا بين يديك ، أمّا كثرة العدوّ فإنّا لم نكن

١٥ نقاتلهم بالكثرة ، ولكن بحول الله وقوّته ، وإن أنت سرت ونظرت إليك الأعاجم قالوا : هذا ملك العرب لم يبق خلفه أحد ، فكان ذلك أشدّ لطلبهم وحربهم ، ولكن اكتب إلى أهل البصرة ، فليتفرّقوا ثلاث فرق : فرقة تقيم

١٨ فى ذراريهم حرسًا لهم ، وفرقة تقيم على أهل عهدهم ، وفرقة تسير إلى إخوانهم من المسلمين مددًا لهم ، واكتب إلى أهل الكوفة بمثل ذلك .

فاستصوب عمر ذلك ، ثم كتب إلى المسلمين : إنّى استعملت عليكم النعمان

---

(٧) أحد : أحدا (١٧) ثلاث : ثلث ، كذا فى كل المواضع

ابن مقرن ، فإن قتل فحذيفة ، فإن قتل فجرير بن عبد الله ، فإن قتل فالمغيرة
ابن شعبة ، فإن قتل فالضحاك بن قيس الكندى ، وأنفذ[1] الكتاب مع السائب
ابن الأقرع (١٥٤) الثقفى ، وولّاه قسمة الغنائم ، وقال : ياسائب ، إن هلك ٣
الجيش فاذهب فى بسيط الأرض ولا أنظرنّ إليك بواحدة من عينىّ أبداً ، فإنى
متى رأيتك جدّدت لى حزناً .

وسار المسلمون حتى نزلوا بعقر نهاوند وكانوا سبعة آلاف ، وتزاحف ٦
الفريقان ، واقتتلوا حتى حجز بينهم الليل ، وبات المسلمون يعصبون جراحاتهم ،
وبات المشركون فى خمورهم ولذّاتهم ومزاميرهم ، فلمّا أصبح النعمان عبّى كتائبه ،
وسار يقف على كلّ راية يحضّها على القتال ، فبكى المسلمون وقالوا : أيّها الأمير ٩
مرنا بأمرك ، فقال : أنتظر بهم زوال الشمس ومهبّ الرياح ، وأن تفتح السماء
لمواقيت الصلاة وينزل النصر ، فإنى رأيت رسول الله ﷺ يفعل ذلك .

ثم إنّ الله تعالى أيّد المسلمين بنصره ، وانهزم جيش الفرس وكفره ، واستشهد ١٢
النعمان رحمة الله عليه ، وجمعت الغنائم إلى السائب بن الأقرع ، فأتى رجل فقال :
أتؤمّننى على أهلى ودمى ومالى وأدلّك على كنز فى غيبة ، فيكون لأمير المؤمنين
خاصّة ، فأمّنه فأتى بهم إلى صخرة فاقتلعوها ، فاستخرجوا سفطين فيهما تيجان ١٥
مكلّلة بالياقوت الأحمر ، قد نسج بعضها إلى بعض ، فرأى السائب ما لم يره قطّ .

وقسمت الغنائم سهمين سوى السفطين ، فأصاب سهم كل واحد ثلاثين ألفاً ،
وقدم السائب بالسفطين على عمر ، وبشّره بالفتح ، فقال عمر : ما فعل النعمان ؟ ١٨

---

(١٢) المسلمين : المسلمون (١٥) فأتى : فأتا
(١٧) كل واحد : كل واحد واحد || ثلاثين : ثلثين

---

(١) أنفذت أنا الكتاب إلى فلان ، لسان العرب ، وفى الأصل : نفذ

قال : أكرمه الله بالشهادة ، فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ويحك أبدار مضيعة أصيب ؟ قال : لا ، وأقبل السائب يحدثه بالفتح ، وعمر إنّما يسأله عن ٣ الناس ، فقال : هل أصيب من المسلمين غيره ، فقال: أمّا من نعرف فلا، فانتحب عمر وقال : الضعفاء الضعفاء ، فترحّم عليهم، ودعا لهم ثم قال:وما عليهم ألّا يعرفهم عمر ، قد عرفهم الله الذى (١٥٥) أكرمهم بالشهادة ، ثم قال عمر : هل أعطيت ٦ كل ذى حقّ حقّه ؟ قال : نعم .

ثم أخرج السفطين فأخبره خبرهما ، قال : من جعلنى أحقّ بهما ؟ فأرسل إلى علىّ وعبد الله بن أرقم وابن مسعود ، فأمرهم أن يختموا عليهما ، فلمّا أصبح ٩ أرسل إلى السائب فأتاه فقال : ويلك تنازعنى دينى؟ إنّما دعوتنى إلى النار ، فقال السائب : مالى ولك يا أمير المؤمنين ، أقلقت فؤادى ، قال : أخبرنى عن السفطين ، فقال : والله لا كتمتك حرفاً ، فأخبره . فقال : يا سائب ، لمّا أخذت ١٢ مضجعى جاءتنى ملائكة من ربّى ، فملأوا سفطيك ناراً ، وجعلوا يدفعونهما فى مجرى، وأنا أعاهد الله لأردنّهما على من أفاءهما الله سبحانه عليه ؛ فقدم بهما العراق، فاشتراهما عمرو بن حريث بعطاء المقاتلة والذرية،فباع أحدهما بذلك وربح الثانى[1] ١٥ وكان أوّل قرشى اعتقر بالكوفة داراً ، فتفرّق العجم بعد ذلك فما اجتمعوا .

وفيها أصاب الناس القحط والمجاعة، حتى استسقى عمر بالعبّاس رضى الله عنه، فسقوا ، وقيل بل كان ذلك فى سنة ثمانى عشرة ، والله أعلم .

---

(١٢) فلأوا : فلوا || ناراً : نار (١٦) استسقى : استسقا (١٧) ثمانى: ثمان

---

(١) ينقل الطبرى عن السائب بن الأقرع قوله : فابتاعهما منى عمرو بن حريث المخزومى بألفى ألف ، ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف ، الطبرى ، ٤ : ٢٣٣

وفيها أكل عمر رضى الله عنه خبز الشعير ، فاستنكرته بطنه فقرقر جوفه ، فضرب بطنه بيده وقال : هو والله ما ترين حتى يوسّع الله على الناس أو قال على المسلمين . ٣

وفيها تزوّج عمر أمّ كلثوم بنت علىّ عليه السّلام .

وفيها فتح الجزيرة وأرمينية وفارس والأهواز ورامهرمز وتستر والسوس ، وأسر الهرمزان ، وسار الناس إلى كرمان، وقيل إنّ هذه الفتوحات كلّها كانت ٦ فى سنة ثمان عشرة ، كما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

وفيها اعتمر عمر ، وبنى المسجد الحرام ، وقيل فيها بنيت الكوفة والبصرة ، وتحوّل سعد بن أبى وقّاص إلى المدائن ، والله أعلم . ٩

(١٥٦) ذكر سنة ثمانى عشرة للهجرة النبويّة

النيل المبارك فى هذه السّنة :

الماء القديم سبعة أذرع وثمانية عشرة إصبعاً ، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً ١٢ وأحد عشر إصبعاً .

ما لخّص من الحوادث

الإمام عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أمير المؤمنين بالمدينة ، إلى أن قدم ١٥ الشام فى هذه السنة .

وفيها كان طاعون عمواس من أرض فلسطين ، مات به من المسلمين خمسة وعشرون ألفاً ، فيهم أبو عبيدة بن الجرّاح ، واستخلف مكانه معاذ بن جبل ١٨

---

(٥) أرمينية : أرمنيه (٧) ثمانى : ثمان (٨) بنى : بنا
(١٠) ثمانى : ثمان (١٢) سبعة : سبع || ثمانية عشر : ثمان عشرة

رضى الله عنه فمات أيضاً ، فاستخلف مكانه عمرو بن العاص رضى الله عنه .

وفيها مات الفضل بن العبّاس ، ويزيد بن أبى سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ،
٣ وسهيل بن عمر رحمة الله عليهم أجمعين .

وفيها قدم عمر رضى الله عنه الشام ، وكتب إلى سعد بن أبى وقّاص : إنّ الله عزّ وجلّ فتح الشام والعراق على المسلمين ، فابعث جنداً إلى الجزيرة وأمّر
٦ عليهم أحد الثلاثة : خالد بن عرفطة ، أو هشام بن عتبة ، أو عيّاض بن غنم ! فقال سعد : ما أخّر أميرُ المؤمنين عيّاض بن غنم آخر القوم إلّا أنّ له فيه هوى أن أولّيه ، فولّاه ، وبعث به مع جيش ، وأصحبه بأبى موسى الأشعرى ، وعمرو
٩ ابن سعد بن أبى وقّاص ، وهو إذ ذاك غلام ، فنزل عيّاض الرها ، وصالح أهلها على الجزية ، وكذلك حرّان .

وفيها فتحت جرجان وأذربيجان . وفيها استقضى عمر رضى الله عنه شريحاً ،
١٢ وفيها حوّل المقام إلى موضعه الآن ، وكان ملتصقاً بالبيت ، والله أعلم .

ذكر سنة تسع عشرة للهجرة النبويّة

النيل المبارك فى هذه السّنة :

١٥ (١٥٧) الماء القديم ستّة أذرع واثنا عشر إصبعاً ، مبلغ الزيادة ستّة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً .

ما لخّص من الحوادث

١٨ الإمام عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أمير المؤمنين ، والحجاز واليمن والشام والعراق إلى حدود بلاد فارس دور إسلام ، ببركات النبى عليه السلام ؛ وجيوش

---

(١١) استقضى : استقصا (١٥) ستة : ست

المسلمين تفتح بلاد المشركين مؤيَّدين من الله تعالى بالنصر المبين، ومصر دار حرب في يد المقوقس عظيم القبط ، وقسمين البطرخ بها ، إلى حين ما يأتي ذكر فتحها في سنة عشرين إن شاء الله تعالى . ٣

وفي هذه السنة بعث سعد أبا موسى الأشعرى إلى نصيبين ، وبعث عثمان ابن أبي العاص الثقفى إلى أرمينية ، ثم صالح أهلها ، ثم كان فتح قيساريّة الروم وقنّسرين ، وهرب هرقل ملك الروم إلى روميّة . ٦

ثم فتحت الريّ وإصبهان ، ثم كانت وقعة أبي موسى بتستر ، ثم وقعته بدست بيسان، فأرسل أبو موسى الأحنف بن قيس إلى عمر رضي الله عنه مع جماعة فأعرض عنهم عمر، وحجبهم ثلاثة أيّام، فمرّ عمر بعد ذلك بالأحنف وهو بالسوق ٩ فضربه بالدرة ، ثم قال: ما عليك لو جعلت بعض ثمن ثوبيك في المساكين، فرجع الأحنف إلى أصحابه وقال : إنّما أُتينا من قِبَل ثيابنا ، فلبسوا الأردية والأزر ، ثم دخلوا عليه ، فقال : كنتم أتيتمونى في ثياب لا أعرفها . ١٢

وقدّم إليه الأحنف هديّةً من أبي موسى ، وهي : برذون وقارورة دهن وخمس نَمِرات[1] وعشرون سلة من خبيص وسوارى ابن كسرى ، وقيمتها مائة ألف دينار ، فدعا سراقة فألبسهما إيّاه ، وحمد الله تعالى ، ثم قال : ألقهما ، ١٥ فإنّهما ممّا أفاء الله على المسلمين ، ثم قرّب الأحنفُ إليه الأسيرَ وهو صاحب مقدّمة (١٥٨) كسرى ، فقال عمر رضي الله عنه : الحمد لله الذي أظفرنا الله بك ، فقال الأسير: بكلام الأحياء أكلّمك أم بكلام الأموات ؟ قال : أو لست حيًّا ؟ ١٨

(١٤) وعشرون : وعشرين

(١) النمرة : الحبرة ، لاختلاف ألوان خطوطها ، أو هي شملة فيها خطوط بيض وسود

بل بكلام الأحياء ، ثم أمر بضرب عنقه ، فقال : أ كان فيما جاءكم به نبيُّكم أن تجعلوا عهداً ثم تخفروه ؟ فقال عمر : وأى عهد لك ؟ فقال: ألم تقل : تكلَّم بكلام الأحياء ؟ فقال عمر : قاتلك الله ، أخذت هذا عهداً ؟ ما أعلمك ! خلّوا سبيله . ٣

ثم فتح السلال فمسّ الخبيص ، ثم قال : أرى طعاماً ليّناً ، ثم ذاقه ، وقال : رحم الله أبا موسى ، لئن كان طعاماً أوسع جميع الناس من هذا القرى لقد أحسن ، فقيل له : لو أنفق خراج فارس على أن يوسع على المسلمين من هذا ما بلغه ، فقال ٦ عمر : فما تجعلنى أحقّ به من المسلمين ؟ والله لئن أكلت قريش هذا الطعام لتنحرنّ بعضها بعضاً ، ثم بعث بسلاسل منها إلى أزواج النبي ﷺ ودعا لبقيّته أبناء الشهداء وليس فيهم إلّا يتيم ، فأجلسهم سماطين ، وقربت السلال فأكلوا ، ولم يأكل ٩ معهم غيرهم .

ثم جاء الأحنف فى رجال إلى حفصة فاستأذن عليها فأذنت ، فلمّا قرب من الستر قال : يا أمّ المؤمنين ، أما يجب أن تكون ثياب أمير المؤمنين ألين ممّا ١٢ يلبسه ، وطعامه ألين ممّا يأكل ، فيكون ذلك معيناً له على ما يتعاهد من أمر المسلمين ؟ وليس فيما أحلّ الله بأس ، وقد وسّع الله عزّ وجلّ على المسلمين فى ولايته ، فقالت : مكانكم ، ثم أرسلت إليه ، وكان يعظّمها لمكانها من رسول الله ﷺ ١٥ فلمّا جاء أخبرته بما قالوا ، فقال : أى بنيّة ، ما فى الأرض حاجة أحبّ إلىّ من حاجتك ، ولا نفس أعزّ علىّ من نفسك ، يا بنيّة ، أتعلمين أنّه ليس أحد أعلم بداخلة الرجل من أهله ، يشهدون منه ما غاب عن غيرهم ؟ (١٥٩) قالت : نعم ، ١٨ فقال : نشدتك الله هل أنّ رسول الله ﷺ لم يتغدّ يوماً إلّا أضرّ بعشائه ، ولم يتعشّ إلا أضرّ بغدائه ؟ قالت : اللهمّ نعم ! ثم قال : فهل تعلمين أنه ﷺ أتى

بطعام على خوان فاجترّه(١) فوضعه على الأرض واستوفز على عقبه ، وقال : إنّما أنا عبد آكل كما تأكل العبيد ، وأجلس جلسة عبد ؟ ثم بكى فقالت : حسبك يا أبتاه ! ٣

فقال : أى بنيّة : نشدتك الله هل تعلمين أنّه ﷺ يرفع ثوبه ليغسله فيأتيه بلال فيدعوه إلى الصلاة الغداة فينظر فى نواحى البيت فما يجــد ما يخرج فيه إلى الصلاة ؟ فبكت حفصة حتى كادت نفسها تخرج ، ثم قال : أى بنيّة ، ٦ نشدتك الله هل تعلمين أنّ رسول الله ﷺ أمر بثوبين يتّخذان له من الحسنة ، ففرغ من أحدهما ، فدعاه بلال ، فلبسه ، وقد عقد أحد طرفيه بين كتفيه ليس عليه غيره ؟ ٩

فبكت حفصة ثم قالت : نشدتك الله يا أبت ألّا تذكر سوى ما ذكرت ، فقال: أى بنيّة ، أرأيتِ لو أنّ ثلاثة سلكوا طريقاً، فسلك أوّلهم وهو سيّدُهم ثم تبعه الآخر ، فسلك طريقه واقتصّ أثره ، ثم جاء الآخر فسلك غير طريقهما ١٢ متى تظنّينه يدركهما ؟ قالت : لا يدركهما أبداً ، قال: فوالله لئن تبعت غير طريق رسول الله ﷺ وأبى بكر لا أدركهما أبداً، فبكى الأحنف وأصحابه وخرجوا .

ثم سأل أهلُ المدينة الأحنفَ وأصحابَه عن إخوانهم من المسلمين ، فقالوا : ١٥ إنّهم يهيلون الذهب والفضّة هيلًا ، فنشط المسلمون إلى الجهاد .

وكان عمر ، رضى الله عنه ، قد جعل لجرير بن عبد الله ولقومه ربع الغنائم ، يضرّيه به على الجهاد ، فلما اجتمعت الغنائم أمثال الآطام(٢) (١٦٠) طلب جرير ١٨

---

(٣) يا أبتاه : يا بتاه (١٠) يا أبت : يا ابه

---

(١) اجترّه : أى جرّه (٢) الآطام : أى الحصون

من سعد ما جعله له عمر ، فقال سعد : حتى أكتب لأمير المؤمنين ، فكتب إليه ، فأجابه عمر رضى الله عنه : صدق جرير ، خيّره بين أن يكون جهاده وجهاد قومه
٣ على جعل ، وبين أن يكون رجلًا من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، فأخبر سعد جريراً بذلك ، فقال : صدق أمير المؤمنين ، قد رددت على المسلمين ، ورضيت أن أكون رجلًا منهم ، فعرف له ذلك عمر .

٦ وفى سنة تسع عشرة مات أُبَىّ بن كعب رضى الله عنه مع اختلاف فيه ، وكذلك عمرو بن معدى كرب رحمه الله تعالى .

ذكر سنة عشرين للهجرة النبويّة

٩ النيل المبارك فى هذه السّنة :

الماء القديم أربعة أذرع وتسعة أصابع ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وإحدى وعشرون إصبعاً .

١٢ ما لخّص من الحوادث

الإمام عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أمير المؤمنين بالشام فى هذه السنة ، مع اختلاف فى ذلك ، والإسلام أعزّه الله ثابت أصله ، باسق فرعه قد علت
١٥ كلمته ، وسما حكمه ونمى شرعه ، حتى أنار الشرق بأنوار الدين ، وعادت كلمة التوحيد جارية على كلّ دين ، أدامها الله تعالى إلى يوم الدين .

فى هذه السنة فتحت مصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وكان
١٨ فتحها يوم الجمعة مستهلّ المحرّم من هذه السنة .

---

(١٠) أربعة : أربع || سبعة : سبع

ذكر عمرو بن العاص
ولمعاً من خبره رضي الله عنه

روى أنّ العاص بن وائل السهمى كان يرقّص ابنه عمراً في صغره ، ويقول: ٣

ظنّي بعمرو أن يفوق حلما وينشق الخصم الألدّ غما

وأن يسود جمحا وسهما وأن يقود الجيش مجراً دهما

يلهم أحشاد الأعادى لهما ٦

تفسير ذلك :

(١٦١) قوله : الخصم النشق : أن يصبّ الدواء وغيره في الأنف ، وذلك المصبوب فيه هو النَّشُوق بفتح النون ، وإن صبّ الدواء وغيره من الحلق فهو ٩ الوجور ، فإن صبّ في جانبي الفم فهو اللدود ، وقوله: مجراً دهما ، المجر هو العظيم، والدهم هو الكبير ، وهو الذى يبغت ، وما بغتك من شيء فقد دهمك ، ويقال : جيش دهم ، وعدد دهم، أى كبير ، وقوله: يلهم أى يبتلع، فالإلهام الابتلاع بكثرة، ١٢ وقوله : أحشاد جمع حشود ، وهم المحشودون ، يقال: حشدت القوم أحشدهم حشداً، وهم حُشَد بفتح الشين .

وروى أنّ هشام بن المغيرة كانت بينه وبين العاص بن وائل نَبْوَة ، وكان ١٥ أبو جهل بن هشام حديث السنّ معجباً بنفسه، فمرّ بالعاص بن وائل وهو فى نادى قومه ، وابنه عمرو بن العاص بين يديه ، وهو يومئذ صغير السنّ ، قال أبو جهل للعاص بن وائل كلمة يتهدّده بها ، فلم يجبه العاص بشيء ، فقال له ولده عمرو : ١٨ يا أبت ما لك لا تجيبه ؟ فقال له أبوه : ما الذى أقول له ، قال : تقول :

إذا كنتَ يومك ذا عاجزاً هَهِيناً ، فأنت غداً أعجزُ

(٤) الألدغما : إلاليدغما (١٩) يا أبت : يابه

ولو كنت تعقل ألمالك عن وعيدك لى ما به تنبز

قال : فاستطير العاص بن وائل سروراً به ، وقال له : أنت ابنى حقاً ، وكان

٣ قبل ذلك يعصيه ، ويقدم غيره من ولده عليه .

قلت : والذى عناه عمرو بقوله : ما به تنبز ، أنّ أبا جهل كان فيه خنث ، وينبز بالداء العضال ، وكان نديماً للحكم [بن][1] أبى العاص بن أميّة ، فكان

٦ مثله فى ذلك جميعاً ، يجمعهما علّة الخنث .

وروى أنّ أمّ عمرو بن العاص ، وهى النابغة ، امرأة من عنزة ، وقع عليها شىء ، فضربت يوماً ولدها عمرو بن العاص ، (١٦٢) وهو صغير جدًّا عندما دبّ ،

٩ فقال لها : ستعلمين ، وذهب إلى أبيه وهو فى نادى قومه ، فجلس فى حجره ، فبال عليه ، وكان أبوه قاذورة متقزّزاً ، فى خلقه عسر ، فتأفّف منه ، وأراد ضربه ، فمنعه قومه وقالوا : هذا طفل لا يعقل ، فنهض مغضباً فدخل على النابغة ،

١٢ فأوجعها ضرباً ، وأقسم لها بما يعظّمه لئن بعثت به إليه وهو فى نادى قومه ليعودنّ لها بأشدّ ما بدا ، ولمّا خرج من عندها قال لها عمرو : كيف رأيت ، ألم أقل لك ؟! فصكّت وجهها ، ونادت بالويل ، فرجع العاص إليها وتناول السوط ،

١٥ فقالت : مهلًا حتى أخبرك ، وحدّثته فقال : والكعبة إنّه لذو دهاء ، فاحذريه !

فكانت تحذره مدّة طويلة ، ثم نقمت عليه أمراً فضربته ، ورصدته فلم يجد محيصاً عنها سحابة يومه ذلك ، فلمّا كان من الغد ، أملس منها فذهب إلى أبيه

١٨ وهو فى الحجر مع سادة قريش ، فلمّا رآه انتهره ، فقال له عمرو : إنّ أمّى تدعوك ،

---

(٨) شىء : شيئا || فضربت : شربت (١٤) فصكت : فسكت || السوط : الصوط
(١٦) يجد : تجد

---

(١) إضافة من السيرة النبوية لابن هشام

فقال : كذبت ، وجهجه به ، فذهب ثم عاد وفى يده نقبة خلق وَضِرة ، كانت أمّه تمتهن فيها ، ثم قصد والده من قبل ظهره فلم يشعر به حتى قام على القوم ، فنشر تلك النقْبة ، وقال لأبيه : تقول لك أمّى : تعال ، وهذه النقْبة أمارة ، ٣ فرمى القوم بأبصارهم، وكاد العاص بن وائل يتميّز غضباً، فتناول من ولده النقْبة، واحتضنه ، وأتى به منزله ، وأنحى على المرأة ضرباً ، وجعلت تسترققه وتستصيبه[1] ، وقد أخذ الغضب ببصره وسمعه ، حتى إذا أثخنها ضرباً وسكن ٦ غضبه جلس وقد خامره الندم على ما كان منه إليها ، فقالت : والله ما لى ذنب إليك ، وما أحسبنى ذهبت إلا من قبل ولدك ، فإنّى ضربته أمس ، فقال : ويحك ، ألم تنفذيه إلىّ (١٦٣) بالنقْبة أمارة ؟ فقالت : ما فعلتُ وربِّ البيت ! ٩ فقال لابنه : ألم تقل ذلك ؟ فقال : إنّها ضربتنى بالأمس فقال : أشهد أنّك أدهى العرب ، ثم قال لأمّه : لا تعرضى له بعد .

تفسير كلم من هذا الحديث ١٢

قوله : عند ما دبّ ، الدّبيب أضعف المشى ، وهو أوّل مشى الطفل ، ومشى الشيخ الهرم ، وقوله : نادى قومه ، أى مجالسهم ، والنادى اسم المجالس ما دام المتجالسون به ، وقوله : قاذورة أى متقززاً ، وقوله : فتأفّف أى قال أفّ أفّ ، ١٥ وقوله : سحابة يومه ، أى جميع يومه ، هذا كلام العرب ؛ يقولون : ما رأيت فلاناً سحابة يومى ، أى فى جميع يومى ، وقوله : جهجه به : أى نفّره وشرّده ومنعه الاستقرار ، والجهجهة فى الأصل حكاية قول القائل : جه جه جه ، وقوله : ١٨

---

(٣) تقول : تقل (٥) وأنحى : والحى (٦) أخذ الغضب : أخذ به الغضب

---

(١) تستصيبه : تراه صوابا ، لسان العرب

أملس منها ، أى ذهب ولم تشعر به ، وقوله : النقبة : هو مئزر يخاط طرفاه فيؤتزر به ، فهو كالسراويل بغير نيفق ولا ساقين محجوزين ، وقوله : وَضِرة ، أى ذات وضر ، والوضر : وسخ الدهن وما ضاهاه ، وقوله : تمتهن أى تخدم ، والمهنة الخدمة ، والله أعلم .

ذكر مصر ومبتدئها
ملخّصًا من وجه

قلت : قد تقدّم القول من العبد فى ذكر مصر ومبتدئها منذ أوّل زمان وإلى آخر وقت ، فى الجزء الأوّل[1] من هذا التّاريخ . وذكرنا عجائبها وغرائبها وملوكها وكهنتها وسحرتها وكنوزها ورموزها وأعلامها وأهرامها ، ولم نبخل بحمد الله وحسن إلهامه وتوفيقه بشىء من أحوالها، جهد الطاقة ، وحدّ الاستطاعة، وأخّرنا هذا الفصل اللطيف ها هنا ، كونه لائقًا بهذا المكان مستحليًا به ، لئلّا يخلو جزء من أجزاء هذا التّاريخ من نبذة (١٦٤) خفيفة وزبدة لطيفة، والله المستعان إلى هذه المعان .

ذكر القاضى ابن لهيعة ، والقضاعى ، وجماعة من المشائخ المصريّين ؛ منهم عبد الله بن خالد ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، ورشد بن سعد ، كلّهم يذكر عن التابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، فى حديث مصر أن بيصر بن حام ابن نوح عليه السّلام لمّا نزل إلى الأرض التى أمّها عند خروجه من بابل سكن منف بولده وأهل بيته ، وهم ثلاثون إنسانًا ، منهم أربعة أولاد لبيصر من صلبه

(١٢) جزء : جزءا || والله : وبالله

(١) الجزء الأول : يعنى الجزء الثانى

وهم : مصر ، وفارق ، ومناح ، وباح[١] ، وإنّما اسم منف مافه ، ومافه لفظة قبطيّة ، تفسيرها : ثلاثون ، وكان مصر أكبر أولاده ، وأحبّهم إليه ، فاستخلفه بيصر أبوه على إخوته ، فاقتطع أرض مصر لنفسه ، مسيرة شهر عرضاً في شهر طولاً ، وهي من الشجرتين[٢] إلى أسوان ، ومن أيلة إلى برقة . ٣

وكان لمصر أربعة أولاد وهم قفط[٣] ، وأشمن ، وأترب ، وصا ، فقسم لهم شطّ النيل بأربعة أقسام ، وجعل لكلّ واحد وولده قطعة ، ولمّا هلك مصر خلفه ابنه قفط ، وخلف قفط أشمن ، وخلف أشمن أترب ، وخلف أترب صا . ٦

ثم صار الملك في ولد صا ، ملك منهم خمس ، أوّلهم : رادس[٤] بن صا ، ثم ماليون بن رادس[٥] ، ثم أخوه ماليا ، ثم لوطس بن ماليا ، فلمّا حضرت لوطس الوفاة ملّك ابنته حوريا ، فإنّه لم يكن له ذكر من ولده ، ثم ملكت ابنة عمّها دلوكة بنت [زباء][٦] ، ثم ابنة عمّ لها يقال لها مانوفن ، فلمّا تداولتهم النساء غزتهم العماليق ، فقاتلهم الوليد بن دومغ ، فصالحوه على أن يملكهم من العمالقة سبع ، أوّلهم الوليد بن دومغ . ٩ ١٢

---

(٢) ثلاثون : ثلاثين (١٠) ذكر : ذكرا (١٢) يملكهم : مكررة مرتين

---

(١) كذا في الأصل ، وفي مروج الذهب ، طبع بيروت ١٣٩٣ هـ ، تحقيق أسعد داغر ، ١ : ٣٩٥ : وماح وباح

(٢) من الشجرتين خلف العريش ، فتوح مصر لابن عبد الحكم ، من الموضع المعروف بالشجرة ، وهو آخر أرض مصر ، والفرق بينها وبين الشام ، وهو الموضع المشهور بين العريش ورفح ، مروج الذهب

(٣) كذا في الأصل وفي ابن عبد الحكم ؛ أما في مروج الذهب : قبط

(٤) كذا في الأصل ، وفي فتوح مصر : تدارس

(٥) تختلف السلسلة الواردة هنا عن السلسلة التي أوردها المسعودي في مروج الذهب ، ١ : ٣٩٥ ـ ٣٩٦ ، على أن ماليون بن رادس هو عند المسعودي : ماليق بن دارس ، وعند ابن عبد الحكم ، ١٠ : ماليق بن تدارس

(٦) كذا في ابن عبد الحكم ، ٤٠ ، وفي الأصل : ربا

(١٦٥) وقد ذكرت جميع هؤلاء العمالقة وسيرهم ومددهم وسبب تمليكهم مصر فى الجزء الأول(١) من هذا التاريخ مفصّلاً ، مبرهناً ، ما لعلّه لم يوجد فى
٣ تاريخ غيره ، وإنّما استمددت ذلك من كتاب قبطى عتيق ، كان قد وجدته فى الدير الأبيض الذى قبالة سوهاج من صعيد مصر ، وقد ذكرت أيضاً فى ذلك الجزء هذا الكتاب القبطىّ وسبب تحصيله ممّا يغنى عن إعادته ها هنا .
٦ ولم تزل العماليق ملوك مصر من حين تغلّبوا على قبطها حسبما تقدّم من الكلام ، وكان الكاهن أشمويل أوّل من بنى مقياساً للماء بمدينته المعروفة به وهى الأشمونين ، فلمّا استخلف يوسف عليه السّلام بنى مقياساً للماء بمنف ،
٩ وكانت دلوكة بنت زباء قبل ذلك قد بنت مقياساً بأنصنا ، وبنت آخر بأخميم ، وقيل هى بانية البربا وحيط العجوز (٢) ، وكانت عالمة بأنواع السحر وبقيّة من علم الطلّسمات والعزائم ، وطلبتها الأعداء فلم يقدروا عليها ، وأهلكتهم فى مواطنهم
١٢ حسبما تقدّم من الكلام فى ذلك الجزء عند ذكرها .
ولمّا فتحت مصر ، وصارت فى أيدى المسلمين بمعونة الله تعالى وعنايته بدين الإسلام ، بنى عمر بن عبد العزيز مقياساً بحلوان ، وبنى أسامة بن زيد التنوخى
١٥ مقياساً فى الجزيرة ، وهو الذى هدمه الماء ، وبنى المأمون مقياساً بالسرورات ، وبنى المتوكّل هذا المقياس الذى تقاس فيه فى هذا الوقت عند وضعى لهذا التاريخ ، وهو فى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، أحسن الله فيها العاقبة .

(٤) سوهاج : سوهاى

(١) الجزء الأول : أى الجزء الثانى

(٢) فبنت على بلاد مصر حائطاً يحيط بجميع البلاد ، وأثر هذا الحائط باق إلى هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، ويعرف بحائط العجوز : مروج الذهب ، : ٣٩٨

وحكت الجماعة المشائخ رضى الله عنهم أنه وجد فى كتاب قبطىّ باللغة القبطية ما نقل إلى العربيّة أن الريّان بن الوليد كان يجبى خراج مصر أربعة وعشرين ألف ألف مرّتين، وأربع مائة ألف دينار، فكان يصرف منها فى عمارة (١٦٦) الضياع لحفر الخليج والترع وعمل الجسور، وتقوية من يحتاج إليه من التقوية من المزارعين، من غير رجوع عليه بشىء منها، لإقامة العوامل، وثمن الآلات، وأجرة من يستعان به لحل البذار، وسائر هذه المنافع العائد مصلحتها لتحضير سائر أراضيهم، وتعليقها بالزراعة وتطبيقها بالبذار، فيصرف فى جميع ذلك من الجملة المذكورة ثمان مائة ألف دينار.

وما يصرف فى الأرزاق للأولياء ممّن يحمل السلاح من الجند المدودين للحرب وللشاكرديّة وغيرهم من الغلمان ومن يجرى مجراهم، وعدة جميعهم مائة ألف رجل وأحد عشر ألفاً مع ألف كاتب مسوّمين بالدواوين، سوى من تبعهم من الخزان ومن يجرى مجراهم ثمانية ألف ألف ــ مرّتين ــ دينار، وما يصرف للأرامل والأيتام من ذوى الحاجة فرضاً لهم من بيت المال من غير حوالة أربع مائة ألف دينار.

وما يصرف فى أرزاق كهنة برابيهم، وأئمّتهم، وبيوت صلواتهم، على ما جرت به رسومهم من جملة ذلك مائتا ألف دينار، وما يصرف فى الصدقات ممّا يصبّ صبًّا، وينادى مناد فى الناس: برئت الذمّة من أحد كشف وجهه لفاقة نزلت به، فليحضر فلا يردّ عنه أحد، والأمناء حضور.

فإذا رأوا رجلاً لم تجر له عادة بالحضور أفرد بعد قبض ما يقبضه من صدقته.

---

(٢) أربعة وعشرين : أربعة وعشرون (٤) الترع : التراع
(١٢) مرتين دينار : دينار مرتين

حتى إذا فرغ وفرّق جميع ذلك المرصّد ، واجتمع من هذه الطائفة من اجتمع ، دخل أمناؤه إليه فهنّئوه بتفرقة المال ، ودعوا له بالبقاء ودوام العزّ ، وأنهوا إليه حال تلك الطائفة التى اجتمعت ، فيأمر بتغيير لباسهم ولمّ شعثهم ، ويأمر بالسماط (١٦٧) فتمدّ ، ويحضر بنفسه الطعام ، ويدعى بهم فيأكلون ويشربون بين يديه ، ثم يستعلم منهم من كلّ واحد ما سبب فاقته ، فإن كانت من آفات الزمان ردّ عليه مثل ما كان له ، وإن كان عن سوء رأى وتدبير ضمّه إلى من يشرف عليه ، بعد أن يقام له ما يصلحه ، فالمرصد لذلك من الجملة مائة ألف دينار .

وما يصرف فى نفقات مطبخه وسائر رواتبه مائتا ألف دينار ، ثم يحمل الباقى إلى بيت المال لنوائب الزمان ما جملته عشرة ألف ألف ـ مرّتين ـ وستمائة ألف دينار .

وذكرت الجماعة أنّ فرعون كان يجبى خراج مصر خمسين ألف ألف دينار ، فيأخذ الربع من ذلك لنفسه وأهله ، والربع الثانى لوزرائه وكتّابه وجنده ، والربع الثالث مرصّد لحفر الخلج ، وعمل الجسور والترع ، وأعمال مصالح الأرض ، والربع الرابع يردّه فى المدن والقرى ، فإذا لحقهم فى بعض السنين ظمأ أو استبحار أو فساد فى الزرع أخرجه وردّه عليهم ، وصرفه فى مصالحهم .

وتقبّلها المقوقس من [فوقاس][1] بن هروك ، متملّك الروم ، بتسعة عشر ألف ألف دينار ، وكان يجبيها عشرين ألف ألف دينار .

---

(٢) فهنئوه : فهنوه (٤) ويدعى : يدعا (١٣) الترع : التراع

(١٤) لحقهم: لحقتهم || ظمأ أو : ظما (١٦) بتسعة عشر : بتسع عشر

---

(١) كذا فى مروج الذهب ، ١ : ٣٦١ ، وفى الأصل : فوقت

فلمّا افتتحها عمرو بن العاص جباها اثنى عشر ألف ألف دينار ، ثم جباها
بعد ذلك تسعة آلاف ألف دينار ، وجباها عبد الله بن سعد بن أبي سرح أربعة
عشر ألف ألف دينار ، وهو الذى بنى مدينة القيروان بالغرب ، والله أعلم . ٣

ذكر سبب دخول عمرو بن العاص مصر في الجاهليّة

قال[١] : حدّثنا عمر بن صالح ، عمّن رواه من الثقاة قال: لمّا كان سنة ثمانى ٦
عشرة ، وقدم عمر بن الخطّاب رضى الله عنه الجابية ، خلا به عمرو بن العاص ، وذكر
له مصر واستأذنه فى المسير إليها وكان عمرو بن العاص قد دخلها فى الجاهليّة ،
وعرف طرقها ، ورأى كثرة ما فيها . ٩

وكان سبب دخول عمرو بن العاص مصر كما روى ، قال : حدّثنا [يحيى
ابن خالد العدوى][٢] ، عن ابن لهيعة ويحيى بن أيّوب ، عن [خالد][٣] بن يزيد ،
أنّه بلغه أن عمرًا قدم إلى بيت المقدس ، فخرج فى بعض جبالها يرعى إبله وإبل ١٢
أصحابه ، وكان رعى الإبل نوبًا بينهم ، فبينا عمرو بن العاص يرعى إبله إذ مرّ به
شيخ شمّاس ، وقد أصابه العطش فى يوم شديد الحرّ ، حتى كاد يتلف عطشًا ،
فوقف على عمرو فاستسقاه ، فسقاه عمرو من قربته ، فنهـل حتى روى ، ونام ١٥
الشمّاس مكانه .

(٦-٧) ثمانى عشرة : ثمان عشرة (١٢) عمرا : عمروا

---

(١) يعنى ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ٥٣ وما بعدها
(٢) كذا فى فتوح مصر ، ٥٣ ، أما فى الأصل فقد جاء هـذا الاسم على هذا النحو : يحيى بن خالد العبدرى
(٣) كذا فى فتوح مصر ، وفى الأصل : خالد بن زيد

وكانت إلى جنب الشمّاس حيث نام حفرة ، فخرجت منها حيّة عظيمة تريد الشمّاس ، فبصر بها عمرو فنزع لها بسهم فقتلها ، فلمّا استيقظ الشمّاس ونظر الحيّة وعظمها ، وكيف نجا منها قال : وما هذه ؟ فأخبره عمرو ، فأقبل الشماس إلى عمرو يقبّل رأسه ، وقال: قد أحيانى الله بك مرّتين؛ مرّة من شدّة العطش ، ومرّة من هذه الحيّة ، فما أقدمك هذه البلاد ؟ قال : قدمت مع أصحاب لى نطلب الفضل فى تجارتنا ، فقال الشمّاس : وكم تراك ترجو أن تصيب فى تجارتك ؟ قال : رجائى أن أصيب ما أشترى به بعيراً ، فإنّى لا أملك إلّا بعيرين ، فأملى أن أصيب بعيراً آخر ، فتعود ثلاثة أبعرة ، فقال له الشمّاس: أرأيت دية أحدكم بينكم كم تكون ؟ قال : مائة من الإبل ، قال الشمّاس : لسنا أصحاب إبل إنّما نحن أصحاب دنانير ، قال عمرو : يكون ذلك ألف دينار .

فقال الشمّاس: إنّى رجل غريب فى هذه البلاد، وإنّما قدمت أصلّى فى كنيسة بيت المقدس ، وأسيح فى هذه الجبال شهراً ، جعلت ذلك علىّ نذراً ، وقد قضيت ذلك ، وأنا أريد الرّجوع إلى أهلى ، فهل لك أن تتبعنى (١٦٩) إلى بلادى ، ولك عهد الله منّى وميثاقه ، أن أعطيك ديتين، لأنّ الله تعالى أحيانى بك مرّتين، فقال له عمرو : وأين تكون بلادك ؟ قال: مصر، فى مدينة يقال لها الإسكندريّة، فقال عمرو : لا أعرفها ولم أدخلها قطّ ، فقال الشمّاس : لو دخلتها لعلمت أنّك لم تدخل قطّ مثلها ، فوثق منه عمرو ، وأخذ عليه العهود ، وشاور أصحابه وقال : إن وفى لى بما قال فلكم علىّ العهد أن أعطيكم شطر ذلك ، على أن يصحبنى رجل منكم آنس به ، فبعثوا معه رجلًا ، فدخل عمرو مصر مع الشمّاس ، ونظر إلى الإسكندريّة فرأى عمرو من عمارتها عجباً .

---

(٣) قال : فقال (٧) بعيرا : بعير

ووافق دخول عمرو الإسكندرية عيداً فيها عظيماً ، يجتمع فيه سائر ملوكهم ، وأبناء ملوكهم ، وأشرافهم ، ولهم [أكرة][1] من ذهب مكلّلة ، يترامى بها ملوكهم ، ويتلقونها بأكمامهم ، فمن وقعت تلك الأكرة فى كمّه واستقرّت فيه لم يمت حتى يملكهم ، فلما قدم عمرو أحضره الشمّاس معه للفرجة فى ذلك المجلس ، ورُمِى بتلك الأكرة ، فأقبلت تهوى حتى وقعت فى كمّ عمرو ، فعجبوا من ذلك ، وقالوا : ما كذبتنا أكرتنا قطّ إلّا هذه المرّة : أترى هذا الأعرابى يملكنا ؟ هذا ما لا يكون أبداً .

ثم إنّ ذلك الشمّاس وفى لعمرو بما قال له ، وأعطاه ألف دينار ، وأكرمه ، وسيّره مع من وصله إلى أصحابه ، فوفى أيضاً عمرو لأصحابه ، وشاطرهم المال كما ذكر ، قال عمرو : فكان ذلك أوّل مال عقدته وملكته ، وهذا سببه ، والله أعلم .

ذكر فتح مصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه

قال[2] : حدّثنا عثمان بن صالح ، قال: حدّثنا ابن لهيعة ، عن [عبيدالله][3] ابن أبى جعفر ، وعيّاش بن عبّاس [القتبانى][4] ، وغيرهما ، يزيد بعضهم على بعض ، قال : لمّا قدم عمر بن الخطّاب رضى الله عنه الجابية قام إليه عمرو ابن العاص ، فخلا به ، فقال: (١٧٠) يا أمير المؤمنين، ائذن لى أن أسير إلى مصر ،

---

(٢) الأكرة : الكرة (٩) مع من : معمن (١٥) بعضهم : بعضهما

---

(١) كذا فى فتوح مصر ، ٥٥ ، وفى الأصل : كرة ، وسيصححها بعد ذلك

(٢) قارن فتوح مصر ، ٥٣ وما بعدها ؛ نهاية الأرب ، ١٩ : ٢٨٤ وما بعدها .

(٣) كذا فى فتوح مصر ، ٥٥ ، وفى الأصل : عبد الله

(٤) كذا فى فتوح مصر ، ٥٦ ، وفى نهاية الأرب : العتبانى ، وفى الأصل : العتانى

وحرّضه على ذلك ، وقال له : إنّك إن فتحتها كانت قوّة للمسلمين وعونًا لهم ، وهى أكثر الأرض أموالًا ، [وأعجزها][1] عن قتال وحرب ، فتخوّف عمر ٣ رضى الله عنه على المسلمين ، وكره ذلك ، فلم يزل به عمرو يعظّم أمرها وأموالها ، ويستصغر حرب أهلها وعجزهم ، ويهوّن عليه أمرها ، حتّى ركن لذلك عمر رضى الله عنه ، فعقد له على أربعة آلاف ، كلّهم من عك ، ويقال بل ثلاثة آلاف ٦ وخمسمائة .

قال[2] : حدّثنا أبو الأسود النضر بن عبد الله أو ابن عبد الجبّار ـ وهو الصحيح ـ ، قال : حدّثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن [أبى حبيب][3] أنّ عمرو ٩ ابن العاص دخل مصر بثلاثة آلاف وخمسمائة ، وأنّ عمر بن الخطّاب رضى الله عنه قال له : سر وأنا مستخير الله تعالى فى سيرك ، وسيأتيك كتابى سريعًا إن شاء الله تعالى ، فإن أدركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها ، ١٢ أو شيئًا من أرضها ، فانصرف قافلًا ، وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك ، واستعن بالله واستنصره .

فسار عمرو ولم يشعر به أحد من الناس ، واستخار عمر رضى الله عنه الله تعالى ، ١٥ فكأنّه تخوّف على المسلمين فى وجههم تلك ، فكتب إلى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين ، فأدرك الكتاب عمرًا وهو بمنزلة رفح ، فتخوّف عمرو من أخذ الكتاب إن هو أخذه من الرسول وفتحه أن يجد فيه ١٨ الانصراف كما عهد إليه عمر ، فلم يأخذ الكتاب من الرسول ، ودافعه ، وسار

---

(٣) يعظم : ويعظم

(١) كذا فى فتوح مصر ، وفى الأصل : أعجز

(٢) يعنى ابن عبد الحكم فى فتوح مصر ، ٥٧ وما بعدها

(٣) كذا فى فتوح مصر ، وفى الأصل : زيد بن حبيب

لوجهه حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش ، فسأل عنها ، فقيل : إنّها من مصر ، فدعى بالكتاب فقرأه على المسلمين ، فقال عمرو لمن معه : ألستم تعلمون أنّ هذه القرية من مصر ؟ قالوا : بلى ، قال : فإنّ أمير المؤمنين عهد إلىّ وأمرنى (١٧١) إن لحقنى كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع ، وإن كنت دخلت أرض مصر فأمضى لما ندبنى إليه ، فسيروا بنا على بركة الله .

ويقال : بل كان عمرو بفلطسين ، فتقدّم بأصحابه إلى مصر ، بغير إذن عمر رضى الله عنه ، فكتب إليه وهو دون العريش ، فحبس الكتاب ولم يقرأه حتى بلغ العريش ، فقرأه فإذا فيه: من عمر بن الخطاب إلى العاصى بن العاصى. أما بعد، فإنّك سرت بالمسلمين إلى مصر ، وبها جموع الروم، وإنّما معك نفر يسير، ولعمرى لو كانوا [ثكل أمّك][1] ما سرت بهم ، فإن لم تكن بلغت مصر فارجع ، فقال عمرو : الحمد لله ، أيّة أرض هذه ؟ قالوا : مصر ، فتقدّم على ما كان عليه ، واتّفقت أكثر الروايات على مثل هذا الكلام وأنظاره .

وكان صفة عمرو بن العاص كما حدّث سعد بن عفير ، عن الليث بن سعد ، قصيراً ، عظيم الهامة ، ناتىء الجبهة ، واسع الفم ، عظيم اللحية ، عريض ما بين المنكبين والقدمين ، قال الليث بن سعد : يملأ هذا المسجد .

فلمّا بلغ المقوقس قدوم عمرو بن العاص إلى مصر ، توجّه من الإسكندريّة إلى الفسطاط ، فكان يجهّز العساكر ، وكان على القصر رجل من الروم ، يقال له الأعيرج واليا ، وكان من تحت أمر المقوقس .

---

(١٢) وأنظاره : وأنصاره

---

(١) كذا فى فتوح مصر ، وفى نهاية الأرب : بكل أمتك ، وفى الأصل : تكل أمك

وأقبل عمرو حتى [إذا][1] كان بجبل الحلال [نفرت][2] معه راشدة وقبائل من لخم ، فكان أوّل موضع قوتل فيه الفرما ، قاتلته الروم قتالًا شديداً نحواً من شهر ، ثم فتح الله على يديه .

وكان عبد الله بن مسعود على ميمنة عمرو بن العاص ، منذ توجّه من قيسارّية ، إلى أن فرغ من حربه .

وعن مشايخ من أهل مصر قالوا : كان بالإسكندرّية أسقف القبط يقال له : أبو ميامين[3] ، فلمّا بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر ، كتب إلى (١٧٢) القبط يعلمهم أن لا للروم دولة ، وأن مُلْكهم قد انقطع ، ويأمرهم بتلقّي عمرو ابن العاص ، فيقال إنّ القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو عوناً ، قال عثمان فى حديثه : ثم توجّه عمرو فلا يدافَع إلّا بالأمر الخفيف ، حتى نزل القواصر .

قال : حدّثنا عبد الملك بن المسلمة ، قال : حدّثنا ابن وهب ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن شريح أنّه سمع شراحيل بن يزيد يحدّث عن أبى الحسين أنّه سمع من رجل من لخم يحدّث كريب بن أبرهة[4] قال : كنت أرعى غنماً لأهلى [بالقواصر][5] ، فنزل عمرو ومن معه ، فدنوت إلى أقرب منازلهم ، فإذا [بنفر][5] من القبط كنت قريباً منهم ، فقال بعضهم لبعض : ألا تعجبون

(٣) نحوا : نحو

(١) إضافة من فتوح مصر ، ٥٨

(٢) كذا فى فتوح مصر ، ٥٨ ، وفى الأصل : تقرب

(٣) كذا فى الأصل ، وبعض نسخ فتوح مصر ، أما النسخة التى اعتمدها محقق فتوح مصر ، ففيها : أبو بنيامين

(٤) كذا فى فتوح مصر ، ٥٩ ، وفى الأصل : إبراهيم

(٥) بياض فى الأصل ، والتصحيح من فتوح مصر ، ٥٩

من هؤلاء القوم، يقدمون على جموع الروم وإنّما هم قلّة من الناس فأجابه رجل آخر فقال : إنّ هؤلاء لايتوجّهون [إلى أحد][1] إلّا ويظهرون عليه ، حتى يقتلوا خيرهم ، قال : فقمت إليه فأخذت بتلابيبه ، فقلت : أنت تقول هذا ؟ انطلق معى ٣
إلى عمرو بن العاص حتى يسمع الذى قلت ، فطلب إلىّ أصحابه حتى خلصوه ، فرددت الغنم إلى منزلى ، ثم جئت حتى دخلت فى القوم .

قال عثمان فى حديثه : فقدم عمرو ولا يدافَع إلّا بالأمر الخفيف ، حتى أتى ٦
بلبيس ، فقاتلوه بها قتالًا شديداً ، وأبطأ عليه الفتح ، فكتب إلى عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يستمدّه ، فأمدّه بأربعة آلاف ، تمام ثمانية آلاف ، فقاتلهم .

ثم رجع إلى حديث [ابن][1] وهب ، عن عبدالرحمن بن شريح ، عن شراحيل ٩
ابن يزيد ، عن أبى الحسين أنّه سمع رجلًا من لخم قال : فجاء رجل إلى عمرو ابن العاص فقال : اندب معى خيلًا حتى آتى من ورائهم عند القتال ، فأخرج معه
(١٧٣) خمسمائة فارس ، فساروا من وراء الجبل ، حتى دخلوا مغار بنى وائل قبل ١٢
الصبح ، وكانت الروم قد خندقوا خندقاً ، وجعلوا له أبواباً ، فثبّتوا[2] فى أقبيتها حسك الحديد ، فالتقى القوم حين أصبحوا ، وخرج اللخمى بمن معه من ورائهم ،
فانهزموا حتى دخلوا الحصن . ١٥

وقال غير ابن وهب : بعث خمسمائة عليهم خارجة بن حذافة ، فلمّا كان وجه الصبح نهض القوم ، فصلّوا الصبح ، ثم ركبوا خيلهم ، وغدا عمرو بن العاص على

---

(٢) يقتلوا : يقتلون (٥) جئت : حيث (١٦) ابن : بن

---

(١) إضافة من فتوح مصر ، ٥٩

(٢) كذا فى الأصل ، وفى فتوح مصر : وبثوا

القتال ، فقاتلهم من [وجههم][1] ، وحملت التى كانت من ورائهم ، واقتحمت عليهم [فانهزموا][2] .

٣ قال ابن وهب فى حديثه : فسار عمرو حتى نزل على الحصن ، فحاصرهم ، حتى سألوه أن يسيّر منهم بضعة عشر أهل بيت [ويفتحوا][2] له الحصن ، ففعل ذلك ، ففرض عمرو لكلّ رجل من أصحابه [ديناراً وجبّة][2] وبرنساً وعمامة

٦ وخفين ، وسألوه أن [يهيّئوا له ولأصحابه صنيعاً][3] ففعل .

قال عبد الرحمن : قال ، حدّثنى أبو عبد الله بن عبد الحكم أنّ عمرو ابن العاص أمر أصحابه فتهيّئوا[4] ، ولبسوا البرود ، ثم أقبلوا . قال [ابن][5] وهب

٩ فى حديثه : وسألوه أن يصنعوا له طعاماً ولأصحابه ، فلمّا فرغ عمرو من طعامهم سألهم : كم أنفقتم؟ قالوا : عشرين ألف دينار ، قال عمرو : لاحاجة لنا فى صنيعكم بعد اليوم ، أدّوا إلينا عشرين ألف دينار ، فجاءه نفر من القبط ، فاستأذنوا إلى قراهم

١٢ وأهلهم ، فقال لهم عمرو : كيف رأيتم أمرنا ! قالوا : لم نر إلّا حسناً ، فقال الرجل الذى قال فى المرّة الأولى ما قال لهم : إنّكم لن تزالوا تظهرون على كلّ من لقيتم حتى تقتلوا خيركم ، فغضب عمرو وأمر به ، فطلب إليه أصحابه وأخبروه أنّه

١٥ لايدرى ما يقول حتى خلّصوه ، فلما بلغ عمراً قتلُ عمر بن الخطّاب رضى الله عنه

---

(٧) أبو : أبى (١٠) أنفقتم : نفقتم (١٢) رأيتم : رأيتوا || نر : نرا
(١٣) تظهرون : تظهروا (١٥) عمراً : عمرو

---

(١) كذا فى فتوح مصر ، وفى الأصل : وجهه
(٢) بياض فى الأصل ، والتصحيح من فتوح مصر ، ٦٠
(٣) كذا فى فتوح مصر ، وفى الأصل : أن يهبوا له ولأصحابه ضيعة نفعل
(٤) كذا فى فتوح مصر ، وفى الأصل : فنهبوا وسبوا
(٥) إضافة من فتوح مصر

أرسل (١٧٤) فى طلب ذلك القبطى فوجده قد هلك ، فعجب عمرو من كلامه ،
قال عمرو : فلمّا قُتِل عمرُ بن الخطّاب ، قلت: هو ما قال القبطى ، فلما حُدِّثت[1]
إنّما قتله أبو لؤلؤة رجل نصرانى قلت : لم يعْنِ هذا إنّما عنى من قتله المسلمون ٣
فلما قُتِل عثمان عرفت أنمّا قال الرجل حقّ .

قال ابن وهب فى حديثه : فلمّا فرغ القبط من صنيعهم ، أمر عمرو بن العاص
بطعام ، فصنع لهم من الثريد ولحم الأباعر ، وجعل الأكارع على وجوه الجفان ، ٦
وأمر أصحابه بلبس الأكسية ، واشتمال الصماء ، والقعود على الركب ، فلمّا
حضرت الروم وضعوا كراسىّ الديباج فجلسوا عليها ، وجلست العرب إلى جوانبهم ،
فجعل الرجل من العرب يلتقم اللقمة من الثريد شبه البعير ، وينهش من تلك ٩
الأكارع فيتطاير على من إلى جنبه من الروم ، فيستغيث الرومى بذلك ، وقالوا :
أين أولئك الذين كانوا أتونا قبل ؟ فقيل لهم : أولئك أصحاب المشورة ،
وهؤلاء أصحاب الحرب[2] . ١٢

وروى فتح القصر من وجه آخر فيه طول ، فاختصرنا هذا ، إذ القصد
أن لا يخلو تأريخنا من واقعة جرت بطريق الاختصار ، والله الموفق للصواب .

ولمّا طلب المقوقس من عمرو بن العاص رسلًا يسمعون كلامه ، أنفذ إليه ١٥
عبادة بن الصامت ، وكان شديد السواد ، هائل الطول والمنظر ، مع جماعة من
المسلمين ، فلمّا رآه المقوقس هابه وقال : قدّموا غير هذا يكلّمنى ! فقالوا : هو

---

(٥) فرغ : فرغوا || عمرو : عمر (١٤) يخلو : يخلوا

---

(١) كذا فى فتوح مصر ، وفى الأصل : حدث

(٢) قارن الطبرى ، ٤ : ٢٢٩ ـ ٢٣٠

المقدّم علينا ، فقال المقوقس بعد كلام طويل : تقدّم وقل برفق ، فإنّى أهابك ، وإن اشتدّ كلامك كان أهيب ، فقال عبادة : قد سمعت كلامك ، وإنّ فيمن خلفت ورائى من أصحابى ألفَ رجلٍ أسود ، كلّهم أفظع منظراً منّى ، فى كلام طويل هذا آخره .

ثمّ تناظروا مناظرات (١٧٥) كثيرة ، آخرها أنّ عبادة قال : لا نرضى منكم بغير ثلاث خصال : إمّا أن تدخلوا فى ديننا ، أو تؤدّوا الجزية ، أو يحكم السّيف بيننا ، فارتضوا بعد مشاجرات كثيرة بالجزية ، والله أعلم .

ذكر بعض شىء ممّا ورد فى صفة مصر

قال[1] : حدّثنا علىّ ، قال: حدّثنا عبدالرحمن، قال: حدّثنا عبدالله بن صالح، عن ابن لهيعة ، عن بكر بن سوادة ، وبكر بن عمرو الخولانى ، يرفعان الحديث إلى عبد الله بن [عمرو][2] رضى الله عنه ، قال: قبط مصر أكرم الأعاجم كلّها، وأسمحهم يداً ، وأفضلهم عنصراً ، وأقربهم رحماً بالعرب عامة ، وبقريش خاصة، ومن أراد أن يذكر الفردوس ، أو ينظر إلى مثلها ، فلينظر إلى مصر وأراضيها، حين يخضرّ زرعها وتنوّر ثمارها .

قال : حدّثنا علىّ ، قال : حدّثنا عبد الرحمن ، قال : حدّثنا أبو الأسود النضر بن عبد الله ، أو ابن عبد الجبّار ، قال : حدّثنا ابن لهيعة ، عن يزيد

---

(٦) تؤدوا : تدوا

---

(١) يعنى ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ٥ وما بعدها

(٢) كذا فى فتوح مصر ، ٥ ، وفى الأصل : عبد الله بن عمر

ابن عمرو المعافرى ، عن كعب الأحبار ، قال : من أراد أن ينظر إلى [شبه][1] الجنّة فلينظر إلى مصر إذا أزهرت .

وقال ابن لهيعة : كان منهم السحرة آمنوا كلّهم فى ساعة واحدة ، ولا يعلم ٣
جماعة أسلمت فى ساعة واحدة أكثر من جماعة القبط .

وعن ابن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة السبئى[2] ، وبكر بن عمرو الخولانى
ويزيد بن أبى حبيب المالكى ، يزيد بعضهم على بعض فى الحديث ، أنّ سحرة ٦
مصر كانوا اثنى عشر ساحراً رؤساء ، تحت يد كلّ ساحر منهم عشرون عرّيفاً ،
تحت يد كلّ عرّيف منهم ألف من السحرة ، فكان جميع السحرة مائتى ألف
وأربعين ألفاً ومائتين [واثنين][3] وخمسين إنساناً ، بالرؤساء والعرفاء ، فلمّا ٩
عاينوا ماعاينوا تحقّقوا أنّ ذلك من السماء ، وأنّ السحر لايقوم لأمر الله ، فخرّ
الرؤساء الاثنا عشر (١٧٦) عنــد ذلك سجّداً ، فاتّبعهم العرفاء ، واتبع العرفاءَ
الباقون ، وقالوا : آمنّا بربّ العالمين ، ربّ موسى وهارون . ١٢

قال : حدّثنا علىّ ، قال : حدّثنا عبد الرحمن ، قال : وكانت مصر كما حدّثنا
عبد الله بن صالح ، وعثمان بن صالح ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب،
عن عبد الرحمن بن شماسة[4] المهرى ، عن أبى رهم[5] السماعى ، قال : كانت ١٥

---

(٩) ألفا : ألف || ومائتين : ومائتى (١٢) الباقون : الباقين
(١٣) وكانت : وكان

---

(١) إضافة من فتوح مصر ، ٥
(٢) كذا فى فتوح مصر ، وفى الأصل : الشيبانى
(٣) إضافة من فتوح مصر
(٤) كذا فى فتوح مصر ، وفى الأصل : شمامه
(٥) كذا فى فتوح مصر ، وفى الأصل : أبى زهرة

مصر لها قناطر وجسور بتقدير وتدبير، حتى إنّ الماء ليجرى تحت منازلها وأفنيتها، فيحبسونه كيف شاءوا، ويرسلونه كيف شاءوا، فذلك قوله تعالى فيما حكاه من قول فرعون : « أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون »[1] . ولم يكن فى الأرض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر، وكانت الجنّات [بحافتى[2]] النيل، من أوّله إلى آخره، فى الجانبين جميعاً، من أسوان إلى رشيد، وبها سبع خلج ؛ وهم : خليج الإسكندريّة، وخليج سخا، وخليج دمياط، وخليج منف، وخليج الفيّوم وخليج [المنهى[3]]، وخليج السردوس، ذات جنّات متّصلة، لا ينقطع منها شىء عن شىء، والزرع ما بين الجبلين، من أوّل حدود مصر إلى آخرها، ممّا يبلغه الماء .

وكان جميع أرض مصر كلّها تروى من ستّة عشر ذراعاً، لما قدّروا ودبّروا من قناطرها وخلجانها وجسورها، فذلك قوله تعالى : « كم تركوا من جنّات وعيون، وزروع ومقام كريم »[4]، قالوا : والمقام الكريم : المنابر، التى كان بها ألف منبر .

وأمّا خليج الفيّوم والمنهى فحفرها يوسف عليه السّلام، والسّردوس حفره هامان وزير فرعون، والله أعلم .

---

(٤) ملك : ملكاً

---

(١) سورة الزخرف : ٥١

(٢) كذا فى فتوح مصر، ٦، وفى الأصل : تحادى

(٣) كذا فى فتوح مصر، وفى الأصل : النهر

(٤) سورة الدخان، ٢٥، ٢٦

ذكر شيء مما ورد من الحديث
فى الوصّية بقبط مصر

قال[1] : حدّثنا علىّ بن الحسن بن خلف بن قديد ، قال : حدّثنا عبدالرحمن ٣
ابن عبد الحكم، قال : حدّثنا أشهب بن عبدالعزيز ، وعبد الملك بن مسلمة ،قالا:
حدّثنا مالك (١٧٧) بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن كعب بن مالك : أنّ
رسول الله ﷺ قال : « إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ، فإنّ لهم ذمّة ٦
ورحماً » . قال ابن شهاب : وكان يقال إنّ أمّ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام
منهم .

قال : حدّثنا عبد الرحمن ، قال : حدّثنا عبد الملك بن مسلمة ، قال : حدّثنا ٩
عبد الله بن وهب ، عن حرملة بن عمران ، عن عبد الرحمن بن [شماسة[2]]
المهرى ، قال : سمعت أبا ذرّ يقول : قال رسول الله ﷺ : « ستفتحون أرضاً
يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإنّ لهم ذمّة ورحماً »،وقال صاحب ١٢
هذا الحديث يرفعه إلى [بحير[3]] بن ذاخر المعافرى ، عن عمرو بن العاص ، عن
عمر بن الخطّاب ، أنّ رسول الله ﷺ قال : إنّ الله سيفتح عليكم بَعْدى مصر،
فاستوصوا بقبطها خيراً ، فإنّ لكم منهم صهراً وذمّة » . ١٥

قال : حدّثنا علىّ ، قال : حدّثنا عبد الرحمن ، قال : حدّثنا عبد الملك بن
مسلمة ، ويحيى بن عبد الله بن بكير[4] ، عن ابن لهيعة ، عن ابن هبيرة ، أنّ

---

(١) فتوح مصر ، ٢
(٢) كذا فى فتوح مصر ٢ ، وفى الأصل : شمامه
(٣) كذا فى فتوح مصر ، ٣ ، وفى الأصل : بحر
(٤) كذا فى فتوح مصر ، وفى الأصل : بكر

أبا سالم الجيشانى سفيان بن هانئ ، أخبره أنّ بعض أصحاب رسول الله ﷺ أخبره أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إنّكم ستكونون أجناداً ، وإنّ خير أجنادكم أهل الغرب منكم ، فاتّقوا الله فى القبط ، لا تأكلوهم أكل الخضر » . ٣

قال : حدّثنا علىّ ، قال : حدّثنا عبد الرّحمن ، قال : حدّثنا عبد الملك بن مسلمة ، عن الليث بن سعد ، وابن لهيعة ، قالا : قال عبد الملك : حدّثنا ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن [يزيد][1] بن أبى حبيب ، أنّ أبا سلمة بن عبد الرحمن حدّثه أنّ رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته أن تُخْرَج اليهود من جزيرة العرب ، ٦ وقال : « اللهَ اللهَ فى قبط مصر ، فإنّكم ستظهرون عليهم ، ويكونون لكم عدّة وأعواناً فى سبيل الله » . ٩

قال : حدّثنا علىّ ، قال : حدّثنا (١٧٨) عبد الرحمن ، قال : حدّثنا عثمان ابن صالح ، قال : حدّثنا مروان القصاص ، قال : صاهر إلى القبط من الأنبياء ثلاثة : إبراهيم خليل الله عليه السّلام [تسرّر هاجر][2] ، ويوسف عليه السّلام تزوّج بنت صاحب عين شمس ، ورسول الله ﷺ تسرّر [مارية][3] القبطيّة . ١٢

ولنعد إلى سياقة التّاريخ

وفيها ، وهى سنة عشرين للهجرة النبويّة على صاحبها أفضل الصّلاة والسّلام ١٥ تولّى عمرو بن العاص مصر : حربها وخراجها ، وكتب إليه عمر رضى الله عنه أن يستقضى كعب بن يسار ، فامتنع كعب من ذلك ، فتركه وولّى قيس بن أبى عاصم السهمى ، وجبى مصر هاتيك السنة عشرة آلاف ألف دينار . ١٨

(١٤) ولنعد : ولنعود (١٨) وجبى : وجا

(١) كذا فى فتوح مصر ٣ ، وفى الأصل : زيد
(٢) إضافة من فتوح مصر ، ٤
(٣) كذا فى فتوح مصر ، وفى الأصل : عاريه

وفيها فتح أبو موسى الأشعرى السوس ، ودُلّ على خبيئة دانيال ، فأخذ أبو موسى خاتمه ، وفصّه حجر أحمر .

وفيها حاصر أبو موسى الأشعرى الأهواز ، فسألهم ملكهم الصلح ، على أن يحصى ثمانين من أهل الحصن ويقتل البقيّة ، فاستأذن عمر رضى الله عنه ، فكتب إليه عمر : افعل ذلك ! فأنزل الملك فقتله ، لأنّ الملك ما استثنى نفسه فيهم ، واستحيى ثمانين كان الملك عيّنهم له ، وقتل البقيّة . ٣ ٦

وفيها فُتحت تستر ، ويوم فتحها فُتحت الإسكندريّة .

وفيها مات بلال ، مؤذّن النبى ﷺ .

وفيها مات أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب ، واسمه المغيرة ، وكان أخا رسول الله ﷺ من الرضاع ، وكان فيه شبه من رسول الله ﷺ . ٩

وفيها ماتت صفيّة ، عمّته ﷺ .

وفيها مات هرقل ملك الروم . ١٢

وفيها عدا الكندى إلى بلد الروم ، وهو أوّل من دخلها ، وقُتل ميسرة .

وزلزلت الأرض بالمدينة ، وماتت زينب بنت جحش ، زوج النبى ﷺ ، وتزوّج عمر رضى الله عنه فاطمة بنت الوليد . ١٥

(١٧٩) وفيها قسم عمر رضى الله عنه خيبر بين المسلمين ، وأجلى اليهود عنها ، وقسّم وادى القرى ، وأجلى يهود نجران إلى الكوفة .

وفيها بعث علقمة بن [مجزّز][1] إلى الحبشة ، وكان خراجها فى زمن ١٨

---

(١) خبيئة : حبيئه (٢) حجر أحمر : حجرا أحمرا (٨) مؤذن : مأذن
(١٦و١٧) أجلى : أجلا

---

(١) كذا فى الكامل للابن الأثير ، ٢ : ٥٦٩ ، بجيم وزايين ، الأولى مكسورة مشددة ، وفى الأصل : محرر

فرعون مصر ستة وسبعين ألف ألف دينار ، وفى زمن بنى أمية ألفى ألف
وسبعمائة ألف وثلاثة وعشرين ألف دينار ، وفى زمن بنى العباس ألفى ألف
٣ ومائة ألف وثمانين ألف دينار . وكان خراج فارس فى زمن الفرس أربعين
ألف ألف دينار، وكرمان ستين ألف ألف دينار، وخوزستان خمسين ألف ألف
دينار ، والله أعلم .

٦ ذكر سنة إحدى وعشرين

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم خمسة أذرع وإصبعان ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وخمسة
٩ أصابع .

ما لخص من الحوادث

الإمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمير المؤمنين، والدنيا عادت دار إسلام،
١٢ يتلى فيها القرآن ، وخلت من عبادة الأوثان والصلبان .

وفيها فتحت [الماهين][1] وهمدان ، ووصل المسلمون بلاد العجم ، وفتحت
إصبهان .

١٥ وفيها كانت وقعة أبى موسى مع الهرمزان ، وأسر ، وبعث إلى الإمام عمر
ابن الخطاب، وقد ألبس ثياب الديباج المنسوجة بالذهب مرصعة بالدر والجوهر
ووضع على رأسه التاج مكللاً بالياقوت الأحمر ، ممنطقاً بمنطقة فيها حب الجوهر،
١٨ وختموه بخاتمه .

---

(١) وسبعين : وسبعون (٨) خمسة : خمس || سبعة : سبع
(١٣) ووصل : ووصلت (١٥) وبعث : وأبعث

---

(١) كذا فى الكامل ٣ : ١٧ ، وفى الأصل : الماهر

فلمّا قدم به المدينة قال : هل للملكم يوم يجلس فيه ؟ فقيل : إنّه يمشى فى الأسواق ، ليتعاهد أمور المسلمين ، قال : فمن حرسه ؟ قالوا : الله حارسه ، قال : فمن شرطه ؟ قالوا : هو شرطى نفسه . ٣

فأتى به إلى المسجد ، وعمر نائم فى المسجد متوسّداً الحصى ، فانتبه (١٨٠) عمر رضى الله عنه لجلبة الناس ، فرآه فاستعاذ بالله من أهل النار ، وأمر بإلقاء ما عليه ، وأمر بقتله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد متّ عطشاً ، فقال : لا يجمع الله ٦ عليك القتل والعطش ، اسقوه ! فأُتى بقدح من خشب فيه ماء ، فقال : إنّى لم أشرب فى هذا قطّ ، فاسقونى فى إناء نظيف ! فأُتى بزجاجة فيها ماء ، فلمّا أخذها ارتعد وعاد يتلفّت يميناً وشمالاً ، فقال له عمر : اشرب ! قال : إنّى أخاف أن أقتل ٩ قبل أن أشرب ، قال : لا بأس عليك ، لا تقتل حتى تشرب ، فألقى الزجاجة فكسرها ، فقال عمر : جيئوه بغيرها ! قال : لست اليوم بشارب ، فقال عمر : اضربوا عنقه ! فقال أنس بن مالك : أليس إنّك أمنته ؟ قال عمر : لتجيئنّى ١٢ بالمخرج أو لأعاقبنّك ، قال : أو لم تقل : لا تُقتَل حتى تشرب ؟ فقال عمر : أسلِمْ يا هرمزان ! قال : أمّا دينى فلا أتركه ، وأمّا دمى فقد أحرزتُه ، فحبسه عمر ، ولم يزل يدعوه إلى الإسلام حتى أسلم . ١٥

وفيها مات خالد بن الوليد رضى الله عنه ، ودفن بحمص . وعن محمّد بن سلام عن أبان بن عثمان قال: لم تبق امرأة من بنى المغيرة إلّا وجزّت ناصيتها، ووضعته على خالد .

وفيها قُتل الجارود بالبحرين .

وفيها ولد الحسن البصرى والشعبى ، واسمه عامر بن شراحيل .

---

(٣) قالوا : قال (١١) جيئوه: جيوه (١٧) إلا : إلى

وفيها بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع فافتتح زويلة .

وكان الأمير فى هـذه السنة على دمشق عمر بن سعد ، وفى ولايته حوران
٣ وحمص وقنسرين والجيرة ، ومعاوية بن أبى سفيان على البلقاء والأردنّ وفلسطين
والسواحل وأنطاكية والمعـــرّة وما معهم ، وعمرو بن العاص بمصر وأعمالها ،
وأبو موسى الأشعرى ببلاد العجم .

٦ وفيها حجّ رضى الله عنه ، واستخلف زيد بن ثابت على المدينة ، وكان
عامله على مكّة واليمن والطائف واليمامة .

وفيها مسحت بلاد السواد ، فكان عامره وعامره ستة وثلاثين ألف جريب ،
٩ ولم تمسح سبخة ولا تلّ ولا مستنقع ماء . والذى مسح ما دون جبل حلوان إلى
منتهى القادسيّة المتّصل بالعذيب ، من أرض العرب إلى الفرات عرضاً تقدير
ثمانين فرسخاً ، من تخوم الموصل مع الماء إلى ساحل البحر بلاد عبادان، من شرق
١٢ دجلة طولًا قدره مائة وخمسة وعشرون فرسخاً .

وفرض على كلّ جريب درهماً وقفيزاً من غلّة ،وجريب الكرم عشرة الدراهم
وجريب النخل خمسة الدراهم ، وجريب القصب ستّة ، وجريب البرّ أربعة ،
١٥ والشعير درهمين ، وعلى الموسر من أهل الذمة ثمانية وأربعين درهماً ، والمتوسّط
نصفها ، والفقير ربعها .

فكان جملة خراجه أوّل سنة ستّة وثمانين ألف ألف درهم ، والسنة الثانية
١٨ مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف ، وجباه عمر بن عبد العزيز مائة ألف ألف
وأربعة وعشرين ألف ألف . وفى زمن الحجّاج ستّون ألف ألف ، وقد كانت

---

(٤) وعمرو : وعمر (٨) مسحت : مسح || وثلاثين : وثلاثون
(١٠) القادسية : القارسية (١٢) وعشرون : وعشرين (١٣) قفيزا : قفيز
(١٤) خمسة : خمس (١٥) وأربعين : وأربعون
(١٧) ستة وثمانين : ست وثمانون (١٨ ، ١٩) وعشرين : وعشرون

الأكاسرة تجبيه مائة ألف ألف وخمسين ألف ألف، والجبل والرىّ إلى حلوان ثلاثين ألف ألف سوى خراسان، والله أعلم.

وفيها ضربت الدراهم على سكاك الكسروية ونقش فى بعضها اسمه، وبعضها الحمد لله، وبعضها لا إله إلّا الله، وبعضها محمّد رسول الله. ٣

ذكر سنة اثنتين وعشرين

النيل المبارك فى هذه السنة: ٦

الماء القديم ستّة أذرع واثنا عشر إصبعاً، مبلغ الزّيادة ستة عشر ذراعاً وثمانية عشر إصبعاً.

ما لخّص من الحوادث ٩

(١٨٢) الإمام عمر رضى الله عنه أمير المؤمنين، والنوّاب الأمراء المذكورون فى السنة التى قبلها على حالهم، والقاضى شُريح بحاله قاضياً، وبمصر فى هذه السنة القاضى قيس بحاله. ١٢

فيها فُتحت آذربيجان، على يد المغيرة بن شعبة، وغزا معاوية بن أبى سفيان الصّائفة من أرض الروم، وأسر عبد الله بن حذافة[1].

وفيها بعث عمر رضى الله عنه نعيماً إلى همدان ثانية فحاصرها، فأعطوا الجزية، ثم خرج إلى الرىّ، فبعث من دخل عليهم من حيث لا يعلمون، فقاتلهم وغلبهم. ١٥

(٧) ستة: ست (١٠) المذكورون: المذكورين (١٥) نعيما: نعيم

(١) أسره الروم، فعرض عليه ملكهم أن يتنصر، وأنه إذا فعل أشركه فى ملكه، فأبى، راجع خبره فى الإصابة، ٢: ٢٩٦ — ٢٩٧

وفيها أخذ يزيد قومس بالأمان ، وغزا عبد الرحمن بن ربيعة الروم . وقالت
الروم : إنّ مع هؤلاء القوم ملائكة يقاتلون ، فانهزموا ، واختلفت أقاويلهم ،
٣ فنهم من ادّعى أنه رأى كلّ ملك : رجلاه فى الأرض ، ورأسه فى السماء ، ومنهم
من قال غير ذلك ، وظفر المسلمون بهم ظفراً مؤيّداً .

وفيها ولد يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، وقيل فى سنة خمس وعشرين ،
٦ وولد فيها عبد الملك بن مروان .

وفيها خرج الأحنف بن قيس إلى خراسان ، فافتتح هراة ، وسار إلى مرو ،
وسيّر مطرف بن عبد الله إلى نيسابور ، وفتحت جرجان وقزوين وطبرستان
٩ وشهرزور والصامغان .

وفيها فتحت طرابلس الغرب وبرقة .

ذكر سنة ثلاث وعشرين

١٢ النيل المبارك فى هذه السّنة :

الماء القديم ثلاثة أذرع وثمانية عشر إصبعًا ، مبلغ الزيادة ستّة عشر ذراعًا
واثنا عشر إصبعًا .

١٥ ما لخّص من الحوادث

الإمام عمر رضى الله عنه أمير المؤمنين إلى حين وفاته فى هذه السنة (١٨٣)
وهو يومئذ بالمدينة ، وعمرو بن العاص بمصر وما فتح من بلاد المغرب ، والقاضى
١٨ قيس بحاله ، وعلى مكّة شرّفها الله تعالى نافع بن عبد الحارث الخزاعى ، وعلى
الطائف سفيان بن عبد الله الثقفى ، وعلى صنعاء اليمن يعلى بن منية ، وعلى الجند

(١) وقالت : وقالوا (٤) وظفر : وظفروا || المسلمون : المسلمين
(١٣) ستة : ست (١٧) وعمرو: وعمر (١٩) منية : منبه

عبد الله بن أبي ربيعة ، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة ، وعلى البصرة أبو موسى الأشعرى ، وعلى حمص عمير بن سعد ، وعلى دمشق معاوية بن أبي سفيان ، وعلى البحرين وما والاها عثمان بن أبي العاص الثقفى ، وعلى قضاء الكوفة ٣ القاضى شريح .

وفيها فتحت إصطخر ، [وتوج] ، وكرمان ، وسجستان ، وعسقلان .

وفيها حجّ عمر رضى الله عنه بأزواج النبى ﷺ . ٦

وفيها توفّى قتادة بن النعمان الأنصارى رحمه الله، وهو الذى ردّ رسول الله ﷺ عينه .

وفيها توفّى واقد بن عبد الله التميمى حليف الخطّاب ، وهو أوّل من قاتل ٩ فى سبيل الله فى الإسلام ، وقيل بل عمرو الحضرمى ، والله أعلم .

وفيها توفّى عيلان بن سلمة ، وهو الذى أسلم وتحته عشر نسوة .

وفيها توفّى الإمام عمر بن الخطّاب رضى الله عنه . ١٢

ذكر وفاة الإمام عمر رضى الله عنه

لمّا كانت السنة التى قُتل فيها رضى الله عنه حجّ بأزواج النبى ﷺ ، وبعث إلى أمراء الأجناد فقدموا عليه ، وفيهم سعد بن أبي وقّاص ، وهو من ١٥ أهل الشورى .

ولمّا كان فى حجّه نزل الأبطح ، فكثب كثيباً من رمل تحت رأسه ووضع رأسه عليه ، وقال : اللّهم كبرت سنّى ، ودقّ عظمى ، وانتشرت رعيّتى ، ١٨

(٢) عمير : عمر (٣) والاها : ولاها (٦) رضى الله عنه : رضى الله
(١٤) كانت : كان || صلى الله عليه : صلى عايه (١٧) فكثب كثيبا : فكتب كتيبا

(١) كذا فى الكامل ، ٣ : ٤١ ، وفى الأصل : بوج

فاقبضنى إليك غير عاجز ولا مفرّط ، فما انسلخ ذو الحجّة حتى قتل رضى الله عنه .

وكان لمّا جاء إلى الجمرة ليرميها (١٨٤) فى حجّته أتاه حجر فوقع فى صلعته
٣ فأدماها ، فقال رجل من بنى لهب : أشعر أمير المؤمنين لا يحجّ بعدها ، ثم جاء إلى الجمرة الثانية فصاح رجل : يا خليفة رسول الله ، فقال رجل : لا يحجّ أمير المؤمنين بعدها .

٦ وعن أبى موسى الأشعرى قال : رأيت كأنّى انتهيت إلى جبل ، فإذا رسول الله ﷺ فوقه ، وإلى جنبه أبو بكر ، وإذا هو يومىء إلى عمر أنْ : تعالَ !
قال أنس : فقلت لأبى موسى : ألا تكتب بهذا إلى عمر ، فقال : ما كنتُ
٩ لأنْعَى إليه نفسه .

خطب عمر الناس يوم جمعة فقال : رأيت كأنّ ديكاً نقرنى ولا أراه إلّا حضور أجلى ، فقلت : يسوق الله لى الشهادة ويقتلنى رجل أعجمى ، وإنّ ناساً
١٢ يأمرونى أن أستخلف عليهم ، وإنّ الله لن يضيع دينه وخلافته ، فإن عجل بى أمر فالخلافة شورى فى هؤلاء الستّة الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وقد عرفت أنّ أناساً يطعنون فى هذا الأمر ، وأنا قاتلتهم بيدى هذه على الإسلام ،
١٥ فإن فعلوا ذلك فأولئك هم الكفرة الضلّال ، إنى والله ما أدع شيئاً أهمّ عندى من الكلالة ، لقد سألت نبى الله ﷺ عنها ، فما أغلظ فى شىء ما أغلظ فيها ، حتى طعن بإصبعه فى بطنى فقال : « يا عمر ، يكفيك الآية التى نزلت فى آخر
١٨ سورة النساء ، وإن أعش فسأقضى فيها قضيّة ، لا يختلف فيها أحد يقرأ القرآن ».

وقال : اللّهم ارزقنى شهادة فى سبيلك ، وموتة ببلد نبيّك ﷺ ، فقالت

---

(١٢) يأمرونى : يأمرونى (١٣) الذين : الذى

حفصة: وأنّى لك الشهادة بهذه البلدة ، فقال: يا بُنيّة، يأتى الله بها من حيث شاء،
قال : وكان بينه وبين فارس مسيرة شهر ، وبينه وبين القوم كذلك .

قالت عائشة رضى الله عنها : لمّا حجّ عمر أقبل رجل متنقّب ، فأنشد عمر : ٣

(١٨٥) جزى الله خيراً من إمام وباركت يد الله فى ذاك الأديم الممزّقِ
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائق فى أكمامها لم تُفتّقِ
وكنت تشوب الدين بالحلم والتُّقَى وحُكْمٍ صليبِ الرأى غير مزوّقِ ٦
فمن يسعَ ، أو يركب جناحى نعامة ليدركَ ما قدّمت بالأمس يُسْبَقِ
وما كنتُ أخشى أن تكون وفاته بكف سبنّى أخضر العين أزرقِ

قالت عائشة رضى الله عنها : فظننته المزرّد بن ضرار أخى الشماخ ، قالت : ٩
فلقيته بعد ذلك ، فحلف بالله أنّه ما شهد الموسم الذى سمعت فيه هذه الأبيات[1] .
وكان يقال إنّ هذا الشعر لجنّى . والله أعلم .

بلغ أمّ كلثوم بنت علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه، زوجة عمر رضى الله ١٢
عنه أنّ كعب الأحبار يقول : إنّ عمر باب من أبواب جهنّم ، فغضبت ، ثمّ
غدت إلى حفصة بنت عمر ، فقالت : ألا تعجبين لما بلغنى عن هذا اليهودى ، إنّه
يزعم أنّ أمير المؤمنين باب من أبواب جهنّم، أو على باب جهنّم. فقالت: وا أبتاه، ١٥
ثم أرسلت إلى عمر فأتاها ، فأخبرته بقول كعب ، فقال : واعمراه ، ثم قال : إنّى
لأرجو أن لا يكون الله سبحانه خلقنى شقيًّا ، ثم أرسل إلى كعب فسأله عمّا قيل
عنه ، فقال : صدقوا ، إنّك على باب جهنّم تذبّ الناس عنه ، لو قد هلكت ١٨

(٨) العين : العينين (١٥) وا أبتاه : وابتاه

(١) يشك على الطنطاوى وناجى الطنطاوى ، فى كتابهما أخبار عمر وأخبار عبد الله ابن عمر ، طبع بيروت ، ١٣٩٢ هـ ، ١ : ٤٣٩ ، فى صحة هذا الخبر ، ويعدانه خبرا موضوعا

فتح ذلك الباب عليهم ، ولن يمرّ لك إلّا ثلاث حتى تستشهد فى سبيل الله ، فقال : وأنّى لى بالشهادة وبينى وبين أجناد العرب ما علمت ؟ فقال كعب : إنّ ٣ سبل الله تعالى كثيرة ، وأفضل سبله الصلاة ، فلمّا كان اليوم الثالث قال عمر : يا كعب ، هذا اليوم الثالث ، قال: إنّ لى الليلة إلى الصباح، فخرج عمر رضى الله عنه ليوقظ الناس أهل المسجد إلى الصلاة ، فطعنه أبو لؤلؤة ، (١٨٦) وقال عمر ٦ رضى الله عنه عندما قال له كعب ما قال :

تواعدنى كعب ثلاثًا أعدّها وأعلم أنّ القول ما قال لى كعبُ
وما بى لقاء الموت ، إنّى لميّت ولكنّ ما بى الذّنب يتبعه الذّنبُ(١)

٩ وقالت عائشة رضى الله عنها : سمعت نائحة الجنّ تبكى قبل قتل عمر ، تقول :

ليبك على الإسلام من كان باكيًا فقد وشكوا هُلْكًا وما قدم العهدُ
١٢ وأدبرت الدنيا وأدبر أهلها وقد ملّها من كان يؤمن بالوعدِ(٢)

وكان عمر رضى الله عنه لا يؤذن لسبى أن يدخل المدينة ، فكتب المغيرة ابن شعبة ، وهو على الكوفة ، يستأذن على أبى لؤلؤة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ١٥ إنّ عندى غلامًا ، وعنده أعمال كثيرة فيها منافع للمسلمين ، إنّه حدّاد نقّاش ، فلو أذنت له ، فأذن له، وضرب عليه المغيرة مائة درهم فى كل شهر ، فاشتكى إلى عمر ثقل خراجه ، فقال: ماذا تحسن؟ فذكر الأعمال التى يحسنها ، فقال عمر: ما خراجك ١٨ بكثير فى جنب ما تعمل ، ثم دعاه عمر فقال : ألم أخبر أنّك تقول : لو شئت

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى الكامل ٣ : ٥١

وما بى حذار الموت إنّى لميت ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

(٢) كتب بهامش الصفحة ، بجوار البيت الثانى فى هذا الموضع كلمة : إقواء ، والإقواء هو اختلاف حركة الروى

صنعت رحى تطحن بالهواء ؟ فالتفت أبو لؤلؤة ساخطًا عابسًا فقال : لأصنعنّ لك رحى يتحدّث الناس بها فى الشرق والغرب ، فلمّا ولّى قال للرهط الذين كانوا معه : تواعدنى العبد ، وقيل إنّ عمر قال لعلىّ عليه السّلام: ما تراه أراد بكلمته؟ ٣ قال : تواعدك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : لقد علمت أنّ لكلمته غوراً .

ويقال إنّ عيينة بن حصن الفزارى قال لعمر يوماً : إنّ الله سبحانه جعلك فتنة على أمّة محمّد ، فقال عمر : كذبت ، إنّ ربّى ليعلم أنّى لم أضمر لها غير العدل ٦ عليها ، والإحسان إليها ، فقال عيينة : إنّى لم أذهب هناك ، ولكن يفقدون سيرتك فيضرب بعضهم بعضاً ، فقال عمر : لست (١٨٧) لذلك بآمن ، فقال : يا أمير المؤمنين ، احترس من الأعاجم وأخرجهم من جزيرة العرب ، فإنّى ٩ لا آمنهم عليك ، فلمّا طُعن عمر قال : ما فعل عيينة بن حصن ؟ فقيل : مات بالحاجر[١] . فقال : إنّ هناك لرأياً .

وكان أبو لؤلؤة قد سباه المغيرة من نهاوند ، ولمّا كان يوم الأربعاء ، ١٢ لسبع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، خرج عمر رضى الله عنه فأيقظ الناس للصلاة على عادته ، وكان أبو لؤلؤة قد كمن له فى المسجد ، ومعه خنجر برأسين ونصابه فى وسطه ، وسقاه السمّ ، فلمّا دنا من عمر ضربه وطعنه ثلاث ١٥ طعنات ، إحداهنّ تحت سرّته ، تخرق الصفاق ، وهى التى قتلته رضى الله عنه ، ثم أغار على أهل المسجد فطعن من يليه ، ممّن على يمينه وعلى يساره ، حتى طعن أحد عشر رجلاً سوى عمر ، وقيل ثلاثة عشر — على اختلاف الرواية — مات ١٨ منهم أربعة : منهم إياس بن البكير الكنانى ، وكليب بن قيس ، فرمى عليه

---

(١) فى الإصابة ، ٣ : ٥٥ ، أن عيينة عاش إلى خلافة عثمان

رجل برنساً ، فلمّا علم أنّه مأخوذ نحر نفسه ، فقال عمر رضي الله عنه : مروا
عبد الرحمن فليصلِّ بالناس ، فصلّى بهم صلاة خفيفة ، فأمّا من وراءه فقد رأى
٣ ما رأى ، وأمّا من كان في نواحي المسجد فلا يدرون إلّا أنهم فقدوا صوت عمر ،
وسمعوا سبحان الله ، سبحان الله .

ثم حُمل عمر إلى بيته ، ثم قال لابن عبّاس : انظر من قتلني ! فخرج ثم دخل ،
٦ فقال : غلام المغيرة . فقال عمر : الصّناع ؟ يعني النجار ، قال : نعم ، قال : قاتله الله ،
لقد كنت أمرت به معروفاً ، الحمد لله الذي لم يجعل منيّتي بيد رجل يدّعي الإسلام ،
ثم قال لابن عبّاس : كنت وأبوك تريدان أن تكثر العلوج بالمدينة ، فقال :
٩ إن شئت فعلناها ، يعني قتلناهم ، فقال : أبعد ما تكلّموا (١٨٨) بلسانكم ،
وصلّوا صلاتكم ، وحجّوا حجّكم ؟

وكأنّ المسلمين لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ .

١٢ ثم دعا عمر ابنه عبد الله فقال : يا بنيّ ، أوص الخليفة من بعدي بتقوى الله
عزّ وجلّ ، والأخذ بكتاب الله تعالى ، وسنّة نبيّه ﷺ ، وبالمهاجرين « الّذين
أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا ، وينصرون الله
١٥ ورسوله أولئك هم الصادقون »[1] ، وأن يعرف لهم منزلتهم وكرامتهم
وسابقتهم ، وأوصه بالأنصار « الّذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبلهم ،
يحبّون من هاجر إليهم » إلى قوله « أولئك هم المفلحون »[2] ، وأوصه
١٨ بالأعراب خيراً ، فإنّهم شجرة العرب ، ومادة الإسلام ، أن يأخذ من أموالهم

---

(٢) فليصل : فليصلى || رأى : رائى (١٦) تبوءوا : تبوؤا

---

(١) سورة الحشر ، ٨
(٢) سورة الحشر ، ٩

صدقاتهم ، يطهرهم ويزكيهم ويردها على فقرائهم ، وأوصه بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم جباة الأموال ، وردّ الإسلام ، وأن لا يأخذ منهم إلا طاقتهم ، ويقاتل من ورائهم ، وأوصه بأهل ذمة الله وذمة رسوله خيراً ، أن يفي لهم بعهدهم ، إنّ هذا عهدي وأمري إلى من وليته أمر الأمة ، وإنّي آمر أمراء الأمصار أن يفقهوا من يليهم من المسلمين في كتاب الله عزّ وجلّ .

فقال ابن عبّاس : يا أمير المؤمنين ، أبشر بثلاث خصال أكرمك الله عزّ وجلّ بهنّ ، فقال : وما هنّ يا ابن عبّاس ؟ قال : خلافتك كانت نصراً ، ولقد ملأت الأرض عدلاً ، وإذا استرحمت رحمت ، فقال : أتشهد لي بها يا ابن عبّاس ؟ قال : نعم . ثم دخل عليّ عليه السّلام فقال : أبشر يا أمير المؤمنين بكرامة الله ، فقد كان إسلامك فتحاً ، وخلافتك نصراً ، ولقد ملأت الأرض عدلاً ، وما اختلف في ولايتك رجلان ، فأعجبته هذه الكلمة ، فقال : أتشهد لي بها عند ربّي ؟ (١٨٩) قال : نعم .

وروي أنّ ابن عبّاس قال له : أبشر يا أمير المؤمنين ، أسلمت إذ كفروا ، وجاهدت مع رسول الله إذ خذلوا ، وتوفّي رسول الله ﷺ وهو عنك راض ، فقال عمر : المغرور والله من غررتموه ، لو أنّ لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع ، اذهب إلى عائشة فقل لها : إنّ عمر يقرئك السلام ، ولا تقل أمير المؤمنين ، فإنّي لست للمؤمنين اليوم بأمير ، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فإن أذنت وإلّا فادفنّي في مقابر المسلمين ، فأتاها فوجدها عند الباب تبكي ، فأبلغها مقالة عمر ، فقالت : رحم الله عمر ، لقد كان مرتفعاً في حياته وعند موته ، نعم ، قد كنت ادّخرته لنفسي ، فأنا أوثره على نفسي .

---

(١١) فأعجبته : فأعجبه

ثم جاء عبد الله فقال : قد أذنت لك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : الحمد لله ، ما كان شيء أهمّ إليّ من ذلك المضجع ، يا عبد الله ، إذا أنا مت فاحملني على سريري ، ثم قف على الباب فقل يستأذن عمر بن الخطّاب ، فإن أذنت فأدخلني ، وإن بدا لها فادفنّي في مقابر المسلمين .

ثم دعا عمر طبيباً من العرب فسقاه نبيذاً ، فشبّه النبيذ بالدم لما خرج من الطعنة ، ودعى له آخر من الأنصار ، فسقاه لبناً فخرج من الطعنة أبيض ، فقال الطبيب : يا أمير المؤمنين اعهد عهدك فإنّك ميّت ، فقال عمر : صدقني أخو بني معاوية ، ولو قلت غير ذلك لكذّبتك .

ولم يزل عمر منذ حُمل إلى بيته في غشية واحدة بعد واحدة من نزف الدم ، أسفر ، ثم أفاق ، فقال : يا ابن عبّاس أصلّى الناس ؟ قلت : نعم ، قال : لا حظّ في الإسلام لمن ترك الصلاة ، ثم دعا بوضوء فتوضّأ وصلّى . ثم سمع هدّة بالباب ، فقال : ما شأن الناس ؟ قال ابن عبّاس : الناس يريدون الدخول عليك (١٩٠) ، قال : ائذن لهم ، فدخلوا فقالوا : استخلف علينا عثمان ! فقال عمر : فكيف بحبّه المال والجاه ؟ فخرجوا ، ثم سمع هدّة فقال : ما شأن الناس ؟ قال : إنّهم يريدون الدخول عليك ، فأذن لهم ، فدخلوا ، فقالوا : استخلف علينا عليّ بن أبي طالب ! فقال : إذاً يحملكم على طريقة من الحقّ ، فقال عبد الله بن عمر : فأكببت عليه ثم قلت : ما يمنعك منه ؟ قال : أي بنيّ لا أتحمّلها حيّاً وميّتاً ، وإن أستخلف فسنّة ، وإن لم أستخلف فسنّة ، توفّى رسول الله ﷺ ولم يستخلف ، وتوفّى أبو بكر واستخلف ، فقال عبد الله : فعلمت أنّه والله لن يعدل بسنّة رسول الله ﷺ .

ثم قال عمر : ولا أعلم أحداً أحقّ بهذا الأمر من هؤلاء الستّة الذين توفّى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض .

وروى أنه قال : إنْ أَوّلَ عثمان أولٌ رجلًا صالحًا فى نفسه ، وأخفَّ إيثاره قراباته بأن يغلبوه على رأيه ، والله لو فعلتُ ليفعلنّ ، ووالله لئن فعل ليفعلُنّ ، وإن أولّ عليًا أَوّلَ شجاعًا تقيًا ، على دعابة فيه ، وخليق أن يحملهم على طريقة صالحة ، وإن أولّ الزبير أوّل لقِسًا شرِسًا شكِسًا ، وإن أولّ طلحة أولّ ذا إباء وكبر ، وإن أولّ عبد الرحمن أولّ رجلًا ليّن الجانب، سلس القياد ، وليس يصلح لهذا الأمر إلّا شدّة فى غير عنف ، ولين فى غير ضعف ، وجود فى غير سرف ، وإمساك فى غير بخل ، ولكن أدعها شورى بين هؤلاء الستّة فيختار المسلمون لأنفسهم من شاءوا ، ويدخل عبد الله بن عمر معهم ، وليس له من الأمر شىء وإن أستخلف سعداً فذاك ، وإلّا فأيّكم أستخلف فليستعن به ، فإنى لم أعزله عن عجز ولا خيانة ، فقال سعيد بن زيد : لو عيّنت رجلًا (١٩١) ائتمنك الناس ، قال : قد رأيت فى أصحابى حرصاً سيئاً ، فقال المغيرة : فأين أنت عن عبد الله بن عمر ؟ فقال : قاتلك الله ، ما أردت الله بهذا ؟ كيف أستخلف رجلًا لم يحسن أن يطلّق امرأته .

وتطاول عمرو بن العاص لأن يكون فى أهل الشورى ، فقال له عمر : اطمئنّ كما وضعك الله ، والله لا أجعل فيها من حمل على رسول الله ﷺ سلاحاً .

ولمّا حضرته الوفاة قال لابنه عبد الله : ضع خدّى على الأرض ! ثم قال : ويل لعمر إن لم يغفر الله له ، ثم قال : يا بنىّ ، ضع ركبتيك بين كتفىّ ، وضع راحتك اليمنى على جبهتى، وراحتك اليسرى تحت ذقنى، وغمّض بصرى، وأحسن غسلى ، وكفّنّى فى وِتر من الثياب ، ولا تغلوا فى كفنى ، فإن يكُ ربّ راضياً عنّى فلن يرضى بثيابكم هذه حتى يكسونى من ثياب الجنّة ، وإن يكُ ساخطاً

(١ و ٣) أولى : أولى || أخف : أخاف (٥) إباء : باء

فسيسلبنى سلبًا سريعًا ويُلْبِسنى شرّ ثياب ، وإذا حفرتم فاحفروا قدر مضجعى ،
فإن يكُ ربّى راضيًا عنّى فسيوسّعه على مدّ بصرى، وإن يك ساخطًا علىّ فسيضيّقه
٣ حتى تختلف أضلاعى ، وإذا حملتمونى إلى حفرتى فأسرعوا بى المشى ، فإنّما هو
خير تقدمونى عليه ، أو شرّ تضعونه عن رقابكم ، ولا تمشينّ فى جنازتى امرأة ،
ولا تقم علىّ نائحة ، ولا تزكّونى فربّى أعلم بى .

٦ فلمّا مات لم تصب المسلمين بعد نبيّهم مثلها .

قال ابن عبّاس: لمّا وُضع عمر على سريره، وقفت أنا وعبد الرحمن بن عوف
فإذا رجل من خلفنا وقد وضع يده على منكبى ، فالتفتّ فإذا علىّ ، ففرّجت له
٩ بينى وبين عبد الرحمن ، فقال : رحمك الله يا عمر ، إنّى لأرجو أن يكون الله قد
ألحقك بصاحبيك ، فطالما سمعت رسول الله ﷺ (١٩٢) يقول : دخلت أنا
وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ، وذهبت أنا وأبو بكر وعمر .

١٢ ولما دُفن عمر رحمه الله ورضى عنه جاء عبد الله بن سلام وقد فاتته الصلاة عليه،
فوقف على قبره ، وقال : جزاك الله عن الإسلام خيرًا ، فوالله لئن فاتتنى الصلاة
عليك لما فاتنى حسن الثناء عليك ، أما والله لقد علمت يقينًا أنك كنت سخيًّا
١٥ بالحقّ ، بخيلًا بالباطل ، ترضى حين الرضى ، وتسخط حين السخط ، ليّنًا حين
ينفع اللين ، شديدًا حين تنفع الشدّة ، ما كنت عيّابًا ولا مزّاحًا ، كنت والله
عفيف الطرف .

١٨ ولمّا بلغ ابن مسعود موت عمر ، وكان بمسجد الكوفة ، طرح رداءه وقام
يبكى ، وقال : إذا ذكر الصالحون فحيّهلا بعمر ، لقد كان إذا نحر الجزور أطعم
ابن السبيل كبدها وسنامها ، ويكون العنق لآل عمر ، ولقد كان عمر حصنًا

---

(١٢) ورضى : وارضى

للإسلام وأهله ، يدخل فيه الإسلام ، ولا يخرج منه ، فانثلم الحائط ، فالإسلام اليوم يخرج منه ولا يدخل فيه .

دخل علىّ عليه السّلام على عمر وهو مسجّى، فقال: ما أحد من الناس أحبّ أن ألقى الله عزّ وجلّ بمثل هذا المسجّى . ٣

وقالت عاتكة بنت زيد[1] ترثيه :

فجعنى فيروز[2] لا درّ درّه بأبيض تال للقران منيب ٦
عطوف على الأدنى غليظ على العدى أخى ثقة فى النائبات نجيب
فتى ما يقل لا يكذب القولَ فعلُه سريع إلى الخيرات غير قطوب

وروى أنه لما احتضر قال لولده : يا بنىّ احسب ما علىّ من الدين ، فحسبه ٩ فوجده ستّة وثمانين ألف درهم ، فقال : إن وفى بها مال وإلّا فأدّوها عنّى ، وإن لم يف بها فأدّها بنى من مال آل عمر (١٩٣) وإن لم تف بها أموالهم فسل فيها فى بنى عدىّ ، فإن لم تف بها أموالهم فسل فيها قريشاً ولا تعدهم إلى غيرهم . ١٢

ولمّا مات صلّى عليه صهيب ، ودفن مع صاحبيه ، رضوان الله عليه .

واجتمع أهل الشورى يتشاورون ، فمكثوا يوماً أو يومين سكوتاً لا يبدون حرفاً ، كما يأتى ذكر ذلك عند خلافة عثمان رضى الله عنه . ١٥

---

(١٠) وفى : وفا (١١و١٢) فسل : فاسل (١٢) تف : يف

---

(١) هى امرأة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

(٢) فيروز هو اسم أبى لؤلؤة

ذكر أولاد عمر بن الخطاب
رضى الله عنه

٣ وهم : عبد الله بن عمر رضى الله عنه ، يكنّى أبا عبد الرحمن ، وكان بارع الفضل ، مبرّزاً فى الزهد ، عرض عليه علىّ عليه السّلام ولاية الشام فأبى ، وعرضت عليه الخلافة فأباها ، ويقال إنّه أسلم قبل أبيه ، وقيل أسلم أبوه قبله ، ولم يشهد بدراً

٦ لأنّه كان صغيراً ، وهو أوّل من بايع تحت الشجرة ، وقيل إنّ أوّل من بايع أبو سنان الأسدىّ ، ولم يقاتل فى الفتنة ، وندم عند موته ، وقال : لا آسى على شىء من أمر الدنيا إلّا أنّى لم أقاتل مع علىّ الفئة الباغية .

٩ ولمّا مات عثمان دخل على عبد الله بن عمر مروانُ[1] فى جماعة ، فقالوا : نبايع لك بالخلافة ، فأبى وقال : كيف لى بالناس ؟ فقالوا : تقاتلهم .

[فقال : والله لو اجتمع علىّ أهل الأرض ــ إلّا أهل فدك ــ ما قاتلتهم][2] ،

١٢ فخرج مروان وهو يقول :

والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا .

رأت حفصة أختُه له رؤيا ، فقصّتها على النبى ﷺ ، فقال : « نعم الرجل

١٥ أخوك ، لو كان يكثر الصلاة من الليل » ، فكان بعد ذلك أكثر الناس صلاة .

استفتاه رجل من أهل العراق فى محرم قتل جرادة ، وآخر فى محرم قتل نملة ،

١٨ وآخر فى محرم قتل قملة ، فقال : واعجبا لأهل العراق ، يقتلون ابن بنت نبيّهم ويستفتون فى هذا !

---

(٨) أنى : أن (٩) فقالوا : يقاتلوا

---

(١) يعنى مروان بن الحكم ، وقد ذكر هذه الرواية ابن عبد البر فى الاستيعاب ، ٢ : ٣٤٣ ــ ٣٤٤

(٢) ساقط من الأصل ، والتصحيح من الاستيعاب

وعاش عبد الله بن عمر إلى زمن الحجّاج بن يوسف ، ويقال إنّه دسّ له رجلًا ، فسمّ زجّ رمحه ، وجعله فى طريقه ، فأصاب ظهر (١٩٤) قدمه ، فدخل عليه الحجّاج يعوده ، فقال : من أصابك ؟ قال : أنت أصبتنى ، قال : لا تقل هذا ٣ رحمك الله ، قال : حملت السلاح فى بلد لم يحمل فيه قبلك .

والحجّاج هو الذى صلّى على عبد الله بن عمر يوم مات ، وقيل إنّ الحجّاج أخّر الصلاة يومًا ، فقال له ابن عمر : إنّ الشمس لا تنتظرك ، فقال له الحجّاج : ٦ لقد هممت أن أضرب الذى فيه عيناك ، فقال ابن عمر : إن تفعل فإنّك مسلّط سفيه ، فعزّ ذلك على الحجّاج ، فدسّ له حتى أصابه ، وكان يتقدّم الحجّاج فى المناسك . ٩

وروى أنّه أسلم يوم أسلم أبوه وكان صغيرًا ، وشهد الخندق وما بعده ، ومات سنة أربع وسبعين بمكّة ، وله أربع وثمانون سنة ، ومات بعد عبد الله ابن الزبير بشهرين أو ثلاثة . ١٢

وكان عبد الله يضرب ولده على اللحن ولا يضربهم على الغلط فى القرآن .

وممّا يتعلّق بذكر عبد الله بن عمر أنّ أمّ ولد لمروان كتبت إلى وكيلها بالمدينة أن اشترِ لى غلامًا كاتبًا قارئًا ، عالمًا بالسنة ، فصيح اللسان ، عفيفًا ، فكتب ١٥ إليها : قرأت كتابك ، وطلبت لك غلامًا على ما وصفت ، فلم أجد إلّا عبد الله ابن عمر بن الخطّاب ، وقد رأى أهله ألا يبيعوه .

---

(١٦) أجد : أجده

ومن كلامه رضي الله عنه

لا يصيب الرجل حقيقة الإيمان حتى يترك المراء وهو محق ، والكذب
وهو مازح .

وكان يقول : تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم ، فرب رحم قطعت بجهل
صاحبها بها .

وقال ابن عمر لرجل يمازحه : إنك تحب الفتنة ، فوجم الرجل واغتم ،
فقال ابن عمر : ألست تحب المال والولد ؟ قال الله تعالى : « إنما أموالكم
وأولادكم فتنة »[1] .

مر ابن عمر بغلام يرعى غنماً ، فقال له : بعنى شاة ، فقال : إني عبد مُسْتَرْعَى ،
فقال ابن عمر : فأين الملك ؟ (١٩٥) يريد أن يعتل لأهلها بأن الذئب أكلها ،
أو أنها ضاعت ، فقال له الغلام : فأين الله ؟ فاشتراه عبد الله وأعتقه ، فقال له
الغلام : أسأل الذى رزقنى العتق الأصغر أن يعتقك العتق الأكبر .

صلى أشعب صلاة خفيفة فعابه عبد الله بن عمر ، فقال أشعب : إنها صلاة
لم يخالطها رياء .

كان ابن عمر لا يتخلف عن السرايا فى حياة رسول الله ﷺ ، ولا عن
الحج فى أيام الفتنة ، قال ميمون بن مهران : ما رأيت أورع من ابن عمر ،
ولا أعلم من ابن عباس .

ولعبد الله بن عمر أولاد ؛ منهم سالم بن عبد الله بن عمر ، يكنى أبا عمرو ،
وكان فقيهاً عابداً ، مات بالمدينة ، وصلى عليه هشام بن عبدالملك ، سنة ست ومائة ،
وقال هشام : ما أدرى أى الأمرين أسر به : أبتمام حجى ، أم بصلاتى على سالم .

(١١) أعتقه : عتقه

[1] الأنفال ، ٢٨

ومن أولاد عمر رضى الله عنه

عبيد الله بن عمر ، كان شديد البطش ، وله أخبار بصفّين فى قتاله عليًّا
مع معاوية ، ولمّا بويع لعلىّ بالخلافة هرب منه ، وخاف أن يقيّده بالهرمزان ، ٣
وسيأتى ذكر ذلك إن شاء الله تعالى .

وكان مع معاوية ، وكان معه سيف عمر رضى الله عنه ، وهو ذو الوشاح ،
وسيأتى مصافاته عند ذكر حرب صفّين . ٦

ولمّا استمرّ القتل بصفّين ، قال معاوية : مَن لربيعة ؟ وكانوا يقاتلون مع
علىّ قتالًا شديدًا أنكوا فيه[1] ، فقال له عبيد الله بن عمر : أنا لهم إن أعطيتنى
ما أسألك فيه ، قال : سل ! قال : الشّهامة تصرفها معى ، وهى كتيبة معاوية ، ٩
وكان يقال لها الشّهامة والخضراء والشهباء ، فصرفها معاوية معه ، فعاد عبيد الله
إلى فسطاطه ومعه بحريّة بنت هانئ بن قبيصة الشيبانى ، فظاهر بين درعين .
فقالت له زوجته : ما هذا ؟ (١٩٦) قال : عبّأنى معاوية لقومك فى الشّهامة ، ١٢
فما ظنّك ؟ قالت : ظنّى أنّهم سيدعوننى أيّما منك ، فقُتل ذلك اليوم .

فلمّا كان العشىّ وتراجع الناس ، أقبلت بحريّة على بغلتها ، وعليها خميصة
سوداء ، ومعها غلمة لها ، حتى انتهت إلى ربيعة ، فسلّمت ، ثم قالت : يا معشر ١٥
ربيعة ، لا يخزِ الله هذه الوجوه ، قالوا : من أنتِ ؟ قالت : أنا بحريّة بنت هانئ ،
قالوا : مرحبًا وأهلًا وسهلًا بسيّدة نسائنا ، وابنة سيّدنا ، ما حاجتك ؟ قالت :
جثّة عبيد الله بن عمر بن الخطّاب ، قالوا : أذنّا لك فيها ، وأشاروا إلى الناحية ١٨

---

(١٣) سيدعوننى : سيدعونى

---

(١) يقال : نكيت فى العدو أنكى نكاية ، إذا أكثرت فيهم الجراح والقتل فوهنوا لذلك ، لسان العرب

التى صرع فيها ، وكانت الريح هاجت عليهم ، فقلعت أوتاد أبنيتهم ، وإذا برجل من بنى حنيفة قد أوثق طنباً من أطناب خبائه برجل عبيد الله بن عمر وهو مسلوب ، فلمّا رأته رمت خميصتها عليه ، وأمرت غلمانها فحفروا له ، ثم وارته .

وكان الذى قتله سلبه سيفه ، فلمّا تولّى الأمر معاوية أخذ السيف من قاتله ، فردّه على آل عمر .

وأمّا زيد أخو عمر رضى الله عنهما كان أسنّ من عمر ، وأسلم قبل عمر ، وشهد بدراً وأُحُد والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ .

وكان زيد صاحب الراية يوم اليمامة، وانكشف المسلمون، فجعل زيد يقول: اللهم إنّى أبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء وأعتذر إليك من فرار أصحابى، ثم تقدّم بالراية فضارب بسيفه ، حتى قُتِل رحمه الله ، ووقعت الراية فأخذها سالم مولى أبى حذيفة ، فقال له المسلمون : يا سالم ، إنّا نخاف أن نؤتى من قبلك ، فقال : بئس حامل القرآن أنا إن أُتيتم من قِبَلى .

وقال عمر رضى الله عنه لمّا استشهد زيد رحمه الله: سبقنى إلى أخى الحسنيين ، أسلم قبلى واستشهد قبلى .

وكان (١٩٧) الذى قتل زيداً رجل يقال له أبو مريم الحنفى ، فلمّا جاء إلى عمر ، قال له : أقتلتَ أخى زيداً ؟ فقال : أكرمه بيدى ولم يهنّى بيده .

ولمّا شهد زيد بدراً مع عمر كان بينهما درع ، فقال كلّ واحد لصاحبه : والله ما يلبسها غيرك ، وكان ممّن ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد .

وكان عمر يقول : ما هبّت صَبا قطّ إلّا ذكرت أخى زيداً[1] ، وأقسم عمر

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى ابن سعد ، ٣ : ٣٧٨ : إن الصبا لتهب فتأتينى بريح زيد بن الخطاب

يوم أحد على زيد أن يلبس درعه ، فلبسها زيد لقسمه ، ثم نزعها ، فسأله عمر ، فقال زيد : أريد لنفسى ما تريد من الشهادة لنفسك .

٣ وذكر ابن قتيبة فى المعارف قال : مات زيد بن عمر بن الخطّاب وأمّه أمّ كلثوم فى ساعة واحدة ، فلم يرث أحد منهما صاحبه ، وصلّى عليهما عبد الله ابن عمر ، فقدّم زيداً وأخّر أمّ كلثوم ، فجرت السنة بتقديم الرجال[1] .

٦ صفته رضى الله عنه

كان طويلًا ، شديد الأدمة ، أعسر يسراً[2] ، أصلع ، كثّ اللحية ، ضخماً يخضب بالحنّاء والكتم ، وفى تأريخ أبى يعقوب أنّه كان كوسجاً .

٩ كتّابه رضى الله عنه

كتب له عثمان بن عفّان رضى الله عنه ، وزيد بن ثابت الأنصارى ، وربيعة ابن مخزم ، والله أعلم .

١٢ حاجبه رضى الله عنه

[يرفأ][3] مولاه .

نقش خاتمه رضى الله عنه

١٥ كفى بالموت واعظاً ، ويقال : آمنت بالذى خلقنى ، وقال ابن عبّاس : الله المعين لمن صبر .

(٧) طويلا : طويل || ضخما : ضخم

(١) انظر المعارف ، طبع بيروت ١٣٩٠ هـ ، ٨١

(٢) فى الأصل : أعسر يسر ، وفى المعارف ، ٧٨ : كان أعسر يسرا ، وهو الذى يعتمل بيديه جميعا

(٣) كذا فى سائر الكتب والمراجع ، وفى الأصل : أرفا .

(١٩٨) ذكر سنة أربع وعشرين

النيل المبارك فى هذه السّنة :

٣ الماء القديم ذراعان وأربعة عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وستّة أصابع .

ذكر خلافة الإمام ذى النورين

٦ عثمان رضى الله عنه ونسبه وبعض سيرته

أمّا نسبه رضى الله عنه فهو : أبو عمرو ، وأبو عبد الله ، وأبو ليلى ، عثمان ابن عفّان بن أبى العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، يلتقى النبى ﷺ

٩ فى عبد مناف .

أمّه رضى الله عنه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمّها أمّ حكيم البيضاء بنت عبد المطّلب ، يلتقى رسول الله ﷺ هو والزبير

١٢ ابن العوّام بأمّيهما فى عبد المطّلب ؛ لأنّ أمّ الزبير صفيّة بنت عبد المطلب ، وهما عمّتا رسول الله ﷺ .

وكانت أمّ حكيم البيضاء ترقّص عثمان فى صغره ، وتقول :

١٥ ظنّى به صدق وبرّ نأمــره فيأتمــرْ

من فئة بيض صــبرْ يحمون عورات الدّبرْ

قال عثمان رضى الله عنه : قدمت من الشام ، فلمّا كنت بموضع كذا إذا

١٨ أنا بمناد ينادى : أيّها النوام هبّوا ، إنّ أحمد قد خرج بمكّة ، فلم يتمالك دون أن قدم حتى أتى النبى ﷺ ، فأسلم. ولما أسلم أخذه الحكم بن العاص بن أميّة عمّه

---

(٣) ستة : ست (٥) ذى : ذو (١٠) كريز : كرير (١٦) فئة : فته

فأوثقه رباطاً ، وقال : أترغب عن ملّة آبائك إلى دين محمّد ، والله لا أحُلُّك حتى تدع ما أنت عليه ، قال : والله لا أدعه أبداً ، فلمّا رأى صلابته فى دينه تركه .

وحلفت أمّه أروى ألّا تأكل له طعاماً ، ولا تلبس له ثوباً ، ولا تشرب له شراباً حتى يدع دين محمّد ، وتحوّلت إلى بنت أختها فأقامت حولًا ، فلمّا يئست منه عادت إلى منزلها . ٣

وهاجر عثمان رضى الله عنه (١٩٩) الهجرتين إلى أرض الحبشة ، فراراً من قريش ، وكانت معه فى الهجرة الثانية زوجته رقيّة بنت النبى ﷺ ، وقال رسول الله ﷺ : « إنهما لأول من هاجر إلى الله سبحانه بعد إبراهيم ولوط »[١] يريد قوله تعالى : « فآمن له لوط وقال إنّى مهاجر إلى ربّى إنّه هو العزيز الحكيم »[٢] . ٦ ٩

وكان عثمان رضى الله عنه تاجراً فى الجاهليّة والإسلام ، يدفع ماله قراضاً ، ولم يشهد عثمان بدراً بسبب مرض رقيّة بنت رسول الله ﷺ ، وقد تقدّم ذكر ذلك[٣] ، وتخلّف عثمان عن بيعة الرضوان ، وكانت من أجله ، وذلك أنّ رسول الله ﷺ وجّهه إلى مكّة فى أمر لا يقوم فيه غيره مقامه من صلح قريش ، فأتاه ﷺ خبر كاذب بأنّ عثمان قُتل ، فجمع عليه السّلام أصحابه ، وبايعهم على قتال أهل مكّة ، وبايع عن عثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى ، وقال : « هذه لعثمان » ، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيراً من يد عثمان لنفسه . ١٢ ١٥

---

(٣) أروى : أروا

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعل المصنف يقصد بها الهجرة الأولى إلى الحبشة ، فقد خرج عثمان ومعه زوجه رقية رضى الله عنهما مهاجرين إلى الحبشة ضمن من هاجر من المسلمين ، انظر السيرة النبوية ، ١ : ٣١٦ (٢) سورة العنكبوت ، ٢٦ (٣) انظر فيما سبق

قال رسول الله ﷺ : « سألت ربى ألا يُدْخِل النار أحداً صاهرته أو صاهر إلىّ » .

نظر رسول الله ﷺ إلى عثمان فقال : « هذا المؤمن التقى الشهيد شبيه إبراهيم عليه السلام » .

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة .

وكان علىّ كرّم الله وجهه يقول : كان عثمان أوصلنا للرحم ، وكان من الذين آمنوا واتّقوا وأحسنوا ، والله يحبّ المحسنين .

وكان عثمان رضى الله عنه يتختّم فى يساره ، ويشدّ أسنانه بالذهب ، وكان به سلس البول ، وكان يتوضأ لكلّ صلاة ، وكان بالليل يلى وضوءه بنفسه .

وقال ﷺ : « أصدق أمّتى حياء عثمان » وقال ﷺ : (٢٠٠) « أرحمكم أبو بكر ، وأشدّكم فى الدين عمر ، وأقرؤكم أبىّ ، وأصدقكم حياء عثمان ، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ ، وأقضاكم علىّ ، وأفرضكم زيد ، ألا وإنّ لكلّ أمة أميناً ، وأمين هذه الأمّة أبو عبيدة بن الجرّاح » .

تمارى عثمان والزبير فى شىء ، فقال الزبير : يا ابن صفيّة ، فقال عثمان : هى أدنتك من الظلّ ، ولولاها كنت ضاحياً .

واشترى عثمان بئر دومة ، وكانت رَكيّة[1] ليهودىّ ، فاشترى نصفها باثنى عشر ألفاً فجعلها للمسلمين ، فاشتكى اليهودىّ ، فقال له عثمان : إن شئت جعلت على نصيبك قربتين ، وعلى نصيبك قربتين ، وإن شئت فلى يوم ولك يوم ، فقال اليهودى : لى يوم ولك يوم ، فإذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم

---

(١) الركية : البئر تحفر ، لسان العرب

ليومين ، فلمّا رأى اليهوديّ قال : أفسدتَ عليّ ركيّتي ، فاشترى النصف الآخر بثمانية آلاف وجعلها للمسلمين .

وقال النبي ﷺ : « من يزيد في المسجد ؟ » فاشترى عثمان موضع خمس سَوار ، فزاده في المسجد ، وجهّز جيش العسرة في غزاة تبوك . ٣

ورُوي أنّ عثمان رضي الله عنه حمل في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسًا ، وأنفق في جيش العسرة ألف دينار ، فقال النبي ﷺ : « اللّهمّ لا تنسَ هذا اليوم لعثمان ، اللّهمّ إنّي راضٍ عن عثمان فارضَ عنه » ، وكانت هذه الغزاة ـ وهي غزوة تبوك ـ في رجب سنة تسع للهجرة . ٦

ذكر نبذ مما جرى في هذه الغزاة ٩

كان عليه السّلام قلّما يخرج في غزوة إلّا كنى عنها ، وأخبر أنّه يريد غيرها ، إلّا في هذه الغزوة ـ وهي غزوة تبوك ـ فإنّه بيّنها لبعد المسافة ، وشدّة الزّمان ، وكثرة الروم ، وأخبرهم أنّه يريد الروم (٢٠١) ليتأهّب الناس ، وحضّ أهل الغنى واليسار على النفقة ، فلم ينفق أحد من المسلمين ما أنفق عثمان رضي الله عنه ، واعتذر إليه ناس من الأعراب ، وفيهم أنزل الله تعالى : « وجاء المعذّرون من الأعراب » الآية[1] ولم يعذرهم الله ، وتخلّف رجال من المسلمين من غير شكّ ولا نفاق ، وعسكر رسول الله ﷺ على ثنيّة الوداع ، وعسكر عبد الله بن أُبيّ عسكره ، أسفل منه ، وكان عسكره ليس بأقلّ العسكرين ، ثم تخلّف عنه عبد الله ابن أُبيّ فيمن تخلّف من المنافقين . ١٢ ١٥ ١٨

(١) فاشترى : فاشترا (١٠) قلما : قل ما (١٣) ما أنفق : ما نفق

(١) سورة التوبة ، ٩٠

وخلف رسول الله ﷺ على بن أبى طالب كرّم الله وجهه على أهله، وأمره بالإقامة فيهم ، فقال المنافقون : ماخلّفه إلّا استثقالًا له، وفى هذه الغزاة قال رسول ٣ الله ﷺ : « ألا ترضى يا علىّ أن تكون منّى بمنزلة هارون من موسى ، إلّا أنّه لانبىّ بعدى » ، وذلك أنّ عليًّا عليه السّلام لمّا بلغه أنّ المنافقين قالوا فى شأنه أنّ ماخلّفه رسول الله ﷺ فى المدينة إلّا استثقالًا له ، أخذ سلاحه ثم خرج ٦ إليه وهو نازل بالجُرْف [(١)] ، فقال : يانبىّ الله ، زعم المنافقون أنّك إنّما خلّفتنى استثقالًا لى ، فقال : « كذبوا ، ولكنّى خلّفتك لما تركت ورائى ، فاخلفنى فى أهلى وأهلك » ، ثم قال له ما قال .

٩ وتخلّف عن رسول الله ﷺ ناس ، فيقول أصحابه : يارسول الله تخلّف فلان ، فيقول عليه السّلام : « دعوه ، فإن يكُ فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يكُ غير ذلك فقد أراحكم الله منه .

١٢ وتأخّر أبو ذرّ على بعير له ، فلمّا أبطأ به أخذ متاعه فحمله على ظهره ، ولحق برسول الله ﷺ ماشيًا ، فنظر رجل من المسلمين فقال : يارسول الله ، هذا رجل يمشى على الطريق ، فقال النبى ﷺ : « كن أبا ذرّ » ، فلمّا تأمله القوم قالوا : ١٥ هو والله أبو ذرّ ، فقال عليه السّلام : « رحم الله أبا ذرّ ، يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » .

وفى هذه الغزاة تخلّف ثلاثة من المسلمين ، ولم يكونوا أهل نفاق ، وهم : ١٨ كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال ابن أميّة ، قال كعب بن مالك :

---

(٢) استثقالا : استقالا (١٢) أبطأ : أبطى

---

(١) الجرف : بالضم ثم السكون ، موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، معجم البلدان لياقوت ، طبع دار صادر ، بيروت

لما تجهّز المسلمون جعلت أغدو وأروح ولا أتجهّز معهم وأقول : أنا قادر على الجهاد أىّ وقت شئت ، ولما سار المسلمون غدوت لأتجهّز ، وألحق برسول الله ﷺ.
قال : فلم يزل ذلك دأبى حتى فرط الغزو ، وكنت إذا مشيت فى النّاس بعد خروج رسول الله ﷺ لا أرى إلّا رجلًا مغموصاً عليه فى النّفاق ، أو معذوراً بضعف أو زمانة ، قال كعب : فلمّا بلغ رسول الله ﷺ تبوك قال : « مافعل كعب ؟ » فقال رجل : حبسه برداه ، والنظر فى عطفيه ، فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ، والله يارسول الله ما علمنا عليه إلّا خيراً ، فسكت النبى ﷺ قال : فلمّا قفل عليه السّلام حضرنى شىء ، فبقيت أتذكّر الكذب ، وأقول ماذا يخرجنى من سخط رسول الله ﷺ إذا قدم ، فلمّا أطلّ قادماً راح عنّى الباطل ، وعرفت أنّه لا ينجينى إلّا الصدق ، فلمّا دخل المسجد ، وصلّى ركعتين جلس للناس ، وجاء المخلّفون يعتذرون إليه ، فقبل عذرهم وعلانيتهم وأيمانهم ، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى ، واستغفر لهم .

قال كعب : فجئت فسلّمت عليه ، فتبسّم تبسُّمَ المُغْضَب ، ثم قال : « ما خلّفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ » فقلت : يا رسول الله ، لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنّى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أُعْطِيتُ جدلاً ، ولكنّى إن حدّثتكَ كذباً لترضيَنّ عنّى ، وليوشكنّ اللهُ أن يسخطك علىّ ، ولئن حدّثتكَ الصدق لتجدنّ[1] علىّ ، وإنّى [لأرجونّ][2] الله وعقباى منه

---

(١) أغدو : أغدوا

---

(١) يعنى لتغضبن

(٢) فى الأصل : لأرجو أن ، وهو تصحيف . ولفظ البخارى : إنى لأرجو فيه عفو الله ، انظر صحيح البخارى ، ٦ : ٣ وما بعدها ، طبع مطابع الشعب ، مصر

(٢٠٣) رضاك علىّ ، لا والله ، ما لى من عذر ، وما كنت قطّ أقوى ولا أيسر
منّى حين تخلّفتُ عنك ، فقال رسول الله ﷺ : « أمّا هذا فقد صدقتَ فيه ،
٣ فقم حتى يحكم الله فيك » ، فقمت ، وسار معى رجال من قومى ، فقالوا لى : لقد
عجزت أن لا تكون اعتذرت إليه بما اعتذر المخلّفون ، قال : فأردت أن أرجع
فأ كذّب نفسى ، ثم قيل لى : إنّه قد قال رجلان من خيار المسلمين مثل مقالتك،
٦ وهما مرارة بن الربيع ، وهلال بن أميّة ، فتأسّيت بهما لصلاحهما ، ثم نهى
رسول الله ﷺ عن كلامنا أيّها الثلاثة دون غيرنا، فاجتنبنا الناس وتغيّروا لنا ،
فأقمنا خمسين ليلة .

٩ قال كعب : فكنت أصلّى الصلوات مع المسلمين ، وأطوف الأسواق ،
ولا يكلّمنى أحد ، وأسلّم على رسول الله ﷺ ، فأقول فى نفسى : هل حرّك
شفتيه بردّ السلام أم لا ؟ وأسارقه النظر ، فينظر إلىّ إذا صلّيت ، وإذا نظرت
١٢ إليه أعرض عنّى ، قال : فلمّا طال ذلك علىّ من جفوة المسلمين ، كنت أغدو
إلى السوق ، فبينا أنا أمشى بالسوق إذا نبطىّ يسأل عنّي من نبط الشام ، ممّن
قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدلّ على كعب ، فأشاروا إلىّ ، فأتانى ،
١٥ فأعطانى كتاباً من ملك غسّان ، وكتبه فى سرقة حرير ، يقول فيه : إنّ صاحبك
قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحقْ بنا نُواسِكَ ، فقلت :
هذا والله أشدّ طمع فىّ رجل مشرك ، فعمدت إلى تنّور فسجرته .

١٨ فلمّا مضت علىّ أربعون ليلة ، أتانى أمر رسول الله ﷺ أن أعتزل امرأتى،
قال : فقلت : أطلّقها ، قال : لا ، بل لا يقربها ، وأرسل إلى صاحبىّ بمثل ذلك ،
فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك ، واستأذنت امرأة (٢٠٤) هلال رسول الله ﷺ

---

(٣) وسار : وثار (٦) وهما : وهم (١٢) أغدو : أغدوا

فى هلال ، وقالت : إنّه شيخ كبير ضائع، لا خادم له ، أفأخدمه ؟ فأذن لها ، قال: فقيل لى : لو استأذنت أيضاً فى امرأتك ، فقلت : إنّ هلالًا شيخ كبير ، وأنا شابٌّ ، فلمّا مضت خمسون ليلة صلّيتُ الصبح على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال ٣ التى ذكر الله منّا ، وهو قوله تعالى : « ضاقت عليهم الأرض بما رحبت »[1] إذ سمعت صوتاً يقول : يا كعب ، أبشر ! قال : فخررت ساجداً ، وآذن رسول الله ﷺ النّاس بتوبة الله عزّ وجلّ علينا حين صلّى الفجر ، فذهب ٦ النّاس يبشّروننا ، وركض رجل إلى فرسه ، وسعى آخر حتى أوفى على الخيل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ، فنزعت ثوبىّ ، وكسوتهما لمن بشّرنى ، ووالله لا أملك غيرها ، واستعرت غيرها ، فأتيت رسول الله ، وتلقّانى الناس ٩ يبشّروننى بالتوبة ، قال : فدخلت المسجد ، ورسول الله ﷺ جالس ، وحوله النّاس ، فقام لى طلحة بن عبيد الله ، فهنّأنى ، فوالله ما قام إلىّ من المهاجرين رجل غيره . ١٢

قال كعب: فقال لى رسول الله ووجهه يبرق من السرور : « أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمّك » ، قال ، فقلت : يا رسول الله ، أمن عندك ، أم من عند الله ؟ فقال : « بل من عند الله » ! قال كعب : فلمّا جلست بين يديه ١٥ قلت : يا رسول الله ، إنّ من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال : « أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك » ، قلت : إنّى ممسك سهمى

---

(٥) وآذن : واذن (٧) رجل : رجلا (١١) عبيد الله : عبد الله

---

(١) سورة التوبة ، ١١٨ ، وفى الأصل : وقد ضاقت ، وهو خطأ ، لأن نص الآية الكريمة : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت »

الذى بخيبر ، وقلت : يا رسول الله ، إنّ الله نجّانى بالصدق ، وإنّ من توبتى
ألّا أحدّث إلّا صدقًا ما حييت . والله ما أعلم أحدًا من الناس أبلاه الله فى صدق
٣ الحديث منذ ذكرت لرسول الله ﷺ أفضل(٢٠٥) ممّا[1] أبلانى ، والله ما تعمّدت
من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هـذا ، وإنّى لأرجو
أن يحفظنى الله فيما بقى ، وأنزل الله عزّ وجلّ : « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين
٦ والأنصار الذين اتّبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم »[2]
الآية . ثم قال : « وعلى الثلاثة الذين خلّفوا » ، إلى قوله : « وكونوا مع
الصادقين »[3] .

٩ وأنزل الله سبحانه فى الذين كذبوا : « سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم
لتعرضوا عنهم ، فأعرضوا عنهم ، إنّهم رجس ، ومأواهم جهنّم ، جزاء بما كانوا
يكسبون ، يحلفون لكم لترضوا عنهم ، فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن
١٢ القوم الفاسقين »[4] .

ومن مناقب عثمان رضى الله عنه

قال ابن عمر رضى الله عنه : كنّا جلوسًا أنا وأبو سعيد الخدرى ورافع بن
١٥ خديج ، فجاءنا غلام لعثمان بن عفّان ، فقال : قوموا معى إلى أمير المؤمنين عثمان ،
فسلوه أن يكاتبنى ، ففعلنا ، فقال : إنّى شريته بخمسين ومائة ، فإذا جاءنى بها

---

(٦) كاد : كادت || يزيغ : تزيغ

---

(١) ورد فى هامش هذه الصفحة كلة : وقف
(٢) سورة التوبة ، ١١٧
(٣) سورة التوبة ، ١١٨
(٤) سورة التوبة ، ٩٥ ـ ٩٦

فهو حرّ ، فأحضر المال ، فقال له عثمان : أتذكر يوم عركت أذنك ؟ قال : بلى يا سيّدى ، قال : ألم أنهك أن تقول سيّدى ، قم فخذ أذنى ، فأبى ، فلم يزل به حتى أخذ أذنه فعركها ، وهو يقول شدّ ، حتى إذا رأى أنّه قد بلغ منه قال : حسبك ، أنت حرّ ، والمال الذى أتيت به لك ، والقصاص فى الدنيا أهون من القصاص فى الآخرة .

وكان الحسن يقول ، إذا ذُكر قَتْلُ عثمان : عجباً ، لهم أرزاق دارّة ، وخير كثير ، وذات بَيْنٍ حسن ، ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمناً إلّا يودّ نصره وينصره ويألفه ، فلو صبروا على الأثرة لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والأرزاق (٢٠٦) ، ولكن لم يصبروا ، فسلّوا السيوف مع من سلّ ، فصار عن الكفّار مغمداً وعلى المسلمين مسلولاً إلى يوم القيامة .

وذلك أنّ عثمان كان يقول : أيّها الناس ، اغدوا على أعطياتكم ، فيغدون فيأخذونها وافية ، ثم يقول : أيّها الناس ، اغدوا على أرزاقكم ، فيأخذون السمن والعسل .

وكان عثمان هيّناً ليّناً ، إذا قام من الليل يتوضّأ لا يوقظ أحداً من أهله .

قالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله ﷺ لرجل : « ادع لى بعض أصحابى ، فقلت : هو أبو بكر ؟ قال : لا ! فقلت : فعمر ؟ قال : لا ! قلت : هو ابن عمّك ؟ قال : لا ! فقلت : عثمان ؟ قال : نعم » ! فأتاه فسارّه فى أذنه ، ولون عثمان يتغيّر ، فلمّا كان يوم الدار وحُصر قيل له : ألا تقاتل ؟ قال : لا ! إنّ رسول الله ﷺ عهد إلىّ عهداً وأنا صابر نفسى عليه .

---

(١١) فيغدون : فيغدوا

وحفظ عثمان القرآن على عهد رسول الله ﷺ .

أتى عثمان رضى الله عنه منزل عائشة ، فسأل عن رسول الله ﷺ ، فقالت : ذهب يبتغى لأهله قوتاً ، وإنّه ما أوقد فى أبياته ناراً منذ سبعة أيّام ، فقال : رحمك الله ، أفلا أعلمتنى ؟ فلمّا رجع بعث بطعام وشاة إلى بيت كلّ واحدة من نسائه ، فلمّا رجع رسول الله ﷺ قال : « ما هذا ياعائشة ؟ » ، قالت : بعث به عثمان قال : « ابعثى منه للنسوة » ! قالت : ما منهنّ امرأة إلّا أتاها مثل هذا . فرفع رسول الله ﷺ يديه ، وقال : « اللهم لا تَنْسَها لعثمان » .

وكان عثمان رضىالله عنه تاركاً لكلّ ما يعاب عليه، كان له جليس يأنس به فَحُدَّ فى الشراب ، فقال له عثمان : لا تعد إلى مجلسى والخلوة معى ، ما لم يكن معنا ثالث .

وقال علىّ عليه السّلام وذكر عثمان : أما والله لقد سبقت له سوابق من الله عز وجل لا يعذّبه الله بعدها أبداً .

دخل عثمان على رسول الله ﷺ وهو (٢٠٧) مضجع، فجلس رسول الله ﷺ ، فقالت عائشة رضى الله عنها : لم تفعل هذا بأبى بكر حين دخل، ولا بعمر ، فقال : «إنّ عثمان شديد الحياء ، ولو رآنى على تلك الحالة التى رآنى عليها أبو بكر وعمر لا نقبض عن حاجته وقصّر عنها » .

ولما حجّ عمر رضى الله عنه فكان الحادى يحدو به ويقول :

إنّ الأمير بعده ابن عفّان

---

(١٧) يحدو : يحدوا

فلمّا ولى عثمان وحجّ كان الحادى يحدو به ويقول :

إنّ الأمير بعده علىّ وفى الزبير خلف [رضىّ][1]

لمّا تزوّج عثمان نائلة بنت الفرافصة قال لها أبوها : إنّك تقدمين على نساء من ٣
قريش هنّ أقدر منك على العطر ، فلا تغلبى عن الكحل والماء وتطهّرى ، وأتت
المدينة مع أخيها ضبّ بن الفرافصة ، فقالت :

[ألست ترى][2] يا ضبّ بالله أنّنى مصاحبة نحو المدينة أركبا ٦
نؤمّ أمير المؤمنين أخا التقى وخير قريش منصباً ومراكبا

ومهرها عثمان عشرة آلاف درهم ، وأعطاها غلاماً اسمه وكيسان[3] وامرأته
فأعتقتهما نائلة . ٩

ولما أهديت نائلة إلى عثمان رضى الله عنه جلست على سرير ، وجلس عثمان
على سرير ، فلمّا وضع عثمان قلنسوته بدت صلعته ، قال لها : لا تكرهى ما ترين
من الصلع ، فإنّ وراءه ما تحبّين ، فقالت : إنّى من نسوة أحبّ بعولتهنّ إليهنّ ١٢
الشيخ السّيد[4] ، وقال : إمّا أن تقومى إلىّ وإمّا أن أقوم إليك ، فقالت :
ما تجشّمته من مسافة السماوة أبعد من عرض هذا البيت ، فلمّا جلست إليه مسح
رأسها ، ثم قال : اطرحى ملحفتك ، ففعلت ، ثم قال : اطرحى خمارك ، ففعلت ، ١٥
ثم قال : اطرحى درعك ، ففعلت ، ثم قال : وإزارك ، فقالت : أنت وذاك (٢٠٨)
فلم تزل عنده حتى قتل .

(٢) الزبير : الزبير (٧) مراكبا : مركبا (١١) لا تكرهى : لا تكرهين
(١٣) تقوى : تقومين

(١) كذا فى الطبرى ، ٥ وفى الأصل : مرضى
(٢) هكذا فى الأغانى لأبى الفرج الإصفهانى ١٥ : ٧٠ ، وفى الأصل « ألم تر »
(٣) كذا فى الأصل ، ولم أقف
(٤) كذا فى الأصل ، وفى الأغانى : أحب بعولتهن إليهن السادة الصلع

ولمّا دخل أهل مصر لقتل عثمان رضى الله عنه ، ضرب رجل منهم عجيزتها ، فقالت : أشهد أنّك لفاسق ، وأنّك لم تأت غضباً لله تعالى ، ولا محاماة عن الدين ،
٣ وضربه رجل بالسيف ، فاتقته بيدها ، فأصاب السيف إصبعين من أصابعها ، كما يأتى ذكر ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وولدت نائلة لعثمان مريم ، يزوّجها عمرو بن الوليد بن عقبة ، وكانت سيّئة
٦ الخلق ، وكانت تقول لزوجها : جئتك برداً وسلاماً ، فيقول : أفسد بردَك وسلامَك سُوء خُلُقِك .

ولمّا خطب معاوية نائلة بنت الفرافصة بعد قَتْلَة عثمان وألحّ عليها قالت :
٩ ما الذى قال يعجبه منّى ؟ قالوا : ثغرك ، فأخذت المرآة ، ونظرت إلى ثغرها فرأته حسناً ، فتناولت الفهر ، وكسرت ثناياتها ، وقالت : لا يحتلبنكن أحدٌ بعد عثمان ، فلمّا بلغ معاوية ذلك أمسك عنها .

١٢ ورثت نائلة عثمان ، فقالت :

وما لى لا أبكى وتبكى قرابتى ... وقد نزعت عنا فضول أبا عمرِو
إذا جئتَه يوماً تُرجّى نواله ... بدا لك من سيماه أبيض كالبدرِ

١٥ ذكر أمر الشورى

وبيعة عثمان رضى الله عنه

لما طُعِن عمر رضى الله عنه استدعى عليًّا ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ،
١٨ وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقّاص فلمّا دخلوا لم يكلّم أحداً إلّا عليًّا وعثمان ، فقال : يا علىّ ، لعلّ هؤلاء سيعرفون قرابتك من رسول الله ﷺ ،

---

(٥) سيئة : سـه (١٠) لا يحتلبنكن : لا يحلبكن
(١٤) جئته : جبته || بدا لك من : بدت لك

وصهرك ، وما آتاك الله من الفقه والعلم ، فإن وليت هذا الأمر فاتق الله ، ثم قال لعثمان : لعل هؤلاء يعرفون لك صهرك من رسول الله ﷺ ، فإن وليت هذا الأمر فاتق الله ، ولا تحملن بنى معيط على رقاب الناس، ثم دعا صهيبا فقال(٢٠٩) ٣
له : صلّ بالناس إلى أن يتفقوا على إمام ، فلما خرجوا قال عمر : إن وليها الأجلح(١) سلك بهم الطريق ، فقال له ابنه : فما يمنعك منه يا أمير المؤمنين؟ قال : أكره أن أتحملها حيا وميتا . ٦

قال ابن عباس رضى الله عنه : قال لى عمر قبل أن يطعن : ما أدرى كيف أصنع بأمة محمد ﷺ ؟ قال : فقلت : استخلف عليهم ! فقال : صاحبكم ؟ قلت : نعم، لقرابته من رسول الله ﷺ وسابقته وبلائه ، فقال: إن فيه فكاهة ، قلت : ٩
فأين أنت عن طلحة ؟ قال: أين الزهو والنخوة ؟ أنف فى السماء واست فى الماء ، قلت : فعبد الرحمن بن عوف ؟ قال : صالح على ضعف فيه ، قلت : فسعد ؟ قال: ذاك صاحب مقنب ومال، لايقوم بقرية لو حمل أمرها ، قلت : فالزبير ؟ قال: ١٢
مؤمن الرضا ، كافر الغضب ، شحيح، قلت : فأين أنت عن عثمان ؟ قال: لو وليها لحمل بنى معيط على رقاب الناس ، ولو فعلها لقتلوه .

وكان طلحة غائبا فى أيام الشورى ، فبعثوا إليه من يستحثه، فلم يحضر إلا ١٥
بعد المبايعة لعثمان ، فجلس فى بيته ، وقال : أعلى مثلى يفتات ؟ فجاءه عثمان ، فقال له طلحة : إن رددت الأمر تردُّه ؟ قال عثمان : نعم ! قال : فأنا أمضيه ، وبايعه . ١٨

(٤) صل : صلى (١٢) مقنب : مقسب (١٣) الرضا : الرضى
(١٥) يستحثه : نسخته

(١) الجلح : ذهاب الشعر من مقدم الرأس ، والنعت أجلح ، لسان العرب ، والمقصود هنا على

ولمّا دُفن عمر رضى الله عنه أمسك أصحاب الشورى ، ولم يحدّثوا شيئاً ،
ودفن عمر رحمه الله يوم الأحد ، مستهلّ المحرّم من سنة أربع وعشرين ،
٣ وهو اليوم الرابع من طعنه ، وعمره يومئذ ثلاث وستّون سنة ، وفيه خلاف .

ولمّا اجتمعوا فى بيت المال أو فى دار المسوّر بن مخرمة، وحكموا عبد الرحمن
ابن عوف على أن يخرج نفسه من الخلافة ، أخذ بيد علىّ عليه السّلام وقال :
٦ عليك عهد الله وميثاقه إن بايعتُك ألّا تحمل بنى عبد المطّلب على رقاب الناس ،
ولتسيرنّ بسيرة رسول الله ﷺ ، لا تحول عنها (٢١٠) ولا تغضى ولا تقصّر فى
شىء منها ! فقال علىّ عليه السّلام : لا آخذ عهد الله وميثاقه على ما لا أدركه ولا
٩ يدركه غيرى ، من ذا يطيق سيرة رسول الله ﷺ ؟ ولكن أسير من سيرة
رسول الله بما يبلغه الاجتهاد منّى ، وبقدر علمى ، فأرسل عبد الرحمن يده ، ثم أخذ
بيد عثمان، ثم استحلفه بالعهود والمواثيق ألّا يحمل بنى أميّة على رقاب الناس وأن
١٢ يسير بسيرة رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر ، ولا يخالف شيئاً من ذلك ، فحلف
له ، فقال علىّ عليه السّلام لعبد الرحمن : قد أعطاك أبو عبد الله الرضا ، فشأنك
فبايعه ، فعاد وأخذ بيد علىّ عليه السلام ، وعرض عليه ما كان عرضه، فقال على:
١٥ الاجتهاد ، فبويع لعثمان رضى الله عنه ليلة السبت ثالث المحرّم ، وقيل : مستهلّ
المحرّم وهو الصحيح ، والله أعلم .

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان، ثم حجّ عثمان
١٨ فى خلافته كلّها عشر سنين ، خلا السنة التى حوصر فيها ، وهى سنة خمس وثلاثين
وجّه عثمان عبد الله بن عبّاس فحجّ بالناس .

---

(٣) وستون : وستين (١٤) وعرض : وأعرض

أوّل خطبة خطبها عثمان
رضى الله عنه

لمّا بويع رضى الله عنه صعد المنبر فقال بعد أن حمد الله وصلّى على النبي ﷺ: ٣
أيّها الناس ، إنّ أوّل كلّ مركب صعب ، وإنّ بعد اليوم أيّاماً ، وإنْ أعشْ
فستأتيكم الخطبة على وجهها ، فما كنّا خطباء ، وسيعلّمنا الله ، وكان من قضاء
الله تعالى أنّ عبيد الله بن عمر أصاب الهرمزان من المسلمين ، ولا وارث له إلّا ٦
المسلمون عامّة ، وأنا إمامكم ، وقد عفوت عنه ، فتعفون ؟ قالوا : نعم ، فقال علىّ:
لقد فسق، فإنّه أتى عظيماً ، قتل مسلماً بلا ذنب . وقال لعبيد الله : يا فاسق ، لئن
ظفرت بك يوماً لأقتلنّك بالهرمزان، (٢١١) وروى أنه لما أعطى عثمان رضى الله ٩
عنه من العهد لعبد الرحمن ما أعطى ، وبايعه عبد الرحمن ، قال الزبير: نفعت الخئونة
يا ابن عوف،لأنّ محمّد بن عبد الرحمن بن عوف تزوّج ابنة عثمان، فقال عبد الرحمن:
كلّا ، ولكنّي وجدته أرضى فى أصحاب رسول الله ﷺ منك . ١٢

وكان سبب قتله[1] الهرمزان أنّ عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق رضى الله
عنه قال : مررت على قاتل عمر أبى لؤلؤة ، ومعه الهرمزان وجفينة ، وهم نجىّ ،
فلمّا بغتّهم ثاروا ، فسقط من بينهم خنجر له رأسان ، ونصابه فى وسطه ، فانظروا ١٥
الخنجر الذى قتل به عمر ، فنظروه على النعت الذى نعته عبد الرحمن ، فانطلق
عبيد الله بن عمر حين سمع ذلك ، ومعه السيف ، فدعا الهرمزان ، فلمّا خرج إليه

---

(٣) بعد أن حمد: بعد حمد (٥) فستأتيكم : فسيأتيكم (٧) المسلمون: المسلمين
(٨) فسق: الفاسق (٩) أعطى : أعطا (١٣) وسطه : وصطه

---

(١) يعنى عبيد الله بن عمر بن الخطاب

قال له : انطلق معى حتى أنظر إلى فرس ، وتأخّر عنه. فلمّا تقدّمه علاه بالسّيف، ووجد حرّ السيف ، قال : لا والله ! وقيل إنّه قال : لا إله إلّا الله .

٣ ثم أتى جفينة فدعاه ، فلمّا جاءه علاه بالسيف ، وكان جفينة نصرانيًّا من نجران، وكان ظئرًا لسعد بن أبى وقّاص، فأقدمه المدينة، فعلاه عبيد الله بالسيف فصلّب بين عينيه ، ثم انطلق عبيد الله فقتل ابنة لأبى لؤلؤة ، وأراد عبيد الله

٦ يومئذ لايترك سبيًا بالمدينة إلا قتله ، فاجتمع المهاجرون وتوعدوه ، فقال : والله لأقتلنّهم وغيرهم ، وعرض ببعض المهاجرين ، فلم يزل عمرو بن العاص به حتى أخذ السيف منه ، فلمّا أخذ منه السيف جاءه سعد بن أبى وقّاص ، فأخذ كلّ واحد

٩ منهما برأس صاحبه ، حتى حجز الناس بينهما ، وجاء إليه عثمان بن عفّان، وذلك قبل أن يُبايَع له فى أيّام الشورى، فكلّمه، وأخذ كلّ واحد منهما برأس صاحبه، حتى حجز الناس بينهما .

١٢ ولما تقابل عثمان رضى الله عنه وعبيد الله بن عمر قال عثمان له :

لعمرى لقد أصبحت تهــــذر دائبًا وغالت أسود الأرض عنك الغوائلُ

فقال عبيد الله :

١٥ وما أنا باللحم الغريض تســوغه فكل من خشاش الأرض إن كنتَ آكلا

فلما بويع عثمان قال: أشيروا علىّ فى قتل هذا الذى فتق (٢١٢) فى الدين فتقًا،

١٨ فأشار المهاجرون بقتله ، وشجّعوا عثمان على ذلك ، وقال آخرون : أبعد الله الهرمزان وجفينة ، أتريدون أن تتبعوا عبيد الله أباه ، ليس بالجزاء منكم، وكثر القول ، وكادت تكون فتنة ، فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين إنّ هذا

---

(١٨) فأشار المهاجرون : فأشاروا المهاجرين

الأمر كان فى فترة ولم يكن فى سلطانك ، فأعرض عنه ، ففرّق الناس كلمة عمرو
ابن العاص ، وَوَدَى[1] عثمان الرجلين والجارية ، وكانت حفصة ممّن شجّع عثمان
على قتل أخيها عبيد الله ، وكان أشدّ الناس فى أمر عبيد الله علىّ بن أبى طالب ٣
كرّم الله وجهه ، قال : اقتلوه به ، فإنّ الهرمزان قد كان أسلم وحجّ ، وليس
للولىّ أن يعفو عن القاتل ، وإنّما يدعو الولى إذا رفع إليه ، فإن شاء عفا .

وكان عمر قد أوصى إلى حفصة زوج النبى ﷺ ، فإن ماتت فإلى الأكبر ٦
من ولد عمر وآله . وكانت وصيّته بالربع ، وقال لولده عبد الله : اضمن للمسلمين
ما استسلفته من بيت مالهم ، فلم يدفن عمر حتى أشهد بها عبدالله على نفسه أصحاب
الشورى وغيرهم ، ولم تمض جمعةٌ من موت عمر حتى جعل عبدُ الله المالَ الذى ضمنه ٩
عن عمر أبيه فى بيت المال ، وأشهد على براءته منه ، وسمع عمر رضى الله عنه حفصة
تندبه وتقول : يا صاحب رسول الله ، يا أمير المؤمنين ، فقال : أى بنيّة ، إنّى
أجرح عليك بمالى عليك من الحقّ أن لاتندبينى بعد مجلسك هذا ، فأمّا عيناك ١٢
فلن تملكيهما ، قالت عائشة رضى الله عنها : لمّا دفن عمر فى بيتى لم أضع خمارى
عن رأسى ، ولم أزل متحفّظة حتى بنيت بينى وبينه جداراً ، وأوصى عمر رضى الله
عنه عند موته أبا طلحة ، وقال له : كن فى خمسين من أصحابك من الأنصار، مع ١٥
هؤلاء النفر أهل الشورى ، وقم على باب البيت الذى يجتمعون (٢١٣) فيه ، ولا
تترك أحداً يدخل معهم فيه ، ولا يَمْضِ عليهم اليوم الثالث حتى يؤمّروا عليهم
أحدهم ، اللّهمّ أنت خليفتى عليهم .

(٢) شجع : شجعت (٥) يدعو : يدعوا || عفا : عفى
(١٢) أن لا تندبينى: أن تندبين (١٤) جدارا : جدار (١٧) يمض : يمضى

(١) ودى : من الدية وهى حق القتيل ، لسان العرب

وكانت خلافة عمر رضى الله عنه عشر سنين، وخمسة أشهر ، وإحدى عشرة ليلة من ولاية أبى بكر رضى الله عنه ، واستقبل عثمان رضى الله عنه ولايته غرّة المحرّم ، سنة أربع وعشرين للهجرة النبويّة على صاحبها أفضل الصّلاة والسّلام .
ولمّا وضع نعش عمر ليُصَلّى عليه، أقبل علىٌّ وعثمان رضى الله عنهما ويد كلّ واحد منهما فى يد صاحبه، فقال عبد الرحمن بن عوف : أيريد كلٌّ منكما أن يصلّى إماماً إنّ هذا الحرص على الإمارة ، قد أمّر غيركما، قم يا صهيب، فقام فكبّر عليه أربعاً وصلّى عليه فى المسجد[1] .

ولمّا سقط الحائط على قبر النبى ﷺ زمن الوليد بن عبد الملك ، وأخذ فى بنائه ، بدت لهم قدم ففزعوا ، وظنّوا أنّها قدم النبى ﷺ، فقال عروة بن الزبير: والله ما هى قدم النبى ﷺ ، وإنّما هى قدم عمر بن الخطّاب رضى الله عنه .

ذكر خطبة عثمان
بعد تلك الأولى

الحمد لله الذى هدانا للإسلام ، وأكرمنا بمحمّد عليه السلام ، أمّا بعد ، أيّها الناس ، فاتّقوا الله فى سرّ أمركم وعلانيته ، وكونوا أعوانًا على البر والصّلة ، ولا يكن إخوان العلانية أعداء السرّ ، فإنّا قد كنّا نحذر أولئك ، من رأى منكم منكراً فليغيّره ، وإن لم تكن له قوّة فليرفعه إلىّ ، وكفّوا سفهاءكم ، فإنّ السفيه إذا قُمِع انقمع ، وإذا تُرِكَ تتابع . إنّى وليت أمركم ، فأستعين بالله، ولو كنت بمعزل عن الأمر لكان خيراً لى وأسلم ، مضى صاحباى وهما لى سلف وقدوة ، (٢١٤) وإنّما أنا متّبِع .

---

(١) إحدى عشرة : إحدى عشر (١٥) يكن : يكون

وكان عثمان رضى الله عنه أحبّ إلى قريش من عمر، لشدّة عمر رضى الله عنه ولين عثمان ورفقه بهم .

قال الفرزدق : ٣

صلّى صهيب ثلاثًا ثم أنزلها على ابن عفّان ملكاً غير مقسورِ
وصيّة من أبى حفص لستّتهم كانوا أخِلّاء مَهْدِىٍّ ومأمورِ

وفى هذه السّنة ، وهى سنة أربع وعشرين ، فتحت نيسابور على يد عثمان ٦ ابن أبى العاص الثقفى .

وفيها ماتت أم أيمن رضى الله عنها حاضنة رسول الله ﷺ ، وهى التى أمست دون الروحاء لمّا هاجرت ، فاشتدّ بها العطش ، فَدُلّى عليها من السماء دلو برشاء ٩ أبيض ، فشربته فكانت تقول : ما عطشت بعدها مع صومى فى الهواجر .

ذكر سنة خمس وعشرين

النيل المبارك فى هذه السّنة : ١٢

الماء القديم تسعة أذرع واثنا عشر إصبعًا ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعًا وخمسة أصابع .

ما لخّص من الحوادث ١٥

الإمام عثمان رضى الله عنه أمير المؤمنين بالمدينة ، وقد استقرّ بعمّال عمر رضى الله عنه على أعمالهم ، بوصيّة من عمر أن يستقرّ بعمّاله سنة بعده ، ثم له الخيار فيمن يعزله وفيمن يستأمره ، وأن يولّىَ سعد بن أبى وقّاص الكوفة ، وأن يُقرّ ١٨ أبا موسى الأشعرى على البصرة .

---

(٩) فدلى : فدل (١٣) تسعة : تسع || سبعة عشر : سبع عشر

فلمّا ولى عثمان عزل المغيرة ، وولّى سعداً الكوفة سنة ثم عزله ، وولّى أخاه
لأمّه الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، كما يأتى ذكر ذلك فى موضعه إن شاء
٣ الله تعالى .

وفيها عزل عمرو بن العاص عن مصر ، وولّاها عبد الله بن أبى سرح .

وفيها ضمّ حمص وقنسرين وفلسطين إلى معاوية بن أبى سفيان .

٦ وفيها ولد يزيد بن معاوية بن أبى سفيان .

وفيها نقض أهل الإسكندرية عهدهم ، فغزاهم عمرو بن العاص قبل عزله ،
وقتلهم قتلًا ذريعاً .

٩ وفيها (٢١٥) غزا الوليد بن عقبة آذربيجان ، وبعث سلمان بن ربيعة إلى
أرمينية ، فغنم وسلم .

وفيها غزا معاوية الروم ، فبلغ عمورية ووجد الحصون بين أنطاكية وطرسوس
١٢ خالية ، فجعل فيها جماعة من أهل الشام والجزيرة .

وفيها سيّر عبد الله بن أبى سرح عمرو بن العاص إلى بلاد إفريقية .

وفيها أرسل عثمان رضى الله عنه عبد الله بن عامر إلى كابل ، وهى عمالة
١٥ سجستان .

وفيها توفّى ابن أم مكتوم ، وهو أوّل من هاجر إلى المدينة المنوّرة وكان
يؤذّن مع بلال ، وفيه نزلت : « عبس وتولّى »[١] ، ولما نزلت : « لا يستوى
١٨ القاعدون » ، قال : ربّ إنّا أولو ضرر ، فأنزل : « غير أولى الضرر »[٢] ،

---

(١) سعدا : سعد || وولى : وولا (٩) آذربيجان : ادربجان (١٨) إنا : انى

---

(١) سورة عبس ، ١
(٢) يعنى سورة النساء ٩٥ : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما »

وكان يغزو ويقول : ادفعوا إلىّ اللواء فإنّى لا أفرّ ، وشهد القادسيّة ومعه راية سوداء .

ذكر سنة ستّ وعشرين ٣

النّيل المبارك فى هذه السّنة :

الماء القديم خمسة أذرع وعشرون إصبعاً ، مبلغ الزيادة ستّة عشر ذراعاً وأربعة أصابع . ٦

ما لخّص من الحوادث

الإمام عثمان رضى الله عنه أمير المؤمنين بالمدينة ، وعبد الله بن أبى سرح بمصر ، والقاضى بها عثمان بن قيس بحاله . ٩

وفيها فُتحت إفريقية وما معها ، وكان مروان بن الحكم فى فتحها ، فابتاع خمس المغانم بمائتى ألف دينار ، أو بمائة ألف دينار ، وكلّم عثمان فوهبها له ، وأعطى سعيد بن العاص مائة ألف ، فدخل عليه علىّ ، والزبير ، وطلحة ، وسعد، ١٢ وعبد الرحمن بن عوف ، رضوان الله عليهم ، وكلّموه فى ذلك ، وأن أبا بكر وعمر لم يفعلاه ، فقال عثمان رضى الله عنه : إنّ أبا بكر وعمر كانا يتأوّلان فى (٢١٦) هذا المال، كلّفا أنفسهما وذوى أرحامهما، وإنّى تأوّلت فيه صلة رحمى، ١٥ فقالوا : أما كان لأبى بكر وعمر قرابة وذوو رحم ؟ فقال : بلى ، ولكن كانا يحتسبان فى منع قرابتهما ، وأنا أحتسب فى إعطاء قرابتى ! قالوا : فهديهما كان أحبّ إلينا من هديك ، فقال عثمان : لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلىّ العظيم ، ١٨ فكان ذلك أوّل التغيّر عليه .

---

(٩) خمسة : خمس || ستة عشر : ست عشر (١٢) وأعطى : وأعطا
(١٣) أبا بكر : أبو بكر (١٥) كلفا : طلقا (١٦) وذوو : وذووا || بلى : بلا

وفيها تزوّج عثمان بنت خالد بن أسد ، وزاد فى المسجد ووسّعه .
وفيها تُوُفِّيَتْ حفصة بنت عمر ، زوج النبى ﷺ ، مع خلاف فيه .

٣ ذكر سنة سبع وعشرين

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع وثلاثة عشر إصبعاً ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً
٦ وخمسة عشر إصبعاً .

ما لخّص من الحوادث

الإمام عثمان رضى الله عنه ، أمير المؤمنين بالمدينة ، والعمّال بحالهم ، وعبد الله
٩ ابن أبى سرح على مصر ، وكذلك [قيس بن العاص][1] بحاله .

وقيل فى هذه السّنة كان فتح الأندلس ، فتحها عثمان بن عبد الله بن الحصين
من قبل عبد الله بن أبى سرح ، واجتمع أهل إفريقية إلى عبد الله بن أبى سرح ،
١٢ وسألوه أن يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار ذهباً ، على أن يكفّ عنهم ، ففعل ، وقبل
منهم .

وكان المسلمون عشرين ألفاً ، وبلغ الفارس منهم ثلاثة آلاف دينار ،
والراجل ألف دينار ، واشترى مروان الخمس ، حسبما تقدّم من الكلام .

(٥) أربعة : أربع || وثلاثة : وثلثه || ستة : ست
(١٢) ثلاثمائة : سلمايه || ذهبا : دهب
(١٤) عشرين ألفا : عشرون ألف || ثلاثة : ثلاث

(١) كذا فى نهاية الأرب ، ١٩ : ٤٠١ وفتوح مصر ، ٩٣ ، ١٠٢ ، غير أنه يورد هذا الاسم على هذا النحو : قيس بن أبى العاص السهمى ، ويعده ابن عبد الحكم أول قاض استقضى بمصر فى الإسلام (ص ٢٢٩) ، وقد ورد هذا الاسم فى الأصل : العاص بن قيس

وفيها كانت غزاة معاوية بن أبى سفيان قبرص فى البحر، ومعه فاضة زوجته، وكان معه أمّ حرام الأنصاريّة، التى أخبر رسول الله ﷺ أنّها أوّل من يغزو فى البحر، كانت مع زوجها عبادة بن الصامت، وتوفّيت (٢١٧) هناك، وقبرها تستسقى به أهل قبرص فيسقوا. ٣

وقيل إنّ عثمان رضى الله عنه أوى الحكم بن [أبى][1] العاص بن أميّة، وردّه إلى المدينة فى هذه السنة، وكان ممّن يؤذى سيّدنا رسول الله ﷺ، ويحكى مشيته، فاطّلع رسول الله ﷺ وهو فى بعض حجر نسائه، فخرج إليه رسول الله ﷺ بعنزة، وقال: عذيرى من هذا الوزغة اللعين، ثمّ قال له: لا تساكنّى أنت ولا ولدك، فغرّبهم رسول الله ﷺ إلى الطائف، فهو الطريد[2]، فيقال: إنّ عثمان كان استأذن رسول الله ﷺ فى ردّهم، فلمّا ردّهم أنكر الناس ذلك من فعل عثمان، وهو ممّا نقموا عليه. ٦ ٩

وفيها أيضاً ولّى الوليد بن عقبة بن أبى معيط الكوفة، فلمّا قدم قال له سعد[3]: يا أبا وهب، أمير أنت أم مأمور؟ قال: أمير! فقال سعد: ما أدرى أحمقت بعدك أم كِسْتَ بعدى؟ قال: ما حمقت ولا كست، ولكنّ القوم ملكوا فاستأثروا، فقال سعد: ما أراك إلّا صادقاً، فأنكر الناس أيضاً ذلك على عثمان، حتى قال بعضهم، وهو يزيد بن قيس الأرحبى ومعقل بن قيس [الرّياحىّ][4]: لقد أراد عثمان كرامة أخيه بهوان أمّة محمّد. ١٢ ١٥

(١و٤) قبرص: قبرس (٢) يغزو: يغزوا
(٨) عذيرى: عديرى || الوزغة: الوزعه
(١٠) أنكر: أنكروا (١٣) يا أبا وهب: يا با وهب

---

(١) انظر فيما سبق
(٢) راجع فيما سبق
(٣) يعنى سعد بن أبى وقاص، الذى كان أميرا على الكوفة
(٤) كذا فى الكامل، ٣: ٢٨١، ٢٨٧، وفى الأصل: الرباحى

ولمّا فعل الوليد فى الصلاة ما فعل جاء رجال إلى عثمان فأخبروه ، فاستقدمه فقدم . وكانا الذى شهد عليه بما صنع زهير بن عوف الأزدى ، ورجل من بنى أسد ، وكان قد قصدا غرّته ، فتفقّداه فى صلاة العصر فلم يرياه ، فانطلقا إلى بابه ليدخلا عليه فمنعهما البوّاب ، فأعطياه ديناراً ، ودخلا عليه ، فإذا هو سكران لا يعقل ، فحملاه ووضعاه فى سريره ، فقاء خمراً ، وانتزع زهير خاتمه من يده ، ومضيا إلى عثمان (٢١٨) فأخبراه ، فاستشار عثمان عليًّا ، فقال : أرى أن تشخصه إليك ، فإذا شهد عليه وجهه [و][1] حدّده[2] ، فلمّا قدم أمر عثمان بجلده ، فلم يقم أحد ، فقام علىّ كرّم الله وجهه فجلده بدرّة يقال لها السبتية ، لها رأسان ، فضربه أربعين ، فذلك ثمانون ، ويقال إنّه لم يكن بسيرة الوليد بأس ، ولكنّه كان مسرفاً على نفسه .

وفى الوليد قال الحطيئة :

شهد الحطيئة حين يلقى ربّه أنّ الوليد أحق بالعذرِ

نادى وقد تمت[3] صلاتهم لأزيدكم ثملا وما يدرى

ليزيدهم خيراً ولو قبلوا منه لزادهم على عشرِ

فأبوا أبا وهب ولو فعلوا لقرنت بين الشّفع والوترِ

حبسوا عنانك إذ جريت ولو حلّوا عنانك لم تزل تجرِى

وذلك أنه كان صلّى بالناس صلاة فزاد فيها ، ثم التفت إليهم وقال :

---

(١) إضافة يقتضيها السياق

(٢) حدده : حددت الرجل : أقمت عليه الحد ، لسان العرب

(٣) كذا فى الأصل : وفى ديوان الحطيئة ، بشرح ابن السكيت والسكرى ، والسجستانى ، تحقيق نعمان أمين طه ، طبع مصطفى البابى الحلبى بمصر سنة ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) ، ٢٣٢ وما بعدها : وقد قضوا ، وبين الأبيات المثبتة هنا وأبيات الديوان فرق واختلاف

أتحبّون أن أزيدكم؟ وكان ثملًا ، وولّى عثمان بعد الوليد سعيد بن العاص ، فغسل المنبر ودار الإمارة .

٣

ذكر سنة ثمان وعشرين

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ثلاثة أذرع وثمانية عشر إصبعاً ، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً فقط .

٦

ما لُخّص من الحوادث

الإمام عثمان رضى الله عنه أمير المؤمنين بالمدينة ، والأمراء العمّال كذلك ، وعبد الله بن أبى سرح بمصر والقاضى ابن قيس بحالها .

٩

وفيها قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بفتح إفريقية وما يليها .

وفيها تزوّج عثمان نائلة بنت الفرافصة ، وكانت نصرانيّة وأسلمت ، وقد تقدّم خبرها .

١٢

(٢١٩) وفيها حمى عثمان رضى الله عنه الحمى ، وهو البقيع ، لخيل المسلمين ، وكان يحمل كلّ سنة على خمسمائة فرس وألف بعير ، فأنكر الناس عليه الحمى ، وأنكروا عليه ما أعطاه زيد بن ثابت مائة ألف درهم من ألف ألف حملها أبو موسى الأشعرى ، قال أسلم بن أوس الساعدى ، ويقال بل قالها عبد الرحمن ابن حنبل ، أخو كلدة ، فى عثمان رضى الله عنه :

١٥

أقسم بالله جهد اليمين ما ترك الله خلقا سدًى

١٨

---

(٥) ثلاثة : ثلث || تسعة : تسعه (٩) والقاضى ابن : والعاصى بن

(١٠) الفرافصة : القرافصة

دعوتَ اللّعين(١) فأدنيته خلافاً لسُنَّةِ من قد مَضَى

وأعطيت مروان خُمْسَ العبا د ظلماً لهم وحميت الحمى

٣ وما أتاك به الأشعرى من الفىء أنهبته من ترى

فأما الأمينان إذ بيّنا منار الطّريق عليه الهدى

فما أخذا درهماً غيلة ولم يصرفا درهماً فى هوى

٦ وهذا القول مردود عليه لأنّ للإمام أن يتصرّف فى مال الله تعالى بالاجتهاد، ولو أخطأ — والعياذ بالله — لم يجز فى شرع الدين الخروج عليه ولا عناده، وأمّا حمى عثمان رضى الله عنه فإنّما فعل ذلك بخيل المسلمين التى يجاهدون عليها، وإبلهم،

٩ وهو حمى رسول الله ﷺ، وقال أكثر أهل العلم إنّه يجوز ذلك، والله أعلم.

ذكر سنة تسع وعشرين

النيل المبارك فى هذه السنة:

١٢ الماء القديم خمسة أذرع وستة عشر إصبعاً، مبلغ الزّيادة ستة عشر ذراعاً وثمانية عشر إصبعاً.

ما لخّص من الحوادث

١٥ الإمام عثمان رضى الله عنه أمير المؤمنين بالمدينة، وفيها تغيرت (٢٢٠) أناس من ولاة الأمصار، عزل أبا موسى الأشعرى عن البصرة، وولّى عبد الله بن عامر ابن [كريز(٢)]، وجمع له جند عثمان بن [أبى](٣) العاص الثقفى وعمان والبحرين،

---

(٦) مردود : فردود (٧) عناده : عناد (١٢) خمسة : خمس || ستة : ست

---

(١) كتب المصنف بخطه على هامش الصفحة أمام هذا البيت : يعنى باللعين الحكم بن أبى العاص (٢) كذا فى الطبرى، ٥ : ١٤٨، وفى الأصل كرير

(٣) إضافة من الكامل، ٣ : ٧٧، ١٠٠

واستعمل على خراسان عمير بن عثمان بن سعد، وعلى سجستان عبد الله بن [عمير](١) الليثى، وألحق بكل واحد من هؤلاء عدة أعمال .

وبعث إلى الأهواز وفارس عند ما نكثوا [عبيد الله](٢) بن معمر، فسار إليهم، والتقوا على باب إصطخر، فقتل عبيد الله وانهزم المسلمون، فسار عبد الله ابن عامر بن كريز من البصرة، فاقتتلوا، وانهزم الفرس، وفتحت خوزستان(٣) .

وفيها رجم عثمان رضى الله عنه امرأة من حنيفة أدخلت على زوجها فولدت لستة أشهر، فقال علىّ عليه السلام: إنّ الله يقول: «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً»(٤) وقال فى الرضاع: «حولين كاملين»(٥)، فالرضاع أربعة وعشرون، والحمل ستة أشهر، فبعث يردّها، وجدها رجمت .

وفى هذه السنة ظهر الطعن على عثمان رضى الله عنه وتكاتب الناس فيه، وبلغ عثمان ذلك فخرج متوكّئاً على مروان وهو يقول: إنّ لكلّ شىء آفة، ولكلّ نعمة عاهة، وإنّ آفة هذه الأمّة، وعاهة هذه النعمة، عيّابون طعّانون، يظهرون ما تحبّون، ويسترون ما تكرهون، طغام مثل النعام، يتبعون أوّل ناعق وأحبّ مواردهم إليهم الكذب، أما والله لقد نقموا على ابن الخطّاب فقمعهم ومنعهم، ونعم الله أنا أعزّ نادماً، وأكثر عدداً، فالى لا أفعل فى الحق ما أشاء، فقال مروان: إنّه لا يحكم بينك وبينهم إلّا السيف، فقال عثمان: اسكت فاسكت من أهله .

(٢) بكل : كل (٧) ثلاثون : ثلثون (١٤) نقموا : نقمن || ابن : بن

(١) كذا فى الكامل، ٣ : ١٠٠، وفى الأصل عمر
(٢) كذا فى الكامل، وفى الأصل عبد الله، وهو تصحيف
(٣) كذا فى الأصل، ولم يرد فى الطبرى، ٥ : ٥٥، ولا فى الكامل، ٣ : ١٠١، وفتحت إصطخر عنوة، وأتى دارا بجرد . . . وسار إلى مدينة جور، وهى أردشير خرة
(٤) سورة الأحقاف، ١٥ (٥) سورة البقرة، ٢٣٣

ذكر سنة ثلاثين
للهجـــرة النبويّة

٣ النيل المبارك فى هذه السّنة :

(٢٢١) الماء القديم أربعة أذرع وستّة عشر إصبعًا ، مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعًا ، وواحد وعشرون إصبعاً .

٦ ما لخّص من الحوادث

الإمام عثمان رضى الله عنه أمير المؤمنين بالمدينة،والولاة بالأمصار حسبما تقدّم من ذكرهم فى السنة الخالية .

٩ فيها سقط خاتم النبي ﷺ من يد عثمان فى بئر أريس ، وكانت قليلة المـاء ، فنزحت فلم يوجد .

وفيها [أخذ][1] عثمان رضى الله عنه من حفصة الصحف التى كتبت أيّام ١٢ عمر ، وأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن ابن الحارث أن ينسخوها فى المصاحف ، وقال عثمان: إذا اختلفتم فاكتبوا بلسان قريش[2] ، فلمّا كتبوا ردّ الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كلّ مصر بمصحف ١٥ وحرق ما سواه .

---

(١) ثلاثين : ثلثين (٤) أربعة : أربع (٥) وواحد وعشرون : واحد وعشرين
(٧) الولاة : الولا (١٠) فنزحت : فنزفت

---

(١) إضافة من الكامل ، ٣ : ١١٢
(٢) وردت هذه العبارة فى الكامل ، ٣ : ١١٢ على هذا النحو : إذا اختلفتم فاكتبوا بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم

وفيها ذكر عن أبى ذرّ ما ذكر ، فأشخصه معاوية من الشام، وخرج أبو ذرّ وسكن الربذة .

وفيها مات أُبَىّ بن كعب رحمه الله وكان أمر رسول الله ﷺ أن يُقرأ القرآن عليه . ٣

وفيها دخل علىّ كرم الله وجهه على عثمان رضى الله عنه فخلا به ، وجعل عثمان يعاتبه ، وعلىّ عليه السّلام مطرق ، فقال : ما لك لاتقول ؟ فقال : إن قلت لم أقل إلّا ما تكره ، وليس لك عندى إلّا ما تحبّ . ٦

ذكر سنة إحدى وثلاثين

النيل المبارك فى هذه السّنة : ٩

الماء القديم ذراعان وعشرون إصبعًا ، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعًا، واثنا عشر إصبعًا .

ما لخّص من الحوادث ١٢

الإمام عثمان رضى الله عنه أمير المؤمنين بالمدينة ، والولاة بالأمصار حسبما تقدّم .

فيها كانت غزاة [الأساودة][1] ، وقتل يزدجرد ، وسار ابن [عامر][2] (٢٢٢) إلى خراسان وفتحها ثانية . ١٥

---

(٦) السلام : السلم (٧) أقل : أول (١٠) خمسة : خمس

---

(١) كذا فى الطبرى ، ٥ : ٦٨ ، وهى فى فتوح مصر ، ١٧٤ ، ١٨٨ : الأساود ، يقول : ثم غزا عبد الله بن سعد الأساود وهم النوبة ، فتوح مصر ، ١٨٨ ، وفى الأصل : الأساورة

(٢) كذا فى الكامل ، ٣ : ١٣٥ ، وفى الأصل : عمار ، غير أن ابن عامر لم يسر بنفسه إلى خراسان ، بل تولى مهمة القتال عبد الله بن خازم الذى أصبح فيما بعد عاملا لابن عامر على خراسان ، راجع الكامل فى الموضع المذكور

وفيها خرج قسطنطين بن هرقل فى خمسمائة مركب فقهره المسلمون ، فمضى فى مركب واحد إلى صقلّية ، فسأله أهلها عن حالهم ، فأخبرهم ، فقالوا : هلكت ٣ النصرانية ، ثم أدخلوه الحمام فقتلوه بها .

وفيها مات أبو الدرداء ، وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما، وأبو سفيان ابن حرب ، وقد ذهب بصره ، وعبد الله بن زيد ، وهو الذى رأى الأذان[1] ، ٦ رحمة الله عليهم أجمعين .

ذكر سنة اثنتين وثلاثين

النيل المبارك فى هذه السنة :

٩ الماء القديم خمسة أذرع وثلاثة أصابع ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وتسعة أصابع .

ما لخّص من الحوادث

١٢ الإمام عثمان رضى الله عنه أمير المؤمنين بالمدينة ، وولاة الأمصار بحالهم .

فيها كانت غزاة معاوية بن أبى سفيان [مضيق][2] القسطنطينيّة ، وبصحبته زوجته عاتكة .

١٥ وفيها مات العبّاس رضى الله عنه ، وكان قد كفّ بصره ، ودفن بالبقيع ،

---

(١) فقهره : فقهروه || المسلمون : المسلمين (٧) اثنتين : اثنين

(٩) خمسة : خمس || ثلاثة : ثلثه || سبعة : سبع

---

(١) ذكر الطبرى وابن الأثير وفاة كل من عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن زيد فى حوادث سنة اثنتين وثلاثين ، الطبرى ٥ : ٨٠ ، والكامل ، ٣ : ١٣٦ .

(٢) كذا فى الطبرى ، ٥ : ٧٧ ، وفى الأصل : مصيف

وله ثمان وثمانون سنة ، وكان إذا مرّ بعمر أو بعثمان وهما راكبان ترجّلا إجلالًا له .

وفيها مات كعب الأحبار رحمه الله . ٣

وفيها مات سلمان الفارسيّ رضى الله عنه ، ولمّا اشتدّ مرضه قال لزوجته : آتيني بالصرّة المسك ، التي وجدتها يوم جلولاء ، غرستها فى ماء ونضحتها حوله ، وقال : ألا يأتيني زوّار ، فيجدون الريح طيّبًا ولا يأكلون[1] ، ومات وهو ٦ ابن مائتى سنة وخمسين سنة[2] ، رحمه الله تعالى .

وفيها مات أبو ذرّ الغفاريّ رضى الله عنه ، وكان أمر ابنته أن تذبح شاة وتطبخها ، وقال : إذا جاء الذين يدفنوننى فإنّهم قوم صالحون ، [فقولى[3]] لهم : ٩ أبى يقسم عليكم ـ وهو أبو ذرّ ـ أن لا (٢٢٣) تركبوا حتى تأكلوا ، فلمّا نضجت قدرها قال : انظرى هل ترين أحدًا؟ قالت : رَكْبٌ ، قال : استقبلينى[4] الكعبة ، ففعلت ، فقال : بسم الله ، وبالله ، وعلى ملّة رسول الله ، ثم مات ، ١٢ رضى الله عنه ، فخرجت ابنته فتلقّتهم ، وقالت : رحمكم الله ، اشهدوا أبا ذر ! فقالوا : نعم ، وكرامة ! وكان فيهم ابن مسعود ، فبكى ، وقال : صدق

(١) أو : ا (٥) ونضحتها : ونصحتها (٦) يأتيني زوار : يأتونى زوار
(١١) أحدا : أحد (١٤) فبكى : فبكا

(١) أورد الطبرى وابن الأثير هذا القول عن أبى ذر الغفارى ـ وليس عن سلمان الفارسى ـ فى خبر وفاة أبى ذر على هذا النحو : « فلما حضر قال : إن الميت يحضره شهود ، يجدون الريح ولا يأكلون ، فدوق تلك المسكة بماء » الطبرى ، ٥ : ٨١ ، الكامل ، ٣ : ١٣٤

(٢) ينقل ابن حجر فى الإصابة عن الذهبى قوله عن سلمان : وجدت الأقوال فى سنه كلها دالة على أنه جاوز المائتين وخمسين ، والاختلاف إنما هو فى الزائد ، ثم رجعت عن ذلك ، وظهر لى أنه مازاد على الثمانين ، الإصابة ، ٢ : ٦٢

(٣) كذا فى الطبرى ، ٥ : ٨٠ والكامل ، ٣ : ١٣٤ ، وفى الأصل : فقولوا ، وهو تصحيف

(٤) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى والكامل : استقبلى بى

رسول الله ﷺ : « يموت وحده ويبعث وحده » . فغسلوه وكفّنوه ، وصلّوا عليه ودفنوه ، وحملوا أهله معهم إلى المدينة[1] ، ودُفن بالربذة ، ولا عقب له .

ذكر سنة ثلاث وثلاثين

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ذراعان وعشرون إصبعاً ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً فقط .

ما لخص من الحوادث

الإمام عثمان رضى الله عنه أمير المؤمنين بالمدينة ، وولاة الأمصار بحالهم حسبما تقدّم .

فيها غزا ابن أبى سرح الحبشة ، وغزا عبد الله بن سعد إفريقية ثانية حين نقض أهلها ، وغزا معاوية حصن المرأة[2] .

وفيها حضر أهل مصر يتظلّمون من ابن أبى سرح ، فكتب إليه عثمان رضى الله عنه ينهاه ويتهدّده ، فلم ينزع ، وضرب بعض من شكاه حتى قتله ، فقدم المدينة على عثمان سبعمائة ، ونزلوا المسجد ، وشكوا ما صنع بهم ابن أبى سرح إلى أصحاب رسول الله ﷺ ، فكلّمه طلحة فيهم ، وأرسلت إليه عائشة أن ينصفهم من عامله ، ودخل عليه علىّ بن أبى طلب كرّم الله وجهه فى جماعة فقال : إنّما يسألك القوم رجلاً مكان رجل ، وقد ادّعوا دماً ، فاعزله

(٢) بالربذة : بالرنده (٥) سبعة : سبع
(١٢) حضر : حضروا || يتظلمون : يتظلموا

(١) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى والكامل : وحملوا أهله معهم حتى أقدموهم مكة
(٢) الطبرى ، ٥ : ٨٥ والكامل ، ٣ : ١٣٧ : حصن المرأة من أرض الروم من ناحية ملطية .

واقتصّ لهم منه (٢٢٤) إن وجب لهم عليه حقًّا بما يقتضيه القضاء ، فقال لهم : اختاروا رجلاً أولّه عليكم ، فاختاروا محمّد بن أبى بكر الصدّيق ، فكتب عهده على مصر ، ووجّه معهم عدّة من المهاجرين والأنصار ، ينظرون فيما بين ٣ ابن أبى سرج وأهل مصر .

ذكر سنة أربع وثلاثون

النيل المبارك فى هذه السنة : ٦

الماء القديم ستّة أذرع وتسعة أصابع ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وخمسة أصابع .

الإمام عثمان رضى الله عنه أمير المؤمنين بالمدينة . ٩

فيها خاض الناس فى أمر عثمان رضى الله عنه فأكثروا ، وكاتب المنحرفين عنه للاجتماع فى أمره ومناظرته فيما نقموا عليه ، فشاور فى أمرهم ، فقال عبد الله بن عامر : اشغلهم بالجهاد ! وقال ابن سعد: أعطهم المال! وقال معاوية: مر عمّالك ١٢ يكفى كلٌّ منهم من قبله ! وقال عمرو : اعتدل أو اعتزل ، فإن أبيت فاعتزم عزماً وامض قدماً ، فردّهم إلى أعمالهم ، وأمرهم بتجهيز البعوث .

وفيها خرج عثمان رضى الله عنه وجلس على المنبر ، وقال : لقد عبتم علىّ ١٥ ما أقررتم لابن الخطّاب بمثله ، لكن وطئكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم ، وكنت حمى لكم[1] ، أوطأتكم كتفى ، وكففت يدى ولسانى عنكم ، فاجترأتم على أمر الله ، والله لأنا أعزّ نفراً ، وأقرب ١٨

(٧) ستة : ست || سبعة : سبع (١٢) مر : امر (١٧) حمى : حما

(١) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى ، ٥ : ٩٧ ، الكامل ، ٣ : ١٥٢ : ولنت لكم

ناصراً ، وأكثر عدداً ، [وأحرى[١]] إن قلتُ هلمّ أُتِى إلىّ ، ولقد أعددت لكم أقرانًا ، وأفضلت عليكم فضولًا ، وكشّرت لكم عن نابى ، وأخرجت
٣ منّى ما لم أكن أحتبه[٢] ، ومنطقًا (٢٢٥) لم أنطق به ، فكفّوا عنّى ألسنتكم وطعنكم على ولاتكم ، فإنّى قد كففت عنكم من لو كان [هو الذى[٣]] يكلّمكم لرضيتم منه بدون منطقى هذا ، ألا ما[٤] تفقدون من حقّكم ؟ والله ما
٦ قصّرت عن بلوغ ما بلغه من كان قبلى ، ولم تكونوا تختلفون عليه .

فقام مروان بن الحكم فقال : إن شئتم حكّمنا والله بيننا وبينكم السيف ، نحن والله وأنتم كما قيل :

٩ فرشنا لكم أعراضنا فنبت بكم   [معارسكم[٥]] تبنون فى دمن الشوك[٦]

فقال له عثمان : اسكتْ لا سكتّ .

ذكر سنة خمس وثلاثين

١٢ النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ثلاثة أذرع وأربعة وعشرون إصبعاً ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وإصبعان .

---

(٢) فضولا : فصولا
(١٣) ثلاثة : ثلث || وأربعة وعشرون : وأربعة وعشرين || سبعة : سبع

---

(١) فى الأصل : وأجرى ، بالجيم ، وهو تصحيف ، وفى الطبرى ، ٥ : ٩٧ : وأقمن
(٢) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : وأخرجتم منى خلقا لم أكن أحسنه
(٣) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : من لو كان الذى هو يكلمكم
(٤) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : ألا فما تفقدون
(٥) كذا فى الطبرى ، ٥ : ٩٨ ، والكامل ٣ : ١٥٣ ، وفى الأصل : مغارسكم
(٦) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى والكامل : فى دمن الثرى

ذكر مقتل عثمان بن عفّان رضى الله عنه

اجتمع أهل الأمصار الثلاثة؛ وهم أهل الكوفة، وأهل البصرة، وأهل مصر، قبل عثمان بسنة فى المسجد الحرام، ورئيس أهل الكوفة كعب بن عبدة النهدى[1] ٣ ورئيس أهل البصرة المثنّى بن مخرمة العبدى، ورئيس أهل مصر كنانة بن بشر السكونى ثم التجيبى، فتذاكروا أمر عثمان، وقالوا: لا يسعنا الرضا بهذا، وأجمعوا أنّهم إذا رجع كلّ واحد إلى مصره أن يكون رسول من شهد مكّة — ٦ من أهل الخلاف على عثمان — إلى من هو على مثل رأيهم من أهل بلدهم، وأن يوافوا عثمان فى العام المقبل، فيستعتبوه، فإن أعتبهم، وإلا رأوا فيه رأيهم.

فلمّا حضر الموقف خرج الأشتر النخعى إلى المدينة فى مائتين، وخرج حكيم ٩ ابن جبلة العبدى فى مائة، وجاء أهل مصر(٢٢٦) فى أربعمائة، وقيل فى خمسمائة، وقيل بل أكثر من ذلك، وعليهم أبو عمرو، وبديل بن ورقاء الخزاعى، وعبد الرحمن بن عديس البلوى، وكنانة بن بشر التجيبى، وعروة بن شتيم[2]. ١٢

فلمّا قدموا المدينة أتوا دار عثمان، ووثب معهم من أهل المدينة رجال؛ منهم عمّار بن ياسر، ورفاعة بن رافع[3] والحجاج بن غزيّة[4]، وعامر بن بكر، فحصروه الحصار الأوّل، ودفع عن عثمان جماعة منهم: زيد بن ثابت، ١٥

---

(٥) الرضا : الرضى

---

(١) كذا فى الأصل، وفى الكامل، ٣ : ١٨٣ : كعب بن ذى الحبكة النهدى

(٢) كذا فى الأصل، ولم يرد ذكره فى الطبرى والكامل، وهناك اسم مشابه له فى فتوح مصر، ١١٥، وهو عروة بن شييم، ولعله هو

(٣) هو رفاعة بن رافع بن مالك الأنصارى، راجع ترجمته فى الإصابة، ١ : ٥١٧

(٤) هو الحجاج بن عمرو بن غزية الأنصارى، راجع ترجمته فى الإصابة، ١ : ٣١٣

وأبو أسيد الساعدى .[وكعب بن مالك][1] بن أبى كعب من بنى سلمة من الأنصار ، وحسّان بن ثابت .

٣ واجتمع الناس إلى علىّ كرّم الله وجهه وسألوه أن يكلّم عثمان ، فأتاه فقال: إنّ الناس قد كلّمونى فى أمرك ، ووالله ما أدرى ما أقول ، وما أعرّفك شيئاً تجهله ، ولا أدلّك على أمر لا تعرفه ، وإنّك لتعلم ما أعلم ، وما سبقناك إلى شىء

٦ فنخبرك عنه ، لقد صحبت رسول الله ﷺ ، ورأيت وسمعت [منه][2] مارأينا وما سمعنا ، وليس ابن أبى قحافة ولا ابن الخطّاب بأولى منك إلّا الحق[3] ، ولأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً ، وقد نلت [من][4] صهره ما لم

٩ ينالاه ، فالله الله فى نفسك ، فإنّك لا تبصر من عمى ، ولا تعلم من جهل !

فقال له عثمان : لو كنتَ مكانى ما عنّفتُك ولا أسلمتُك، ولا عتبتُ عليك أن وصلت ، نشدتك الله ، ألم يولّ عمر المغيرة بن شعبة وليس هناك ؟ قال : نعم!

١٢ قال : أفلم يولّ معاوية ؟ قال علىّ : إنّ معاوية كان أشدّ خوفاً وطاعة لعمر من يرفأ[5] ، وهو الآن يدبّر الأمور دونك ، ويقطعها بغير علمك ، ويقول للناس : هذا بأمر عثمان ويَبْلُغُكَ فلا تنكر .

١٥ ثمّ خرج (٢٢٧) فصعد عثمان المنبر ، فقال بعد حمد الله سبحانه والصلاة على

---

(٦) ما رأينا : ما رينا (١٢) يول : يولى

---

(١) الإضافة من الاستيعاب ، على هامش الإصابة ، ٣ : ٢٨٦ ، راجع أيضاً الطبرى ، ٥ : ١١٠ ، والكامل ، ٣ : ١٦٢ ، وقد صحح المصنف هذا الاسم بعد ذلك فى الصفحة التالية

(٢) إضافة من نهاية الأرب ، ١٩ : ٤٧٠

(٣) كذا فى الأصل ، وعبارة كل من الطبرى ، ٥ : ٩٦ ، والكامل ، ٣ : ١٥١ ، ونهاية الأرب هى : ولا ابن الخطاب بأولى بشىء من الخير منك

(٤) يرفأ هو غلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، انظر فيما سبق

نبيّه - ثم قال ذلك الكلام المقدّم ذكره الذى أوله: إنّ لكلّ شىء آفة، ولكلّ أمر عاهة(١) .

وروى أنّ عثمان أتى عليًّا فقال له : يابن عمّ، إنّ قرابتى قريبة، وحقّى عظيم، وإنّ القوم فيما بلغنى أجمعوا على قتلى ، وأنا أعلم أن لك عند الناس قدراً وهم يسمعون منك ، وأحبّ أن تردّهم ، وأنا أصير إلى ما تشير به وتراه ، ولاأخرج عن أمرك ولا أخالفك ، فركب علىّ عليه السلام ومعه سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل ، وأبو الجهم حذيفة العدوى ، وجبير بن مطعم ، وحكيم بن حزام ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد [وأبو أسيد](٢) الساعدى، وزيد بن ثابت ، وحسّان بن ثابت،وكعب بن مالك،ومحمّد بن مسلمة،فكلّموهم فرجعوا إلى مصرهم .

ثم لم ينشبوا حتى رجعوا وادّعوا أموراً أقسم عثمان أنّه لم يعلمها .

وكان مروان يأتى عثمان فيقول : إنّ عليًّا يؤلّب عليك الناس ، فإذا سمع عثمان ما يقوله مروان يقول : اللّهمّ إنّ عليًّا أبى إلّا حبّ الإمارة ، فلا تبارك له فيها .

ولمّا نزل المصريّون بذى خشب ، بعث عثمان إليهم محمّد بن سلمة ، وجابر ابن عبد الله فى خمسين من الأنصار،ولم يزالوا بهم حتى ردّهم ، فرأوا بعيراً وعليه ميسم(٣) الصدقة ، وعليه غلام لعثمان ، معه كتاب فيه : أن اقتل فلاناً وفلاناً ،

---

(١٧) كتاب : كتابا .

---

(١) انظر فيما سبق (٢) إضافة من الطبرى ، ٥ : ١١٠

(٣) الميسم : المكواة أو الشىء الذى يوسم به الدواب ، لسان العرب

فرجعوا إلى عثمان فحصروه ، ولمّا أحاطوا بداره فى المرّة الأولى أشرف عليهم عثمان رضى الله عنه فقال : ما الّذى نقمتم علىّ ؟ فإنّى معتبكم ، ونازل عند ٣ محبّتكم .

فقالوا : زدت فى الحمى لإبل الصدقة على حمى عمر .

قال: لأنّ ذلك زاد فى ولايتى ، فزدت لها .

٦ قالوا : فإنّك لم تشهد بدراً .

قال (٢٢٨) : لأنّ رسول الله ﷺ خلفنى على ابنته .

قالوا : لم تشهد بيعة الرضوان .

٩ قال : إنّما كانت من أجلى ، بعثنى رسول الله ﷺ وصفّق بيده ، وشماله خير من يمينى .

قالوا : فررت يوم الزحف .

١٢ قال : إنّ الله سبحانه عفا عن ذلك .

قالوا : ضربت أبشارنا ، ووليت علينا سفهائنا ، وسيّرت خيارنا .

قال : إنّما سيّرت من سيّرت مخافة الفتنة ، فمن مات منهم فردوه ، واقتصّوا ١٥ منّى لمن ضربته ، وأمّا عمّالى فمن شئتم عزله عزلتموه ، ومن شئتم إقراره فأقرّوه .

قالوا : فمال الله الذى أعطيته قرابتك ؟

قال : اكتبوا به علىّ للمسلمين صكّا ، لأعجّل ماقدرت على تعجيله ، وأسعى ١٨ فى باقيه ، إنّى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لايحلّ دم امرىء مسلم إلّا بإحدى ثلاث: زنا بعد إحصان، أو كفر بعد إيمان، أو أن يقتل نفساً بغير حقّ فيقتل به ».

---

(٩) بعثنى : بعتنى (١١) قالوا : قال

والله ما زنيت فى جاهليّة ولا إسلام ، ولا قتلت نفساً بغير حقّها ، ولا ابتغيت بدينى بدلًا منذ هدانى الله عزّ وجلّ للإسلام ، ولا والله ما وضعت يدى على عورتى مذ بايعت بها رسول الله ﷺ ، إكراماً ليده . ٣

فلمّا قال لهم ذلك رجع حلماؤهم على سفهائهم ، ولم يقلع بعضهم ، فنفذ عثمان إليهم المغيرة ، فقالوا : ارجع يا فاسق ، ارجع يا أعور ! فنفذ عثمان عمرو بن العاص، فقالوا : ارجع يا عدوّ الله ، لا سلم الله عليك ، ارجع يا بن النابغة ، فلست عندنا ٦ بأمين ولا مؤتمن ! فقال لهم ابن عمر : ليس لهم إلّا علىّ ، فبعث إليه ، فأتاه فقال : يا أبا الحسن ، ائت القوم ، فادعهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ، قال : نعم ، إن أعطيتنى عهد الله وميثاقه على أن تفى لهم بما أضمنه عنك ، ففعل . ٩

فلمّا أتاهم قالوا له : وراءك ، وراءك ، قال على: بل أمامى، تعطون ما تحبّون: كتاب الله ، والعتبى (٢٢٩) من كلّ ما سخطتم ، فرضوا ، وأتى معه أشرافهم حتّى دخلوا على عثمان، وكتب بينهم كتاب ، وشهد فيه عبد الله بن عمر، والزبير، ١٢ وطلحة ، وغيرهم ، وذلك فى ذى القعدة سنة خمس وثلاثين .

وأشار علىّ عليه السّلام على عثمان رضى الله عنه أن يصعد المنبر ويعتذر ، فصعد فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من زلّ فليتب، ومن أخطأ فليتب» ١٥ وأنا أوّل من اتّعظ ، فإذا نزلت فليأتنى أشرافكم ، فوالله لو ردّنى إلى الحق عبد أو أمة لاتبعته ، وما عن الله مذهب إلّا إليه .

---

(٥) يا أعور : ياعور (٧) إلا : إلى (٨) يا أبا الحسن : يابا الحسن
(١٠) وراءك : وراك (١٣) وثلاثين : وثلثين
(١٦) فليأتنى : فليأتينى || ردنى : ردونى

فسُرّ الناس بقوله ، ثم جاء مروان [فزجر][1] النّاس ، وردّهم عن بابه ، ولم يزل بعثمان يفتله فى الذروة والغارب ، حتى لفته عن رأيه .

فلمّا كانوا بإيلة وجدوا الكتاب[2] ، وكان مروان كتبه على لسان عثمان ، وهو كان كاتبه ، فرجعوا عودهم على بدئهم ، وأروه الكتاب ، فدخل به على عثمان ، فقال : أمّا الخطّ فخطّ كاتبي ، وأما الخاتم فعلى خاتمى ، فقال علىّ : فمن تتّهم ؟ قال : أتّهم كاتبي وأتّهمك ، فخرج علىّ عليه السلام مغضباً ، وهو يقول : هو أَمَرَكَ ، ثم جاء المصريّون ، فحلف أنّه لم يكتب ولم يأمر ، فقالوا : هذا أشرّ يكتب عنك بما لا تعلم ؟ ما مثلك يلى أمور المسلمين ، فاخلع نفسك من الخلافة . قال: ما أنزع قميصاً قمّصنيه الله سبحانه، فحصر عند ذلك الحصار الثانى ، وأجلب عليه محمّد بن أبى بكر الصّدّيق ببنى تيم .

ولمّا حلف عثمان صدّقوه ، وعلموا أنّه لا يحلف بباطل ، إلّا أنّهم قالوا : لن تبرأ حتى تدفع إلينا مروان ، ولمّا حاصروه، ومنعوه الماء ، أشرف عليهم فقال: أفيكم علىّ ؟ قالوا . لا، فقال : أفيكم سعد ؟ قالوا : لا ، فسكت ، ثمّ قال : ألا أحد يسقينا ماء ؟ فبلغ ذلك عليًّا ، فبعث إليه بثلاث قرب (٢٣٠) مملوءة ماء ، جرح بسببها عدّة من موالى بنى هاشم وبنى أمية حتّى وصلت إليه ، وما كادت تصل إليه .

(٢) يفتله : بفتله (٩) فحصر : فحصره

(١) فى الأصل : زبر ، والزجر : النع والنهى والانتهار ، لسان العرب

(٢) وردت بهامش هذه الصفحة إضافة بخط المصنف نفسه : وذلك أنه وجد فى الكتاب بقتل محمد بن أبى بكر وغيره ، وهم عدة أهل مصر ، ولم يشر المصنف بإشارة تدل على موضع إضافة هذه الجملة ، ويبدو أنه جعل هذه الجملة بمثابة حاشيةتوضيحية ة ولم يشأ إضافتها إلىالنص

ثم أشرف عثمان رضى الله عنه يوماً على النّاس من داره وهو محصور ، فقال : ائتونى بصاحبيكم اللّذين ألّبا كم علىّ ، فجىء بهما كأنّهما جماران ، فقال : أنشدكما الله ، هل تعلمان أنّ رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء مستعذب إلّا بئر رومة ، فقال : « من يشترى بئر رومة ، فيجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين بخير له منها الجنة ؟ » ، فاشتريتها من صلب مالى ، قالا : اللّهم نعم ، قال : فلام تمنعوننى أن أشرب من مائها ، وأنطر على الماء الملح ؟ ثم قال : أنشدكما الله هل تعلمان أنّ المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ : « من يشترى بقعة آل فلان ليزاد فى المسجد بخير منها الجنة ؟ » ، فاشتريتها من صلب مالى ، قالا : اللّهمّ نعم، قال : أنشدكما الله ، هل تعلمان أنّ رسول الله ﷺ كان على [أحد[1]] ، أو على حراء ، فتحرّك الجبل حتى تساقطت حجارته إلى الحضيض، فركضه برجله وقال : « اسكن ، فما عليك إلّا نبىّ أو صدّيق أو شهيد » ، وفى رواية أنه قال ذلك فى المسجد ، وفيه علىّ والزبير وطلحة وسعيد ، وقال فيه[2] : هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال : « من ابتاع مربد آل فلان ؟ » فابتعته بعشرين ألفاً ، فهل علمتم أنّ أحداً مُنِع أن يصلّىَ فيه غيرى ؟ وقال فيه : هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ نظر فى وجوه القوم فقال : « من جهز هؤلاء ؟ » يعنى جيش العسرة — فجهّزتهم حتى لم يفتقدوا عقالاً ولا خطاماً، فقالوا: اللّهمّ نعم. وتمّ الحديث .

---

(١) كذا فى مسند أحمد بن حنبل رواية سعيد بن زيد : حراء أو أحد : ١ : ١٨٨ ، وبرواية أبى هريرة : حراء ، ٢ : ٣١٩ ، ورواية أنس بن مالك : أحد ، ٣ : ١١٢ ، ورواية سهل بن سعد : أحد ، ٥ : ٣٣١ ، أما فى الأصل : بثيرا ، تصحيف

(٢) لعل الضمير فى : فيه يعود على الحديث الذى دار بين عثمان رضى الله عنه والرجلين اللذين دعاهما ليحدثاه

ولمّا اشتدّ حصار عثمان قال له سعيد بن العاص : أنا أشير عليك أن تحرم وتلبي ، وتخرج فتأتي مكّة ، فلا يعرض لك ولا يقدم عليك ، فبلغهم (٢٣١) ذلك فقالوا : والله لئن خرج لا فارقناه ، حتى يحكم الله بيننا وبينه .

ثم كتب عثمان إلى عبد الله بن عامر بن كريز ومعاوية ، وأعلمهما أنّ أهل البغي والعدوان عدوا عليه وأحاطوا به ، وهم يطالبون قتله أو خلعه ، وأمرهما أن ينجداه برجال ذوي بأس ونجدة ورأي ، فوجّه إليه ابن عامر مجاشع بن مسعود السلمي في خمسمائة ، ووجّه إليه معاوية حبيب بن مسلمة الفهري في ألف فارس ، وبلغ أهل مصر ومن معهم من أهل العراق المحاصرين له فعاجلوه .

ويقال : إنّ معاوية أمدّه بأربعة آلاف مع يزيد بن أسد بن كرز البجلي ، فتلقاه الناس بمقتل عثمان ، فرجع وقال : لو دخلت المدينة وعثمان حيّ ما تركت بها محتلمًا إلّا قتلته ، لأنّ الخاذل والقاتل سواء .

وكان أشار المغيرة على عثمان أن يأمر مواليه ومن معه بالدخول في السلاح ففعل ، ثم أمر مواليه بإلقاء السلاح والانصراف عنه .

فقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط :

وكفّ يديه ثم أغلق بابه ... وأيقن أنّ الله ليس بغافلِ
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم ... عفا الله عن كل امرىء لم يقاتلِ
فكيف رأيت الله ألقى عليهم الـ ... ـعداوة والبغضاء بعد التّواصلِ
وكيف رأيت الخير أدبر بعده ... عن النّاس إدبار المخاض الحواملِ

وانتدب لنصرة عثمان قطن بن عبد الله بن الحصين الحارثي ، فقال له عثمان رضي الله عنه : انصرف محمودًا راشدًا ، وأنا أكلهم إلى الله عزّ وجلّ ، ولا

(٨) المحاصرين : المحاصرون (١١) سواء : سوى (١٦) عفا : عفى

أقاتلهم ، فإنّ ذلك أعظم لحجّتي عليهم ، فكان يقول : وددت والله لو قتلتُ مع عثمان .

وقال أبو هريرة لعثمان رضى الله عنه: أنفرجهم عنك بالضرب ؟ فقال : لا ، ٣
إنّك إن قتلت رجلًا واحداً فكأنّما قتلت الناس جميعاً .

ودخل زيد بن ثابت على عثمان ، فقال: إنّ الأنصار بالباب يقولون إن شئت كنّا أنصار الله مرّتين ، فقال عثمان : أمّا القتل فلا . ٦

وقال عثمان لأصحابه : أعظمكم عنّي غناء من كفّ يده وسلاحه .

وقال عثمان : من رأى لنا سمعاً وطاعة فليلقِ سلاحه ، فألقى الناس أسلحتهم
إلّا مروان بن الحكم ، فإنّه قال : وأنا أعزم على نفسى ألّا ألقى سلاحى ، ٩
قال أبو هريرة : كنت فيمن أقسم عليه عثمان ، فألقيت سلاحى فما أدرى من أخذ سيفى .

وجاء عبد الله بن الزبير لينصر عثمان،فقال له أنشد الله رجلًا أراق فىّ دماً، ١٢
وكان فى الدار مع عثمان سبعمائة رجل ، منهم الحسن ، والحسين ، وعبد الله ابن الزبير .

وأمّر عثمان ابن الزبير على الدار ، وقال : من كانت لى عليه طاعة فليطع ١٥
ابن الزبير ، وجاءت أمّ حبيبة بنت أبى سفيان زوج النبى ﷺ بإداوة[1] فيها ماء إلى عثمان وهو محصور ، فمُنِعت منه ، فقالت: إنّه كان المتولّى لوصايانا وأمر أيتامنا ، وإنّى أريد مناظرته ، فأذنوا لها ، فأعطته الإداوة[2] . ١٨

---

(٧) غناء : عناء (١١) أخذ : احد (١٧) لوصايانا : لوصايتنا

---

(١) الإداوة : الاناء

(٢) كذا فى الأصل ، وهو يخالف ما فى الطبرى ، ٥ : ١٢٨ ، والكامل ، ٣ : ١٧٣ عن محاولة أم حبيبة الدخول على عثمان رضى الله عنهما

وقال أسامة بن زيد لعلىّ بن أبى طالب كرّم الله وجه : أنت والله أعزّ علىّ من سمعى وبصرى ، فأطعنى ، واخرج إلى أرضك بينبع ، فإنّ عثمان إن قتل ٣ وأنت بالمدينة رُمِيتَ بدمه ، وإن أنت لم تشهد أمره لم يعدل الناس عنك ، فقال ابن عباس لأسامة : يا أبا محمّد ، أيطلب أثر بعد عين؟ أبعد ثلاثة من قريش ينبغى لعلى أن يعتزل ؟ وصلى علىّ عليـه السّلام بالناس يوم النحر وعثمان محصور ، ٦ فـكتب إليه عثمان ببيت الممزّق :

(٢٣٣) فإن كنتُ مأكولاً فـكن خير آكل
وإلاّ فأدركنى ولما أمزّقِ

٩ وهذا البيت للممزّق الشّاعر وبه سمّى ممزّقاً ، وإنما اسمه شأس .

ولمّا اجتمعت طوائف الأنصار فى المدينة ، خرج عثمان يوم جمعة ، فلمّا صعد المنبر قام رجل مصرى فشتمه وعابه ، فالتفت عثمان يميناً وشمالاً ، ينظر هل ينكر ١٢ عليه أحد ، فلم يتكلّم أحـد ، وقام جهجاه بن سعيد الغفارى ، فقال مثل ذلك ، وانتزع من عثمان عصا كانت فى يده ، فـكسرها على ركبتيه ؛ وكانت عصا رسول الله ﷺ ، فوقعت بعـد ذلك الأكلة فى ركبتيه ، فما منعه أحد ، فقام ١٥ عثمان فتكلّم كلمات يسيرة على دهش شديد ، وصلىّ صلاة خفيفة ، ثم حفّ به بنو أميّة ومواليه ، حتى دخل داره ، فحصروه .

واجتمعت الأنصار إلى زيد بن ثابت ، فقالوا : ماترى ؟ قال : إنّـكم نصرتم ١٨ رسول الله ﷺ مرّة ، فانصروا خليفته تـكونوا أنصار الله مرتين ، فردّ عليه رجل قوله ، فقال عبد الله بن سلّام : الله اللهَ فى دم هذا الرجل ، فوالله ما بقى من

---

(٤) يا أبا : يابا (٩) شأس : شاش (١٣) عصا : عصى
(١٥) وصلى : وصلا

أجله إلاّ اليسير ، فدعوه يمت على فراشه ، فإنكم إن قتلتموه سُلّ عليكم سيف الله المغمود ، فلن يغتمد حتى يقتل منكم خمسة وثلاثون ألفاً .

ولمّا بلغ عليّا عليه السّلام أنّهم يريدن قتل عثمان رضى الله عنه قال : إنّما ٣ أردنا قتل مروان ، فأمّا عثمان فلا والله ، وبعث بابنيه الحسن والحسين عليهما السّلام وقال : اذهبا بسيفيكما ، فقوما على باب عثمان ، ولا تدعا أحداً يصل إليه! وبعث الزبير ابنه عبد الله ، وبعث عدّة من المهاجرين والأنصار أبناءهم ، فمنعوهم ٦ من الدخول إلى عثمان ، فأصاب الحسين سهم فاختضب بدمه ، فلمّا رأى النّاس ما بالحسين(٢٣٤) من الدم ، وشُجّ من أبناء المهاجرين محمّد بن طلحة، وشجّ قنبر وأصاب مروان سهم ، قالوا : والله لئن رأت بنوهاشم الدماء على وجه الحسين ٩ لتعصبنّ له ، ولتكشفنّ عن عثمان ، ولتبطلنّ ما نريد ، ولكن مرّوا بنا حتى نتسوّر عليه الدار فنقتله، من غير أن يشعر بنا أحد ، فتسوّر عليه ثلاثة : سودان ورومان اليمانى ومحمّد بن أبى بكر الصدّيق ، فقيل : لم يكن محمّد بن أبى بكر ، ١٢ وإنّما رجل من بنى أسد بن خزيمة ، وقيل : رجل من أهل مصر ، يقال له : جبلة ابن الأيهم ، وجاء رافع بن مالك الأنصارى ، ثم الزرقى ، لباب عثمان ، فأرسل فيه ناراً ، فأشعلها فى أحد الجانبين فاحترق ووقع ، و فتح الناس الباب الآخر ، ١٥ ثم اقتحموا الدار ، وقال عدىّ بن حاتم : اقتلوه ، فإنّه لا يحيق[1] فيه عتاب ، وتهيأ مروان للقتال فى جماعة ، فنهاهم عثمان ، فقتله كنانة بن بشر بن غياث التجيبىّ وقُتل عمرو بن الحمق الخزاعى . ١٨

وأوّل من أدماه نيّار بن عياض الأسلمىّ ، وكان بالمدينة نيّاران ؛ أحدهما

(٨) بالحسين : بالحسن (١٥) نارا : نار (١٩) أدماه : دماه

(١) حاق يحيق ، أى لزمه ووجب عليه ، لسان العرب

نيّار الخير ، والآخر نيّار الشرّ ، وهو هذا الذى أدمى عثمان رضى الله عنه أوّلاً .

٣ وقال عبد الله بن سلاّم : أتيت عثمان وهو محصور ، فقال : مرحباً يا أخى ، رأيت رسول الله ﷺ فى هذه الليلة ، فقال لى : ياعثمان ، حصروك ؟ قلت : نعم ! قال : فأدلى دلواً فشربتُ حتى رويت ، وإنّى لأجد برد الماء بين ثديىّ

٦ وكتفىّ ، ثم قال : إن شئتَ أفطرتَ عندنا ، وإن شئتَ دعوت الله فنُصِرتَ عليهم ، فاخترت أن أفطر عندهم ، فقُتل ذلك اليوم وكان صائماً .

ويقال إنّه رأى رسول الله ﷺ ، وأبا بكر ، وعمر ، وروى أنه قال :

٩ رأيت رسول الله ﷺ فى المنـام ، (٢٣٥) فقال : أنت شاهد فينا الجمعة ، فقتل يوم الجمعة قبل الصلاة ، فى ذلك اليوم الذى رأى فيه رسول الله ﷺ ، وقام عثمان من ساعته ، فلبس سراويله ، وما لبسها فى جاهليّة ولا إسلام قبل ذلك اليوم ،

١٢ ودعا بمصحفه فنشره بين يده ، فتحرّم به من الفتنة ، فقتل رضى الله عنه وهو بين يده .

وروى عقبة بن عامر ، قال : رأى النبى ﷺ لما عرج به إلى السماء أنّه دخل

١٥ جنّة عدن، قال رسول الله ﷺ : « فأعطيته تفّاحة ، فلمّا وقعت فى يدى انفلقت عن حوراء مرضيّة، كأنّ أشفار[1] عينيها مقادم أجنحة النسور . فقلت: لمن أنت؟ فقالت للخليفة المقتول ظلماً ، عثمان بن عفان » .

---

(١) أدمى : ادما (٣) يا أخى : ياخى (١١) لبسها : لبسه

---

(١) فى لسان العرب : الشفر ، بالضم : شفر العين ، وهو ما نبت عليه الشعر ، وأصل منبت الشعر فى الجفن ، والجمع أشفار ، وفى الأصل : شمار ، تصحيف

ويقال إن عثمان رضى الله عنه أخذ يوم الدار الحربة ليقاتل بها ، فنودى من السماء : مهلاً يا عثمان . فرماها من يده ، ورفع كنانة بن بشر التجيبي عموداً من حديد ، فضربه على جبهته فخرّ إلى الأرض ، وضربه سودان المرادى بالسّيف ، فكانت أوّل قطرة قطرت من دمه على المصحف ، على قوله تعالى: « فسيكفيكهم الله وهو السّميع العليم »(١) ، ودخل رومان عليه وفى يده خنجر ، فقال له : على أىّ دين أنت يا نعثل ؟ فقال : لست بنعثل، ولكنّى عثمان ، فقال: على أىّ دين أنت ؟ فقال : على ملّة إبراهيم حنيفاً مسلماً ، وما أنا من المشركين ، وقعد عمرو ابن الحمق على صدره فوجأه(٢) تسع وجآت بمشاقص كانت معه ، وجاء علىّ عليه السّلام مستعجلاً ، حتى دخل على امرأة عثمان فقال لها : من قتله؟ قالت: لا أدرى دخل عليه رجلان لا أعرفهما إلّا إذا أريتهما ، وكان محمّد بن أبى بكر معهما .

(٢٣٦) قال : ولمّا رآه عثمان قال : لو رآك أبوك لساءه مكانك منّى ، فتراخت يده عنه ، فخرج تائباً ، وكان يقول : والله ما قتلته ولا أمسكته ، وقتله الرجلان ، وصرخت امرأته ، فلم يسمع صراخها لما كان فى البيت من الجلبة والغوير(٣) ، فصعدت سطح الدار وقالت : قتل أمير المؤمنين ! فدخل الحسن والحسين عليهما السلام فوجداه مذبوحاً .

وروى أنّه لمّا دخلوا على عثمان قامت امرأته فأدخلته بينها وبين ثيابها ، وكانت جسيمة ، فأدخل رجل من أهل مصر سيفاً مصلتاً بينها وبين ثيابها ،

---

(٨) وجآت : وحيات (١٠) إذا أريتهما : إذا ريتهما .

---

(١) سورة البقرة ، ١٣٧

(٢) وجأ : الوجء اللكز ، لسان العرب

(٣) الغوير : تصغير غار ، والغار : الجماعة من الناس ، والخيل المغيرة ، لسان العرب

وكشفت عورتها ، فقبضت على السيف ، فقطع أصابعها ، فقالت لغلام لعثمان : أعنّى على هذا الفاسق ، فضربه الغلام ، فقتله .

٣ وبلغ عليًّا الخبر فجاء وطلحة وسعد ، وجاء أهل المدينة وقد ذهبت عقولهم لتلك المصيبة ، فاسترجع الناس ولطم علىّ الحسن ، ودفع فى صدر الحسين ، وشتم محمّد بن طلحة ، ولعن ابن الزبير .

٦ وقاتل دون عثمان فى ذلك اليوم ثلاثة نفر ، فقُتلوا معه ، وهم : عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود ، وعبد الله بن عوف ، وعبد الله بن عبد الرحمن ابن العوّام بن خويلد .

٩ ولمّا عاد علىّ عليه السّلام إلى منزله وهو غضبان ، جاءه الناس يهرعون إليه ويقولون : أنت أمير المؤمنين ! فقال: ليس هذا إليكم ، إنّما ذلك إلى أهل بدر ، فمن رضوا به فهو الخليفة ، فأتاه أهل بدر ، فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بها منك ،

١٢ وسيأتى ذكر ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى .

قال أبو قلابة: دخلت فندقاً بالشام فإذا رجل مقطوع اليدين والرجلين، أعمى ، ملقى على وجهه ، ينادى : يا ويله ، النار ! فأتيته ، فسألته عن حاله ، قال : كنتُ

١٥ فيمن دخل (٢٣٧) على عثمان يوم الدار ، وكنت فى سرعان من وصل إليه ، فلمّا دنوت منه صرخت امرأته ، فرفعت يدى فلطمتها ، فنظر إلىّ عثمان وتغرغرت عيناه ، وقال: سلبك الله يديك ورجليك ، وأعمى بصرك ، وأصابك بنار جهنّم !

١٨ فخرجت هارباً حتى أتيت مكانى ، فأتانى آت ففعل [بى][1] ما ترى ، فوالله ما أدرى إنسيًّا كان أو جنّيًّا ؟ وقد استجاب الله فى يديه ورجليه وبصره ،

(٩) إليكم : عليكم (١٦) فلطمتها : فلظمتها

(١) بى : به

فوالله ما بقى إلّا النار ، قال أبو قلابة : فهممت أن أطأه برجلى ، ثم قلت : بُعْدًا لك وسحقاً .

ولمّا وقعت ضربة على يد عثمان رضى الله عنه فقطعتها ، قال عثمان : أما والله ٣ إنها لأوّل يد خطت المفصل .

ودعت عائشة رضى الله عنها على أخيها محمّد بن أبى بكر بما ارتكب من عثمان ، فقالت: اللهمّ اقتل مذمّماً قصاصاً لعثمان، وارم الأشتر بسهم من سهامك لا يشوى ، ٦ وكان الأشتر ممّن ألبّ على عثمان ، وأجلب عليه ، وأرد عمّاراً بجفوته فى عثمان ، فأجاب الله دعاءها فى جميعهم .

وبقى عثمان فى بيته مقتولاً يومين أو ثلاثة، وقيل بل يوماً وليلة ، حتى حمله ٩ أربعة رجال ، منهم جبير بن مطعم ، وامرأة ، ولمّا جاءوا ليصلّوا عليه منعوهم ، فقال أبو الجهم : إن لا تدعونا نصلّى عليه فقد صلّت عليه الملائكة ، ثم صلّى بهم جبير بن مطعم ، وحملت أمّ البنين بنت عيينة امرأة عثمان السراج بين أيديهم ، ١٢ وحمل عثمان على باب من جريد ، ولقيهم قوم فقاتلوهم حتى طرحوه ، فجاء عمير ابن ضابىء البرجمى ، فتوطّأ بطنه وهو يقول : ما رأيت كافراً ألين بطناً منه ، وكان أبوه ضابىء اندسّ ليتوجّأ عثمان، ويفتك به ، ففطن به ، فحبسه عثمان فقال ١٥ وهو محبوس :

(٢٣٨) هممت ولم أفعل وكدت وليتنى
تركت على عثمان تبكى حلائله ١٨
وما الفتك إلّا لامرىء ذى حفيظة
إذا ريع لم ترعد لجبن مفاصله

---

(٧) ألب : الب (١٠) أربعة : أربع || جاءوا : جاو

وكان عمير بن ضابئ، ممن شهد الدار، وقرّعه الحجّاج بذلك حين قتله .

ودفن عثمان رحمه الله وأرضى عنه فى حش كوكب، وهو نخل لرجل يقال له
٣ كوكب، والحشّ: البستان، وكان عثمان كثيراً ما يمر بحش كوكب فيقول :
سيدفن فى هذا المكان رجل صالح، وكان عثمان قد اشتراه وزاده فى البقيع، وهو
أوّل من دفن فيه، وهى مقبرة بنى أميّة إلى آخر وقت، وصلّى عليه للسوّر
٦ ابن مخرمة .

ولمّا مُنِع من دفن عثمان قالت أمّ حبيبة ـ زوج النبى ﷺ ـ وهى واقفة
بباب المسجد : ليخلّنّ بيننا وبين عثمان، أو لأكشفنّ ستر رسول الله ﷺ .
٩ وقتل رضى الله عنه يوم الجمعة، لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجّة، سنة
خمس وثلاثين هجريّة، ودفن ليلًا بين المغرب والعشاء، وهو يومئذ ابن اثنتين
وثمانين سنة .

١٢ وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة، غير اثنى عشر يوماً، وهو الصّحيح،
وكان مقتله ـعلى رأىـ إحدى عشرة سنة، وأحد عشر شهراً، وثمانية عشر يوماً
من مقتل عمر بن الخطّاب رضى الله عنهما، وقبل صلاة العصر فى رواية، وفى أخرى
١٥ قبل صلاة الجمعة، والله أعلم .

ولمّا جاء الصارخ بقتله قال علىّ عليه السّلام ومدّ يده: اللهمّ إنّى أبرأ إليك
من دم عثمان ! قال إسحاق بن علىّ: أعيذ عليًّا بالله أن يكون قتل عثمان، وأعيذ
١٨ عثمان بالله أن يكون علىّ قتله .

وهذا ينظر إلى قول النبى ﷺ : « أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة من قتل

---

(٣) ما : مما (٩) لثمانى عشرة : لثمان عشرة

نبيًّا، أو قتله نبيّ ،وهو بعينه قول الآخر: (٢٣٩) كان عثمان أتقى لله أن يقتله عليّ، وكان عليّ أتقى لله أن يقتل عثمان .

وانتهبوا داره، وقالوا: كيف يحلّ لنا دمه، ولم يحلّ لنا ماله؟ فقالت امرأته: لصوصٌ والله ، ما الله أردتم بقتله ، ولقد قتلتموه صوّاماً قوّاماً ، يقرأ القرآن في ركعة ، قال الشاعر : ٣

لعمر أبيك فلا تكذبنّ لقد ذهب الخير إلّا قليلا ٦
لقد فتن الناس في دينهم وأبقى ابن عفّان شرًّا طويلا

حسّان بن ثابت يرثى عثمان ، فقال :

أبكي أبا عمرو لحسن بلائه أمسى رهيناً في بقيع الغرقد ٩
وكأنّ أصحاب النبيّ عشيّة بُدنٌ تنحّرُ عند باب المسجد

الوليد بن عقبة يرثى عثمان ، ويهدّد ، ويقول :

بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ولا تنهبوه لاتحلّ مناهبُهْ ١٢
فهم قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكسرى مرازبُهْ
بني هاشم كيف العداوة بيننا وعند عليّ سيفه وجنائبُهْ

وقال حسّان : ١٥

صبراً جميلاً بني الأحرار لاتهنوا قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا
ياليت شعري وليت الطير تخبرني ما كان شأن عليّ وابن عفّانا[1]

---

(١) أشار ابن عبد البر في الاستيعاب إلى أن أهل الشام زادوا في أبيات حسان هذه بعض الأبيات لم ير وجها لذكرها، راجع الاستيعاب ،على هامش الإصابة ، ٣: ٨٢ ، وذكر ابن الأثير ، ٣ : ١٨٩ ، أن ابن عبد البر إنما يعني بذلك هذا البيت نفسه ، وهو الذي ذكر فيه علي ، وانظر أيضا : ديوان حسان بن ثابت ،تحقيق سيد حنفي حسنين ، طبع مصر، ١٩٧٤ ، ٢١٦

لتسمعنّ وشيكاً في ديارهم الله أكبر ، واثأرات عثمانا

قلت : وهذا البيت الثالث ليس لحسان ، وإنما استشهد به ، وقد قيل

٣ قبل الإسلام بزمن طويل ، ذكر ذلك عبد الملك بن هشام في كتاب التيجان : ملوك التبابعة من حمير[1] ، والله أعلم .

ومن الأبيات :

٦ من سرّه الموت صرفاً لا مزاج له فليأت مأدبة في دار عثمانا[2]

ضحّوا بأشمط عنوان السجود له يقطّع الليل تسبيحاً وقرآنا

ويقال إنّ البيت الأخير لعمران بن حطّان السدوسي ، والله أعلم .

٩ وقال حسّان :

قتلتم وليّ الله في وسط داره وجئتم بأمر جائر غير مهتدِ

فلا ظفرت أيمان قوم تعاونوا على قتل عثمان الرشيد المسدّدِ

١٢ القاسم بن أمية بن أبي الصلت يقول :

لعمري لبئس الذّبح ضحّيتمُ به وختلتم رسول اللهِ في صاحبِهْ

ليلى الأخيليّة تعزى معاوية وتقول :

١٥ قُتِل ابنُ عفّان الإما مُ وضاع أمر المسلمينا

وتشتّتت سبل الرشا د لصادرين وواردينا

فانهض معاوِيَ نهضةً تشفي بها الداء الدفينا

١٨ أنت الذي من بعده تدعى أمير المؤمنينا

---

(١) هو أبو محمد عبد الملك بن هشام ، صاحب السيرة ، المتوفى سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٤ م ، وكتابه هذا معروف باسم التيجان لمعرفة ملوك الزمان في أخبار قحطان ، انظر فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي ، الترجمة العربية ، ١ : ٤٧٥ ـ ٤٨٠

(٢) انظر ديوان حسان بن ثابت ، ٢١٥

وقال حسّان ، وقيل : أيمن بن خزيم[1] :

ضحّوا بعثمان فى الشّهر الحرام ضحى

فأىّ ذبح حرام [ويلهم[2]] ذبحوا ٣

وأى سنّة [كفر[3]] سنّ أولهم

وباب شرّ على سلطانهم فتحوا

ماذا أرادوا أضل الله سعيهم ٦

بسفك ذاك الدم الزاكى الذى سفحوا

قال سعيد بن المسيّب : قال لى علىّ بن زيد : انظر إلى وجه هـذا الرجل ، فنظرت ، فإذا هو مسودّ الوجه ، فقال لى: سله عن أمره. فقلت: حسبى حديثك، ٩ فقال: اللهمّ إنّ هذا يسبّ عثمان وعلياً جميعاً، وكنت أنهاه ، فلا ينتهى ، فقلت : اللهمّ إنّ هذا يسب رجلين قد سبق لهما ما تعلم ، فاللهمّ إن كان ما يقول سخطاً فأرنى فيه آية ، فاسودّ وجهه كما ترى . ١٢

ولمّا قتل أقبل من البصرة مجاشع بن مسعود السلمى فيمن وجّهه عبد الله ابن عامر لنصرة عثمان ، فلمّا كان ببعض الطريق بلغه مقتل عثمان ، ويقال (٢٤١) إنّ الذى أخبره زفر بن الحارث الكلابى لما قال له مجاشع وقد لقيه : ما وراءك ؟ ١٥ قال : قتل نعثل ، قال : ويحك ، ما تقول ؟ قال : أخبرك بالحقّ ، وهذه طاقات من شعره معى ، قال مجاشع : لعنك الله ، ولعن ما أقبل منك وما أدبر ، ثم شدّ عليه فقتله ، وهو أوّل من قتل بدم عثمان . ١٨

(١٠) وعليا : وعلى (١١) سخطا : سخط

(١) كذا فى الأصل ، وفى الاستيعاب، ٣ : ٨٣ : أيمن بن خزيمة
(٢) كذا فى الاستيعاب ، وفى الأصل : ويحهم
(٣) كذا فى الاستيعاب ، وفى الأصل : أمر ، وهو تصحيف

ولمّا قفل ابن عبّاس من الحجّ ، وكان عثمان أمّره على الحجّ بالناس ، فرجع وقد قتل عثمان ، فقال لعليّ : إنّك إن قمت بهذا الأمر ألزمك الناس دم عثمان إلى يوم القيامة .

وقال عبد الله بن عمر : والله ما علمت أنّ عليًّا شرك فى دم عثمان فى سرّ ولا علانية ، ولكنّه كان رأسًا يُفزَع إليه ، فأضيف إليه ما حدث .

وقال أبو موسى الأشعرىّ لمّا قتل عثمان : هذه حيضة من حيضات الفتن ، وبقيت المثقلة الرداج[1] ، التى من هاج فيها هاجت إليه ، ومن أشرف لها أشرفت له .

وكان سعيد بن المسيب يسمّى العام الذى قتل فيه عثمان رضى الله عنه عام الحزن ، وقال أبو حميد الساعدى ، وكان بدريًّا[2] : والله ما كنّا نظنّ أنّ عثمان يقتل ، اللهمّ إنّ لك علىّ ألّا أضحك حتى ألقاك .

وقال ابن عبّاس : لو اجتمع الناس على قتل عثمان لرموا بالحجارة كما رمى قوم لوط .

وكانت عائشة رضى الله عنها تقول: ليتنى كنت نسيًا منسيًّا قبل أمر عثمان ، والله ما أحببت له شيئًا إلّا منيت بمثله ، حتى لو أحببت قتله لقتلت . وجاء الأشتر إلى عائشة فقال : يا أمّ المؤمنين ، ما ترين هذا الرجل يعنى عثمان ، فقالت : معاذ الله أن آمر بسفك دماء المسلمين ، وقتل إمامهم ، واستحلال حرمتهم ، لعن الله

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى اللسان : الردج ، هو أول شىء يخرج من بطن كل ذى حافر إذا ولد ، والجمع : أرداج

(٢) لم يرد اسمه فى سيرة ابن هشام ، ولا فى ابن سعد ضمن من شهد بدرًا من المهاجرين والأنصار ، وقال ابن حجر فى الإصابة ، ٤ : ٤٦ : « قال خليفة وابن سعد وغيرهما : شهد أحدا وما بعدها »

قتلة عثمان المقتول ظلماً، أقاد[1] الله من محمد بن أبى بكر ، وأهدى (٢٤٢) إلى الأشتر سهماً من سهامه ، وهراق دم ابن بديل فوالله ما [من] القوم أحد إلّا أصيب بدعوتها . ٣

نبذ من أخبار بنى عثمان
رضى الله عنه

ومن أولاده عمرو بن عثمان ، وهو أكبر ولده وأشرفهم ، وأمّه رقيّة بنت ٦ رسول الله ﷺ[2] ، دعاه مروان إلى الشخوص معه إلى الشام ليبايع له بالخلافة فأبى ، ولعمرو هذا مع مسلم بن عقيل فى وقعة الحرّة خبر يذكر فى موضعه إن شاء الله تعالى ، وكان عمرو بن عثمان هذا تزوّج امرأة من ولد السائب ، فلمّا نصّت ٩ عليه طلّقها على المنصّة ، فجاء أبوها إلى عبد الله بن الزبير فأخبره خبره ، وقال : أخشى أن يظنّ الناس أنّ طلاقها عن عاهة بها ، فقم فادخل عليها لتنظرها ، فقال ابن الزبير : أو خير من ذلك ، جيئونى بالمصعب ، فجاء ، فزوّجها عبد الله من ١٢ أخيه المصعب ، فما يعرف امرأة نصّت على زوجين فى ليلة غيرها .

ومن أولاد عمرو بن عثمان : عبد الله ، كان يدعى المطرف لجماله وحسنه ، كانت تحت الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب فاطمة بنت الحسين بن علىّ ١٥ ابن أبى طالب وكانت جميلة يرغب فيها ، فلمّا حضرت الحسن الوفاة ، قال لفاطمة زوجته : كأنّى بك إذا متّ نظرت إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان المطرف مرجّلاً

---

(١) أقاد : القيد : الموت ، والإقادة بمعنى الإهلاك ، لسان العرب

(٢) لم يرد فى الطبرى، ٥ : ١٤٧ ، ولا فى الكامل، ٣ : ١٨٥ ـ ١٨٦، والإصابة، ٤ : ٣٠٤ اسم عمرو هذا ، وإنما ما أجمعت عليه هذه المصادر هو أن رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم ولدت لعثمان عبد الله ، ويضيف ابن سعد : وبه يعنى بعبد الله ، كان يكنى ، ونقره ديك فمات فلم تلد له بعد ذلك

جُمّته(١) ، لابساً حلّته ، متعرّضاً لخطبتك ، فانكحى من شئت غيره ! فحلفت بعتق عبيدها وصدقة مالها أنّها لا تتزوّجه ، ثم مات الحسن وخرج بجنازته ، وحضرها

٣ المطرف عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فنظر إلى فاطمة حاسراً تلطم وجهها ، فأرسل إليها أنّ لنا فى وجهك حاجة ، فارفقى به ، فعرف فيها الاسترخاء ، وخمّرت وجهها ، فلمّا حلّت (٢٤٣) خطبها ، فقالت : كيف أصنع بيمينى ؟ قال : لك مكان كلّ

٦ شىء شيئان ، فقبلت ، وتزوّجها ، وأبرّ يمينها ، فولدت له محمّداً الذى يقال له الديباج .

وكان جميل بثينة يقول لبثينة : ما رأيت عبد الله بن عمرو بن عثمان يخطر

٩ على البلاط إلّا دخلتنى الغيرة عليك ، خوفاً أن تريه أو ترى مثله وإن بعدت دارك ، وكان عبد الله بن عمرو كثير التزويج والطلاق ، قالت له امرأة من نسائه : مثلك مثل الدنيا ، لا يدوم نعيمها ، ولا يؤمن فجائعها ، وأخذه المنصور

١٢ مع الطالبيّين أيام محمّد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن حسن(٢) ، فضرب عنقه صبراً .

ومن ولد عثمان رضى الله عنه سعيد بن عثمان ، ولى خراسان من قبل معاوية ،

١٥ وفتح سمرقند ، وكان أعور بخيلاً ، وكان عند سعيد بن عثمان غلمان من أبناء الملوك من السغد ، دفعوا إليه رهائن ، فقدم بهم سعيد حين عزله معاوية لمّا خاف أن يطلب الخلافة لنفسه ، فلمّا صار بهم إلى المدينة أخذ كسوتهم ومناطقهم ،

---

(١٢) الطالبيّين : الطالبين

---

(١) الجمة : الشعر ، لسان العرب

(٢) كذا فى الأصل ، دون التعريف فى حسن ، وهو عند أبى حنيفة الدينورى فى الأخبار الطوال ، انتشارات آفتاب ، تهران ، طبع مصر ١٩٦٠ ، ٣٨٥ : محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب ، عليه السلام ، الملقب بالنفس الزكية

ودفعها لغلمانه ، وكساهم الصوف ، وألزمهم أعمالًا صعبة ، فدخلوا عليه فى مجلسه ، فقتلوه ، ثم قتلوا أنفسهم .

فقال الوليد بن عقبة : ٣

ألا إنّ خير النّاس نفساً ووالداً سعيد بن عثمانٍ قَتيل الأعاجمِ

ولمّا بايع معاوية لولده يزيد قال صبيان المدينة فى أقوالهم :

والله لا مبايعاً يزيدُ حتّى ينال رأسه الحديدُ ٦

إنّ الأمير بعده سعيدُ

فلمّا قدم سعيد بن عثمان على معاوية قال له : يا بن أخى ، ما شىء بلغنى عنك من ترشيحك للخلافة ؟ قال : وما يُنْكَر من ذلك يا معاوية ؟ والله إنّ أبى لخير ٩ من أبى يزيد ، وإنّ أمّى لخير من أمّه ، ولأنا خير منه ، ولقد استعملناك (٢٤٤) فما عزلناك ، ووصلناك فما قطعناك ، وصار أمرنا فى يديك ، تخلأتنا عنه أجمع ، فقال معاوية : صدقت فى أنّ أباك خير منّى ، وأنّ أمّك خير من أمّه ، لأنّ أمّك ١٢ من قريش وأمّه من كلب ، وبحسب امرأة أن تكون من صالحى نسائها ، وأمّا قولك أنّك خير منه ، فوالله ما يسرّنى أنّ بينى وبين العراق حبلًا نظم لى فيه أمثالك ، الحق بالعراق عمل زياد ، فقد أمرته أن يولّيك خراسان ، ثم عزله ١٥ بعد ذلك خوفاً منه .

ومن ولد عثمان رضى الله عنه أبان بن عثمان ، شهد أبان الجمل مع عائشة ، وولى المدينة فى أيّام عبد الملك بن مروان ، فقال عروة بن الزبير : الله أكبر ، ١٨ جاء فى الحديث أنّ : « هلاك بنى أميّة عند ولاية رجل أحول » ، وكان أبان

---

(٦) مبايعا : بالغا (١٢) منى : من منى (١٣) بحسب : محسب

أحول أبرص ، وكانوا يظنّونه الأحول الذى هلاك بنى أميّة عنـد ولايته ، وكان ذلك الأحول هشام بن عبـد الملك ، وكان أبان صاحب رشوة وجور ، ٣ وأصابه فالج ، فمات فى خلافة يزيد بن عبد الملك .

ومن ولد أبان عبدُ الرحمن، كان يصلّى فى كلّ يوم ألف ركعة ، ويكثر الحجّ والعمرة ، وله خطر ، ومروءة ، وصلاح ، وصدقة ، كان إذا تصدّق قال : اللّهمّ ٦ هذا لوجهك الكريم ، فخفّف عنّى الموت ، فصلّى الغداة فى خروجه إلى الحجّ ، ثم نام ، فأيقظوه فوجدوه ميتاً .

وكان محمّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان يسمّى الديباج لحسنه ، وأمّه فاطمة ٩ بنت الحسين صلوات الله عليه ، فقدم الرمّاح بن ميّادة المدينة ، وأميرها عبدالواحد ابن سليمان ، فسمع عبد الواحد يقول : إنّى لأهمّ بالتزويج فابغونى أيّما ! فقال ابن ميّادة : أنا أدلّك ، قال : على من ؟ وفّقك الله ؟ فقال : دخلت مسجدكم هذا ١٢ فإذا أشبه شىء به وبمن فيه الجنّة وأهلها ، فبينا أنا أمشى (٢٤٥) إذ قادتنى رائحة عطر من رجل ، فوقعت عينى عليه ، واستلهانى حسنه ، وتكلّم فكأنّما قرأ قرآناً ، وتلا زبوراً ، حتى سكت ، فلولا علمى بالأمير لقلت إنّه هو ، فسألته عنه ، فأخبرت ١٥ أنّه من الحيّين للخليفتين عثمان وعلىّ : وأنّه قد نالته ولادة من رسول الله ﷺ ، فلها نور ساطع فى غرّته ، فإن اجتمعت أنت وهو على ولد ، بأن تتزوّج ابنته ساد العباد ، وجاب ذكره البلاد ، فقال : ذاك محمّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، ١٨ ولد [فاطمة][1] بنت الحسين ، فقال ابن ميّادة :

لهم بهجة لم يعطها اللهُ غيرَهم … وكلّ عطاء الله فضل مقسّمُ

---

(١) فى الأصل : لفاطمة ، تصحيف

صفة الإمام عثمان رضى الله عنه

كان ربعة ، أبيض مشرباً صفرة ، حسن الوجه ، رقيق البشرة ، كأنّه فضّة وذهب ، سبط الشعر ، عبل[١] الساقين ، كثيف شعرها ، عظيم اللحية يصفّرها ، مضبّب الأسنان بالذهب . ٣

كاتبه رضى الله عنه

مروان بن الحكم .

حاجبه رضى الله عنه

حمران بن أبان ، مولاه .

وكان رضى الله عنه أوّل من اتّخذ صاحب شرطة ، فكان صاحب شرطته عبد الله بن قنفذ التميمى ، ذكر ذلك البلاذرى ، والله أعلم . ٩

نقش خاتمه رضى الله عنه

آمنت بالله مخلصاً ، ويقال : لتنصرنّ أو لتندمنّ ، وقال ابن عبّاس: أحيني سعيداً وأمتني شهيداً . ١٢

(٢) مشربا : مشرب (١٢) أحيني : أحيين

(١) العبل : الضخم من كل شيء

ذكر خلافة الإمام الأنزع والبطل السميدع
علىّ بن أبى طالب
كرّم الله وجهه ونسبه وما لخّص من أخباره

٣

أما نسبه، رضى الله عنه، فهو أبو الحسن علىّ بن أبى طالب ،واسم أبى طالب عبد مناف بن عبد المطّلب ، واسمه شيبة الحمد بن هاشم ، واسمه عمرو ، جامع رسول الله ﷺ من عبد المطّلب إلى آدم وحوّاء ، وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد مناف ، تلقى أباه فى هاشم ، وتلقى رسول الله ﷺ بأمّه فى هاشم أيضاً. ٦

وهو أوّل خليفة كان أبواه هاشميّين ، ولم يلِ بعده ممّن كان أبواه هاشميّين غير محمّد الأمين بن هارون الرّشيد ، وهو أبو السبطين ، وأبو الريحانتين ، وأبو الحسنين ــ وكنّاه رسول الله ﷺ أبا تراب ، وسبب ذلك : مرّ رسول الله ﷺ فى غزاة ودّان وهو وعمّار بن ياسر رضى الله عنهما نائمان على الأرض ، فأيقظهما ، فوجد علياً قد تمرّغ فى البوغاء ، فقال : اجلس يا أبا تراب . ٩ ١٢

وقيل : بل غاضب فاطمة عليها السّلام ، فخرج مغتاظاً ، فنام على التراب . وقيل : كان إذا غاضب فاطمة أكرمها عن أن يسبّها فيضع التراب على رأسه ، فقال له ذلك . ١٥

حدّث هشام الكلبى ، قال: كنت يوماً عند ابن القطامى ، فقال : من منكم يعرف علىّ بن عبد مناف بن شيبة بن عمرو بن المغيرة بن زيد ، وهو أشرف الناس بعد رسول الله ﷺ ؟ فقال القوم : لا نعرفه ؛ فقال : هو علىّ بن أبى طالب ، ١٨

---

(٤) واسم أبى طالب : واسم أبو طالب (٧) أباه : أبوه
(٨) هاشميين : هاشمين || يل : يلى (١٢) : يا أبا : يابا
(١٤) يسبها : يحبها

وأبو طالب اسمه عبد مناف ، وعبد المطّلب اسمه شيبة ، وهاشم اسمه عمرو ، وعبد مناف اسمه المغيرة ، وقصيّ اسمه زيد .

وأسلمت أمّه ، وماتت قبل أن تهاجر ، (٢٤٧) وقيل : بل هاجرت ، ٣ وفى ذلك خلاف .

وعلىّ كرّم الله وجهه أصغر أولاد أبى طالب ، هو أصغر من جعفر بعشر سنين ، وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين . ٦

ورُوى أنّ عليًّا عليه السّلام أوّل من أسلم ، وروى ذلك سلمان الفارسى ، وأبو الدرداء[1] ، والمقداد ، وخبّاب ، وجابر بن شهاب ، أنّ عليًّا أوّل من أسلم من الرجال بعد خديجة ، وهو الذى عليه أكثر العلماء ، ومن يرى أنّ إسلامه ٩ كان قبل إسلام أبى بكر يقول : خفى إسلام علىّ لأنّه أخفى إسلامه ، وظهر إسلام أبى بكر لأنّه أظهره ، قال رسول الله ﷺ : « أوّلكم ورودا على الحوض وأوّلكم إسلاماً علىّ »[2] ، أسلم علىّ وهو ابن ثمان سنين ، وفى مثل هذا السنّ ١٢ أسلم الزبير وطلحة وسعد ، أسنانهم متقاربة . وقيل : أسلم علىّ وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقيل : ثلاث عشرة سنة .

روى أنّ أبا طالب بن عبد المطّلب قال لفاطمة : يا بنت أسد ، وهى زوجته ١٥ وأمّ أولاده : ما لى لا أرى عليًّا يحضر طعامنا ؟ فقالت : إنّ خديجة بنت خويلد قد تألّفته ، فقال أبو طالب : لا أحضر طعاماً غاب عنه علىّ ، فأرسلت فاطمة أمّه إلى خديجة زوج النبى ﷺ ولدها جعفر يعلمها ما كان من أبى طالب ، ١٨

(٨) عليا : على (١١) ورودا : واردا (١٣) متقاربة : مقاربة

(١) كذا فى الأصل ، وفى الاستيعاب ، ٣ : ٢٧ : أبو ذر

(٢) أورد ابن عبد البر فى الاستيعاب هذا الحديث مرفوعاً عن سلمان الفارسى .

وتسألها[1] إيقاد عليّ إليها ، فانطلق جعفر ، ففعل ذلك ، وجاء بعليّ رضى الله عنه وقد حضر عند أبي طالب ، فلما رآه بشّ به ، وأجلسه على فخذه ، وجعل كفّه على رأسه ، ووضع في فيه لقمة ، فلاكها عليّ رضى الله عنه ثم لفظها ، وبكى ، فقال أبو طالب : يا فاطمة ، خذى إليك هـذا الطفل ، وانظرى ما شأنه ! فأخذته أمّه ، ولاطفته ، وسكّتته ، وسألته ، فقال : أتـكتمين عليّ ؟ فقالت : نعم (٢٤٨) قال : يا أمّاه ، إنّى لأجد لـكفّ محمد برداً ، ولطعامه قداوة ، وإنّى وجدت لـكفّ أبي حرّاً ، ولطعامه وخامة ونغلاً ، فقالت له : لا تفه بهذا ، وإن سألك أبوك فقل : إنّى مغستُ ، ولمّا فرغ أبو طالب من غدائه قال : يا فاطمة ما بال ابنى ؟ فقالت: إنّه كان مغس ، ثم قد عوفى ، فقال : كلّا وهبل ، ما به إلّا إيثار محمّد علينا، فاحتميه به، ولا تعرضى له بعد ، فيوشك أن يهصر به أصلاب قريش .

تفسير كلمات من هذا الخبر

قوله: فلاكها ثم لفظها : اللّوك المضغ ، واللفظ: إلقاء الشيء من الفم، وقوله: أجد لطعامه قداوة ، أى طيبة وطيب رائحة ، وقد قدى اللحم قدياً ، وقدواً ، وقداوة ، وقوله : ونغل : النغل : تغيّر الرائحة وفسادها ، وقوله : يوشك : معناه يسرع ، والوشيك السريع ، وقوله : يهصر ، أى يعطف ، ويثنى ليكسر ، والله أعلم .

وروى عن ابن عبّاس رضى الله عنه[1] أنّ عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه

---

(١) وتسالها : وتسلها (١٦) يهصر : يصهر

---

(١) وردت هذه الرواية عن ابن عباس في دلائل النبوة للبيهقى ، طبع مصر ١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٩ م ، ١ : ٤٢٨ وما بعدها ، كما أوردها عن ابن عباس أيضا الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ٢ : ٢١٦ ـ ٢١٧

قال : لمّا نزلت هذه الآية : « وأنذر عشيرتك الأقربين »[1] ، قال لى رسول الله ﷺ : إن الله عزّ وجلّ أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين ، فضقت بذلك ذرعاً ، وعلمت أنّى متى أبادهم بهذا الأمر أرَ منهم ما أكره ، فصمت عليه حتى أتانى جبريل ، فقال لى : يا محمّد إن لا تفعل ما تؤمر به يعذّبك ربّك ، فأمر عليًّا أن يصنع [صاعاً من طعام][2] ، وأن يجعل عليه رجل شاة[3] ، واملأ لنا عُسًّا من لبن ، ثم اجمع إلىّ بنى عبد المطّلب ، حتى أكلّمهم وأبلّغهم ما أمرت به .

قال علىّ : فصنعت ذلك ما أمرنى به ، ثم دعوتهم إليه ، وهم يومئذ أربعون رجلًا ، (٢٤٩) يزيدون رجلاً ، أو ينقصون رجلاً ، فيهم أعمامه : أبو طالب ، والعبّاس ، وحمزة وأبو لهب ، فلمّا اجتمعوا إليه ، دعانى بالطعام الذى صنعت لهم ، فجئت به ، فلمّا وضعته تناول رسول الله ﷺ حذية من اللحم ، فشقّها بأسنانه ، ثم ألقاها فى نواحى الصحفة[4] ، ثم قال : كلوا بسم الله ، قال فأكل القوم حتى ما لهم بشىء حاجة ، وما أرى إلّا مواضع أيديهم ، وأيم الذى نفسى على بيده ، إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل مثل الذى قدّمته لجميعهم .

ثم قال : اسق القوم يا على ، فجئتهم بذلك العُسّ ، فشربوا منه حتى رووا جميعاً ، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ، فلمّا أراد رسول الله ﷺ أن يكلّمهم بدّد أبو لهب الكلام[5] ، فقال : شدّ ما[6] سحركم

(١٠) تناول : ناول

(١) سورة الشعراء ، ٢١٤

(٢) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : طماما من صاع ، وهو تصحيف

(٣) كذا فى الأصل والطبرى ، وفى دلائل النبوة للبيهقى ١ : ٤٢٩ : قال النبى صلى الله علية وسلم : فاصنع لنا يا على رجل شاة على صاع من طعام

(٤) كذا فى الأصل ، وفى الدلائل : الجفنة

(٥) كذا فى الأصل ، وفى الدلائل ، والطبرى : بدره أبو لهب إلى الكلام ، ولعله أنسب للسياق

(٦) كذا فى الأصل ، وفى الدلائل : هدما

صاحبكم . فتفرّق القوم ، ولم يكلمهم النبي ﷺ .

فقال : الغد يا علىّ ، إنّ هذا الرجل قد سبقنى إلى ماسمعت من القول، فتفرّق القوم قبل أن أكلّمهم ، فعد لنا ، يا علىّ ، بمثل ذلك الذى صنعت ، واجمعهم لى، قال : ففعلت ، ثم دعانى بالطعام ، فقرّبته إليه ، وفعل كما فعل بالأمس ، وأكلوا حتى ما لهم بشىء حاجة، ثم قال : اسقهم فشربوا حتى رووا منه جميعاً. ثم تكلّم النبي ﷺ فقال : يا بنى عبد المطّلب ، إنّى والله ما أعلم شابًّا فى العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به ، إنّى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله أن أدعوكم، فأيّكم يؤازرنى على هذا الأمر، على أن يكون أخى ، ووصيّى ، وخليفتى فيكم ؟ قال : فأحجم القوم جميعاً ، وقلت : وإنّى لأحدثهم سنًّا، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً ، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبىّ الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتى (٢٥٠) وقال : إنّ هذا أخى ووصيّ وخليفتى فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا ! فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبى طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع[1] .

تفسير ألفاظ من هذا الخبر

قوله : أبادهم ، هو مثل أباديهم، يقولون : بدأت وبدهت على البدل ، وإذا بدأت الكلام من غير أن تهيّأ له فقد ابتدهته ،وهى [البده][2]، أصلها بديهة، وقوله : حذية من اللحم ، هى القطعة المستطيلة منه ، وقوله : عُسّ من اللبن ، العُسّ إناء من أوانى اللبن، ليس بالكبير، وقوله: شدّ ما سحركم، أى ما أشدّ سحره لكم ، وقوله أحجم القوم: الإحجام هو النكوص، والتأخّر عن الشىء،

---

(١) شك ابن كثير فى هذه الرواية فى السيرة النبوية ، ١ : ٤٥٩ ؛ وقال : تفرد به عبد الغفار بن القاسم أبو مريم ، وهو كذاب شيعى ، اتهمه على بن المدين وغيره بوضع الحديث ، وضعفه الباقون

(٢) كذا فى لسان العرب ، وفى الأصل : البديها

وقوله: أحدثهم سناً، أى أصغرهم، وكان علىّ عليه السّلام إذ ذاك لم يبلغ عشر سنين، وهذا أوّل ما بعث النبى ﷺ ، وقوله : أحمشهم ساقاً ، الحمش دقّة الساقين ، والله أعلم . ٣

نشأ علىّ عليه السّلام فى حجر سيّدنا رسول الله ﷺ لأنّ أبا طالب كان قد أقتر وأخلّ[1] ، وجلس علىّ بمكّة ، بعد أن هاجر رسول الله ﷺ ثلاثاً يؤدّى الودائع التى كانت عنده ، وآخى بينه وبين نفسه ﷺ وبين سهل بن حنيف ٦ الأنصارى رضى الله عنه .

وكان ابن عبّاس يقول: اجتمع لعلىّ رضى الله عنه أربع خصال ليست لغيره: هو أوّل عربىّ [وعجمىّ][2] صلّى مع رسول الله ﷺ ، وهو صاحب ٩ رسول الله ﷺ فى كلّ زحف، وصبر معه يوم فرّ غيره ، وغسّل رسول الله ﷺ، وأدخله قبره .

ولمّا قُتل مصعب بن عمير يوم أُحُد، وكان اللواء معه ، أخذ رسول الله ﷺ ١٢ اللّواء (٢٥١) بيده ، وقال : « لأعطينّ اللواء اليوم لرجل يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله » ، فتشوّف الناس من يكون ذاك ؟ فأعطاه عليّا ، وكان عمره يومئذ عشرين سنة ، لم يتخلّف عنه ﷺ إلّا فى غزاة تبوك، تخلّف عنه بأمره، ١٥ وقال ﷺ وهو على حراء : « اسكن حراء ، فما عليك إلّا نبى أو صدّيق أو شهيد » ، وكان عليه العشرة المشهود لهم بالجنّة .

وبعثه ﷺ قاضياً ، قال : إنّك بعثتنى إلى قوم ذوى أسنان ، وأنا حديث ١٨ السنّ لا علم لى بالقضاء ، فقال عليه السلام : « إنّ الله سيهدى قلبك ويُثَبِّتُكَ ،

---

(١) رجل مخل ، وأخل : معدم فقير ، لسان العرب

(٢) إضافة من الاستيعاب ، ٣ : ٢٧

إذا جاءك الخصمان فلا تقضينّ على الأوّل حتّى تسمع من الثاني، فإنّه يتبيّن لك القضاء»، ثم ضرب في صدره بيده، وقال: «اللّهمّ اهدِ قلبه، وسدّد لسانه»،

٣ قال عليّ: فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين

وقال عليّ عليه السّلام: ما تقدّمت على الخلافة إلّا خوفاً أن ينزو[1] على الأمر تيس من تيوس بني أميّة يلعب بكتاب الله.

٦ زوّجه رسول الله ﷺ لفاطمة، وقال لها: «زوّجتك أوّل أصحابي إسلاماً، وأكثرهم علماً وحِلماً»، وقال من ذكر قول رسول الله ﷺ: «لأعطينّ غداً الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، ليس بفرّار، يفتح الله على

٩ يديه» إنّما ذلك كان في غزاة خيبر.

ولمّا نزل قوله تعالى: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهلَ البيت»[2]، دعا ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً في بيت أمّ معبد، أو أمّ سلمة، وقال:

١٢ «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»، وقيل: إنّ هذه (٢٥٢) الآية نزلت في نساء النبي ﷺ، وسياق الآية دليل على ذلك، لقوله تعالى: «ومن يقنت منكنّ لله ورسوله» إلى قوله تعالى: «يا نساء النبي لستنّ كأحد

١٥ من النساء»، إلى قوله: «وقرن في بيوتكنّ»، إلى أن قال تعالى: «وأطعن الله ورسوله، إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهلَ البيت»، ثم قال بعد ذلك: «واذكرن ما يتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة»[3].

---

(٤) ينزو: ينزوا (٥) تيس: تيسا (٧) ذكر قول: ذكران قول
(١٧) واذكرن ما: واذكرن الله

---

(١) ينزو: النزو: الوثب إلى فوق، لسان العرب
(٢) سورة الأحزاب، ٣٣
(٣) سورة الأحزاب، ٣١ – ٣٤

وقال على كرّم الله وجهه: والله إنّه لعهد النبى الأمّى ﷺ إلىّ أنه لا يحبّنى إلّا مؤمن، ولا يبغضنى إلّا منافق.

وقال رسول الله ﷺ لعلىّ عليه السّلام: « ألا أعلّمك كلمات إذا قلتهنّ غفر الله لك مع أنك مغفور لك »! قال: بلى، « لا إله إلّا الله الحكيم العليم، لا إله إلّا الله العلىّ العظيم، لا إله إلّا الله ربّ السموات وربّ العرش الكريم »، وقال ﷺ: « يا علىّ يهلك فيك رجلان: محبّ مطر، وكذّاب مفتر »، وقال له: « تفترق فيك أمّتى كما افترقت بنو إسرائيل فى عيسى بن مريم ».

بويع عليه السلام بالخلافة يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين، بعد صلاة العصر، وقيل لثمانى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجّة، وهو يوم قتلة عثمان رضى الله عنه، وكان أوّل من بايعه طلحة بلسانه، وسعد بيده ثم صعد المنبر، وكان أوّل من صعد إليه للنبر طلحة، فبايعه بيده، وكانت إصبع طلحة شلاء، فتطير علىّ عليه السّلام منها، وقال: ما أخلقه إن مكث، ثم بايعه سعد، والزبير، وأصحاب النبى ﷺ على طبقاتهم.

ذكر أول خطبة خطبها كرّم الله وجهه

ولمّا انتهى أمر المبايعة واستقرّ الأمر، قال[1] بعد [أن] حمد الله سبحانه، وصلّى على نبيّه ﷺ: أمّا بعد، فلا يرعين مرع إلّا على نفسه، شغل من الجنّة والنار أمامه، ساع مجتهد، وطالب يرجو، ومقصّر فى النّار ثلاثة واثنان: ملك

(١٧) يرجو: يرجوا

(١) ورد هذا الكلام فى خطب متعددة مع اختلاف كثير جدا فى اللفظ فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، تحقيق الشيخ حسن تميم، طبع بيروت ١٩٦٣ م، ١: ٢٢٢ - ٢٢٣

طار بجناحه ، ونبيٌّ أخذ الله بيده ، لا سادس هلك من ادعى، وردى من اقتحم،
اليمين والشمال مضلّة، والوسطى الجادة ، منهج عليه أنوار الكتاب والسنة وآثار
٣ النبوّة ، إنّ الله سبحانه داوى هذه الأمّة بدواءين : السيف والسوط ، لا هوادة
عند الإمام فيهما ، استتروا ببيوتكم ، وأصلحوا ذات بينكم، والتوبة من ورائكم،
من أبدى صفحته للحقّ هلك ، قد كانت أمور لم تكونوا عندى فيها محمودين،
٦ أما إنّى لو أشاء أن أقول لقلت : عفا الله عمّا سلف ، سبق الرجلان وقام الثالث
كالغراب الأبقع، همّه بطنه، انظروا فإن أنكرتم فأنكروا ، وإن عرفتم فآدّوا ،
حقّ وباطل، ولكلٍّ أهل، ولئن أمر الباطل لقديماً ما فعل، ولئن قلّ الحق لربّما
٩ ولعلّ ، ولقلّ ما أدبر شىء فأقبل ، ولئن رجعت إليكم أموركم إنكم لسعداء ،
وإنّى لأخشى أن تكونوا فى فترة ، وما علينا إلّا الاجتهاد، ألا إنّ أبرار عترتى
وأطايب أرومتى أحلم الناس صغاراً ، وأعلم النّاس كباراً ، ألا وإنّا أهل البيت
١٢ من علم الله علمنا، وبحكم الله حكمنا ، ومن قول صادق سمعنا، فإن تتّبعوا آثارنا
تهتدوا ببصائرنا ، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا، معنا راية الحقّ ، من تبعها
لحق، ومن تأخّر عنها غرق، ألا وبنا تدرك ترة كلّ مؤمن، وبنا تخلع ربقة الذلّ
١٥ من أعناقكم .

ومن خطبه عليه السّلام

(٢٥٤) قال بعد حمد الله والصلاة على رسوله ﷺ: أيّتها المجتمعة أبدانهم ،
١٨ المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهن الصمّ الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم عدوّكم ،

---

(٦) عفا : عفى (١٤) تدرك : يدرك || تخلع : يخلع

تقولون فى المجالس كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلتم: حيدى حيادِ[1]، ماعزّت
والله دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل، سألتمونى
التأخير، دفاع ذى الدين للطول، لا يمنع الضيم الذليل، ولا يدرك الحقّ إلّا بالجدّ، ٣
أىّ دار بعد داركم تمنعون، أم مع أىّ إمام بعدى تقاتلون، المغرور والله من
غررتموه، من فاز بكم فقد فاز بالسهم الأخيب، أصبحت والله لا أصدّق قولكم
ولا أطمع فى خيركم[2]، فرّق الله بينى وبينكم، وأعقبنى من هو خير لى منكم، ٦
والله لوددت أنّ لى بكلّ عشرة منكم رجلاً من بنى فراس بن غنم، صرف
الدينار بالدرهم.

ولمّا بويع واجتمعت عليه المهاجرون والأنصار، تخلّف عن بيعته قوم فلم ٩
يكرههم، وسئل عنهم فقال: أولئك قوم قعدوا عن الحقّ، ولم يقوموا مع الباطل،
وروى أنّه قال فيهم: أولئك قوم خذلوا الحقّ، ولم ينصروا الباطل، وكان ممّن
تخلّف عن بيعته عبد الله بن عمر بن الخطّاب، فأتى به إليه ملبّباً[3]، فقال له علىّ ١٢
عليه السّلام: بايع! فامتنع، وقال: حتّى يحتمل عليك الناس. قال: فأعطنى
حميلاً[4]؟ قال: لا! وكان الأشتر قد شهر عليه السيف، وقال لعلىّ: إنّ
ابن عمر قد أمن سيفك وسوطك، فأمكنّى منه! فقال له علىّ: دَعْهُ! فوالله ماعلمته ١٥
إلّا سيّىء الخلق صغيراً وكبيراً، وأنا حميله.

---

(٩) المهاجرون: المهاجرين

---

(١) حيدى حياد: كلمة يقولها الهارب، كأنه يسأل الحرب أن تتنحى عنه، من الحيدان
وهو الميل عن الشىء، شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده، تصوير دار المعرفة ببيروت، ١٨
١: ٧٤

(٢) كذا فى الأصل، وفى نهج البلاغة: ولا أطمع فى نصركم

(٣) ملبيا: لببت الرجل ولببته إذا جعلت فى عنقه ثوبا أو غيره، وجررته به، لسان
العرب

(٤) الحميل: الضامن والكفيل

ثم جيء بسعد بن أبي وقّاص ، فقيل له : بايع! فقال: يا أبا الحسن، إذا لم يبق غيري بايعتك ، فقال: خلّوا سبيل أبي إسحاق! وبعث إلى محمّد بن مسلمة الأنصاري،
٣ فقال: إنّ رسول الله ﷺ أمرني إذا اختلف النّاس أن أخرج بسيفي، فأضرب به عرض أحد ، حتى ينقطع ، فإذا انقطع أتيت بيتي فقعدت فيه لا أبرح ، حتّى تأتيني يد خاطئة ، أو منيّة قاضية ، قال فانطلق إذاً .

٦ وكان عمّار بن ياسر قال لعليّ عليه السّلام يوم قتل عثمان: لتنصبنّ لنا نفسك، أو لنبدأنّ بك .

وتخلّف عن بيعة عليّ عليه السّلام أهل الشام ، وأشار المغيرة بن شعبة على عليّ
٩ أن يقرّ معاوية بالشام ، وأن يولّى طلحة والزبير حتى يستقيم له الأمر ، فأشار ابن عبّاس بأن لا يفعل ، ثم كان من طلحة والزبير ما يأتي ذكره في وقعة الجمل مع عائشة ، رضى الله عنهم أجمعين .

١٢ ذكر سنة ست وثلاثين

النيل المبارك في هذه السنة :

الماء القديم سبعة أذرع وثمانية عشر إصبعاً ، تبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً
١٥ وإصبعين.

ما لخّص من الحوادث

الإمام عليّ كرّم الله وجهه أمير المؤمنين بالمدينة إلى حين خروجه إلى العراق،
١٨ فيها فرّق عمّاله إلى الأمصار، فبعث عثمان بن حنيف إلى البصرة، وعمارة بن شهاب إلى الكوفة، وعبيد الله بن عبّاس اليمن، وقيس بن سعد مصر ، وسهل بن حنيف

---

(١) يا أبا : يابا (١٤) سبعة : سبع || ثمانية : ثمان (١٥) وإصبعين : وإصبعان

الشام، فلمّا مضى لقيه رجال من الشام فقالوا: من أنت؟ قال: أمير على الشام، قالوا: إن كان عثمان بن عفّان بعثك فأهلًا بك، وإن كان غيره فارجع من حيث جئت، فرجع، وأمّا قيس بن سعد لمّا وصل إيلة فلقيه خيل، قالوا: من أنت؟ قال: من [فالة][1] عثمان، فأنا أطلب من أوى إليه فأنتصر به، فمضى حتى (٢٥٦) دخل مصر، فافترق الناس فرقًا، حتى قتل محمّد بن أبى حذيفة، واستقرّ قيس بن سعد بمصر.

وفيها كانت وقعة الجمل بين علىّ وعائشة رضى الله عنهما.

ذكر نبذ ممّا جرى فى وقعة الجمل

كانت وقعة الجمل بين علىّ وطلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ستّ وثلاثين، وذلك أنّ طلحة والزبير وعائشة لما قدموا تلقاهم الناس، وكان عثمان بن حنيف عامل علىّ عليه السّلام على البصرة، فخرج إليهم فى جمع فتواقعوا، حتى زالت الشمس، ثم اصطلحوا، وكتبوا بينهم كتابًا أن يكفّوا عن الحرب حتى يقدم علىّ عليه السّلام وعلى أن يكون لعثمان بن حنيف الإمارة والصلاة وبيت المال.

فلمّا قدم علىّ عليه السّلام وصحبته عمّار بن ياسر، ومعهما أهل الكوفة، وكان علىّ عليه السّلام قبل خروجه من المدينة دخل بيت المال فوجد فيه مالاً، فقسّمه بين النّاس، وساوى بينهم، وكنسه ونام فيه، وعزم على التوجّه إلى العراق لمّا بلغه خبر طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم، فأشار عليه عبد الله بن سلّام بلزوم المدينة، وقال له: أين تريد؟ قال: العراق، قال: عليك بمنبر رسول الله ﷺ،

(١) كذا فى الطبرى، ٥ : ١٦١، والكامل، ٣ : ٢٠١، وفى الأصل: واله، وهو تصحيف

فالزمه ، ولا أراه يحرّرك ، والذى نفسى بيده لئن خرجت إلى العراق لا ترجع
إلى منبر رسول الله فيما بقى ، فكان كذلك ، وأقام علىّ بالمدينة بعد البايعة بالخلافة
٣ أربعة أشهر ، ثم توجّه للعراق ، والله أعلم .

فلمّا قدم علىّ عليه السّلام ومعه عمّار بن ياسر ، وكان قد أتى عليًّا فى سبعة
آلاف من أهل الكوفة ، وكان علىٌّ فى أربعة آلاف من أهل المدينة ، فقال عمّار :
٦ والله إنّى لأعلم أنّ عائشة زوجته فى الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم بهذا
لتقبعوه أولتقبعوها ، وكان عمّار يوم الجمل على الخيل ، والراية مع محمّد بن الحنفيّة ،
وعلى الميمنة الحسن ، (٢٥٧) وعلى الميسرة الحسين ، وكان على الرجّالة محمّد بن
٩ أبى بكر الصدّيق .

ولمّا قدم علىّ عليه السّلام البصرة ، قال لعبد الله بن عبّاس : ائت الزبير ،
ولا تأتِ طلحة ، فإن الزّبير ألين ، وطلحة كالثور عاقص بقرنه ، يركب الصّعوبة ،
١٢ ويقول هى أسهل[1] ، فأقرئه منّى السّلام ، وقل له : يقول لك ابن خالك : عرفتنى
بالحجاز ، وأنكرتنى بالعراق ؟ فما عدا [ممّا] بدا[2] ، فلمّا أبلغه ابن عبّاس مقالة
علىّ قال له الزّبير : قل له : بيننا وبينك عهد خليفة ، ودم خليفة ، واجتماع ثلاثة ،
١٥ وانفراد واحد ، وأمّ مبرورة ، ومشاورة العشيرة ، ونشر المصاحف ، نُحِلّ
ما أحلّت ، ونُحرّم ما حرّمت ، قال علىّ كرّم الله وجهه : ما زال الزبير منّا أهل
البيت حتى أدرك ولدُه عبد الله ، فلفته عنّا .

(١) لئن : لان (١٢) فأقرئه : فاقره

(١) كذا فى الأصل ، وفى نهج البلاغة ، شرح الشيخ محمد عبده ، ١ : ٧٦ : يركب الصعب ، ويقول هو الذلول

(٢) كذا فى نهج البلاغة ، وفى الأصل : فما عدا مابدا ، تصحيف ، ومعناه : « ما الذى صرفك عما كان بدا وظهر منك » ، راجع شرح الشيخ محمد عبده لنهج البلاغة ، ١ : ٧٧

وخطبت عائشة رضى الله عنها يوم الجمل ، وكان فى عسكرها لغط ، فقالت : صه صه ، فكأنما قُطعت الألسن فى الأفواه ، فقالت : أيّها الناس ، إن لى عليكم حقّ الأمومة ، وحرمة الموعظة ، مات رسول الله ﷺ بين سَحْرِى ونحرى ، ٣
وأنا إحدى نسائه فى الجنّة ، ذخرنى له ربّى ، وبى ميّز بين منافقكم ومؤمنكم ، وإنّ أبى ثالث ثلاثة من المؤمنين ، فهو ثالث الإسلام ، وثانى اثنين فى الغار ، وأوّل من سمّى صِدّيقًا ، مضى رسول الله ﷺ وهو عنه راض ، طوّقه طوق ٦
الإمامة ، ثم اضطرب حبل الدين فمسك أبى بطرفيه ، ورتق فتقه ، وأغاض نبع الرّدة ، وأطفأ ما أوقدت يهود ، وأنتم يومئذ جحظ العيون ، تنظرون الغدوة وتستمعون الصّيحة ، رأب الثأى[1] ، وأودم[2] الغلطة ، وانتأش[3] من المهواة ، ٩
واحتجن دفين الدواء ، حتى أعطن[4] الوارد ، وأورد الصادر ، وعلّ الناهل ، فقبضه الله عزّ وجلّ (٢٥٨) واطئًا على هامات النفاق ، مذكيًا نار الحرب للمشركين ، فانتظمت طاعتكم بحبله ، ثم ولّى أمركم رجلًا مُرْعِيًا إذا ركن إليه ، ١٢
بعيد ما بين اللابتين ، يقظان اللّيل فى نصرة الإسلام ، فسلك مسلك السابق ، وفرّق شمل الفتنة ، وجمع أعضاد ما جمع القرآن ، وأنا نصب المسألة عن مسيرى هذا ، لم ألتمس فيه إثمًا ، ولم أوطئكم فتنة ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ، ١٥
وأسأله أن يصلّى على محمّد ، وأن يخلفه فيكم بأفضل الخلافة ، خلافة المرسلين .

---

(١٤) المسألة : المسله (١٦) وأسأله : واسله

---

(١) الثأى : الإفساد كله ، لسان العرب
(٢) أودم : لأم وأصلح ، لسان العرب
(٣) انتأش : تأخر وتباعد ، لسان العرب
(٤) العطن للإبل كالوطن للناس ، وأعطن القوم : عطنت إبلهم ، أى ذهبت إلى عطنها ، لسان العرب

وكتبت عائشة إلى أمّ سلمة رضى الله عنها كتاباً تقول فيه : ولنعم المطلع مطلع فرّقت فيه بين فئتين متشاجرتين ، فإن أقعد فمن غير حرج ، وإن أمضِ فإلى ما لا غنى لى عن الازدياد منه .

وخطب علىّ عليه السّلام يوم الجمل ، فقال فى خطبته، بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ : أمّا بعد، فإنّ الله عزّ وجلّ بعث محمّداً ﷺ إلى الثقلين كافّة ، والناس فى اختلاف ، والعرب بشرّ المنازل ، فرأب الله به الثأى، ولأم به الصدع، ورتق به الفتق ، وأمّن به السّبل ، وحقن به الدماء ، وقطع به العداوة الواغرة للقلوب ، والضغائن المُخشّنة للصدور ، ثم قبضه الله إليه مشكوراً سعيه ، مرضيًّا عمله ، مغفوراً ذنبه ، كريماً عند الله نزله ، فيالها مصيبة عمّت المسلمين ، وخصّت الأقربين ، وولى أبو بكر رضى الله عنه فسار بسيرة رضيها المسلمون ، ثم ولى عمر فسار بسيرة أبى بكر رضى الله عنهما ثم ولى عثمان، فنال منكم ونلتم منه ، حتى إذا كان من أمره ما كان ، أتيتموه فقتلتموه ، ثم أتيتمونى فقلتم : بايعنا ، فقلت : لا أفعل ، وقبضت يدى ، فبسطتموها ، ونازعتكم بكفّى ، فجذبتموها ، وقلتم : لا نرضى إلّا بك ، ولا نجتمع إلّا عليك ، (٢٥٩) وتداككتم علىّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها ، حتى ظننت أنّكم قاتلىّ ، أو بعضكم قاتل بعضاً ، فبايعتمونى على الأمر ، وبايعنى طلحة والزبير ، فما لبثا أن استأذنانى إلى العمرة ، فصارا إلى البصرة ، ففعلا بها الأفاعيل ، وهما يعلمان والله أنّى لست بدون واحد ممّن مضى ، ولو أشاء أن أقول لقلت : اللّهمّ إنّهما قطعا قرابتى ، ونكثا بيعتى ، وألّبا علىّ عدوّى ، اللّهمّ فلا تحكّم لهما ما أبرما ، وأرهما المسألة فيما عملا وأمّلا .

(٩) المسلمين : المسلمون (١٨) مضى : مضا (١٩) وألبا : والبا || المسألة : المسله

قال الحارث بن سويد ، وكان يوم الجمل فى عسكر طلحة: والله ما رأيت مثل يوم الجمل ، لقد أشرعوا رماحهم فى صدورنا ، وأشرعنا رماحنا فى صدورهم ، فلو شاءت الرجال أن تمشى عليها لمشت ، يقول هؤلاء : لا إله إلّا الله والله أكبر ، ٣
ويقول الآخرون كذلك ، فوالله لوددت أنّى لم أشهد الجمل ، وأنّى أعمى مقطوع اليدين والرجلين .

وقال عبد الله بن سلمة: ما يسرّنى أن غبت عن ذلك اليوم ، ولا عن مشهد ٦
شهده علىّ رضى الله عنه بحمر النعم .

وكان اسم جمل عائشة عسكراً ، وكان يعلى بن منية وهبه لها ، وجعل لها هودجاً من حديد ، وجهّز من ماله خمس مائة فارس بأسلحتهم وأزوادهم ، وكان ٩
يعلى بن منية أكثر أهل البصرة مالاً .

وكان علىّ يقول : بليت بأنضّ النّاس ، وأنطق النّاس ، وأطوع النّاس فى الناس [١] ، يريد بأنضّ النّاس يعلى بن منية كان أكثرهم ناضّاً [٢] ، ويريد ١٢
بأنطق الناس طلحة بن عبيد الله ، وبأطوع النّاس فى النّاس عائشة رضى الله عنها ، وروى أنّ عليّا كان يقول : بليت بأشجع النّاس ، يعنى الزبير ، وأسخى الناس ، يعنى طلحة . ١٥

وكان كعب بن سور ممسكاً زمام الجمل ، فأتاه (٢٦٠) سهم فقتله ، فتعاقد النّاس الزّمام ، كلّما أخذه واحد قتل ، حتّى عدّ من قتل الزّمام سبعون رجلًا ، وقيل

(٦) عن : من (٨و١٠و١٢) منية : منبه (٩) هودجا : هودج

(١) روى ابن عبد البر هذا القول فى الاستيعاب ، ولكن بلفظ آخر ، راجع الاستيعاب ، ٢ : ٢٢١ _ ٢٢٢

(٢) قال ابن منظور فى لسان العرب : قال الأصمعى : اسم الدراهم والدنانير عند أهل الحجاز الناض والنض

قطعت عليه سبعون يداً، وشكّت السهام الجمل حتى صار كأنّه جناح نسر ، وأخذ بزمامه رجل من بنى ضبّة وهو يقول :

٣ نحن بنو ضَبّة أصحابُ الجملْ الموتُ أحلى عندنا من العسلْ

ننعى ابن عفّان بأطراف الأسلْ ردّوا علينا شيخنا ثم بَجَلْ

ولمّا عقر الجمل ، احتمل الهودج حتى وضع بين يدى علىّ ، فأمر به فأُدخل فى

٦ منزل عبدالله بن بديل، وكان الذى احتمله محمّد بن أبى بكر ، أخا عائشة ، وعمّار ابن ياسر ، وكان علىّ قد دنا من الهودج ، ولمّا سار إليه ، فكلّم عائشة ، فقالت له : ملكت فأسجح ، فجهّزها وأحسن جهازها ، وبعث معها أربعين امرأة ،

٩ ويقال : جهّز معها سبعين امرأة ، أكثرهم من نساء همدان ، فلم يزالوا معها حتّى قدمت المدينة .

قال الشاعر ممّن شهد الجمل :

١٢ شهدت الحروب فشيبننى فلم تَرعينى كيوم الجملْ[1]

أشدّ على مؤمن فتنة وأقتل منه لخرق بطلْ[2]

فليت الظعينة فى بيتها وليتك عسكر لم ترتحلْ

١٥ كنى بعسكر عن الجمل إذ كان اسمه .

قال قتادة : قُتل يوم الجمل مع عائشة رضى الله عنها عشرون ألفاً ، منهم ثمانمائة من بنى ضبّة ، وقُتل من أصحاب علىّ خمسمائة .

---

(٣) أحلى : احلا (٤) بجل : يحل (٦) أخا : أخو

(٧) سار : صار

---

(١) فى مروج الذهب ، ٢ : ٣٦٩ : فلم أر يوماً كيوم الجمل

(٢) مروج الذهب : وأقتله لشجاع بطل

قال ابن عبّاس: ولما انقضى أمر الجمل دعا علىّ عليه السّلام بآجرّتين ، فعلاهما، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال: يا أنصار المرأة ، وأصحاب البهيمة ، رغا فجئتم ، وعقر فانهزمتم ، نزلتم شرّ (٢٦١) بلاد ، أبعدها من السماء ، وبها مغيض الماء ، ٣ ولها شرّ أسماء ، هى البصرة ، والبصيرة ، والمؤتفكة ، وتدمر .

وقتل فى ذلك اليوم طلحة بن عبيد الله ، رضى الله عنه .

ذكر طلحة بن عبيد الله وأخباره ومقتله ٦

طلحة بن عبيد الله من بنى تيم بن مرة، وكان سبب إسلامه رضى الله عنه أنّه حضر سوق بصرى من الشام ، فإذا راهب فى صومعته يقول : سلوا هؤلاء القوم أفيهم أحد من أهل الحرم ؟ قال طلحة : فقلت : نعم، فقال لى : ظهر أحمد؟ قلت: ٩ من أحمد ؟ قال : ابن عبد الله بن عبد المطّلب ، هذا زمانه وهو آخر الأنبياء ، ومخرجه من الحرم ، ومهاجره إلى نخل، قال طلحة : فوقع قوله فى قلبى، فلمّا أتيت مكّة قلت : هل كان من حدث ؟ قالوا : نعم ، محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب ١٢ الأمين ، تنبأ وتبعه ابن أبى قحافة ، قال: فدخلت على أبى بكر فسألته، فقال : نعم وقد اتّبعته ، فإنّه يدعو إلى الحقّ ، فأخبره طلحة بقول الراهب ، ثم أتيا رسول الله ﷺ فأسلم طلحة ، وأخبر النبى ﷺ بقول الراهب ، وسمّى ١٥ رسول الله ﷺ طلحة الفيّاض لكرمه ، وسُمّى أيضا طلحة الخير .

وكان طلحة من أجمل الناس ، رأته امرأة يوم دخل البصرة ، فقالت : من هذا الذى كأن وجهه دينارٌ هرقلى ، وكان لايغيّر شيبه ، سأله رجل شيئاً ، فقال : ١٨ إنّ حائطى بمكان كذا ، قد أعطيت فيه ستّمائة ألف ، فإن شئت فخذ المال ، وإن شئت فخذ الحائط .

(١٤) يدعو : يدعوا

سمع عليّ كرّم الله وجهه رجلًا ينشد :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقرُ

فقال : ذلك طلحة رضى الله عنه .

وثبت طلحة مع رسول الله ﷺ (٢٦٢) يوم أُحد ، وبايعه على الموت ، فرمى مالك بن زهير الجشمى رسول الله ﷺ بسهم، فاتّقاه طلحة ، فأصاب السهم خنصره، فقال: حس ، فقال النبي ﷺ : لو قال: بسم الله ، لدخل الجنّة والناس ينظرون إليه[1] ، وهذه الكلمة : حس ممّا تقولها العرب للشيء المؤلم ، وجرح طلحة بضعة وثلاثين جرحًا ، وقال عليه السلام : « من أراد أن ينظر إلى رجل يمشى على الأرض وقد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة » .

وكان طلحة يلبس المصبغات ، وهو الذى قال له عمر رضى الله عنه : إنكم أيّها الرهط يقتدى بكم ، فلو رآك جاهل لقال : على طلحة ثياب مصبغات ، وإنّما كانا مصبوغين بمدر .

وكانت غلّة طلحة فى كلّ يوم ألف واف ، وزن كل درهم درهم وثلث[2] ، وقيل كانت غلته بالعراق ما بين أربعمائة ألف إلى خمسمائة ألف ، وغلّته بالشراة عشرة آلاف دينار، وكان لا يدع عائلًا من بنى تيم إلّا أغناه وكفاه مئونة عياله ويزوّج أياماهم ، ويخدم من لا خادم له ، وكان يبعث لعائشة إذا جاءته غلّته عشرة آلاف .

---

(١) ذكر ابن حجر فى الإصابة هذا الحديث ولكن بلفظ : عن موسى بن طلحة عن أبيه أنه لما أصيبت يده مع رسول الله صلى عليه وآله وسلم وقاه بها فقال : صرصر ، فقال : لو قلت باسم الله لرأيت بناءك الذى بنى لك فى الجنة وأنت فى الدنيا ، ٢ : ٣٣٠ ، وذكر ابن حجر أن الدارقطنى أخرج هذا الحديث فى المفرد

(٢) نقل النويرى فى نهاية الأرب ، ٢٠ : ٨٩ عن الزبير بن بكار أن الواف وزنه وزن الدينار ، وقد جاء بهذا الرأى أيضاً ابن عبد البر فى الاستيعاب ، فقال : والواف وزنه الدينار ، وعلى ذلك وزن دراهم فارس التى تعرف بالبغلية ، الاستيعاب ، ٢ : ٢٢٥

وترك ألفى ألف درهم ومائتى ألف دينار ، وكان ماله قد اغتيل ، وكانت قيمة ما ترك من العقار والأموال ثلاثين ألف ألف درهم ، ومن الناضّ ألفى ألف درهم ومائتى ألف دينار ، والباقى عروض . ٣

ولمّا حضر يوم الجمل قال طلحة : إنّا كنّا داهنّا فى أمر عثمان ، فلا أقلّ من أن نبذل فيه دماءنا ، اللهمّ خذ لعثمان منّى حتى ترضى ، فلمّا أصابه السهم اعتنق فرسه ، وركضه حتى مات فى بنى تيم ، ودفن طلحة عند قنطرة قرّة بالبصرة ، ٦ رحمه الله ، وأرضى عنه .

دخل ولد طلحة على علىّ كرّم الله وجهه ، فرحّب به (٢٦٣) علىّ عليه السّلام فقال : أترحّب بى يا أمير المؤمنين ، وقد قاتلت أبى ، وأخذت ماله ؟ فقال : أمّا ٩ مالك فهو معزول فى بيت المال ، فاذهب فخذه ، وأمّا قتالى أباك فإنّى أرجو أن أكون أنا وأبوك ممّن قال الله عزّ وجلّ فيهم : « ونزعنا ما فى صدورهم من غلّ » الآية[1] ، وكان الذى قبض من طلحة أرضاً له فردّها علىّ رضى الله عنه ١٢ وردّ غلّتها للسنين الماضية .

وكان لطلحة أولاد ، منهم محمّد السجّاد ، وقتل يوم الجمل مع أبيه ، ولمّا ولد محمّد هذا جاءت به أمّه حمنة بنت جحش رسول الله ﷺ فسمّاه محمّداً وكنّاه ١٥ أبا إسحاق ، وقال : « لا أجمع له بين اسمى وكنيتى » ، وكان علىّ رضى الله عنه قد نهى الناس عن قتل محمد هذا ، قال : إيّاكم وصاحب البرنس ، فقتله شريح ابن أوفى العبسىّ ، فلمّا رآه علىّ مقتولاً استرجع ، وقال : السجّاد ؟ وربّ الكعبة ١٨ هذا الذى قتله برّه بأبيه ، وكان أبوه قد أمره بالتقدّم ، فتقدّم ، ونثل درعه بين

---

(١٢) أرضا : أرض

---

(١) سورة الأعراف ، ٤٣

رجليه ، ووقف عليها ، وكان كلّما حمل عليه رجل قال : نشدتك [بحاميم][(١)] ، فقتله شريح ، وقال :

٣ وأشعثَ قوّام بآيات ربّه قليل الأذى فيما ترى العين مُسْلِمِ

ضممت إليه بالقناة قميصه نخرّ صريعاً لليدين وللفمِ

على غير ذنب غير أن ليس تابعاً عليًّا ومن لا يتبع الحقّ يندمِ

٦ يناشدني حاميم والرّمح شاجر فهلّا تلا حاميم قبل التقدّمِ

وقيل: قتله الأشتر، ولمّا رأى الحسن صلوات الله عليه جزع أبيه عليّ كرّم الله وجهه على محمّد بن طلحة قال : يا أمير المؤمنين، قد كنت أنهاك عن سيرك هذا،

٩ فغلبني عليك فلان وفلان ، فقال يا بنيّ ، كان ذلك في الكتاب مسطوراً، وددت لو متّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة .

(٢٦٤) خرج عليّ عليه السّلام في ليلة يوم الجمل ، ومعه قنبر مولاه ، وبيده

١٢ شمعة يتصفّح وجوه القتلى ، فوقف على طلحة في بطن واد فمسح الغبار عن وجهه ، وقال : أعزز عليّ أبا محمّد أن أراك معفّراً في التراب ، تحت نجوم السماء ، وبطون الأودية ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ثمّ بكى وقال :

١٥ شفيت نفسي وقتلت معشري [إليك][(٢)] أشكو عُجَرِي وبُجَرِي

ومن أولاد طلحة: عائشة بنت طلحة، كانت من أنبل نساء قريش، وأجملهنّ، تزوّجها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق ، ثمّ خلف عليها مصعب

---

(٦) حاميم: حميم

---

(١) مستفاد من الكامل، ٣ : ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ، حيث قال : وقال : حاميم لاينصرون، وفي الأصل : حميم ، راجع في معناها لسان العرب

(٢) كذا في الطبري ، ٥ : ٢١٥ ؛ ٣ : ٢٥٥ ، مع اختلاف في ترتيب شطرات الأبيات ، وفي الأصل : إلى الله أشكو

ابن الزبير ، ثم خلف عليها عمر بن عبد الله بن معمر التّيمى ، وهى إحدى عقيلتى قريش ، قال مصعب بن الزبير لحبّى المدنيّة : ابغنى أيّما أتزوّجها ، قالت : عائشة بنت طلحة ، على عظم فى أذنيها وقدميها ، فقال : أمّا الأذنان فيغطّيهما الخمار ، ٣ وأما القدمان فيغطّيهما الخفّان ، فتزوّجها ، وأصدقها خمس مائة ألف درهم ، فقال يونس بن أبى إياس الديلى ، ويقال ابن همّام السلولى :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة من ناصح ما إن يريد متاعا ٦
بضع الفتاة بألف ألف كامل وتبيت سادات الجيوش جياعا
فلو انّى الفاروق أخبر بالّذى شاهـــدتُه ورأيتهُ لارتاعا

وكانت عائشة هذه سيّئة الُخلق ، تشارّ أزواجها، غضبت يوماً على عبد الله ٩ ابن عبد الرحمن بن أبى بكر ، وكان أبا عذرتها ، فخرجت إلى المسجد ، فرآها أبو هريرة رضى الله عنه، فقال: سبحان الله،سبحان الله، ما أحسن ما غذّاك أهلك، أحسن وجهاً منك . ١٢

وقيل لعمر بن عبيد الله بن معمر، وهو آخر أزواجها، لو طلّقتها لاسترحت من سوء خلقها، فقال :

يقولون طلّقها وتصبح ثاوياً مقيماً عليك الهمّ أضغاث حالم ١٥
فإنّ فراق أهل بيت أودّهم لهم زلفة عندى لإحدى العظائم

وجرت لعائشة هذه مع الحارث بن خالد المخزومى قصّة كانت سبب عزله عن ولاية [مكة][1] ؛ وذلك أنّ الحارث المخزوميّ قدم على عبد الملك بن مروان ١٨ أيّام خلافته ، فأقام ببابه ستّة أشهر لا يؤذن له ، فانصرف وقال :

---

(٦) يريد : يزيد (١٠) عذرتها : عدتها

(١) فى الأصل : المدينة ، وهو خطأ من المصنف

تبعتُك إذ عيْنى عليها غشاوة فلما انجلت قطّعتُ نفسى ألومُها
فما بى إنْ أقصيتنى من ضراعة ولا افتقرتْ نفسى إلى من يلومُها
عَطفَت عليك النفسُ حتى كأنما بكفّيك يجرى بؤسها ونعيمُها

ورحل ، فأرسل إليه عبد الملك فردّه ، وقال : يا حارث ، أترى على نفسك غضاضة فى وقوفك على بابى؟ فقال: لا ، ولكن طالت غيبتى، وانتشرت ضيعتى، ووجدت فضلًا من قول ، فقلت ، فقال : كَمْ دَيْنُك ؟ قال : ثلاثون ألفاً ، قال : فاختر إمّا قضاءها عنك ، أو توليتك مكّة ، فاختار الولاية ، فقدم مكّة ، وبها عائشة بنت طلحة ، فأرسلت إليه وقد أقيمت الصلاة ، أنّى لم أقضِ طوافى ، فاصبر ، حتى أفرغ ، وألحق بالجماعة ، فقام بالناس ينتظر فراغها من الطواف ، فكتب بذلك لعبد الملك ، فعزله .

وناحت عائشة بنت طلحة على زوجها عمر قائمة ، فقيل لها : لم تفعلى ذلك بأحد من أزواجك؟ فقالت : فعلته لثلاث خلال : كان أقربهم بى رحماً ، وكان سيّد بنى تيم ، وعزمت ألّا أتزوّج بعده .

ولعائشة هذه أخبار دقيقة تشتمل على معان رقيقة ، مع عمر بن أبى ربيعة المخزومى الشاعر ، فأتى منها طرفاً عند ذكر عمر المذكور ، إن شاء الله تعالى .

وقُتلَ يوم الجمل الزّبير ، رحمه الله .

ذكر الزّبير وأخباره ومقتله

(٢٦٦) الزّبير يكنى أبا عبد الله بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى ابن قصىّ ، يلتى رسول الله ﷺ فى قصىّ بن كلاب ، وأمّه صفيّة بنت عبد المطّلب ، عمّة النبىّ ﷺ وهو حوارىّ[1] رسول الله ﷺ .

---

(١) الحوارى : الناصر والخليل ، والكلمة مأخوذة مما روى عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الزبير ابن عمتى ، وحوارىّ من أمتى، أورده أحمد بن حنبل فى المسند ، راجع : محمد ناصر الدين الألبانى : صحيح الجامع الصغير ، طبع بيروت ١٣٩٩ ، ١٩٧٩ ، ٣ : ١٩٥

وكان الزّبير رابع الإسلام ، أو خامسه ، أسلم رابعاً أو خامساً ، دخل على رسول الله ﷺ فقال : بأبى أنت وأمّى ، إلى ماذا تدعو ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلّا الله ، وأنّى رسول الله ، قال : فإنّى أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّك رسول الله ، صلّى الله عليك . ثم قال : يا رسول الله ، إن شئت لنباديهم بالإسلام ولا نستسرّ به ، فإنّا على حقّ وهم على باطل ، فقال عليه السلام : إنّا لم نؤمر بالقتال بعد .

قال[1] : وشهد الزبير بدراً وهو ابن تسع عشرة سنة ، وقيل : ابن ستّ عشرة سنة ، ولم يتخلّف عن غزاة غزاها رسول الله ﷺ ، وكانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء ، قد اعتجر بها ، وكانت يومئذ على الملائكة عمائم صفر ، فقال رسول الله ﷺ : « نزلت الملائكة اليوم على سيما الزبير ، وهو أسد الله وأسد رسوله » .

رخّص رسول الله ﷺ للزبير فى قميص حرير .

قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : « من يأتينى بخبر القوم » ؟ قال الزبير : أنا ، فقال ﷺ : « إنّ لكلّ نبىّ حواريًّا ، وإن حواريى الزبير .

ولما قتل عمر بن الخطّاب رضى الله عنه محا الزبير نفسه من الديوان .

وفداه رسول الله ﷺ يوم الأحزاب بأبويه[2] .

---

(١) رابع : ربع . (١٤) حواريا : حوارى || حواريى : حوارى

---

(١) انظر الاستيعاب ، ١ : ٥٨٢

(٢) فى الاستيعاب : يوم أحد ويوم قريظة ، وعبارة الاستيعاب : وثبت عن الزبير أنه قال : جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه مرتين ، يوم أحد ويوم قريظة ، فقال : « ارم ، فداك أبى وأمى »

قال عبد الله بن الزبير : لمّا كان يوم الجمل دعانى أبى الزبير ، فقال : يا بنيّ ، إنّه لايقتل اليوم إلّا ظالم أو مظلوم ، وإنّى لا أرانى إلّا سأقتل مظلوماً ، وإنّ أكبر همّى دينى ، وما أرى ديننا (٢٦٧) يبقى من أموالنا شيئاً ، ثم يا بنيّ بع مالى ، واقض دينى ، فإن فضل بعد قضائه شىء فثلثه لولدك ، وإن عجزت عن شىء من دينى ، فاستعن بمولاى ، قلت : ومن مولاك يا أبه ؟ قال : الله تبارك وتعالى ، قال عبد الله : فما وقعت من دينه فى كربة إلّا قلت : يا مولاى ، اقض عنه ، فيقضيه الله سبحانه وتعالى .

ولم يدع الزبير إلّا أرضين ، منها الغابة[1] ، وإحدى عشرة داراً بالمدينة ، وداراً بالكوفة ، وداراً بمصر ، ودارين بالبصرة ، ولم يتولّ الزبير إمارة قطّ ، ولا جباية ، ولا خراجاً ، إلا أن يكون فى غزوة مع رسول الله ﷺ ، أو مع أبى بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم .

قال عبد الله : فحسبت ما عليه من الدين ، فبلغ ألفى ألف ومائتى ألف درهم ، وإنّما كان الرجل يستودعه المال ، فيقول الزبير : هو سلف علىّ ، إنّى أخشى عليه الضيعة ، قال عبد الله : فلقينى حكيم بن حزام ، فقال : يا ابن أخى ، كم على أخى من الدين ؟ قلت : مائة ألف ، قال : والله ما أرى أموالكم تتّسع لهذا ، قلت : أرأيت إن كان ألفى ألف ومائتى ألف ؟ قال : ما أراكم تطيقونها ، فإن عجزتم عن ذلك فاستعينوا بى .

وكان الزبير اشترى الغابة بمائة ألف وسبعين ألفاً ، فبيعت بألف ألف وستّمائة

---

(٥) يا أبه : يابه

---

(١) الغابة : أرض خصبة من عوالى المدينة المنورة

ألف . ثم قلت : من كان له على الزبير دين فليأتنا [بالغابة][1] ، قال : فأتانى عبد الله بن جعفر ، وكان له عليه مائة ألف ، فقال : إن شئتم تركتها لكم ، فقلت : لا ، قال : فإن شئتم جعلتموها مما يؤخر إن أخرتم شيئاً ، قلت: لا ، قال: فاقطعوا لى قطعة ! فقلت: لك من ها هنا إلى ها هنا ، فباع منه بدينه، وبقيت منه أربعة أسهم ، فبعناها بأربع مائة ألف وخمسين ألفاً . ٣

قال : فلما قضيت دينه أتانى ولد الزبير (٢٦٨) وكانوا تسعة ذكور ، وذلك أنه لما ولد الزبير ولده عبد الله ، وهو أكبر ولده ، قال: إنى رأيت طلحة سمى ولده بأسماء الأنبياء ، وإنما أسمى ابنى بأسماء الشهداء ، فسماه عبد الله ، باسم عبد الله ابن جحش[2] ، فلعله يستشهد ، وسمى ولده الآخر المنذر ، باسم المنذر بن عمرو ابن [خنيس][3] ، وسمى الآخر عروة ، باسم عروة بن مسعود الثقفى[4] ، وسمى الآخر حمزة ، باسم حمزة بن عبد المطلب[5] ، وسمى الآخر جعفر ، باسم جعفر ابن أبى طالب[6] ، وسمى الآخر مصعباً ، باسم مصعب بن عمير[7] الليثى ، وسمى الآخر عبيدة بن الحارث[8] ، وسمى الآخر خالداً ، باسم خالد بن سعيد[9] ، وسمى ٦ ٩ ١٢

(٣) شيئا : شىء (٦) تسعة : تسع

(١) إضافة من صحيح البخارى

(٢) استشهد عبد الله بن جحش رضى الله عنه يوم أحد

(٣) كذا فى الإصابة ، ٣ : ٤٦٠ ، وفى الأصل : حنيش . وهو تصحيف ، وقد استشهد المنذر رضى الله عنه يوم بئر معونة

(٤) عروة بن مسعود الثقفى : قتله قومه عقب عودته من المدينة إلى الطائف ، بعد أن أسلم على يد النبى صلى الله عليه وسلم (٥) استشهد حمزة رضى الله عنه كما هو معروف ، يوم أحد

(٦) استشهد جعفر رضى الله عنه يوم مؤتة

(٧) استشهد مصعب رضى الله عنه يوم أحد

(٨) استشهد عبيدة رضى الله عنه يوم بدر

(٩) استشهد خالد رضى الله عنه — يوم مرج الصفر فى قول ، ويوم أجنادين فى قول آخر ، راجع الإصابة ، ١ : ٤٠٦ — ٤٠٧

الآخر عمراً ، باسم عمرو بن سعيد بن العاص ، قتل يوم اليرموك .

قال عبد الله بن الزبير : فأتونى وقالوا : اقسم ميراثنا ! فقلت: لا والله حتى

٣ أنادى بالموسم أربع سنين : ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا نقضه ، فنادى المنادى أربع سنين ، ثم قسمت ميراثه ، وكان للزبير أربع نسوة ، فصار لكل امرأة منهن من ثمن عقاراته ألف ألف ومائة ألف وكان ثمن ماله أربعة ألف ألف

٦ وأربع مائة ألف، وكان الثلثان الذى اقتسمه الورثة خمسة وثلاثين ألف ألف درهم ومائتى ألف درهم ، هـذا القول ساقه صاحب كتاب التذكرة الحمدونية[1] فى تذكرته ، وعليه العهدة فى ذلك .

٩ وأقطع رسول الله ﷺ الزبير أرضاً من أراضى بنى النضير، ذات نخل وشجر ، وأقطعه أبو بكر رضى الله عنه ما بين الجرف إلى قباء ، وأقطعه عمر العقيق[2] ، وكان قد أقطعه رسول الله ﷺ حضر[3] فرسه ، فركض الزبير حتى أعيا، ثم رمى

١٢ السوط ، فأقطعه ذلك .

قالت أسماء ابنة أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه : لقد تزوّجنى الزبير وما له فى الأرض مال ، ولا مملوك ، ولا له شيء يملك، إلّا (٢٦٩) فرسه ، وكنت أعلفه

١٥ وأكفيه مئونته ، وأسوسه ، وأدقّ النوى [لناضحه][4] ، وأعلفه وأستقى الماء ، وأخرز غربه ، تعنى دلوه ، وما كنت أحسن الخبز ، فيخبزن لى جاراتى ، قالت

(٣) نقضه : نقضيه (١٠) قباء : قباه (١٥) مئونته : مؤونته

(١) رواه البخارى فى صحيحه عن هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن أخيه عبد الله بن الزبير ، فى باب بركة الغازى فى ماله حيا وميتا »

(٢) الجرف ، وقباء ، والعقيق ، مواضع بأرض المدينة

(٣) الحضر : ارتفاع الفرس فى عدوه ، لسان العرب

(٤) لناضحه : النضح مارق ، لسان العرب ، ويبدو أن المعنى هنا أنها كانت تدق النوى حتى يرق ويصير ناعما ، وفى الأصل : لناصحه ، وهو تصحيف

أسماء : وكنت أحمل النوى على رأسي من المدينة، فلقيت رسول الله ﷺ يوماً، والنوى على رأسي، ومعه ﷺ نفر من أصحابه، فدعانى ، ثم قال: « أخ أخ » ، ليحملنى ، فاستحييت من الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته ، وكان الزبير أغير الناس ، فعرف ﷺ أنى استحييته ، فتركنى ومضى ، وذكرت ذلك للزبير ، فقال : أعلى رسول الله ﷺ أغار ؟ والله لحملك النوى أشد على من ركوبك خلفه ، ثم أنفذ لى أبو بكر بعد ذلك خادماً ، فكفانى مئونة سياسة الفرس ، وكأنما أعتقنى .

قال قتادة : كنت مع الزبير يوم الجمل ، فجاءه فارس فسلّم عليه ، وقال : أيّها الأمير ، وكانوا لا يسلّمون عليه إلّا بالإمرة ، إنّ القوم قد أتوا موضع كذا ، فنظرت إليهم، فلم أر قوماً أرثّ سلاحاً ، ولا أقلّ عدداً، ولا أرعب قلوباً منهم، ثم جاءه فارس آخر، فقال: أيّها الأمير، إنّ القوم قد وصلوا مكان كذا ، فسمعوا بما جمع الله سبحانه لك[1] من العدّة والعدد ، فقذف الله فى قلوبهم الرعب ، فولّوا مدبرين ، فقال الزبير : إيها عنك ، فوالله لو لم يجد ابن أبى طالب إلّا العرفج[2] لدبّ إلينا فيه، ثم جاء آخر ، وقد كادت الخيل تخرج من الرهج، فقال: أيّها الأمير ، هؤلاء القوم والله قد أتوك وفيهم عمّار بن ياسر ، فقال الزبير: والله؟ ما جعله الله فيهم ! فقيل : بلى ، قد جعله الله فيهم ، (٢٧٠) فبعث الزبير رجلًا من ثقاته ينظر إن كان عمّار فيهم ، فأتاه فقال : قد صدقك من أخبرك ، فقال الزبير:

---

(٢) نفر : نفرا (٦) خادما : خادم || فكفانى : فكفانى || مئونة : مؤونة

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى ، ٦ : ٢٠٥ : لكم
(٢) العرفج : نبات

وَاقْطَعْ ظهراه ، ثم أخذه أفْكَل[1] حتى انتفض السلاح عليه ، فقال الناس: أهذا الذى نقاتل معه ؟ أليس هذا فارس رسول الله ﷺ ؟ فلمّا تشاغل الناس انصرف فجلس على دابّته عائداً ، ثم جاء فارسان إلى الأحنف بن قيس فأكبّا عليه ، فقال الأحنف : يا عمرو بن جرموز يا فلان ، فأتياه فناجياه ، ثم انصرفا ، ثم أتى عمرو ابن جرموز ، فقال : لقيته بوادى السباع فقتلته ، وكان قرة بن شريك يقول : والذى نفسى بيده، إنْ صاحب الزبير إلّا الأحنف .

ويقال إنّ عليًّا عليه السلام دعا الزبير أن يبرز إليه وهو آمن حتى يكلّمه ، ففعل ، واجتمعا حتى التقت أعناق خيلهما ، فقال : يا زبير أنشدك الله ، الذى لا إله إلّا هو ، أخرج نبى الله ﷺ يمشى، وخرجت معه أنا وأنت، فقال: « يا زبير ليقاتلنّه ظالمًا » ، وضرب كتفك ، فقال الزبير : اللّهم نعم ! قال: أفجئت تقاتلنى؟ فرجع عن قتاله، وسار عن البصرة راجعًا ليله ، فنزل بماء لبنى مجاشع ، فلحقه رجل من بنى تميم يقال له ابن جرموز ، فقتله ،وجاء بسيفه إلى على كرّم الله وجهه، فقال علىّ : « بشّر قاتل ابن صفيّة بالنّار » ، أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك .

وأتى ابن جرموز برأسه إلى علىّ ، فدفنه مع بدنه بوادى السباع .

وقال علىّ : إنّى لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ، من الذين قال الله

---

(١) انتفض : انتفط (٨) التقت : التقتا (١٣) ابن صفية : بن صفية
(١٥) ابن جرموز : بن حرموز (١٦) لأرجو : لارجوا

---

(١) الأفكل: على أفعل: الرعدة تعلو الإنسان ، ولا فعل له، لسان العرب، وفى الأصل: إفكل بكسر الهمزة

سبحانه فى حقّهم : « ونزعنا ما فى صدورهم من غلّ إخوانا على سرر متقابلين »[1] .

ويقال : إنّ الأحنف هو الذى طعنه ، وكان لمّا حمل على الأحنف قال ٣
الأحنف : اللهَ اللهَ يا زبير (٢٧١) فأمسك الزبير عنه ، فحمل ابن جرموز ورجل
آخر معه على الزبير ، فقال الزبير : قاتلك الله ، تذكّرنا بالله وتنساه . فقاتلاه حتى
قتلاه ، واحتزا رأسه ، وأخذ ابن جرموز سيفه ، وأتى عليًّا عليه السّلام فلمّا رآه ٦
علىّ قال : سيف طالما جلّى به الكرب عن رسول الله ﷺ ، ولكنّه الحين
ومصارع السوء .

قال جرير للفرزدق : ٩

قتل الزبير وأنتمُ جيرانه غيّا لمن قتل الزّبير طويلا

ويقال : إنّ الزبير لمّا انصرف لقيه رجل من بنى مجاشع ، فقال : يا زبير
أنت فى جوارى ، فقال الأحنف : يا عجبًا للزبير ! ألّب بين النّاس ثم نجا بنفسه ، ١٢
فسمعه ابن جرموز ، فتبعه حتى قتله .

وكان الأحنف قد أتى طلحة والزبير ، فدعواه إلى بيعتهما ، والطلب بدم
عثمان ، ومخالفة علىّ ، فقال لهما : أمرتمانى ببيعته ، ثم تأمرانى بقتاله ، فقالا : ١٥
أفّ لك ، إنّما أنت فريسة آكل ، وتابع غالب .

وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، امرأة الزبير ترثيه :

---

(٤) ابن جرموز : بن حرموز (٦) وأتى : واتا || عليا : على
(١٢) ألب : الب (١٥) تأمرانى : تأمرانى

---

(١) سورة الحجر ٤٧

غدر ابن جرموزٍ بفارس بُهمة يوم اللّقاء وكان غير معرّدِ[١]
يا عمرو لو نبّهته لوجدته لا طائشاً رعش البنان ولا اليدِ
٣ شَلّت يمينك إنْ قتلتَ لمسلما حلّت عليك عقوبة المتعمّدِ
ثكلتك أمّك هل ظفرت بمثله فيمن مضىٰ[ممن][٢] يروح ويغتدى
كم غمرة قد خاضها لم يثنه عنها طرادك يابن فقع [القردد][٣]

٦ وعاتكة هذه هى التى كان أهل المدينة يقولون : من أراد الشهادة فليتزوّج عاتكة ، كانت زوجة لعبد الله بن أبى بكر ، ثم زوجة عمر بن الخطّاب ، ثم زوجة الزّبير .

٩ وغزا الزبير مصر ، فصعد السور وحده (٢٧٢) وقاتل عليه ، وكان فتحها بصعوده .

والزبير أحد من شهد له النبى ﷺ بالجنّة ، وقتل رضى الله عنه وهو ابن ١٢ ستّين سنة .

وقال عمرو بن جرموز فى قتله للزبير :

أتيت عليًا برأس الزّبيـ ـر أرجو لديه به الزلفة
١٥ فبشّر بالنّار إذ جئته فبئس بشارة ذى التحفة
وسيّان عندى قتل الزّبير وضَرْطَةُ عَير بذى الُجحْفَة

(٩) غزا : غزى (١٤) أرجو : ارجوا (١٥) إذ : إذا
(١٦) عير : غير

(١) البهمة: الجيش، والمعرد : الهارب
(٢) كذا فى الاستيعاب ، ٤ : ٣٦٦، وفى الأصل : فيمن
(٣) فقع القردد ، كذا فى الاستيعاب ، وفى الأصل : فقع الفرقد ، وهو تصحيف ، والقردد الأرض المرتفعة إلى جنب وهدة ، والفقع : نوع من الكمأة ، يشبهون بهذا الفقع الرجل الذليل لأن الدواب تدوسه بأقدامها

ويقال : إنّ الزبير أوّل من سلّ سيفاً في الله عزّ وجلّ ، وذلك أنّه نفخت نفخة من الشيطان : أخذ رسول الله ﷺ ، فأقبل الزبير سوق الناس بسيفه ، وكان عليه السّلام قد ذهب إلى أعلى مكّة ، فرآه رسول الله ﷺ فقال : « ما لك يا زبير » ، فقال : أخبرت أنك أخذت ، فصلّى عليه رسول الله ﷺ ، ودعا له ولسيفه .

وقال جرير يعي على بني مجاشع قتل الزّبير :

قالت قريش ما أذلّ مجاشعاً   داراً وأكرم ذا القتيل قتيلا

لو كنت حرّاً يا بن قين مجاشع   شيعت ضيفك فرسخاً أو ميلا

أفبعد قتلكم خليل محمّد   ترجو القيون مع الرّسول سبيلا

وقيل : إنّ هذه الأبيات أيضاً من قوله :

إنى تذكّرني الزبير حمامة   تدعو ببطن الواديين هديلا[1]

قال محمّد بن جرير الطبري في تاريخه[2] : ولمّا استقر عليّ بالبصرة بعث عبد الله بن عبّاس إلى عائشة رضي الله عنها ، يأمرها بالخروج إلى المدينة ، فدخل عليها ابن عبّاس ، بغير إذنها ، واجتذب وسادة فجلس عليها ، فقالت له : يا بن عبّاس ، أخطأت السنّة المأمور بها ، (٢٧٣) دخلت علينا بغير إذننا ، وجلست على رحلنا بغير أمرنا ، فقال لها : لو كنتِ في البيت الذي خلّفك فيه رسول الله ﷺ لما كنّا دخلناه إلّا بأمرك ، ولا جلسنا على رحلك إلّا بإذنك ، إنّ أمير المؤمنين

(٣) أعلى : اعلا   (٩) ترجو : ترجوا   (١١) تدعو : تدعوا
(١٦) كنت : كنتي

(١) راجع ديوان جرير ، ٤٥٤
(٢) لم ترد هذه الرواية في تاريخ الطبري ، راجع الطبري ٥ : ٢٢٢ ـ ٢٢٦ ، وإنما وردت بنصها مع اختلاف يسير في مروج الذهب ، ٢ : ٣٦٨ ـ ٣٦٩

يأمرك بسرعة الأوبة ، والتأهب للخروج إلى المدينة ، قالت : أبيت ما قلت وخالفت ما وصفت ، قال : فمضى فأعاد ذلك على علىّ عليه السّلام ، فردّه إليها ، وقال : قل لها إن أنت أبيت تعلمين[1] ، فلمّا أخبرها أنعمت ، وأجابت إلى الخروج .

قال : وأتاها علىّ عليه السّلام فى اليوم الثانى ، وبصحبته الحسن والحسين ، صلوات الله عليهما، مع بقيّة أولاده وأولادِ إخوته ، وفتيان من بنى هاشم وغيرهم من شيعته، فلمّا أبصرته النساء صحن فى وجهه ، وقلن له: يا قاتل الأحبّة ! فقال: لو كنت قاتل الأحبّة لقتلت من فى هذا البيت، وأشار إلى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروانُ بن الحكم ، وعبد الله بن عامر ، وعبد الله بن الزبير وغيرهم، فضرب من معه بأيديهم إلى قوائم سيوفهم لما علموا بمن فى البيوت مخافة أن يخرجوا عليه فيقتلوه .

فقالت له عائشة ، بعد كلام كثير جدًّا بينهما، أضربت عنه: أحبّ أن أقيم معكم ، فأسير إلى قتال عدوّك عند مسيرك ، فقال لها : بل ترجعى إلى البيت الذى أمرك بلزومه رسول الله ﷺ ، فسألته أن يؤمّن عبد الله بن الزّبير[2] ، قال : قد أمّنته ، ثم أمّن الوليد بن عقبة ، وجميع ولد عثمان ، وغيرهم من بنى أميّة ، ثم أمّن الناس جميعاً ، وقد كان نادى يوم الوقعة : من ألقى سلاحه فهو آمن ، [ومن دخل داره فهو آمن][3] .

---

(٣) قل : قول

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى مروج الذهب : إن أمير المؤمنين يعزم عليك أن ترجعى

(٢) فى مروج الذهب : فسألته أن يؤمن ابن أختها عبد الله بن الزبير

(٣) زيادة من مروج الذهب

قال الطبرى : وخرجت عائشة من البصرة يوم السبت لعشر من رجب[1] ، سنة ستّ وثلاثين هجريّة ، وشيّعها علىّ بنفسه أميالاً .

(٢٧٤) قال الطبرى[2] : ولما فرغ علىّ عليه السّلام من بيعة أهل البصرة أمّر عليها عبد الله بن عبّاس ، ثم سار إلى الكوفة ، فدخلها لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب ، ودخل إلى بيت المال فى جماعة من المهاجرين والأنصار ، فنظر إلى مافيه من العين والورق ، فجعل يقول : يا صفراء غرّى غيرى ، يا بيضاء غرّى غيرى ، وأدام النظر إلى المال مفكّراً ، ثم قال : إقسموه بين أصحابى ، ومن معى ، خمس مائة خمس مائة ، ففعلوا فما نقص درهم ولا زاد درهم ، وكان عدد من قسم عليهم اثنى عشر ألفاً .

وكان قد بعث إلى مصر قيس بن سعد أميراً ، حسبما ذكرنا .

قال الطبرى[3] : وكان معاوية وعمرو بن العاص رضى الله عنهما جاهدين على إخراج قيس بن سعد من مصر ، ليغلبا عليها ، وكان قيس شديد النكاية ، حسن التدبير ، صاحب دهاء ، ومكايدة للأعداء ، فلم يقدرا عليه بحيلة من الحيل ، حتى كاد معاوية قيساً من جهة علىّ عليه السّلام .

وذلك أنّ معاوية كان يجد رجالاً من ذوى الرأى من قريش ، فيقول : ما ابتدعت مكايدة قطّ كانت أعجب عندى من مكايدة كدت بها قيس بن سعد من قبل علىّ بن أبى طالب ، وذلك أنّى كنت أقول لأهل الشّام : لاتسبّوا قيساً ،

---

(٤) بقيت : بقت

---

(١) فى الطبرى أن عائشة ــ رضى الله عنها ــ خرجت يوم السبت لغرة رجب ، ٥ : ٢٢٥
(٢) لم ترد هذه الرواية فى الطبرى ، وإنما وردت فى مروج الذهب ، ٢ : ٣٧١
(٣) راجع الطبرى ٥ : ٢٢٩ ــ ٢٣٠

فإنّه لنا شيعة ، وقد أتتنا كتبه بذلك ، ونصحه لنا ، ألا ترون إلى ما يفعله
بإخوانكم الذين عنده من أهل خِرِبتا[1] ، يجرى عليهم عطاياهم وأرزاقهم، ويحسن
٣ إلى كلّ راكب قدم عليه منكم ، فلا تستفكرونه[2] فى شىء .

وكتبت بذلك إلى شيعتى والنواب بالشام، قال: فبلغ ذلك جواسيس علىّ،
فأبلغوه عليًّا ، ونماه إليه محمّد بن أبى بكر ، وعبد الله بن جعفر ، فاتّهم قيسًا ،
٦ وكتب إليه علىّ عليه السّلام يأمره بقتال أهل خربتا ، وهم يومئذ نحو من عشرة
آلاف، فأبى قيس أن يقاتلهم، وكتب إلى علىّ عليه السّلام أنّهم (٢٧٥) وجوه
أهل مصر وأشرافهم،وقد رضوا منّي أن أؤمّن سربهم ،وأن أجرى عليهم عطاياهم،
٩ وأدرّ عليهم أرزاقهم،وقد علمت أنّ هواهم مع معاوية، فلست مكايدهم بأمر أهون
علىّ وعليك من الذى أفعل بهم ، فذرنى ، فأنا أعلم بما [أدارى][3] منهم .

فأبى عليه إلّا قتالهم ، وأبى قيس أن يقاتلهم ، ثم كتب قيس إلى علىّ رضى
١٢ الله عنه يقول : إن كنت قد اتّهمتنى فأرسل إلى عملك غيرى ! فبعث علىّ عليه
السّلام محمّد بن أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه أميرًا إلى مصر[4] ، فلمّا قدم على
قيس تلقاه وأنزله وخلا به ، وقال : ليس عزلكم إيّاى بمانعى أن أنصح لكم ،

(٧و١١) فأبى فابا

---

(١) خربتا : بلد بنواحى محافظة البحيرة بمصر
(٢) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : فلا يستنكرونه ، وهو الأصوب لغويا
(٣) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : ادرى ، وهو تصحيف
(٤) يشير الطبرى ، ٥ : ٢٣٠ إلى اختلاف الرواة حول الشخصية التى تحل محل قيس بن سعد على ولاية مصر ، فالإمام الزهرى يرى أن عليا أرسل الأشتر أميرًا على مصر ، بدلا من قيس ابن سعد ، بينما يرى غيره أن عليا رضى الله عنه أرسل محمد بن أبى بكر ، فلما قتل أرسل الأشتر بعده

وأنا من أمركم هذا على بصيرة ، وإنّى أدلّك على الذى كنت أكايد به معاوية وعمراً وأهل خربتا ، فكايدهم أنت كذلك ، ولا يحدث عليك أمر تخشاه إ
وأظهره على ما كان يعتمده . ٣

فأغشّه محمّد بن أبي بكر إلى معاوية كتاباً يقول فيه ما رواه المسعودى[1] :
من محمّد بن أبي بكر إلى الغاوى معاوية بن صخر ، أمّا بعد ، فإنّ الله تعالى
بعظمته وسلطانه خلق خلقه من غير عىٍّ منه[2]، ولا ضعف فى قوّته ، خلقهم عبيداً ، ٦
وجعل منهم غويّا ورشيداً ، وشقيّا وسعيداً ، اختار على علمه واصطفى ،
واستحبّ[3] منهم محمّداً المصطفى ﷺ فانتخبه[4] بعلمه ، واصطفاه برسالته ،
وأمنه على وحيه ، وجعله رسولاً ومبشّراً ونذيراً ، فكان أوّل من أجاب ، ٩
وآمن وأناب ، وصدّق وأسلم وسلّم ، أخوه وابن عمّه علىّ بن أبي طالب ، صدّقه
بالغيب المكتوم ، [وآثره][5] على كلّ حميم ، ووقاه بنفسه كلّ هول ، وحارب
حربه ، وسالم سلمه ، فلم يزل مبتذلاً لنفسه فى ساعات الليل والنهار ، والخوف ١٢
(٢٧٦) والجوع والخضوع ، حتى برز سابقاً لا نظير له فيمن اتّبعه ، ولا مقارباً له
فى فعله .

وقد رأيتك تساميه ، وأنت أنت ، وهو هو : أصدق النّاس نيّة ، وأحسنهم ١٥
سرّاً وعلانية ، وأفضلهم قربة ، وخيرهم زوجة وولداً ، أخوه وابن عمّه ، ووارث

---

(٧) واصطفى : واصطفا

---

(١) مروج الذهب ، ٣ : ١١ وما بعدها
(٢) كذا فى الأصل ، وفى مروج الذهب : خلق خلقه بلا عبث منه
(٣) كذا فى الأصل ، وفى مروج الذهب : وانتخب
(٤) كذا فى مروج الذهب ، وفى الأصل : فامتحنه
(٥) آثره : كذا فى مروج الذهب ، وفى الأصل : ابره

عليه ، عمّه سيد الشهداء يوم أُحُد ، وأبوه الذابّ عن رسول الله ﷺ ،
وأنت اللعين ابن اللعين ، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله ﷺ الغوائل ،
٣ وتجتهدان في إطفاء نور الله ، تجمعان على ذلك الجموع ، وتبذلان فيه المال ،
وتؤلّبان عليه القبائل ، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون ، على ذلك مات
أبوك ، وعليه خلفته ، والشهيد عليك من تدني ، ويلجأ إليك من تعتدّه للنفاق
٦ ورءوس الأحزاب، والشاهد لعليّ فضله القديم المبين أنصار الله ورسوله الذين معه،
أكرمهم الله بفضله ، وأثنى عليهم في كتابه من المهاجرين والأنصار ، فهم معه
كتائب وعصائب ، يرون الحقّ في اتّباعه .

٩ فكيف يا لك الويل تعدل نفسك بعليّ ، وهو وارث رسول الله ، ووصيّه ،
وأبو ولده ، أوّل الناس له اتّباعاً ، وأقربهم به عهداً ، يخبره بسرّه ، ويطلعه
على أمره ، وأنت عدوّه وابن عدوّه ، فتمتّع في دنياك ما استطعت بباطلك .
١٢ وليمددك ابن العاص في غوايتك ، فكأنّ أجلك قد انقضى ، وكيدك قد وهى ،
ثم يتبيّن لك أنّ العاقبة لعليّ المرتضى ، واعلم أنّك تكايد ربّك الذي
قد أمنت مكره ، فهو لك بالمرصاد ، وأنت منه في غرور ، والسلام على من اتّبع
١٥ الهدى .

فكتب معاوية رضي الله عنه جوابه يقول: من معاوية إلى الزاري على أبيه
محمّد بن أبي بكر ، أمّا بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله [أهله][1] في
١٨ قدرته وعظمته وسلطانه ، وما اصطفى به رسوله (٢٧٧) ﷺ ، مع كلام فيه لك

---

(٢) ابن : بن (٣) وتجتهدان : وتجهدا

---

(١) إضافة من مروج الذهب

تضعيف ، ولأبيك فيه تعنيف ، وذكرت فضل ابن أبى طالب ، وقديم سوابقه ، وقرابته من رسول الله ﷺ ومواساته إيّاه فى كلّ هول وخوف ، فكان احتجاجك علىّ ، وعيبك لى ، بفضل غيرك لا بفضلك ، فأحمده ربًّا صرف هذا الفضل عنك ، وجعله لغيرك ، فقد كنّا وأبوك معنا[1] نعرف فضل ابن أبى طالب ، فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده ، وأتمّ له ما وعده ، وأظهر دعوته ، وأبلغ حجّته ، وقبضه الله إليه صلوات الله عليه كان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه حقّه ، وخالفه على أمره ، على ذلك اتّفقا واتّسقا ، ثم إنّهما دعواه إلى بيعتهما ، فأبطأ عنهما ، فهمّا به الهموم ، وأرادا به العظيم ، ثم إنّه بايعهما وسلّم لهما ، فأقاما لا يشركانه فى أمرهما ، ولا يطلعانه على سرّهما ، حتى قبضهما الله إليه .

ثم قام ثالثهما عثمان ، فهدى بهديهما ، وسار بسيرهما ، فعبته أنت وصاحبك ، حتى طمع فيه الأقاصى ، من أهل المعاصى ، فطلبتما له الغوائل ، وأظهرتما عداوتكما حتّى بلغتما فيه مناكما ، فخذ حذرك يا ابن أبى قحافة[2] ، وقس شبرك بفترك ، يقصر عن أن توازى الجبال حلمه ، لا تلين على قسر قناته ، ولا يدرك ذو مقال [أناته][3] ، أبوك مهّد مهاده ، [وبنى][4] للملكه وساده ، فإن يك ما نحن فيه صوابًا ، فأبوك أسّسه[5] ، ونحن شركاؤه فيه ، ولولا فعل ذلك أبوك [من قبل ،

(١٠) فهدى : فهدا

(١) كذا فى الأصل ، وفى مروج الذهب : وأبوك فينا
(٢) كذا فى الأصل ، وفى مروج الذهب : يا ابن أبى بكر
(٣) كذا فى مروج الذهب ، وفى الأصل : اياته
(٤) كذا فى مروج الذهب ، وفى الأصل : وثنى
(٥) كذا فى الأصل ، وفى مروج الذهب : فأبوك استبد به

ما خالفنا ابن أبى طالب ، ولسلّمنا إليه ، ولـكنّا رأينا أباك][1] فعل ذلك به من قبلنا ، فأخذنا بمثله ، فعقّ أباك ما بدا لك ، والسلام .

٣ قال المسعودى[2] : وخرج قيس بن سعد من مصر لمّا عزل حتى أتى المدينة ، فأخافه مروان بن الحـكم ، والأسود ، وجاءه حسّان بن ثابت ، وكان حسّان عثمانيًّا وقال له : نزعك ابن أبى طالب وقد قتلت عثمان ؟ فبقى عليك (٢٧٨) الإثم ، ولم

٦ يوف إليك بالشّـكر ، فقال له قيس : والله يا أعمى القلب والبصيرة ، لولا أنّ الذى منّى وبين رهطك ، وأجنى بذلك بين قومى وقومك حربًا ، لعلوت رأسك بهذا السيف فى ساعتى هذه ، انزع عنّى ، نزعك الله عافيتك ، ثم إنّ قيسًا خرج ، هو

٩ وسهل بن حنيف ، حتى قدما على علىّ عليه السّلام الـكوفة ، فخبّره قيس بن سعد الخبر ، فصدّقه ، وعلم أن الذى أشار عليه بعزله لم ينصحه .

قال : وكتب معاوية إلى مروان والأسود يقول لهما : أمددتما عليًّا بقيس

١٢ ابن سعد ، ورأيه ، ونـكايته فوالله لو أنّـكما أمددتماه بمائة ألف مقاتل ما كان ذلك بأغيظ لى من إخراجكما قيس بن سعد إلى علىّ بن أبى طالب .

قال[3] : وكان جرير بن عبد الله البجلى بهمدان ، عاملًا عليها لعثمان ، فلمّا

١٥ انصرف علىّ رضى الله عنه من البصرة إلى الـكوفة كتب إليه أن يأخذ له البيعة على من قبله ، ويقدم عليه ، ففعل ذلك ، وانصرف إليه معزولًا ، فلمّا أراد علىّ عليه السّلام إنفاذ رسول إلى معاوية ، قال جرير بن عبد الله : ابعثنى إليه ، فأوهيه

١٨ فى واد لا يسعه غير الدخول فى طاعتك .

(٣) أتى : اتا (١١) عليا : على (١٧) رسول : رسولا

(١) سقط فى الأصل ، والتصحيح من مروج الذهب ، ٣ : ١٣

(٢) لم يرد هذا القول فى مروج الذهب

(٣) تماثل هذه الرواية ما جاء فى الطبرى ، ٥ : ٢٣٠ ، لـكن مع اختلاف فى اللفظ دون المعنى

فقال الأشتر النخعى : لاتبعثه ، فوالله إنى لأظنّ هواه مع معاوية، فقال علىّ رضى الله عنه : دعنا حتّى ننظر ما الذى يرجع به إلينا ، ووجّهه إلى معاوية ، يدعوه إلى طاعة علىّ عليه السّلام، وقدم جرير على معاوية، فكلّمه ، فأبطأ جوابه ٣ عليه ، فقال جرير : إنّى رأيتك توقّفت بين الحقّ والباطل وقوف رجل ينتظر رأى غيره ، وكذلك فعل معاوية ، فإنّه انتظر شرحبيل بن السمط[1] الكندى، فلمّا قال جرير لمعاوية ما قال ، قال معاوية لشرحبيل : هذا جرير يدعو إلى بيعة ٦ علىّ، فقال شرحبيل: إنما أنت عامل لأمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه وابن عمّه (٢٧٩) وأنت أولى الناس بدمه .

فلمّا سمع ذلك جرير انصرف إلى علىّ رضى الله عنه ، وأخبره الخبر ، فقال ٩ مالك الأشتر :ياجرير أما أعرف غشّك وغدرك، وكونك بعت دينك لعثمان بولاية همدان ؟ فغضب جرير ، ولم يحضر صفّين . فأتى علىّ كرّم الله وجهه دار جرير فشعّثها ، وأحرق مجلسه ، فقال له أبو زرعة بن عمرو بن جرير: أصلحك الله ، إنّ ١٢ فى الدار أنصباء لغير جرير ، فأمسك علىّ رضى الله عنه .

وقام أبو مسلم الخولانىّ واسمه عبد الرحمن فقال لمعاوية : لِمَ تقاتلُ عليًّا ، وأنت تعلم سابقته وفضله ؟ فقال له معاوية : كفّ ، ليدفع إلينا قتلة عثمان ، ولا ١٥ قتال بيننا وبينه ، فإنّ عثمان قُتل مظلوماً محرماً ، فقال له : اكتب له كتاباً ا

(٦) يدعو : يدعوا

(١) فى الطبرى أن معاوية استشار عمرو بن العاص فيما جاء به جرير من عند على كرم الله وجهه ، ولم يرد فى هذا الخبر عند الطبرى اسم شرحبيل الذى ذكر المصنف

فكتب معاوية لعلىّ رضى الله عنهما يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، من معاوية إلى علىّ، أمّا بعد، فإنّ الله سبحانه وتعالى اصطفى محمّداً بعلمه ووحيه، وجعله ٣ الأمين على وحيه، ثم اجتبى له من المسلمين أعواناً، أيّده بهم، فكانوا فى المنازل عنده على قدر فضائلهم فى الإسلام، فكان أنصحهم لله عز وجل ولرسوله خليفته ثم خليفته، ثم الخليفة الثالث المقتول ظلماً عثمان رضى الله عنه، فكلّهم حسدت، ٦ وعلى كلّهم بغيت، عرفنا ذلك فى نظرك الشزر، وقولك الهجر، وتنفّسك الصعداء وإبطائك عن بيعة الخلفاء، ولم تكن لأحد منهم أشدّ حسداً [منك] لابن عمّتك، وكان أحقّهم ألّا تفعل ذلك به، لقرابته وفضله، فقطعت رحمه، ٩ وقبّحت حسنه، وأظهرت له العداوة، وبطنت له بالغشّ، وألّبت عليه الناس، حتى ضربت إليه آباط الإبل من كلّ وجه، وقيدت إليه الخيل من كل أفق، وشهر عليه السلاح فى حرم رسول الله ﷺ، فقتل معك فى المحلّة، وأنت تسمع ١٢ الهائعة، لاتدرأ عنه بقول ولا عمل (٢٨٠) ولعمرى يا ابن أبى طالب، لو قمت فى أمره مقاماً ينهى الناس عنه، وتقبح لهم ما انتهكوا، ما عدل بك من قبلنا من الناس أحداً، ولمحا ذلك عنهم ما كانوا يعرفون منك من المجانبة له والبغى عليه ١٥ وأخرى أنت بها عند أولياء عثمان ظنين: إيواؤك قتلة عثمان، فهم عضدك ويدك وأنصارك.

وقد بلغنى أنّك تتبرأ من دم عثمان رضى الله عنه، فإن كان كذلك فادفع ١٨ إلينا قتلته لنقتلهم به، ثم نحن أسرع الناس لحاقاً بك، وإلّا فليس بيننا وبينك إلّا السيوف، فوالّذى لا إله غيره لنطلبنّ قتلة عثمان فى الجبال والرمال والبرّ والبحر، حتى نقتلهم أو تلحق أرواحنا بالله عزّ وجلّ.

---

(٩) ألبت: اللبت

ودفعه إلى أبى مسلم الخولانى ، فلمّا وصل إلى علىّ كرّم الله وجهه جمع الناس فى المسجد ، وقرأه عليهم .

٣ وكتب جوابه :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، من أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب ، إلى معاوية ابن أبى سفيان ، أمّا بعد : فإنّ أخا خولان قدم بكتاب منك تذكر فيه محمّداً ﷺ ٦ وما أكرمه الله عزّ وجلّ به من الهدى والوحى ، فالحمد لله الّذى صدقه الوعد ، ومكّن له فى البلاد ، وأظهره على الدين كلّه ، ولو كره المشركون ، وقمع به أهل العداوة والشنآن من قومه ، الذين شنفوا له ، وكذّبوه ، وظاهروا عليه ، وعلى ٩ إخراج أصحابه ، وقلبوا له الأمور ، حتى ظهر أمر الله وهم كارهون ، فكان أشدّ عليه الأدنى فالأدنى من قومه ، إلّا من عصمه الله تعالى .

وذكرت أنّ الله جلّ ثناؤه ، وتباركت أسماؤه اختار له من المؤمنين أعواناً ١٢ أيّده بهم ، فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الإسلام ، فكان أفضلهم خليفته ، ثم خليفته من بعده ، ولعمرى إنّ مكانهما من الإسلام لعظيم ، (٢٨١) وإنّ المصاب بهما لرزء جليل ، وذكرت ابن عفّان كان فى الفضل ثالثاً ، ١٥ فإن يكن عثمان محسناً ، فسيلقى ربًّا شكوراً ، يضاعف له الحسنات ، ويجزى بها ، وإن كان مسيئاً فسيلقى ربًّا غفوراً ، لا يتعاظمه ذنب أن يغفره ، وإنّى لأرجو ، إذا أعطى الله للمؤمنين على قدر أعمالهم أن يكون قسمنا أوفر قسم أهل بيت من ١٨ المسلمين .

وإنّ الله سبحانه بعث محمّداً ﷺ فدعا للإيمان بالله ، والتوحيد له ، فكنّا

---

(١٤) ابن : بن (١٦) لأرجو : لا رجوا

أهل بيت أوّل من آمن وأناب ، فبغى لنا قومنا الغوائل ، وهمّوا بنا الهموم ،
وألحقوا بنا الوشائط ، واضطرّونا إلى شعب ضيّق ، وضعوا علينا فيه المراصد ،
٣ ومنعونا من الطعام والشراب ، وكتبوا بيننا وبينهم كتاباً ، ألّا يؤاكلونا ،
ولا يشاربونا ، ولا يناكحونا ، ولا يكلّمونا ، أو ندفع إليهم نبيّنا ، فيقتلوه
أو يمثّلوا به .

٦ فعزم الله سبحانه لنا على منعه ، والذبّ عنه ، وسائر من أسلم من قريش ،
أخلياء ممّا نحن فيه ، من هو من حليف ممنوع وذى عشيرة لا يبغى عليه كما بغى علينا
فهم من التلف بمكان نجوة وأمن ، فمكثنا بذلك ما شاء الله سبحانه .

٩ ثم أذن الله تعالى لرسوله ﷺ فى الهجرة ، وأمره بقتال المشركين ، فكان
إذا حضرت الناس ودعيت نزال ، قدم أهل بيته ، فوقى بهم أصحابه ، فقتل عبيدة
وحمزة يوم أحد وجعفر يوم مؤتة ، وتعرّض من لو شئت أن أسمّيه لمثل ماتعرّضوا
١٢ له من الشهادة ، ولكن آجالهم حضرت ومنيّتهم أخّرت .

وذكرت إبطائى عن الخلفاء ، وحسدى لهم ، فأمّا الحسد فمعاذ الله أن أكون
أسررته أو أعلنته ، وأما الإبطاء فما أعتذر فى الناس منه ، ولقد أتانى أبوك وقد
١٥ قبض رسول الله ﷺ (٢٨٢) وبايع الناس الصدّيق رضى الله عنه ، فقال أبوك :
أنت أحقّ بهذا الأمر ، ابسط يدك أبايعك ، وعلمت ذلك من قول أبيك ، فكنت
الذى أبيت ذلك مخافة الفرقة ، وقرب عهد الناس بالكفر والجاهليّة ، فإن
١٨ تعرف من حقّى ما كان أبوك يعرفه تصب رشدك ، وإلّا تفعل فسيغنينى الله عزّ
وجلّ عنك .

---

(١١) مؤتة : مرنه

وذكرت عثمان رضى الله عنه ، وتأليبى النّاس عليه ، وإنّ عثمان صنع ما رأيت فركب النّاس منه ما علمت ، وأنا عن ذلك بمعزل ، إلّا أن تتجنّى فتجنّ ما بدا لك .

وذكرت قتلة عثمان بزعمك ، وسألتنى دفعهم إليك ، وما أعرف له قاتلًا بعينه إلّا ضربت أنفه وعينه ، ولا يسعنى دفع من قبلى ممّن اتّهمته وأظننته إليك ، ولئن لم تنزع عن غيّك وشقائك ، لتعرفنّ الذين تزعم أنّهم قتلوه طالبين ، لا يكلفونك طلبهم فى سهل ولا جبل ، والسلام .

ونفذ الكتاب مع أبى مسلم وأبى هريرة ، فكان ذلك بدء صفّين .

ذكر حرب صفّين بين علىّ ومعاوية رضى الله عنهما

قال المسعودى[١] رحمه الله : إنّ معاوية رضى الله عنه طلب عمرو بن العاص ، واستشاره فيما كتبه علىّ عليه السّلام ، فأشار عليه أن يرسل إلى وجوه الشام ، ويلزم عليًّا بدم عثمان ، ففعل ذلك معاوية . وقد كان الشيطان بن بشير[٢] لمّا قدم على معاوية بقميص عثمان الذى قتل فيه رضى الله عنه وهو بدمائه غريقًا ، وأصابع زوجته نائلة بنت الفرافصة ، فوضع معاوية القميص على المنبر ، وكتب إلى سائر وجوه أهل الشام فجمعهم عليه ، وثاب النّاس إليه ، ومكث القميص على المنبر والأصابع معلقة فيه حولًا كاملًا ، وآلى رجال من أهل الشام على أنفسهم ألّا يأتوا النساء ، ولا يمسّهم الماء [للغسل][٣] (٢٨٣) إلّا من أحلام ، ولا يناموا على

(٧) يكلفونك : يكلفوك   (١٤) الفرافصة : القرافصة   (١٦) وآلى : والا

(١) لم يرد هذا القول فى مروج الذهب ، وإنّما ورد فى الطبرى ، ٥ : ٢٣٥

(٢) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : النعمان بن بشير

(٣) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : الماء الغسل

قرش حتى يأخذوا بدم عثمان، ويقتلوا قتلته، أو يقتلوا دون ذلك.

ومن رواية المسعودى[١] : لمّا قدم جرير بن عبد الله عائداً من عند معاوية
٣ إلى علىّ عليه السّلام أخبره أنّ أهل الشام مجتمعون على معاوية وعلى بيعته،
وعلى قتال علىّ، وأنّهم يبكون على عثمان، ويقولون: علىّ قاتله، وآوى قتلته،
وأنّهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه.
٦ فقال الأشتر لعلىّ: قد كنت نهيتك أن تبعث هذا[٢] الأعور، وأخبرتك
عداوته وغشّه، ولو كنت بعثتنى كان خيراً من هذا الذى أقام عنده، حتى لم يدع
باباً نرجو فتحه إلّا أغلقه، ولا باباً نرجو غلقه إلّا فتحه، فقال له جرير:
٩ لو كنت ثمّ لقتلوك، لقد ذكروا أنّك من قتلة عثمان، فقال الأشتر: لو أتيتهم
والله يا جرير لم يعيينى جوابهم، ولكنت حملت معاوية على خطة أعجله فيها
عن الفكر، ولو أطاعنى فيك أمير المؤمنين لحبسك وأشباهك، حتّى يستقيم
١٢ هذا الأمر، قال: فخرج جرير إلى قرقيسياء، وكتب إلى معاوية، فكتب إليه
معاوية يستقدمه، فكان ذلك.

ذكر سبب قدوم عمرو بن العاص على معاوية

١٥ قال الطبرى فى تاريخه[٣]، وغيره من أهل التّاريخ: إنّ معاوية رضى الله عنه
لما استشار قومه وعشيرته فى قتال علىّ كرم الله وجهه، فقال له أخوه عتبة

---

(١) يقتلوا : يقتلون (٥) يقتلوه : يقتلونه
(٨) نرجو : نرجوا || أغلقه : غلقه

---

(١) لم ترد هذه الرواية فى مروج الذهب، إنما جاءت فى الطبرى، ٥ : ٢٣٥ ــ ٢٣٦
(٢) كذا فى الأصل، وفى الطبرى: قد كنت نهيتك أن تبعث جريرا
(٣) أورد الطبرى فى تاريخه، ٥ : ٢٣٣ ــ ٢٣٥ سبب قدوم عمرو بن العاص على معاوية بشكل مغاير تماما لما أورده المصنف هاهنا

ابن أبي سفيان : هـذا أمر لا يتمّ لك إلّا بعمرو بن العاص ، فإنّه فريع زمانه في تدبّر الأمور وإحكامها ، وهو يَخْدَعُ ولا يُخْدَع ، وقلوب أهل الشام مائلة إليه ، فقال معاوية : صدقت ، ولـكنّ ميله إلى عليّ بن أبي طالب أكثر ، ومحبّته له ٣
أثرّ ، وأخشى أنه لا يجيبني إلى ما أريد ، فقال : اخدعه بالأموال ، وولاية مصر ا

فـكتب إليه معاوية يقول : من معاوية بن أبي سفيان (٢٨٤) خليفة عثمان ابن عفّان إمام المسلمين ، وخليفة رسول ربّ العالمين ، ذى النورين ، وصاحب جيش ٦
العسرة ، وبئر رومة ، المعدوم الناصر ، الـكثير الخاذل ، المحصور فى منزله ، المقتول عطشاً وظلماً فى محرابه ، المعذّب بأسياف الفسقة ، إلى عمرو بن العاص ، صاحب رسول الله ﷺ وثقته ، وأمـير عساكره ، المعظّم رأيه ، المجرّب تدبيره ، ٩
أما بعد :

لم يخف عليك احتراق قلوب المؤمنين بما أصيبوا من الفجعة بقتلة عثمان ، وما ارتـكب فيه جاره حسداً وبغياً ، بامتناعه عن نصرته ، وخذلانه إيّاه ، وإشلاء[1] ١٢
الغارة عليه ، حتّى قتلوه فى محرابه ، فيالها من مصيبة عمّت جميع المسلمين ، وفرضت عليهم طلب دمه ممّن قتله ، وأنا أدعوك اليوم إلى الحظّ الأجزل من الثواب ، والنصيب الأوفر من حسن المآب ، بقتال من آوى قتلة عثمان بن عفّان . ١٥

فـكتب إليه عمرو بن العاص يقول : من عمرو بن العاص صاحب رسول الله ﷺ إلى معاوية بن أبى سفيان ، أمّا بعد : فقد وصل كتابك وقرأته وفهمته ، فأمّا ما دعوتنى إليه من خلع ربقة الإسلام من عنقى ، والتهوّر فى الضلالة ١٨
معك ، وإعانتى إيّاك على الباطل ، واختراط السيف فى وجه عليّ رضى الله عنه

(١١) بما : وبما (١٤) ممن : بمن

(١) الإشلاء : الإغراء ، والتسليط لسان العرب

أخي رسول الله ﷺ، ووصيّه، ووارثه، وقاضي دينه، ومنجز وعده، وزوج ابنته سيدة نساء أهل الجنّة، وأمّ السبطين الحسن والحسين، سيّديْ شباب أهل

٣ الجنّة، فكيف لي بذلك؟ وقولك إنّك خليفة فقد صدقت، ولكن تبيّن اليوم عزلك، ببيعة غير من استخلفك، فزالت خلافتك بزوال خلافته، وأمّا ما عظّمتني به ونسبتني إليه من صحبة رسول الله ﷺ، مع جميع ما ذكرت فلا أغترّ بالتزكية

٦ ولا أميل بها عن الله، وأمّا ما نسبت (٢٨٥) أبا الحسن أخا رسول الله ﷺ إليه من الحسد والبغي على عثمان رضي الله عنه وسمّيت الصحابة فسقة، وزعمت أنّه أشلاهم على قتله، فهذا كذب محض، وهو أنّه ليس كذلك.

٩ ويحك يا معاوية، أما علمت أنّ أبا الحسن بذل نفسه بين يدي رسول الله ﷺ وبات على فراشه، وهو صاحب السبق إلى الإسلام، وقد قال فيه رسول الله ﷺ: « هو منّي كهارون من موسى، إلّا أنّه لا نبيّ بعدي »، وقد قال فيه يوم غدير خم:

١٢ « ألا من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه كيف ما دار »، وهو الّذي قال فيه عليه السّلام يوم خيبر: « لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله

١٥ ويحبّه الله ورسوله »، فكان هو، وهو الذي قال فيه يوم الطير: « اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك » فلمّا دخل عليّ قال عليه السلام: « والِ والِ ».

وقد علمت يا معاوية ما أنزل الله تعالى في كتابه العزيز من الآيات المتلوّات

١٨ في فضيلته، التي لم يشرك فيها أحداً غيره وهو قوله تعالى: « يوفون بالنذر

---

(١) أخي : اخو (٢) سيدي : سيدا (١٠) وبات : ومات
(١٢) والِ : والي || عادِ : عادي (١٦) والِ والِ : والي والي
(١٨) احدا : أحد

ويخافون يوماً »[1] الآية ، وقوله تعالى : « إنّما وليّكم الله ورسوله »[2] الآية ، وقوله تعالى : لرسوله : « قل لا أسألكم عليه أجراً »[3] ، وقد قال رسول الله ﷺ : « أما ترضى أن يكون سلمك سلمى ، وحربك حربى ، وتكون أخى وولىّ فى الدنيا والآخرة يا أبا الحسن؟ من أحبّك فقد أحبّنى ، ومن أبغضك فقد أبغضنى ، ومن أحبّك أدخله الله الجنّة ، ومن أبغضك أدخله الله النار » ، وكتابك يا معاوية إنّما يخدع من لا له عقل ولا دين ، والسلام .

وكتب فى آخره يقول :

جهلت ولم تعلم محلّك عندنا ... فأرسلت شيئاً من خطاب ولم تدرِ

(٢٨٦) فثق بالّذى عندى لك اليوم آنفاً ... من الخير والإحسان والجاه والقدرِ

وإن كنت فى ريب بما قد ذكرته ... فاكتب بمنشور كريم على مصرِ

أليس صغيراً ملك مصر ببيعة ... هى الدار فى الدنيا إلى آخر العمرِ

فإن كنت ما تدرى فتلك مصيبة ... وأعظم حسراتى إذا لم تكن تدرى

قال : فكتب له معاوية منشوراً على مصر ، وأنفذه إليه ، فلمّا وصل إليه بقى عمرو مفكراً لا يدرى ما يفعل ، حتى ذهب عنه النوم ، وتمثّل يقول :

---

(٤) أحبّنى : احبينى (٨) تدر : تدرى (١٠) القدر : القدرى

(١٣) العمر : العمرى

---

(١) سورة الإنسان ، ٧

(٢) سورة المائدة ، ٥٥

(٣) سورة الشورى ، ٢٣

تطاول ليلى بالهمـــوم الطوارقِ
وصادفت من دهرى وجـوه البوائقِ

٣ أأخدعه والخدع فيه سجيّة أم أعطيه من نفسى نصيحة صادقِ
أأقعد فى بيتى وفى ذاك راحة لشيخ يخاف الموت فى كلّ بارقِ

فلمّا أصبح دعا وِرْدَان مولاه، وكان وِردان رجلاً عاقلاً لبيباً، فشاوره
٦ فى ذلك، فقال له وردان: إنّ مع علىّ آخرة ولا دنيا معه، وهى التى تبقى لك،
وإنّ مع معاوية دنيا ولا آخرة معه، وهى الّتى لا تبقى عليك، فاختر لنفسك أيّهما
أحببت، قال: فتبسّم عمرو، وتمثل يقول:

٩ لا قاتل الله وردانًا وفطنته لقد أصاب الذى فى القلب وردانُ
لـمـا تعرضت الدنيا عرضت لها بحرص نفس وفى الأطماع حرمانُ
نفس تعفّ وأخرى الحرص يمنعها والمرء يأكل تبنًا وهو عرفانُ(١)
١٢ أما علىّ فدين ليس يشركه دنيا وذاك له دنيـا وسلطانُ
فاخترت من طمعى دنيـا على بصرى
وما معى بالّذى أختـار برهانُ
١٥ إنى لأعرف مافيها وأبصره وفىّ أيضًا لـمـا أهواه ألوانُ
لـكنّ نفسى تحبّ العيش فى شرف
وليس يرضى بذلّ النّفس إنسانُ

١٨ قلت: لست أظنّ هذه الأشعار من كلام عمرو بن العاص رضى الله عنه،

(١٠) تعرضت: تعرضت إلى (١٥) ألوان: اللوان (١٨) هذه: بعده

(١) كذا فى الأصل، وهو تشبيه غريب

(٢٨٧) ولا هذا الكلام السخيف ، لما فيه من القصور عن بلاغة تلك الأقوام ، رضى الله عنهم ، ولعلّه مفتعل عليهم من بعض المتوالين ، والله أعلم .

ثم إنّ عمراً رحل طالباً معاوية ، فتبعه عبد الله ولده ، ومولاه وردان فلم يمتنع ٣ حتى إذا كان بمفرق الطريقين : طريق العراق وطريق الشام ، فقال له وردان : طريق العراق طريق الآخرة، وطريق الشام طريق الدنيا، وإن نحن منقلبون عنها، فأيّهما تسلك وفّقك الله ؟ فقال : طريق الشام يا وردان ، والربّ مسامح وغفور ، ٦ فقم ! حتى لحق بمعاوية رضى الله عنهما .

ولنعد إلى أخبار حرب صفّين، بحول الله وقوّته وبركة إلهامه، قال الطبرى[١] رحمه الله : وخرج علىّ عليه السّلام حتى خيّم بالنخيلة، وقدم عليه عبد الله بن عبّاس ٩ بأهل البصرة ، فسار علىّ كرّم الله وجهه حتى عبر آخذاً على طريق الجزيرة ، وعبر الفرات، وكان[٢] مسيره من الكوفة لخمس خلون من شوال سنة ستّ وثلاثين، واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن [عامر][٣] الأنصارى ، واجتاز فى ١٢ طريقه بالمدائن إلى الأنبار ، حتى نزل الرقّة ، فعقد له هناك جسر ، فعبر إلى جانب الفرات من ناحية الشام، وقد تنوزع فى عدّة من كان معه، فمكثّر ومقلل ،والمتّفق عليه أنّ جميع جمعه سبعون[٤] ألفاً ، وقيل تسعون ألفاً . ١٥

---

(٢) مفتعل : مفتعلا || المتوالين : المتواليين (٣) عمرا : عمرو
(٨) ولنعد : ولنعود (١٣) جسر : جسرا (١٤) الفرات : الفراه

---

(١) راجع الطبرى ، ٥ : ٢٣٧ على أنه سيفيد من كل من الطبرى والمسعودى فى سياقة هذا الخبر

(٢) يترك المصنف ، أو من أفاد منه المصنف ، الطبرى ويبدأ اعتبارا من هذه الفقرة فى الإفادة مما كتبه المسعودى فى مروج الذهب ، ٢ : ٣٧٤

(٣) كذا فى مروج الذهب ، وفى الأصل : عقبة بن عمر ، وهو تصحيف ، على أن ابن حجر فى الإصابة ، ٢ : ٤٩٠ يرى أنه ينبغى أن يسمى: عقبة بن عامر السلمى ، لا الأنصارى

(٤) كذا فى الأصل ، وفى مروج الذهب : تسعون ألفا ، وسيذكر المصنف هذا الرقم على أنه قول آخر

فلمّا بلغ معاوية سير علىّ عليه السّلام استشار عمراً ، فقال له : إنّه سار إليك بنفسه ، فسر إليه بنفسك ، ولا تغب عنه برأيك ومكيدتك ، فقال : إذاً جهّز الناس ، فصار عمرو يحرض الناس على قتال علىّ كرّم الله وجهه ويضعّفه عندهم ، ويقلّل أمر أصحابه وأتباعه .

وأقبل معاوية فى جيوش الشّام ، واختلف أيضاً فى جموع معاوية ، فمقلّل ومكثّر ، والمتّفق عليه (٢٨٨) من جموعه خمسة وثمانون ألفاً ، فلمّا تراءى الجمعان ، نزل معاوية وأصحابه منزلًا اختاروه ، فكانت الشّريعة بأيديهم ، وكان على خيل معاوية أبو الأعور السلمى ، وأجمعوا رأيهم أن يمنعوا أصحاب علىّ عليه السّلام الماء ، قال : ففزع النّاس إلى أمير المؤمنين علىّ كرّم الله وجهه فأخبروه بذلك ، فقال عليه السّلام : ادعوا لى صعصعة بن صوحان ، فلمّا حضر ، قال : امض إلى معاوية وقل له : إنّا سرنا [مسيرنا][1] هذا إليكم ، ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم ، وإنّك قد قدمت علينا بخيلك ورجلك ، تقاتلنا[2] قبل أن نقاتلك ، ونحن ما رأينا إلّا الكفّ عنك ، حتّى ندعوك ونحتجّ عليك ، وهذه أخرى قد فعلتموها : قد حلتم بين الناس وبين الماء ، والناس غير منتهين أو يشربوا ، فابعث إلى أصحابك فليخلّوا بين الناس وبين الماء ، وليكفّوا حتّى ننظر فيما بيننا وبينكم ، وعلامَ قدمنا وقدمتم ، وإن أعجبك أن نترك الناس يقتتلون على الماء حتّى يكون الغالب هو الشّارب فعلنا .

---

(١) عمرا : عمرو (٦) تراءى : تراء

(١٠) بن : ابن || امض : امضى

---

(١) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : بسيرنا .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : فقاتلتنا

فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟ فقال الوليد بن عقبة: امنعهم الماء كما منعوه عثمان بن عفّان، فقال عمرو بن العاص: خلّ بينهم وبين الماء، فإنّ القوم لن يعطشوا وأنت ريّان، ولكن [بغير] [1] الماء انظر فيما بينك وبينهم، فأعاد الوليد مقالته، ٣ وقال عبد الله بن أبي سرح: امنعهم الماء إلى الليل، فإنّهم إن لم يقدروا عليه رجعوا وإن رجعوا كانت ذلّة لهم وكسرة عليهم، امنعهم الماء، منعهم الله يوم القيامة من حوض الكوثر، فقال صعصعة: إنّما يمنعه الله يوم القيامة الفجرة الكفرة ٦ أولى الفجور، وشربة الخمر، ضربك وضرب أمثالك مثل هذا الفاسق، وأشار إلى الوليد بن عقبة.

قال: فتواثبوا إليه يشتمونه ويهددونه، (٢٨٩) فقال معاوية: كفّوا عن ٩ الرجل فإنّه رسول، فلما رجع صعصعة إلى عليّ عليه السّلام وأصحابه حدّثهم بما قال معاوية، وما ردّ به عليهم، قال: فما الّذى رد عليك معاوية؟ قال: قلت له: ما ذا ترد به عليّ؟ فقال: سيأتيكم رأيي، قال: فوالله ما راعنا إلّا [تسريته] [2] ١٢ الخيل [إلى] [3] أبي الأعور السلمي أن كفّهم عن الماء، قال: فأبرزنا عليّ إليهم فارتمينا، ثم اطّعنّا، ثم اضطربنا بالسيوف ساعة، فنصرنا الله عليهم، وصار الماء في أيدينا دونهم، فقلنا: لا والله لا نسقيكم القطرة، فارجعوا بخيبتكم إلى عسكركم ١٥ فأرسل إلينا عليّ عليه السلام يقول: خذوا من الماء حاجتكم وخلّوا عنهم، فإنّ الله تعالى قد نصركم عليهم.

---

(٢) بن: ابن (٧) أولى: اولوا

---

(١) كذا في الطبري، وفي الأصل: لغير
(٢) كذا في الطبري، وفي الأصل: شربه
(٣) كذا في الطبري، وفي الأصل، الا

وذكر المسعودى فى تاريخه[1] أنّ الماء صار فى حوز أصحاب علىّ عليه السّلام، قال معاوية لعمرو بن العاص : يا أبا عبد الله ، ما ظنّك بالرجل ، أتراه يمنعنا الماء كما منعناه إيّاه ؟ فقال له عمرو : لا يفعل ، إنّه الرجل جاء إلى غير هذا ، وإنّه لا يرضى ، أو تدخل فى طاعته ، أو يقطع حبل عاتقك ، قال[2] : فأرسل إليه معاوية يستأذنه فى وروده الماء ، فأذن له ، وأباحه [على][3] ذلك .

قال الطبرى[4] : ومكث علىّ رضى الله عنه يومين لا يرسل إلى معاوية أحداً ، وكذلك معاوية أيضاً ، ثم إنّ عليًّا عليه السّلام دعا بشير بن عمرو الأنصارى ، وسعيد بن قيس الهمدانى ، وشبيب التميمى ، وقال لهم : ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله ، وإلى الطاعة والجماعة ، فقال شبيب[5] بن ربعى : يا أمير المؤمنين ألا تطمعه فى سلطان [توليه][6] إيّاه ، فيكون له بها أثرة عندك إن هو بايعك ؟ فقال علىّ عليه السلام : ائتوه واحتجّوا عليه ، وانظروا ما رأيه ! وهذا فى أول ذى القعدة[7] .

قال : فأتوه ، ودخلوا عليه ، قال : فتكلّم أبو عمرة بشير بن عمرو ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وصلّى على النبى ﷺ (٢٩٠) وقال : يا معاوية إنّ الدنيا عنك زائلة ، وإنّك راجع إلى الآخرة ، وأن لابدّ أن يحاسبك الله عزّ وجلّ

---

(٢) يا أبا : يا با (٦) أحداً : احد (٨) ائتوا : اتوا

---

(١) مروج الذهب ، ٢ : ٣٧٧
(٢) يعنى المسعودى
(٣) إضافة من مروج الذهب
(٤) الطبرى ، ٥ : ٢٤٢
(٥) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : شبث .
(٦) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : نوليه
(٧) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : ذى الحجة

بعملك ، ويجازيك بما قدّمت يداك ، وإنّى أنشدك الله ، لاتفرّق جماعة اجتمعوا في الله ، وأن تحقن دماء هذه الأمّة .

قال: فقطع عليه معاوية الكلام وقال : فهلّا أوصيت بذلك صاحبك ؟ فقال ٣ أبو عمرة : إنّ صاحبي ليس مثلك ، وإنّه أحقّ بهذا الأمر منك لفضله وسابقته ، وقرابته ، وتقدّمه فى الإسلام ، قال : فماذا تقول ؟ قال : آمرك بتقوى الله تعالى ، وإجابة ابن عمّك إلى ما يدعو إليه من الحقّ ، فإنّه أسلَمُ لك فى دنياك ، وخير ٦ لك فى آخرتك .

قال معاوية رضى الله عنه : ويطل[1] دم عثمان؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً ، قال : فذهب سعد بن قيس يتكلّم فبادره شبيب بن ربعى ، فتكلّم ، وحمد الله تعالى ٩ وصلّى على نبيّه ﷺ وقال : يا معاوية ، إنّى قد فهمت ما رددت على ابن محصن ، على أنّه ما يخفى علينا ما تعزو وما تطلب ، إنّك لن تجد شيئاً تستهوى[2] به الناس ، وتستميل به قلوبهم وأهواءهم ، وتستخلص به طاعتهم إلّا قولك : قُتل إمامكم ١٢ مظلوماً ، فنحن نطلب بدمه ، فاستجاب لك سفهاء [طغام][3] ، وقد علمنا أنّك أبطأت عنه بالنصرة ، وأحببت أن تكون بهذه المنزلة التى أصبحت تطلب أمراً ، وطالبه ، يحول الله دونه[4] ، وربّما أوتى المتمنّي أمنيته ، ووالله ما لك فى واحدة ١٥ [منهما][5] خير ، والله لئن أخطأك ما ترجو لأنّك شرّ العرب حالًا فى ذلك ،

(١١) تعزو : تعزوا (١٦) ترجو : ترجوا

(١) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : ونطل

(٢) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى ، ٥ : ٢٤٣ ، تستغوى

(٣) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : طغاة

(٤) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : ورب متمنى أمر وطالبه الله عز وجل يحول دونه بقدرته

(٥) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : منها

ولئن أصبت ماتمنى لاتصبه حتى تستحق من ربك صلى النار، فاتق الله يامعاوية ودع ما أنت عليه ، ولا تنازع الأمر أهله .

٣ قال : فتكلم معاوية وحمد الله تعالى ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ ثم قال : أما بعد ، فإن أول ما عرفت به سفهك وقلة حلمك قطعك على (٢٩١) هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه ، ثم عتبت فيما لا علم لك به ، فقد كذبت

٦ ولومت أيها الأعرابي الجلف الجافي في كل ما ذكرت ووصفت ، انصرفوا فليس بيني وبينكم إلا السيف! وغضب وحرج، وخرجوا من عنده ، وشبيب بن ربعي يقول : أفعلينا تهول بالسيف؟ فأقسم إنه يعجلن به إليك، وأتوا عليا ، وأخبروه بالذى

٩ كان من قوله .

ثم كانت الحروب بينهم، وأخذ علي عليه السلام يأمر الرجل ذا الشرف ليخرج ويخرج معه جماعة ، ويخرج إليهم من أصحاب معاوية آخر ، ومعه جماعة

١٢ فيقتتلان في خيلهما ورجلهما ، ثم ينصرفان ، وأخذوا يكرهون أن يلقوا جميع أهل العراق بجميع أهل الشام[1] ، لما يتوخون من أن يكون ذلك سبباً لاستئصال جميعهم وهلاكهم .

١٥ وكان علي رضى الله عنه يخرج لهم مرة مالك الأشتر ، ومرة حجر بن عدى الكندى ، ومرة شبيب بن ربعى التميمى ، ومرة خالد بن النعمان[2] ، ومرة زياد ابن [النضر][3] الحارثي، ومرة زياد بن [خصفة التيمى][4]، ومرة [سعيد][5]

(٨) أتوا : اتو (١٠) على : عليا || ذا : ذو (١٢) وأخذوا : واخدو
(١٥) على : عليا

(١) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : يكرهون أن يلقوا بجمع أهل العراق أهل الشام
(٢) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : خالد بن المعمر
(٣) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : النطر
(٤) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : زياد بن حفصة التميمى
(٥) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : سعد

ابن قيس الهمدانى ، ومرّة معقل بن قيس الرياحى ، ومرّة [قيس بن سعد][1] الأنصارى ، وكان أكثر القوم خروجاً الأشتر النخعى .

وكان معاوية رضى الله عنه أيضاً يخرج إليهم عبد الرحمن المخزومى ، ومرّة ٣ أبا الأعور السلمى، ومرّة حبيب بن [مسلمة][2] الفهرى، ومرّة ابن ذى الكلاع الحميرى ، ومرّة عبيد الله بن عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، ومرّة شرحبيل ابن السمط الكندى،ومرّة حمزة بن مالك الهمدانى، فاقتتلوا ذا القعدة[3] بأسره، ٦ وربّما اقتتلوا فى اليوم مرّتين أوّله وآخره .

قال الطبرى[4] : وذكر من حضر وشهد حرب صفّين ، قال : خرج الأشتر يوماً يقاتل (٢٩٢) بصفّين فى رجال من القرّاء ، ورجال من فرسان العرب ، فاشتدّ ٩ قتالهم ، قال : فخرج علينا رجل لم أر والله رجلاً قطّ مثله فى هول القامة والمنظر ، ولا أعظم منه . فدعا المبارزة ، فلم يخرج إليه إلّا الأشتر ، فتجاولا واختلفا ضربتين ، فضربه الأشتر فقتله ، فأيم الله لقد كنّا أشفقنا على الأشتر منه ، ١٢ [وسألناه ألّا][5] يخرج إليه ، فلمّا قتله الأشتر خرج آخر ، فقال : أقسم بالله لأقتلنّ قاتلك أو ليقتلنّى ، فعطف عليه الأشتر فضربه ، فإذا هو بين يدى فرسه ، وحمله أصحابه ، فاستنقذوه جريحاً . ١٥

---

(٤) ابن ذى : بن ذى (٦) ذا : ذو (١٠) رجل : رجلا

---

(١) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : سعد بن قيس ، وهو تصحيف
(٢) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : مسلم
(٣) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : ذا الحجة
(٤) الطبرى ، ٥ : ٢٤٣
(٥) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : وسألته لا يخرج إليه

قال الطبرى : فلما انقضى ذو القعدة[١] تداعى الناس إلى أن يكفّ بعضهم عن بعض .

٣ وحج فى هذه السنة بالناس عبيد الله بن عبّاس[٢] بأمر علىّ عليه السّلام ، وكان عامله على اليمن ، والله أعلم

ذكر سنة سبع وثلاثين

٦ النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم خمسة أذرع وثلاثة أصابع ، مبلغ الزيادة ستّة عشر ذراعاً وثلاثة أصابع .

٩ ما لخّص من الحوادث

الإمام علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه أمير المؤمنين ، وعلى مكّة شرّفها الله تعالى أميراً قثم بن العبّاس ، والمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

١٢ سهل بن حنيف ، من قِبَل الإمام علىّ عليه السّلام ، والبصرة عبد الله بن عبّاس ، والكوفة أبو مسعود الأنصارى ، ومصر محمّد بن أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ، وخراسان خليد[٣] بن قرّة اليربوعى ، من قِبَل الإمام علىّ عليه السّلام ،

١٥ والشّام معاوية رضى الله عنه من قِبَل نفسه ، وهو فى حرب صفّين مع الإمام علىّ صلوات الله عليه .

وكان شهر المحرّم من هذه السنة جميعه (٢٩٣) موادعة بينهما ، جرت طمعاً

(٧) خمسة : خمس || ستة : ست (١٢) حنيف : خليف (١٣) أبو : ابا

(١) كذا فى الأصل ، وعبارة الطبرى ، ٥ : ٢٤٤ : فلما انقضى ذو الحجة

(٢) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : عبد الله بن عباس

(٣) كذا فى الكامل ، ٣ : ٣٢٦ ، وفى الأصل : خلد

فى الصلح ، واتّفاق الكلمة ، واجتماع الأمر ، ثمّ اختلفوا ولم يتّفق لهما حال ، ولا انتظم لهم سلك .

فلمّا دنا سلخ المحرّم أمر علىّ عليه السّلام مرثد بن الحارث الجُشَمى ، فنادى ٣ على الناس من أهل الشّام عند غروب الشمس : ألا إنّ أمير المؤمنين يقول لكم : إنّى قد استدمتكم لتراجعوا الحقّ ، وتنيبوا إليه ، واحتججت عليكم بكتاب الله ، ودعوتكم إليه ، فلم [تناهوا][1] عن الطغيان ، ولم تجيبوا إلى الحقّ ، وإنّى ٦ قد نبذت إليكم على سواء ، إنّ الله لا يحبّ الخائنين .

قال[2] : ففزع أهل الشام إلى أمرائهم ورؤسائهم ، وخرج معاوية وعمرو ابن العاص فى الناس يكتبان الكتائب ، ويعبئان الناس ، وأوقدوا النيران . ٩ وبات علىّ عليه السّلام طول ليلته يعبّئ الناس ، ويكتّب الكتائب ، ويحرّض الناس على القتال ، ويقول : لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم بالقتال ، فأنتم بحمد الله على حجّة ، وترككم إيّاهم حتّى يبدؤوكم حجّة أخرى لكم ، فإذا قاتلتموهم ١٢ وهزمتموهم ، فلا تقتلوا مُدْبِراً ، ولا تُجْهِزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثّلوا بقتيل ، فإذا وصلتم إلى رحال القوم ، فلا تهتكوا ستراً ، ولا تدخلوا بيتاً ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم ، إلّا ما وجدتموه فى عسكرهم ، ولا [تهيّجوا][3] ١٥ امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم ، فإنّهن ضعاف القوى والأنفس .

وأصبح من الغد ، فبعث إلى الميمنة والميسرة ، وكان ذلك فى أوّل يوم

(١) حال : حالا (٢) سلك : سلكا (٣) مرثد : مرتد || فنادى : فنادا
(١١) تقاتلوا : تقاتله || يبدأوكم : يبدوكم

(١) كذا فى الطبرى ، ٦ : ٥ ، وفى الأصل : فلم تتناهون ، خطأ
(٢) يعنى الطبرى ، ٦ : ٥ ، وما بعدها
(٣) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : ولا تمنحوا ، تصحيف

من شهر صفر سنة سبع وثلاثين هجريّة ، وهو يوم الأربعاء ، وعبّأ الجيش ، وأخرج الأشتر أمام النّاس ، وأخرج إليه معاوية حبيب بن مسلمة الفهريّ ، فكان بينهما قتال شديد ، والناس قد تصافّوا : أهل العراق وأهل الشّام سائر يومهم ، وأسفرت (٢٩٤) عن قتلى من الفريقين جميعاً ، وانصرفوا .

فلمّا كان فى اليوم الثانى ، وهو يوم الخميس ، أخرج علىّ عليه السّلام هاشم ابن عتبة بن أبى وقّاص الزهرى ، وهو ابن أخى سعد بن أبى وقّاص ، وسمّى المرقال ، لأنّه كان يرقل من تقدّمه فى الحرب ، وكان أعور ، ذهبت عينه يوم اليرموك ، وكان من شيعة علىّ رضى الله عنه ، فأخرج إليه معاوية أبا الأعور السلمى ، وهو سفيان بن عوف ، وكان من شيعة معاوية ، والمنحرفين عن علىّ ، فكان ذلك اليوم بينهم سجال ، وانصرفوا فى آخر النهار .

وأخرج فى اليوم الثالث ، وهو يوم الجمعة ، علىّ رضى الله عنه أبا اليقظان ، عمّار بن ياسر ، رضى الله عنه ، فى عدّة من البدريّين ، وغيرهم من المهاجرين والأنصار ، فيمن أسرع معهم من الناس ، فأخرج إليه معاوية رضى الله عنه عمرو ابن العاص فى نفر من الشام ، فكان بينهم سجال إلى الظهر ، ثم حمل عمّار فيمن ذكرنا من الناس فأزال عمراً عن موضعه ، وألحقه بعسكر معاوية ، وأسفرت عن قتلى كثيرة من أهل الشام دون أهل العراق[1] .

وأخرج علىّ رضى الله عنه فى اليوم الرابع ، يوم السبت ، ابنه محمّد بن الحنفيّة

(٣) تصافوا : تصافقوا (٥) على : عليا (١١) اليقظان : اليقضان
(١٥) عمرا : عمرو

(١) كذا فى الأصل ، وفى مروج الذهب ، ٢ : ٣٧٨ : وأسفرت عن قتلى كثيرة من أهل الشام ودونهم من أهل العراق

فى همدان ، ومن خفّ معه من شيعته ، فأخرج معاوية عبيدالله بن عمر بن الخطّاب رضى الله عنه فكان بينهما قتال وقتلى .

٣ وأخرج علىّ فى اليوم الخامس عبد الله بن عبّاس ، فأخرج إليه معاوية الوليد بن عقبة ، فاقتتلوا قتالًا شديدًا ، وأكثر الوليد من سبّ بنى عبدالمطّلب ، فناداه عبد الله بن عبّاس : ابرز إلىّ يا صفوان ، فأبى ، وكان يومًا صعبًا[1] .

٦ وأخرج علىّ فى اليوم السّادس سعيد بن قيس الهمدانىّ ، وهو يومئذ سيّد همدان ، فأخرج له معاوية ابن ذى الكلاع الحميرى ، فكان بينهما حرب شديد إلى آخر النهار ، وأسفرت عن قتلى كثيرة من الفريقين .

٩ وأخرج علىّ (٢٩٥) عليه السّلام فى اليوم السابع الأشتر النخعى فى قومه ، وفيمن خفّ معه ، وأخرج إليه معاوية حبيب بن مسلمة الفهرىّ ، فتكافأوا ، وأبوا إلّا الموت ، وأسفرت عن كثير من القتلى ، وكان فى أهل الشّام أعم وأكثر .

١٢ وخرج فى اليوم الثامن ، وهو يوم الأربعاء ، علىّ عليه السّلام بنفسه وأصحابه البدريّين ، رضوان الله عليهم ، وجماعة من المهاجرين والأنصار ، ومن ربيعة وهمدان .

١٥ قال الطبرى رحمه الله : قال ابن عبّاس رضى الله عنه[2] : رأيت ذلك اليوم عليًّا عليه السّلام وعليه عمامة بيضاء ، وكأنّ عينيه سراجان ، وهو يقف على

(٣و٦و٩) على : عليا (٥) فأبى : فابا (٦) ابن : بن (١١) القتلى : القتلا
(١٣) البدريين : البدريون (١٦) عينيه : عيناه

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى مروج الذهب : وكانت الغلبة لابن عباس
(٢) لم يرد فى الطبرى ، وإنما ورد فى مروج الذهب ، ٢ : ٣٨٠ .

طوائف الناس فى مراتبهم [فيحثّهم](١) ، ويحرّضهم على القتال والحرب ، وهو على بغلة رسول الله ﷺ الشهباء ، وخرج معاوية فى رؤساء أهل الشام ، فكان بينهما قتال شديد إلى آخر النهار ، وانصرفوا عند المساء ، وكلٌّ غير ظافر .

وكذلك خرج فى اليوم التاسع ، وهو يوم الخميس ، علىّ عليه السّلام ومعاوية رضى الله عنه فاقتتلوا إلى ضحوة نهار ، وبرز أمام الناس عبيد الله بن عمر ابن الخطّاب ، فى أربعة آلاف من [الخضريّة](٢) ، وابن عمر يتقدّمهم ، فناداه علىّ عليه السّلام : ويحك يا ابن عمر ، على ماذا تقاتلنى ؟ فوالله لو كان أبوك حيًّا ما فعله ، قال : أطلب بدم عثمان ، فقال : أنت تطلب بدم عثمان من غير قاتله ، والله يطلبك بدم الهرمزان ، إذ أنت قاتله بيدك ظلماً وعدواناً ، وأمر علىّ الأشتر بالخروج إليه ، فانصرف عنه عبيد الله ولم يقاتله ، وكثرت القتلى يوم ذاك ، فقال عمّار بن ياسر : إنّى أرى وجوهاً لا يزالون يضاربون حتى يرتاب المبطلون ، والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا شعبات(٣) هجر لكنّا على الحقّ ، وكانوا على الباطل ، ثم تقدّم عمّار بن ياسر رضى الله عنه فقاتل قتالًا شديداً ، ثم رجع إلى (٢٩٦) موضعه ، فاستسقى فأتته امرأة من نساء بنى شيبان من مصافّهم ، بعُسٍّ فيه لبن ، فدفعته إليه ، فقال : الله أكبر ، اليوم ألتقى الأحبّة تحت الأسنّة ، صدق الصادق ، وبذلك أخبرنى الناطق ، هذا اليوم الذى وعدت فيه .

---

(٤) خرج : خرجا (٩) عدوانا : عدوان (١٠) القتلى : القتلا

---

(١) كذا فى مروج الذهب ، وفى الأصل : فينحيهم ، تصحيف

(٢) كذا فى مروج الذهب ، وفى الأصل : الحصريه

(٣) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى ، ٦ : ٢١ والاستيعاب ، ٢ : ٤٧٩ : سعفات

ثم قال[1] : يا أيها الناس ، والذى نفسى بيده لنقاتلنكم على تأويله ، كما قاتلنا كم على تنزيله ، ثم توسّط القوم ، واشتبكت عليه الأسنّة ، فقُتل رضى الله عنه قتله أبو العادم العاملى ، وابن جوين السكسكى ، واختلفا فى سلبه ، فاحتكما إلى عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال لهما : اخرجا عنّى ، فإنّى سمعت رسول الله ﷺ يقول ، أو قال رسول الله ﷺ : « ولعت قريش بعمّار ، ما لهم ولعمّار ، يدعوهم إلى الجنّة ، ويدعونه إلى النّار » .

وكان قتل عمّار رضى الله عنه عند المساء ، وعمره يومئذ ثلاث وتسعون سنة وصلى عليه علىّ عليه السّلام ولم يغسّله ، ودفن بصفّين رحمة الله عليه ، وقد تنوزع فى نسبه ، فمن الناس من ألحقه ببنى مخزوم ومنهم من رأى أنّه من حلفائهم ، والله أعلم .

قال الطبرى[2] : إنّ عمّاراً لمّا قُتل ، خرج فى تلك الليلة رجل من عسكر علىّ عليه السّلام إلى عسكر معاوية رضى الله عنه على فرسه ، ليسمع ما يقولون فى قتل عمّار ، فإذا أربعة يتسايرون ، وهم معاوية بن أبى سفيان ، وأبو الأعور السّلمى وعمرو بن العاص ، وابنه عبد الله ، وهو خير الأربعة ، قال : فأدخل فرسه بينهم ،

---

(١١) عمارا : عمار

---

(١) ورد فى الحديث الشريف ، عن خزيمة بن ثابت ، وجماعة من الصحابة : « تقتل عمارا الفئة الباغية » ، انظر مسند أحمد بن حنبل ، وصحيح مسلم ، وقد أورده عن أم سلمة ، راجع الألبانى : صحيح الجامع الصغير ، ٣ : ٥٠ وأورد الطبرى هذا الحديث من طريق حذيفة فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تقتله (أى عمارا) الفئة الباغية الناكبة عن الطريق ، وإن آخر رزقه ضياح من لبن ، الطبرى ، ٦ : ٢١

وجاء فى لسان العرب : وفى حديث عمار : إن آخر شربة تشربها ضياح ، والضياح والضيح بالفتح: اللبن الخاثر يصب فيه الماء ثم يخلط رواه يوم قتل بصفين ، وقد جىء بلبن يشربه

(٢) الطبرى ، ٦ : ٢٢

فقال عبد الله بن عمرو لأبيه : يا أبت ، قتلتم هذا الرجل فى يومكم هذا ، وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال ، قال : وما قال يا بُنىّ ؟ قال : ألم تكن معنا ونحن نبنى المسجد ، والناس ينقلون حجراً حجراً ، ولبنة لبنة ، وعمّار ينقل حجرين حجرين ، ولبنتين لبنتين (٢٩٧) فغشى عليه ، فأتاه رسول الله ﷺ فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : « ويحك [يا ابن سُميّة][١] ، النّاس ينقلون حجراً حجراً ، ولبنة لبنة ، وأنت تنقل حجرين حجرين ، ولبنتين لبنتين ، رغبة فى الآخرة ، وأنت مع ذلك تقتلك الفئة الباغية » ؟ قال : فدفع عمرو صدر فرسه ، وجذب معاوية إليه ، فقال : يا معاوية ، ألا تسمع ما يقول عبدالله ؟ قال : ومايقول؟ فأخبره الخبر ، فقال معاوية : إنّك لشيخ أخرق ، ولا تزال تحدّث بالحديث ، وأن تدحض فى شيبك[٢] ، أَوَنحن قتلناه ؟ إنّما قتله من جاء به .

قال[٣] : ولمّا صُرع عمّار ، تقدّم سعد بن قيس فى همدان ، وقيس بن سعد فى الأنصار وربيعة ، وعدىّ بن حاتم فى طيىء ، فخلطوا الجمع بالجمع ، واشتدّ القتال ، وحطمت همدان أهل الشام ، حتى زووهم إلى قبّة معاوية ، قال : وأمر علىّ عليه السّلام الأشتر أن يتقدّم باللواء إلى أهل حمص ، وعزلهم عن أهل قنّسرين[٤] ، وأكثروا القتل فيهم ، وأبلى المرقال فيهم يومئذ بمن معه ، فلا يقوم معه أحد ، وكان صاحب لواء علىّ عليه السّلام وجعل يرقل كما يرقل الفحل فى قيده ،

---

(١) أبت : ابتى

---

(١) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : ويقول ان سيم

(٢) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : فى بولك

(٣) يعنى المسعودى فى مروج الذهب، ٢ : ٢٨٣

(٤) كذا فى الأصل ، وفى مروج الذهب : وغيرهم من أهل قنسرين

وعليّ وراءه يقول : يا أعور ، لا تكن جبانًا ، ثم إنّ المرقال صدر[1] لابن ذي الكلاع ، واختلفا الطعنتين، فطعنه هاشم المرقال فقتله ، وقتل بعده تسعة عشر رجلًا ، ثم حلف مع جماعة أن لا يرجعوا، أو لينتهوا، أو ليقتلوا ، واجتلد الناس، فقتل المرقال في معمعة الحرب ، فتناول ابنه اللواء حين قتل أبوه ، وكثر العجاج، ووقف على مصرع أبيه ومن صرع معه من الأسلميّين وغيرهم ، فدعا لهم ، وترحّم عليهم[2] .

قال[3] : وحمل حريث بن جابر الجعفي على عبيد الله بن عمر بن الخطّاب فقتله ، وقيل إنّ الذى قتل عبيدالله بن عمر هو ابن الأشتر[4] (٢٩٨) ، وقيل إنّ عليًّا عليه السّلام ضربه ضربة قطع ما عليه من الحديد ، حتى خالط السيف حشو جوفه ، وقد ذكرنا قتلة عبيدالله بن عمر فيما تقدّم من الكلام من رواية أخرى[5]، والله أعلم .

وعاد عليّ عليه السّلام يحرّض النّاس على القتال ، وهو على البغلة الشهباء أمام القوم ، وحمل معه جماعة ، فلم يبق لأهل الشام صفّ إلّا انتقض كلّما أتوا عليه ، حتى انتهوا إلى قبّة معاوية وعليّ رضى الله عنه لا يمرّ بفارس إلا قدّه ، ثم نادى عليّ عليه السّلام : يا معاوية على ماذا [يقتل][6] الناس بيني وبينك ؟

(١) تكن : تكون (٤) أبوه : اباه
(١٣) وحمل : وحملوا || صف : صفا (١٥) نادى : نادا

(١) كذا في الأصل ، وفي المروج : صمد
(٢) كذا في الأصل ، ويبدو الأسلوب مضطربًا ، وفي مروج الذهب : ووقف على رضى الله عنه عند المرقال ومن صرع حوله من الأسلميين وغيرهم ندعا لهم ، وترحم عليهم
(٣) يعني المسعودي في مروج الذهب ، ٢ : ٣٨٥
(٤) كذا في الأصل ، وفي مروج الذهب : وقيل إن الأشتر النخعي هو الذى قتله
(٥) راجع فيما سبق
(٦) كذا في مروج الذهب ، وفي الأصل : تقتل

علىّ أحاكمك إلى الله ، فأيّنا قتل صاحبه استقامت له الأمور ، فقال عمرو بن العاص : قد أنصفك الرجل ، فقال معاوية : ما أنصفت أنت ، فإنّك لتعلم أنّه ما بارزه أحد
٣ قطّ إلّا قتله أو أسره ، فقال عمرو : فما يجمل بك أن يناديك فتتخلّف عن مبارزته ، فقال معاوية : أظنّك قد طمعت بها بعدى .

وقيل إنّ معاوية ألزم عمراً بخروجه إلى علىّ عليه السّلام فبرز إليه على رغم منه ،
٦ فلمّا رآه عرفه ، فرفع السيف وهمّ أن يضربه ، فكشف عمرو عن عورته ، وقال : أخوك يا أبا الحسن[1] ! فحوّل وجهه عنه ، وقال : قُبِّحْتَ قبّحك الله ، فرجع عمرو إلى مصافّه سالمًا .

٩ واقتتل الناس تلك الليلة كلّها إلى الصباح ، وهى ليلة [الهرير][2] ، حتى تقصّفت الرماح ، وفقد النبل وصار الناس إلى السيوف ، وأخذ علىّ رضى الله عنه يسير من الميمنة إلى الميسرة ، ويأمر كلّ كتيبة أن تتقدّم على [التى تليها][3] ،
١٢ ولم يزل يفعل ذلك حتّى أصبحوا ، وقد صارت للمركة خلف ظهور أصحاب علىّ عليه السّلام والأشتر فى ميمنة الناس ، وعبد الله بن عبّاس فى الميسرة ، وعلىّ عليه السّلام فى القلب تارة ، وتارة فى الميمنة ، وتارة فى الميسرة ، والناس
١٥ (٢٩٩) [يقتتلون][4] من كلّ جانب ، وكان ذلك اليوم يوم الجمعة ، وكسفت فيه الشمس ، وارتفع القتام ، وتقطّعت الألوية والرايات ، ولم يعرفوا مواقيت الصلاة .

---

(٧) يا أبا : يابا (١١) كتيبة : كتبة

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى مروج الذهب : وقال مكره أخوك لا بطل
(٢) كذا فى الطبرى ، ٦ : ٢٦ ، وفى الأصل : الهدير
(٣) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : على الذين تليهم
(٤) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : يقتلون

قال المسعودى[1] رحمه الله : إنّ جملة من قتله علىّ رضى الله عنه بيده وسيفه فى يوم واحد وليلة واحدة خمسمائة وثلاثة وعشرون رجلًا أكثرهم فى اليوم ، علم ذلك لأنّه كان كلّما ضرب رجلًا كبّر ، وكان إذا ضرب قتل ، ذكر ذلك عنه ٣ منْ كان يليه فى حربه لايفارقه من ولده ، وغيرهم .

وكان الأشتر ذلك اليوم فى ميمنة الجيش، وقد أشرف على الفتح، قال[2]: فنادت مشيخة الشام : يا معشر العرب ، اللهَ اللهَ فى الحرمات والنساء والبنات، ٦ فعندها قال معاوية لعمرو بن العاص ، وقد عاين انكشافه، وانكشاف جيوشه : ما عندك يا أبا عبد الله ، فما خبأتك إلّا لها ، فقال عمرو: مُرْ من كان معه مصحف فليرفعه على رمحه ، قال : فكثر فى الجيش رفع المصاحف ، وارتفعت الضجّات ، ٩ ونادوا : كتاب الله بيننا وبينكم، من لثغور المسلمين؟ من لحفظ الشام بعد أهله؟ من لجهاد الروم؟ من لجهاد الترك من الكفّار ؟ ورفع من عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف . ١٢

قال : فلمّا رأى أهل العراق ذلك ، قالوا: نجيب إلى كتاب الله ، فقال علىّ: ويحكم امضوا على حقّكم وصدقكم ، القتال لعدوّكم ، فإنّ معاوية ، وابن العاص وابن أبى معيط ، وعدّد جماعة، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، فأنا أعرَفُ بهم ١٥ منكم ، صحبتهم طويلًا أطفالاً ورجالاً ، فكانوا أشرّ أطفال وشرّ رجال[3] ، وإنّما هذا منهم مكر وخديعة ، وهى خديعة ابن العاص .

---

(٢) عشرون : عشرين (٨) يا أبا : يابا || : خبأتك خبيتك || مر : أمر || مصحف : مصحفا (١٣) رأى : راوا (١٧) ابن : بن

---

(١) مروج الذهب ، ٢ : ٣٨٩

(٢) يعنى المسعودى ، مروج الذهب ، ٢ : ٣٨٩ وما بعدها

(٣) كذا فى الأصل ، وفى المسعودى ، ٢ : ٣٩١ : فهم شر أطفال ورجال

وجرى له مع القوم خطب طويل، حتى هدّدوه أن يصنعوا به ما صنعوا بعثمان، وقال له الأشعث بن قيس : إن شئت أتيتُ معاوية فسألتُه ما يريد ، قال : (٣٠٠) ذلك إليك ، قال : فأتاه الأشعث بن قيس، فقال له الأشعث: ما مرامك يا معاوية؟ قال : نرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عزّ وجلّ به فى كتابه، تبعثون منكم رجلاً ترضون به وتختارونه ، ونبعث نحن كذلك ، ونأخذ عليهما عهد الله وميثاقه أن يعملا بما فى كتاب الله تعالى ، وننقاد جميعاً إلى ما اتّفقا عليه من حكم الكتاب ، فقال[1] : نعم، وصوّب الأشعث قوله ، ورجع إلى علىّ عليه السّلام فأخبره بذلك، فقال أكثر الناس : رضينا وقبلنا، وغلبوا رأى علىّ فيما أراده .

واختار أهل الشام عمرو بن العاص للتحكيم ، وقال الأشعث ومن ارتدّ بعد ذلك إلى رأى الخوارج: ونحن رضينا بأبى موسى الأشعرى، فقال علىّ عليه السّلام: ويحكم قد عصيتمونى فى الأولى فلا تعصونى الآن، إنّى لا أرى أن أولّى أبا موسى الأشعرى هذا الأمر، فإنّه غير ثقة، فقال الأشعث ومن معه: لا نرضى إلّا أبا موسى الأشعرىّ ، فقال علىّ : ويحكم ، إنّه فارقنى ، وخذّل عنّى الناس[2] ، وفعل كذا وكذا ، وعدّد له أشياء فعلها أبو موسى ، ثم إنّه هرب شهوراً حتى أمّنته ، ألا هذا عبد الله بن عبّاس ، أولّيه ذلك ، فقال الأشعث وأصحابه : والله لا يحكم فيها مُضَريّان ، قال : فالأشتر ؟ قالوا : وهل أشعل هذه النار التى نحن نتوقّدها

(١) وجرى : وجرا (١١) الأولى : الالى || أبا موسى : أبو موسى

(١) يعنى السعودى ، فى الموضع المذكور بالهامش السابق

(٢) ذكر المسعودى فى مروج الذهب، ٢ : ٣٥٩ أن عليا كرم الله وجهه عندما سار إلى العراق استعداداً لقتال طلحة والزبير رضى الله عنهما كتب إلى أبى موسى الأشعرى واليه على الكوفة ليستنفر الناس : فثبطهم أبو موسى ، وقال : إنما هى فتنة ، فنمى ذلك إلى على

إلّا الأشتر ، قال : فاصنعوا الآن ما شئتم أن تصنعوا ، وافعلوا ما بدا لكم أن تفعلوه .

قال[1] : فبعثوا إلى أبى موسى الأشعرىّ ، فأحضروه ، وكتبوا بينهم ٣ صحيفة تتضمّن أنّ كلّا من الجيشين عند حكم الله وكتابه ، وأنّ الحكمين يحييان ما أحيا القرآن، ويميتان ما أماته القرآن، ولا يتّبعان الهوى، ولا يداهنان فى شىء من ذلك ، فإن فعلا فلا حكم لهما ، وصيّروا ذلك لأجَل إلى رمضان ، ٦ وكان كَتْبُ الصحيفة لأيّام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين هجريّة .

ثم مرّ (٣٠١) الأشعث بن قيس بالصّحيفة ، حتى انتهى إلى مجلس بنى تميم فيه جماعة من زعمائهم ، فقرأها عليهم ، فجرى بين الأشعث وبين أناس منهم ٩ خطب طويل ، ثم قال عروة[2] للأشعث : أتحكّمون فى دين الله وأمره ونهيه [الرجال][3] ؟ ، لا حكم إلّا الله ، فكان أوّل من قالها .

ولمّا وقع أمر التحكيم ، أمر علىّ عليه السّلام بالرحيل لعلمه باختلاف ١٢ الكلمة ، وتفاوت الرأى ، وعدم انتظام أمورهم ، وما لحقه منهم من الاختلاف، وكثر قول التحكيم فى جيش العراق ، وتضارب القوم بالمخاصر ، واجتذبوا السيوف[4] ، وتسابّوا، ولام كل فريق منهم الآخر فى رأيه ، وسار علىّ رضى الله ١٥ عنه يريد الكوفة ، ولحق معاوية بدمشق .

---

(٤) الحكمين : الحكمان (٥) أحيا : احي ‖ يداهنان : يداهيان
(١٣) انتظام : انتضام

---

(١) مروج الذهب ، ٢ : ٣٩١ — ٣٩٢
(٢) هو عروة بن أذنة التميمى ، أحد زعماء بنى تميم ، راجع مروج الذهب ، ٢ : ٢٩٣
(٣) إضافة من مروج الذهب ، فى الموضع المذكور
(٤) كذا فى الأصل ، وفى مروج الذهب : وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف

قال الروحى فى تاريخه المسمّى بتحفة الخلفاء : كان عدّة القتلى بصفّين سبعين
ألفاً : من أهل الشام خمسة وأربعين ألفاً ، ومن أهل العراق خمسة وعشرين ألفاً،
٣ منهم خمسة وعشرون بدريًّا، فيهم عمّار بن ياسر، وكانت أذنه قطعت يوم اليمامة،
قلت : وعمّار رضى الله عنه أوّل من بنى مسجداً يصلّى فيه ، وفيه أنزلت: « إلّا
مَن أُكره وقلبه مطمئنّ بالإيمان »[1] ، وكانت مدّة الحرب بصفّين مائة يوم
٦ وعشرة أيّام.

وفيها استعمل علىّ رضي الله عنه على الرى يزيد بن حجيمة التيمى ، فكسر
من الخراج ثلاثين ألفاً، فطلبه بذلك ، وخفقه عدّة خفقات بالدّرة وحبسه، ووكل
٩ به سعداً مولاه ، فهرب منه يزيد ولحق بمعاوية ، فأعاده إلى الرىّ والياً ، وكان
يزيد هذا شهد مع علىّ عليه السّلام حرب الجمل ، وصفّين ، والنهروان ، ثم ولّاه
الرىّ ، فكان من أمره ما كان .

١٢ ذكر سنة ثمان وثلاثين

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع وخمسة عشر إصبعاً ، مبلغ الزيادة ستّة عشر ذراعاً
١٥ وتسعة أصابع .

ما لخّص من الحوادث

الإمام علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه أمير المؤمنين بالكوفة ، وباقى
١٨ الأمراء ولاة الأعمال بحالهم ، إلّا محمّد بن أبى بكر ، فإنّه قُتل فى هذه السّنة ،

---

(١) القتلى : القتلا (٣) عشرون : عشرين (٤) مسجدا : مسجد
(٩) سعدا : سعد (١٤) أربعة : أربع || ستة : ست

---

(١) سورة النحل ، ١٠٦

وسيأتى ذكر ذلك فى موضعه، وبعث علىّ عليه السّلام مالك الأشتر النخعى واليًا
إلى مصر، فسُمّ فى الطريق، ومات قبل دخوله إلى مصر، وسيأتى ذكر ذلك أيضًا
فى مكانه اللائق به إن شاء الله تعالى . ٣

ولمّا دخل علىّ الكوفة انحاز عنه اثنا عشر ألفًا من القرّاء وغيرهم، وجعلوا
عليهم شبيب بن ربعى ، وعلى صلاتهم عبد الله بن الكوّاء اليشكرى ، وكان
اجتماعهم بقرية يقال لها حرورة فلذلك سمّوا بذلك الحرورية ، وخرج إليهم ٦
علىّ ، وكان له معهم مناظرات يأتى ذكر شىء من ذلك فى موضعه ، إن شاء
الله تعالى .

ذكر الحكمين وأمر التحكيم ٩

قال[1] المسعودى رحمه الله : وفى سنة ثمان وثلاثين ، كان اجتماع الحكمين
بدومة الجندل ، فبعث على كرّم الله وجهه عبد الله بن عبّاس، وشريح بن هانىء
الهمدانىّ فى أربعمائة رجل ، فلمّا وصل القوم للمكان الذى كان فيه الاجتماع قال ١٢
ابن عبّاس لأبى موسى : إنّ عليًّا لم يرض بك حَكَمًا ، لفضل غيرك والمقدّمين
عليك ، وإن النّاس أبوا إلّا أنت ، وأظنّ ذلك لشرّ يراد بهم ، وقد رموك

---

(١) على : عليا (٣) اللائق : الاوق (٤) القراء : القرى
(٩) الحكمين : الحكمان (١١) عبد الله : لعبد الله (١٢) وصل : وصلوا
(١٣) يرض : يرضى || المقدمين : المقدمون (١٤) أبوا : ابو

---

(١) مروج الذهب ٢، : ٣٩٥ وما بعدها ، غير أن الطبرى يذكر أن اجتماع الحكمين بدومة الجندل تم فى سنة ٣٧ ، انظر تاريخ الطبرى ، ٦ : ٣٧ وما بعدها ، ويقول فى نهاية حديثه عن التحكيم : وزعم الواقدي أن اجتماع الحكمين كان فى شعبان سنة ٣٨ من الهجرة ، ٦ : ٤٠، وقول الطبرى هذا يدل على أنه إنما يميل إلى تضعيف الرأى القائل بأن التحكيم حدث فى سنة ٣٨ ، كما هو واضح

بداهية العرب ، فهما نسيت فلا تنسَ أنّ عليًّا بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وليست فيه خصلة تباعده من الخلافة ، وأن ليس فى معاوية خصلة تقرّبه من الخلافة . ٣

قال[1] : ووصّى معاوية عمراً حين فارقه ، فقال : يا أبا عبد الله ، إنّ أهل العراق قد أكرهوا عليًّا على أبى موسى الأشعرى ، وإنّ أهل الشام راضون بك ، وقد ضُمّ (٣٠٣) إليك رجل طويل اللسان ، قصير الرأى ، فلا تلقه برأيك كلّه . ٦

فلمّا التقى أبو موسى وعمرو بن العاص بدومة الجندل ، قال عمرو لأبى موسى : خبّرنى ما رأيك[2] ؟ فقال : أرى أن نخلع هذين الرجلين ، وأجعل الأمر شورى بين المسلمين ، يختارون لأنفسهم من يختارون ، فقال عمرو الرأى ما رأيته ! فأقبلا ٩ على الناس وهم مجتمعون ، فقال عمرو لأبى موسى : تكلّم بما وقع الاتّفاق عليه ، فإنّ رأينا جميعاً قد اجتمع ، وأنت أقدم وأسبق .

قال : فتكلّم أبو موسى ، فقال : رأيى ورأى عمرو قد اتّفق على أمر نرجو ١٢ أن يصلح الله به أمّة نبيه ﷺ ، فقال عمرو : صدق أبو موسى ، تقدّم فتكلّم ! قال : فتقدّم أبو موسى ليتكلّم ، فدعاه ابن عبّاس ، فقال : ويحك إنّى لأظنّه قد خدعك ، إن كنتما اتّفقتما على أمر فقدّمه فى الكلام قبلك ، ثم تكلّم أنت بعده ، ١٥ فإنّ عمراً رجل غدّار ، ولا آمن أن يكون أعطاك الرضا فيما بينك وبينه ، فإذا قمت فى الناس خالفك .

(٤) يا أبا : يابا (٧) أبو موسى : ابى موسى (٩) يختارون : يختاروا
(١٢) نرجو : نرجوا (١٣و١٤) أبو موسى : أبا موسى

(١) مروج الذهب ، ٢ : ٣٩٥ ، ومابعدها
(٢) يبدأ المصنف من هذه الرواية فى الإفادة مما كتبه الطبرى فى تاريخه ، راجع ٣ : ٣٩ ـ ٤٠

وكان أبو موسى متغفّلا[1]، فقال: لا أرضاه أن يكون المقدّم علىّ فى القول، ثم تقدّم، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على نبيّه ﷺ، ثم قال: أيها الناس، إنّا قد نظرنا فى أمر هذه الأمّة، فلم نر أصلح لها، ولا ألمّ لشعثها من أمر قد اجتمع عليه رأيى ورأى عمرو بن العاص، وهو: أن نخلع عليًّا ومعاوية جميعاً، واستقبلوا أمركم، وولّوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً، ثم تنحّى.

وأقبل عمرو بن العاص، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، وصلّى على النبى ﷺ ثم قال: هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أيضاً أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبى معاوية، فإنه ولىّ ابن عفّان، والطالب بدمه، وأحقّ الناس بمقامه، فقال أبو موسى: ما لك (٣٠٤) لا وفّقك الله، غدرت وفجرت، إنما مثلك كمثل الكلب إنْ تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث، فقال عمرو. إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً.

قال[2]: وحمل شُرَيْح على عمرو فضربه بالسوط، وحمل ولد لعمرو فضرب شريحاً بالسوط، وقام الناس فحجزوا بينهما، فكان شريح بن هانىء بعد ذلك يقول: ما ندمت على شىء كندامتى على ضرب عمرو بالسوط، ألّا أكون قد ضربته بالسيف، ثم إنّ الناس التمسوا أبا موسى الأشعرى، فركب راحلته وأتى مكّة شرّفها الله تعالى وقال لابن عبّاس: غدرنى الفاسق، ولكنّى [اطمأننت][3] إليه، ولا ظننت أنه يُؤثِرُ شيئاً على نصيحة المسلمين، ثم انصرف عمرو وأهل

(٣) نر: نرا (١٤ و١٧) عمرو: عمرا

(١) كذا فى الأصل، وفى الطبرى، ٦: ٣٩: مغفلا (٢) الطبرى، ٦: ٤٠

(٣) كذا فى الطبرى، فى الموضع المذكور، وفى الأصل: اطمانينتى، تصحيف

الشام إلى معاوية ، فسلّموا عليه بالخلافة ، ورجع ابن هانىء وابن عبّاس إلى علىّ عليه السّلام فأخبروه بذلك ، هذا من رواية للسعودىّ[1] ، رحمه الله .

٣ وقال الطّبرىّ رحمه الله: إنّ أبا موسى الأشعرى وعمرو بن العاص لمّا اجتمعا بدومة الجندل ، لم يزل عمرو بأبى موسى إلى أن أجابه بأنّ عثمان قُتل مظلوماً ، وأنّ أولى الناس بالأمر وليّه [الطالب بدمه][2] ، وكتب بذلك بينهما صحيفة ،

٦ وقال الطبرى[3] : إنّ عمراً لمّا رجع إلى معاوية ، لم يأته ، ولا عبأ به ، وأتى منزله وقال : قد كنت آتيه وأحتفل بأمره إذ كانت لى إليه حاجة ، فأمّا إذا كان الأمر قد صار بيدى ، أولّى فيه من شئت .

٩ فلمّا بلغ معاوية ذلك عمل الحيلة على عمرو ، وأمر بطعام فصنع ، ثم دعا بخاصّته وأهله ومواليه ، وقال: دعوا قوم عمرو ، فليجلسوا قبلكم ، فكلّما قام رجل منهم فليجلس رجل منكم مكانه ، فإذا خرجوا ولم يبق فى الدار منهم أحد ، فامنعوهم

١٢ من الدخول إلى الدار ، وأغلقوا الباب (٣٠٥) دونهم ، ثم غدا معاوية إلى عمرو ابن العاص ، فدخل عليه وعمرو جالس على فرشه ، فلم يقم عنها ، فجاءه معاوية فجلس دون الفرش ، واتّكأ على جنبه ، وكان عمرو قد أعدّ فى نفسه أنّ الأمر

١٥ قد صار فى يده ، يندب إليه من يشاء ، ويضعها فيمن يريد ، قال : فحادثه معاوية

---

(١٠) عمرو : عمرا || رجل : رجلا

---

(١) لم يرد هذا الخبر بالصورة التى رواها المصنف عند المسعودى ، كما يذكر المصنف نفسه ، وإنما ورد فى الطبرى

(٢) مستفاد من الطبرى ، ٦ : ٣٨ ، وفى الأصل : أوليه الطلب ، وهو تصحيف

(٣) لم ترد هذه الرواية فى الطبرى ، وإنما وردت فى مروج الذهب للمسعودى ، ٢ : ٤٠٠ ــ ٤٠٢ غير أن لفظ المصنف يختلف عن لفظ المسعودى فى هذه الرواية

ساعة ، وضاحكه ، ثمّ قال : يا أبا عبد الله ، ثمّ غداءٍ قد راح[١] ، هل لك فيه ؟

فقال عمرو : نعم .

فدعا معاوية بالطّعام المستعدّ ، فوضع ، فقيل لأصحاب معاوية : هلموا إلى ٣

الغداء ، فقال معاوية : أصحابك يا أبا اعبد الله الأولى بالتقدّم على أصحابى ،

فأعجب بذلك عمرو ، فعاد كلّما قام رجل من أصحاب عمرو ، جلس رجل من

أصحاب معاوية ، وقام الموكّلون بالباب ، فمنعوا أصحاب عمرو من العود ، ٦

وغلقوا الباب دونهم ، فلمّا عاين عمرو أن لا ثمّ عنده أحد من أصحابه ، علم قصد

معاوية ، فقال عمرو : فعلتها أبا يزيد ؟ فقال : نعم ، فإنّما بينى وبينك أمران ،

اختر أيّهما شئت : البيعة لى ، أو القتل لك ، فليس والله غيرهما ، فحينئذ بايعه ٩

على رغم منه ، فى محضر من مشايخ الشام ، ثم انصرف معاوية إلى منزله .

ولما بلغ عليًّا عليه السّلام ما كان من أمر أبى موسى وعمرو ، قال : إنّى

كنت تقدّمت إليكم فى هذه الحكومة ، ونهيتكم عنها فأبيتم إلّا عصيانى ، ١٢

فكيف رأيتم عاقبة أمركم؟ والله إنّى لأعلم من جهلكم على خلافى والترك لأمرى

ما يوهيكم ، ولو أشاء أخذه لفعلت ، لكنّ الله يفعل ما يريد .

قال الطبرى رحمه الله[٢] : ثم إنّ الخوارج اجتمعوا فى أربعة آلاف رجل ، ١٥

فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبى ، ولحقوا بالمدائن فقتلوا عبد الله بن [خبّاب][٣]

---

(١) هل لك : هلك (١و٤) يا أبا : يابا (٣) فدعا : فادعى

(٧) عمرو : عمرا

---

(١) راح : برد وطاب ، لسان العرب

(٢) ورد هذا القول بنصه فى مروج الذهب ، ٢ : ٤٠٤ ، وورد بمعناه فى الطبرى فى مواضع متفرقة ٦ : ٤٢ ـ ٤٦

(٣) كذا فى الطبرى والمسعودى ، وفى الأصل : عبد الله بن حماد ، تصحيف

وكان عاملًا لعليّ عليه السلام على المدائن، ذبحوه (٣٠٦) ذبحاً، وشقّوا بطن امرأته وكانت حاملًا ، وقتلوا خلقاً من الناس .

ذكر وقعة الخوارج بالنّهروان

٣ قال الطبرى[١]: فلمّا بلغ عليّاً عليه السّلام ما فعلوه، خرج من الكوفة فى خمسة [وثلاثين ألفاً][٢] من أهلها ، وأتاه من البصرة من قبل عبد الله بن عبّاس ٦ ثلاثة آلاف[٣] ، منهم الأحنف بن قيس ، ثم نزل عليّ عليه السّلام الأنبار ، والتحقت به العساكر ، فخطب الناس وحرّضهم على القتال، وسار حتى أتى النّهروان وبعث للخوارج الحارث بن مرّة العبدى رسولاً ، يدعوهم إلى الرجوع ، فقتلوه ٩ ومثّلوا به ، وبعثوا إلى عليّ عليه السّلام يقولون : إن تبت عن حكومتك ، وشهدت على نفسك بالكفر، ثم تعود فتسلم، ثم نبايعك بعدها . وإن أبيت فاعتزل عنّا ، حتّى نختار لأنفسنا إماماً ، فإنّا منك [براء][٤] .

١٢ قال : فبعث إليهم يقول : ادفعوا إلينا قتلة إخواننا فنقتلهم بهم، أو نتركهم حتى أفرغ من قتال أهل المغرب ، ولعلّ الله يقلّب قلوبكم ، فقالوا : كلّنا قتلة أصحابك ، وكلّنا نستحلّ دماءهم ودماءكم ، فقال عليّ عليه السّلام لأصحابه : ١٥ سيروا الآن على بركة الله ، فوالله لا يفلت منهم إلّا عشرة ، ولا يقتل منكم إلّا عشرة .

---

(٤) عليا : على (١١) براء : بريا

---

(١) الأقرب أن يقول المصنف : قال المسعودى ، فقد نقل هذا القول بلفظه ومعناه تقريبا من المسعودى

(٢) كذا فى مروج الذهب : وفى الأصل: فى خمسة وستين نفر ، وهو خطأ

(٣) كذا فى الأصل ، وفى المروج : عشرة آلاف

(٤) كذا فى مروج الذهب ، وفى الأصل : بريا

وسار حتى أشرفَ عليهم، فقال: الله أكبر، صدق الله ورسوله ﷺ وتصافَّ القوم، فوقف عليهم بنفسه، ودعاهم إلى التوبة، فأبوا ورموا أصحابه بالنبل، فقيل له: قد رمونا، فقال لهم: كفّوا عنهم، وكرّر القول عليهم ثلاثاً، حتى أتى رجل [متشحّط][1] بدمه، فقال عليّ عليه السّلام: الله أكبر، الآن حلّ قتالهم، احملوا عليهم، وحمل رجل من الخوارج، وهو يقول:

أضربهم ولو أرى عليّا أُلبسته أبيض مشرفيّا

قال: فخرج إليه، وأجابه (٣٠٧) يقول:

يا أيهــذا المبتغى عليّا [إنّى][2] أراك جاهلاً شقيّا

قد كنت عن لقائه غنيّا هلم فابرز [هاهنا][3] إليّا

وشدّ عليه فقتله، ثم أتوا عليهم جميعاً، فلم يفلت منهم إلّا عشرة، ولم يقتل من أصحاب عليّ عليه السّلام غير عشرة، ومرّ عليهم عليٌّ وهم صرعى، فقال: لقد صرعكم مَن غرّكم، قالوا: ومن غرّهم يا إمام؟ قال: الشيطان، وأنفسُ السوء، فقال أصحابه: قطع دابرهم إلى يوم القيامة، فقال عليّ عليه السّلام: والذى نفسى بيده، إنّهم لفى أصلاب الرجال وأرحام النساء، لا تخرج خارجة إلّا خرجت بعدها مثلها، حتى تخرج خارجة من الفرات ودجلة، مع رجل يقال له [الأشمط][4]، فيخرج إليهم رجل من أهل البيت، فيستأصلهم، ولا تخرج بعدها خارجة إلى يوم القيامة.

(٦) أبيض: ابيضا (٨) يا آيهذا: يا أيها (١٠) أتوا: اتوا
(١١) صرعى: صرعا (١٦) تخرج: يخرج

(١) كذا فى مروج الذهب، وفى الأصل: مشحط
(٢) كذا فى مروج الذهب، وفى الأصل: إنك
(٣) كذا فى مروج الذهب، وفى الأصل: هنا
(٤) كذا فى مروج الذهب، وفى الأصل: السمط

ثم جمع ما كان فى عسكر الخوارج ، فقسم السلاح والدوابّ بين المسلمين ، وردّ المتاع والعبيد والإماء على أهاليهم ، ثم خطب الناس ، فقال : إنّ الله قد أحسن إليكم ، وأعزّ نصركم ، فتوجّهوا إلى عدوّكم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين قد كلّت سيوفنا ، ونفدت نبالنا ، ونصلت أسنّة رماحنا ، فدعنا نستعدّ بأحسن عدّة ، ونخرج لأمرك طائعين ، وكان الذى كلّمه بهذا الأشعث بن قيس ، ثم دخل الكوفة .

وفيها قتل محمّد بن أبى بكر الصّدّيق رضى الله عنه .

ذكر قتلة محمّد بن أبى بكر الصّدّيق رضى الله عنه

وذلك أنّ محمّد بن أبى بكر كان عاملًا على مصر من قِبَل علىّ عليه السّلام حسبما تقدّم من الكلام فى ذلك ، وكان قد سيّر ابن [مضاهم][1] الكلبى فى جيش إلى أهل خربتا ، فأفشلوا ، فهزم أهل خربتا ابن مضاهم ، وقتلوه ، وهزموا (٣٠٨) جيشه ، وفسدت مصر على محمّد بن أبى بكر ، فبلغ ذلك عليًّا ، فقال : ما لمصر إلّا أحد الرجلين : صاحبنا الذى عزلناه عنها ، يعنى قيسًا ، أو مالك ابن الحارث ، يعنى الأشتر .

وكان علىّ لمّا انصرف من صفّين ردّ الأشتر إلى عمله بالجزيرة ، فكتب إليه وهو يومئذ بعمله أنْ أقدم علىّ ، فقدم عليه ، فعقد له على مصر ، فبلغ معاوية الخبر

(١٢) ابن مضاهم : لمصاهر (١٦) على : عليا

(١) كذا فى الطبرى، ٦ : ٥٤ ، وفى الأصل : مصاهر الكلبى، تصحيف

فعظم عليه ، وقد كان طمع فى مصر ، قال : فبعث إلى [الجايستار](١) ، وهو
رجل من أهل الخراج ، فقال له : إنّ الأشتر سيقدم عليك طالباً مصر ، فإن أنت
كفيته لم آخذ منك خراجاً ما بقيت ، فاحتل عليه بما قدرت ، قال : فخرج
[الجايستار](١) حتى أتى القلزم ، فأقام به حتى قدم الأشتر من العراق طالباً مصر ،
فلمّا انتهى إلى القلزم تلقاه [الجايستار](١) ، فقال : أيّها الأمير ، هذا منزل
وطعام وعلف ، وأنا رجل من أهل الخراج ، فنزل عنده ، فقدّم له طعاماً ، حتى
إذا أكل ، أتاه بشربة من عسل ، قد برّد بماء ، وكان الأشتر يحبّ ذلك ،
وجعل فيه سمّاً قاتلاً ، فكان سببَ موته ، وأقبل معاوية يقول للناس من أهل
الشام: أيّها النّاس ، إنّ عليّاً قد وجّه الأشتر إلى مصر ، فادعوا الله أن يكفيكموه ،
فكانوا كلّ يوم يدعون على الأشتر ، وقدم [الجايستار](١) على معاوية ،
وعرّفه بموت الأشتر ، فقال : إنّ لله جنداً منهم العسل ، فصارت مثلاً .

ثم قام خطيباً ، وقال : أمّا بعد ، فإنّه قد كان لعليّ بن أبى طالب يدان ،
فقطعت إحداهما يوم صفّين ، يعنى عمّار بن ياسر ، وقطعت الأخرى اليوم ، يعنى
الأشتر ، ثم وجّه [عمرو بن العاص إلى مصر](٢) فى أربعة آلاف(٣) ، ووجّه معه
ابن حديج ، وأبا الأعور السلمى .

ولمّا قارب عمرو مصر ، قام محمّد بن أبى بكر فى أهل مصر خطيباً ،
وانتدب (٣٠٩) النّاس لحرب عمرو بن العاص ، فانتدب معه نحواً من ألفى رجل ،

(٤) أتى : اتا (٦) طعاما : طعام (١٧) نحوا : نحو

(١) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : الحاسبار
(٢) فى الأصل : ثم وجه لعمرو بن العاص مصرا
(٣) انظر الطبرى ، ٦ : ٦٠

واستقبل عمرو بن العاص كنانة بن بشر ، وهو على مقدّمة محمّد بن أبى بكر ،
فلمّا دنا عمرو من كنانة سرّح الكتائب ، فجعل كنانة لا يأتيه من كتائب
٣ أهل الشام كتيبة إلا شدّ عليها بمن معه ، فيردّهم إلى عمرو ، ففعل ذلك بهم مراراً ،
فلمّا رأى عمرو ذلك بعث إلى معاوية بن حديج فأتاه فى مثل الدهم ، فأحاطوا
بكنانة ، واجتمع أهل الشام عليهم من كل جانب ، فلمّا رأى كنانة ذلك نزل
٦ عن فرسه ، ونزل معه أصحابه وكنانة يقرأ : « وما كان لنفس أن تموت إلّا
بإذن الله كتاباً مؤجّلا »[1] الآية ، ولم يزل يضاربهم بسيفه حتّى استشهد .

وأقبل عمرو بن العاص نحو محمّد بن أبى بكر وقد تفرّق عنه أصحابه ،
٩ فلمّا رأى محمّد ذلك ، خرج يمشى فى الطريق حتى انتهى به إلى خربة فى ناحية
الطريق ، فأوى إليها ، وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط ، وخرج معاوية
ابن حديج فى خيله فى طلب محمّد بن أبى بكر ، حتّى انتهى إلى قارعة الطريق ،
١٢ فسأل من الناس هل مرّ بكم أحد تستنكرونه ، فقال أحدهم : لا والله ، إلّا أنى
دخلت تلك الخربة ، فإذا أنا برجل جالس [فيها ، فقال ابن حديج :][2] هو
وربّ الكعبة ، قال[3] : فانطلقوا يركضون ، حتّى دخلوا عليه فاستخرجوه ،
١٥ وقد كاد يموت عطشاً ، فأقبلوا نحو الفسطاط .

قال : ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبى بكر إلى عمرو بن العاص ، وكان معه
فى الجند ، فقال : أيقتل أخى صبراً ؟ ابعث إلى ابن حديج فانهه ، فبعث عمرو

---

(١٢) أحد : أحدا (١٧) ابن حديج : بن خديج

---

(١) سورة آل عمران ، ١٤٥
(٢) إضافة من الطبرى ، ٦ : ٥٠
(٣) الطبرى ، ٦ : ٣٩ ، وما بعدها

ابن العاص إلى ابن حديج ، يأمره أن يبعث بمحمّد إليه ، فقال معاوية بن حديج:
قتلتم كنانة بن بشر ، وأخلّى أنا محمّد بن أبي بكر ؟ هيهات هيهات ، « أكفّاركم
خير من أولائكم أم لكم براءة فى الزّبر »[1] ، فقال لهم محمّد بن أبي بكر (٣١٠):
استقونى شربة من الماء ، فقال له ابن حديج : لا سقى الله من يسقيك قطرة من الماء ،
أنتم منعتم عثمان أن يشرب الماء ، وقتلتموه صائماً محرماً ، فتلقّاه الله بالرحيق المختوم ،
والله لأقتلنّك يا ابن أبي بكر ، حتّى يسقيك الله الحميم والغسّاق ، فقال له محمّد بن
أبي بكر : يابن اليهوديّة النسّاجة ، ليس ذلك إليك ، ولا إلى من ذكرت ،
إنّما ذلك إلى الله عزّ وجلّ ، أما والله لو كان سيفى فى يدى ما بلغتم بى هذا !

فقال له ابن حديج : أتدرى ما أصنع بك ؟ أدخلك فى جوف حمار ، ثم أحرقه
بالنار ، فقال له محمّد بن أبي بكر : إن فعلتم بى ذلك فطالما فعلتم[2] ذلك بأولياء
الله تعالى ، وإنّى لأرجو أن تكون هذه النار التى تحرقنى بها [أن][3] يجعلها
الله عزّ وجلّ [علىّ][3] برداً وسلاماً ، كما جعلها على خليله إبراهيم ، وأن يجعلها
عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه ، وأن الله عزّ وجلّ ليحرقك
ومن ذكرته ، يعنى معاوية بن أبي سفيان ، وهذا ، وأشار إلى عمرو بن العاص ،
بنار تلظّى عليكم كلما خمدت[4] زادها الله سعيراً .

---

(٢) أكفاركم : العاكم (٣) أولائكم : أوليا كم (٤) سقى : سقا

(١١) لأرجو : لارجوا

---

(١) سورة القمر ، ٤٣

(٢) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : فطالما فعل

(٣) إضافة من الطبرى

(٤) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : خبت

فقال له ابن حديج : إنّما أقتلك بعثمان ، فقال له محمّد : وما أنت وعثمان ، إنّ عثمان عمل بالجور ، ونبذ حكم القرآن ، وقد قال الله عز وجل: « ومن لم يحكم
٣ بمـا أنزل الله فأولئك هم الـكافرون »[1] ، « وأولئك هم الظالمون »[2] ، « وأولئك هم الفاسقون »[3] ، فنقمنا ذلك عليه ، فقتلناه ، [وحسّنت][4] أنت له ذلك [ونظراؤك][5] ،فقد برّأنا الله إن شاء الله من دمه ، وأنت شريكه فى إثمه
٦ وعظم ذنبه . قال : فغضب ابن حديج ، وقتله ، ثم ألقاه فى جوف حمار ميّت ، ثم أحرقه بالنار ، فلما بلغ ذلك عائشة رضى الله عنها جزعت جزعاً شديداً ، وأقامت شهراً تدعو على معاوية ، وعمرو بن العاص دبر كلّ صلاة ، وأخذت عيال محمّد
٩ (٣١١) إليها ، فـكان القاسم بن محمّد بن أبى بكر فى عيالها .

وقد كان محمّد بن أبى بكر قد نفّذ إلى علىّ – عليه السّلام – يستنجده ، فمدّه بمالك بن كعب فى ألفين ، فسار خمساً ، ثم إنّ الحجّاج بن غُزيّة الأنصارى
١٢ قدم على علىّ عليه السّلام من مصر ، وكان حاضراً بما جرى ، وعاين هلاك محمّد ابن أبى بكر رضى الله عنه ، ثم قدم عبد الرحمن شبيب الفزارى ، وكان عينه بالشام ، فعرّفه أن البشر أقدمت على معاوية بن أبى سفيان بقتل محمّد بن أبى بكر
١٥ رحمه الله ، وقال : يا أمير المؤمنين : لم أر قوماً قط أشدّ سروراً من أهل الشام ، حين أتاهم قتل محمّد بن أبى بكر ، فقال على عليه السّلام : إنّ حزننا عليه بقدر سرورهم لا بل يزيد أضعافاً ، ثم استرجع .

---

(٧) بالنار : بالنا (٨) تدعو : تدعوا (١٢) جرى : جرا (١٥) أر : أرى

---

(١) سورة المائدة ، ٤٤
(٢) سورة المائدة ٤٥
(٣) سورة المائدة ، ٤٧
(٤) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : وحسبت
(٥) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : ونظر إليك

قال جماعة المؤرّخين[1] : ولم يكن بين علىّ رضى الله عنه وبين معاوية رضى الله عنه من الحرب إلّا ما ذكر بصفّين ، غير أنّ معاوية كان يسرّح سراياه ، فيغير على أطراف العراق ، فيسرح علىّ عليه السّلام من يحفظها منهم ، ٣ والله أعلم .

ذكر سنة تسع وثلاثين

النيل المبارك فى هذه السنة : ٦

الماء القديم خمسة أذرع وإصبعان ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وخمسة أصابع .

ما لخّص من الحوادث ٩

الإمام علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه أمير المؤمنين بالكوفة ، وفيها خطب الناس ، فقال[2] : يا عجبا من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم ، وفشلكم عن حقّكم ، إذا قلت لكم : اغزوهم فى الصيف ، قلتم : هذه حمّارة القيظ ، انظر ١٢ ينصرم الحرّ ، وإذا قلت لكم : اغزوهم فى الشتاء ، قلتم : هذا صرّ وقرّ ، فإذا كنتم تفرّون من الحرّ والبرد فأنتم والله من السيف (٣١٢) أفرّ ، يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا طغام الأحلام ، ويا عقول ربّات الحجال ، أفسدتم علىّ رأيى ١٥ بالعصيان ، حتّى قالت قريش : ابن أبى طالب شجاع ، ولكن لا رأى له فى

---

(١) المؤرخين : المؤرخون (٧) خمسة : خمس || ستة : ست
(١١) تضافر : تظافر (١٤) يا أشباه : يا شباه

---

(١) راجع مروج الذهب ، ٢ : ٤١٠
(٢) جاء هذا القول كجزء من خطبة لعلى رضى الله عنه فى نهج البلاغة ، شرح الشيخ محمد عبده ، ٦٩ ـ ٧٠ ، مع اختلاف فى اللفظ

الحرب ، لله درّهم : من أعلم بها منّى ، والله لقد نهضت فيها وأنا ابن العشرين ، ولقد نيّفت اليوم على الستّين ، ولـكن لا أرى لمن لا يطاع .

وكان علىّ كرّم الله وجهه إذا ورد عليه مال من الفىء ، لم يترك منه شيئاً ٣ فى يومه ذلك ، إلّا ما عجز عن قسمه ، وكان رضى الله عنه لا يخصّ بالفىء حميماً ولا قريباً ، ولا يخصّ بالولايات إلّا أهل العلوم والديانات ، وذوى الأمانات ، وإذا بلغته عن أحد خيانة كتب إليه : « قد [جاءتـكم] موعظة من ربكم »[1] ، ٦ « وياقوم [أوفوا المـكيال] والميزان بالقسط ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم » ، إلى قوله تعالى : « وما أنا عليكم بحفيظ »[2] ، إذا أتاك كتابى هذا فاحتفظ بما فى يديك من عملنا ، حتى نبعث إليك من يتسلّمه . ثم يرفع طرفه إلى السماء ، ٩ ويقول : اللّهمّ إنّك تعلم أنّى لم آمرهم بظلم عبادك ، ولا بترك حقّك .

وكان يقول فى دعائه : اللّهمّ إنّ ذنوبى لا تضرّك ، وإنّ رحمتك إيّاى لا تنقصك ، اللّهمّ أعطنى ما لا ينقصك ، وأعطنى ما لا ينفعك ، وكان يقول : ١٢ أنا أخو رسول الله ، وابن عمّه ، لا يقولها بعدى إلا كذّاب .

---

(١) نهضت : نهظت

---

(١) سورة يونس ، ٤٨ ، وفى الأصل : قد جاءكم

(٢) سورة هود ، ٨٤ ، ٨٥ وفى الأصل : فأوفوا الـكيل

ذكر سنة أربعين هجريّة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ثمانية أذرع وستة عشر إصبعاً ، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً ٣ وستّة أصابع .

ما لخّص من الحوادث

الإمام علىّ كرّم الله وجهه أمير المؤمنين بالكوفة إلى حين قُتل رضى الله ٦ عنه .

(٣١٣) ذكر مقتل الإمام علىّ كرّم الله وجهه

أجمع أهل التاريخ[1] أنّ عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله ، والبرك بن عبدالله ، ٩ وعمرو بن بكر التميمى ، اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس ، وعابوا أمر ولاتهم ، ثم ذكروا أهل النهروان ، فترحّموا عليهم ، وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم ؟ فلو شرينا أنفسنا قاتلنا أئمّة الضلالة ، وأرحنا المسلمين منهم جميعاً ، فقال ابن ملجم ١٢ لعنه الله : أنا أكفيكم علىّ بن أبى طالب ، وكان من أهل مصر ، وقال البرك ابن عبد الله : وأنا أكفيكم معاوية بن أبى سفيان ، وقال عمرو بن بكر : وأنا أكفيكم عمرو بن العاص ، فتعاهدوا على ذلك وتحالفوا ، وأكّدوا الأيمان بالله ١٥ تعالى ، لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذى وجّه إليه [حتى يقتله ، أو يموت دونه] ،[2] وأقبل كلّ واحد إلى المصر الذى فيه صاحبه .

---

(٣) ثمانية : ثمان

---

(١) راجع الطبرى ، ٦ : ٨٣

(٢) إضافة من الطبرى ، ٦ : ٨٣

قال: فخرج ابن ملجم لعنه الله إلى الكوفة، فلقى امرأة من تيم [الرّباب][1]، يقال لها قطام ابنة [الشجنة][2]، وقد قتل أبوها وأخوها وبعلها يوم النهروان، ٣ وكانت فاتنة الحسن، فلمّا رآها ابن ملجم افتتن بها، ونسى حاجته، فخطبها من نفسها، قالت: لا أتزوّجك إلّا بإحدى شيئين، قال: وما هما؟ قالت: ألف ناقة، وألف عبد وقينة، أو قتل ابن أبى طالب، قاتل الأحبّة، فقال: ٦ واعجباً إنّما مأتاى والله لذلك، فقالت: أطلب لك من يشدّ ظهرك، ويساعدك على أمرك.

ثم بعثت إلى رجل من قومها من تيم [الرّباب][1]، يقال له وردان، ٩ فكلّمته، فأجابها، وأتى ابن ملجم رجلًا من أشجع، يقال له شبيب بن نجزة[3]، فدعاه إلى قتل على بن أبى طالب، فقال: ويحك لو كان على غير علىّ كان أهون، قد عرفت قدمه فى الإسلام، وسابقته، وقرابته من النبى ﷺ، وما أجدنى ١٢ لذلك منشرحاً، فلم يزل به حتى أجابه.

قال[4]: فجاءوا إلى قطام، وهى معتكفة (٣١٤) فى المسجد الأعظم، السّابع والعشرين من شهر رمضان، فقال ابن ملجم: هذه الليلة التى واعدت فيها أصحابى ١٥ أن يقتل كلّ واحد صاحبه، فدعت لهم بالحرير، فعصبتهم، وأخذوا أسيافهم وخرجوا، وجلسوا مقابل السدّة التى يخرج منها علىّ عليه السّلام، فلمّا خرج لصلاة الصبح ضربه شبيب، فوقع السيف فى عضادة الباب، وضربه اللعين ابن ملجم

---

(٩) رجلا: رجل (١٣) جاءوا: جاءاوا

---

(١) كذا فى الطبرى، وفى الأصل: تيم التراب
(٢) كذا فى الطبرى، وفى الأصل: السحنه
(٣) كذا فى الأصل ومروج الذهب، ٢: ٤١٢، وفى الطبرى: شبيب بن بجرة
(٤) يعنى الطبرى

فى [قرنه][1] بالسيف ، وهرب وردان ، وشدّ الناس على ابن ملجم فأخذوه ، وتأخّر علىّ عليه السّلام ، ودفع فى صدر جعدة بن هبيرة يصلّى بالناس ، ونجا شبيب فى ازدحام الناس ، وأقبل وردان حتّى دخل منزله ، فدخل عليه رجل من بنى أبيه وهو ينزع [الحرير][2] عن صدره ، فقال : ما هذا الحرير[2] والسيف ؟ فأخبره بما كان من أمره ، فانصرف الرجل ، فجاء بسيفه فعلاه به فقتله ، قال[3] : ثم أمر علىّ عليه السّلام بابن ملجم ، فأحضر بين يديه فقال : يا عدوّ الله ألم أحسن إليك ؟ قال : بلى ، قال : فما حملك على هذا ؟ قال : شحذت سيفى أربعين صباحاً ، فسألت الله تعالى أن يقتل به شرّ خلقه ، فقال على رضى الله عنه : لا أراك إلّا مقتولاً به ولا أراك إلّا من أشرّ خلقه .

وقيل إنّ الناس دخلوا على الحسن بن علىّ عليهما السّلام فزعين لما حدث من أمر علىّ عليه السّلام فبينما هم عنده ، وابن ملجم مكتوفاً بين يديه ، إذ نادته أمّ كلثوم ابنة على : يا عدوّ الله إنّه لا بأس على أبى ، والله مخزيك ، فقال ابن ملجم لعنه الله : فعلى من تبكين ؟ والله لقد اشتريته[4] بألف ، وسممته بألف ، ولو كانت هذه الضربة بجميع أهل المصر ما بقى منهم أحد .

وقال الطبرى والروحى جميعاً إنّ علياً — عليه السّلام — قال : أطيبوا طعام ابن ملجم ، وألينوا فراشه ، فإن أعش فعفو وقصاص ، وإن أمت فألحقوه بى أخاصمه عند ربّ العالمين .

---

(١) شد : شدوا

---

(١) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : فقرنه

(٢) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : الحديد

(٣) يعنى الطبرى ، ٦ : ٨٤ ، مع اختلاف يسير فى اللفظ

(٤) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : شريته ، تصحيف

قال الطّبرى[١] رحمه الله : إن عليًّا ـ عليه السّلام ـ لم ينم تلك اللّيلة التى ضربه ابن ملجم صبيحتها ، وأنّه لم يزل يمشى من الباب إلى الباب، الذى للحجرة وهو يقول : والله ما كذبت ، ولا كذبت ، إنّها الليلة التى وعدت فيها ، فلما خرج صاح بطّ كنّ فى الدّار ، فصاح بهنّ بعض من فى الدار ، فقال على عليه السّلام : ويحك دعهنّ فإنّهن نوائح ، وخرج فضرب .

قال الروحى[٢] رحمه الله: ودخل النّاس على علىّ عليه السّلام فقال بعضهم : يا أمير المؤمنين، أرأيت إن فقدناك ، ولا نفقدك، أنبايع الحسن؟ فقال: لا آمركم ولا أنهاكم ، أنتم أبصر بأمركم .

وقال المسعودى رحمه الله : ضرب علىّ عليه السلام ليـــلة الجمعة ، فمكث تلك الليلة مع ليلة السبت ، وتوفى كرّم الله وجهه وأرضاه ليلة الأحد ، لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين هجرية، وعمره يومئذ ثلاث وستون سنة، وهو الأشهر المتّفق عليه ، وصلّى عليه ابنه الحسن عليه السلام ، ودفن بالرحبة عند المسجد بالكوفة ليلاً ، وغُيّب قبره ، وكانت خلافته خمس سنين إلّا ثلاثة أشهر ، ولمّا توفّى صلوات الله عليه بعث الحسن عليه السّلام إلى ابن ملجم ، فقتله بعد ما مثّل به ، ثم أخذه الناس ، فأدرجوه فى بَوَارِىّ ، ثم أحرقوه بالنار .

وأما البرك بن عبد الله ، فإنّه فى تلك الليلة التى قتل فيها علىّ عليه السلام ، قعد لمعاوية رضى الله عنه فلمّا خرج ليصلّى الصّبح شدّ عليه بسيفه، فوقع السيف فى عجيزته،

---

(٢) ابن : بن

---

(١) لم يرد فى الطبرى ، وإنّما ورد فى مروج الذهب ، ٢ : ٤١٣

(٢) ورد هذا القول فى الطبرى ، ٦ : ٨٥ ، وفى مروج الذهب ، ٢ : ٤١٣

ثم أخذ ، فلما قدم إلى معاوية قال : إنّ عندى خبراً أسرّك به ، فإن أخبرتك به تنفعنى؟ قال: نعم، فقال :إنّ أخالى قتل علىّ بن أبى طالب (٣١٦) فى هذه الليلة، قال : فلعلّه لم يقدر على ذلك ، قال : بلى ، إنّ علياً يخرج وليس معه حرس ، فأمر معاوية بقتله ، فقتل ، وقيل : بل اعتقله حتى صح قتل علىّ عليه السّلام فأجاره وأطلقه .

وبعث معاوية إلى الساعدى ، وكان طبيباً حاذقاً ، فلمّا نظر إلى معاوية قال: اختر إحدى خصلتين : إمّا أن أحمى حديدة وأضعها على موضع السيف فيبرأ ، وإما أسقيك شربة تقطع منك الولد وتبرأ ، فإنّ ضربتك مسمومة ، فقال معاوية: أما النار فلا صبر لى عليها، وأما انقطاع الولد فإنّ فى يزيد وعبدالله ما تقرّ به عينى، ثم سقاه شربة فبرأ ، ولم يولد له بعدها ولد .

وأما عمرو بن بكر ، فإنّه جلس لعمرو بن العاص تلك الليلة أيضاً ، فلم يخرج عمرو إلى الصلاة ، لما أراد الله من تأخير أجله ، وكان قد شكا من وجع فى بطنه، وأمر خارجة بن أبى حبيبة[1] ، وكان صاحب شرطته ، أن يصلّى بالناس ، فشدّ عليه عمرو بن بكر وهو يحسب أنّه عمرو بن العاص ، فضربه فقتله من وقته، فأخذ ، وانطلقوا به إلى عمرو بن العاص ، ورآهم يسلّمون عليه بالإمرة ، فقال ابن بكر : من هذا الذى تسلّمون عليه بالإمرة ؟ فقالوا : عمرو بن العاص ، قال : فمن قتلت أنا ؟ قالوا : قتلت خارجة ، فقال : واخيبتاه ، ثم قال لعمرو بن العاص: أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك ، قال عمرو : أردتنى وأراد الله خارجة ، ثم قدّمه فقتله .

(٩) تقر : يقر (١٢) عمرو : عمرا || شكا : شكى

(١) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : خارجة بن حذافة

ذكر شيء من أحكام عليّ رضى الله عنه وقضاياه
وبعض سيرته

٣ عن زرّ بن حبيش(١) أنّ رجلين جلسا يتغدّيان ، ومع أحدهما خمسة أرغفة ، ومع الآخر ثلاثة أرغفة ، فلمّا وضعا الغداء بين أيديهما ، مرّ بهما رجل ، فسلّم عليهما، فقالا: اجلس فكل ! فأكل معهما، حتى استوفوا (٣١٧) الأرغفة الثمانية،

٦ فقام الرّجل وطرح لهما ثمانية دراهم ، وقال : خذاها عوضاً عمّا أكلته لكما ، فقال صاحب الخمسة أرغفة : لى خمسة الدراهم ولك ثلاثة ، وقال صاحب الثلاثة : لا أرضى ، والدراهم بيننا نصفان .

٩ فارتفعا إلى عليّ عليه السّلام فقال لصاحب الثلاثة : قد بذل لك صاحبك ما بذل ، فارض به ، فقال : لا أرضى إلّا بمرّ الحقّ ، فقال عليّ: ليس لك فى مرّ الحقّ إلّا درهم واحد ، وله سبعة ، فقال: سبحان الله يا أمير المؤمنين ، لم أرض

١٢ بثلاثة ، وتقول أنت ليس لى فى مرّ الحقّ إلّا درهم ، قال : نعم ، قال : عرّفنى وجه ذلك حتى أقبله ، فقال: أليست الثمانية أرغفة أربعة وعشرين ثلثاً ، أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ؟ قال: نعم، قال: فأكلت أنت ثمانية أثلاث ، وإنّما لك تسعة،

١٥ فأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثاً ، أكل منها ثمانية ويبقى سبعة ، وأكل لك واحداً من تسعة أثلاث، فلك واحد بواحدك، وله سبعة ، فقال الرجل: الآن رضيت .

---

(٣) حبيش : حنيش (٤) ثلاثة : ثلثه (٦) ثمانية : ثمان
(٧) خمسة : خمس || ثلاثة : ثلاث (٧و٩) الثلاثة : الثلثة

---

(١) انظر الاستيعاب ، ٣ : ٤١ وما بعدها

قال سعيد بن عمرو [بن سعيد][1] بن العاص : قلت لعبد الله بن عيّاش [ابن][2] أبى ربيعة : يا عمّ ، لِمَ كان صفو الناس إلى علىّ ؟ قال: يا بن أخى، إنّ عليًّا كان له ما شئت من ضرس قاطع فى العلم ، وكان له البسطة فى العشيرة ، ٣ [والقدم][1] فى الإسلام ، والصهر إلى رسول الله ﷺ ، والفقه فى السُّنّة ، والنجدة فى الحرب .

ولقد أحسن الضرار إذ قال له معاوية: يا ضرار ، صف لى عليًّا ، فاستعفاه، ٦ فأبى أن يعفيه ، فقال : أمّا إذًا ، فكان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلًا ، ويحكم عدلًا ، يتفجّر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس[3] بالليل ووحشته ، وكان غزير الدمعة، ٩ (٣١٨) طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحدنا ، إذا سألناه يعطينا ، وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن مع تقريبه إيّانا وقربنا منه لا نكاد نكلّمه هيبة له ، يعظّم أهل الدين ، ويقرّب المساكين، ١٢ لا يطمع القوىّ فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، أشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، قابضًا يده على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا ، غرّى غيرى ، إلىّ تعرّضت ١٥ أم إلىّ تشوّقت ، هيهات هيهات قد باينتك ثلاثًا ، لا رجعة لى عليك ، فعمرك قصير ، وخطرك قليل ، فآه من قلّة الزاد ، وبُعد السفر ، ووحشة الطريق ،

---

(٣) البسطة : البسط

---

(١) إضافة من الاستيعاب

(٢) كذا فى الاستيعاب ، وفى الأصل : أبى

(٣) كذا فى الأصل ، وفى الاستيعاب ، ٣ : ٤٤ : ويستأنس

قال : فبكى معاوية ، وقال : يرحم الله أبا الحسن ، لقد كان كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذُبح واحدها فى حجرها .

٣ أثنى رجل على علىّ عليه السّلام وكان يتّهم نيّته ، فقال له علىّ عليه السّلام: أنا فوق ما فى نفسك ، ودون ما تصف .

وكان معاوية رضى الله عنه إذا نزلت به مشكلة ، يكتب فيها إلى علىّ عليه

٦ السّلام يسأله فيها ، فلمّا قتل عليه السّلام قال معاوية : ذهب الفقه والعلم بموت علىّ بن أبى طالب .

قيل لعلىّ رضى الله عنه : كم بين السماء والأرض ؟ قال : دعوة مستجابة ،

٩ وقيل له : كم بين المشرق والمغرب ؟ قال : مسيرة يوم للشمس .

وسئل الحسن البصرى رحمة الله عليه عن علىّ عليه السّلام فقال : كان والله سهماً صائباً من مرامى الله على عدوّه ، وربّانىّ هذه الأمّة ، وذا فضلها ، وذا سابقتها ،

١٢ وذا قرابتها من رسو الله ﷺ لم يكن بالنُّوَمة عن أمر الله عزّ وجلّ ، ولا بالمَلُولة فى دين الله ، ولا بالسرَقَة لمال الله عزّ وجلّ (٣١٩) أعطى القرآن عزائمه ، ففاز منه برياض مونقة ، ذلك ابن أبى طالب ، يا لكع .

١٥ وكان ابن معين يقول : أبو بكر وعمر وعثمان ، ولم يختلف أهل الأثر فى أنّ عليًّا أفضل الناس بعد أبى بكر وعمر .

وقف مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة ، فى التفضيل بين علىّ وعثمان

١٨ رضى الله عنهما .

ومن غرائب الحديث ما ورد فى قاتله عليه السّلام :

قال صاحب كتاب غريب الحديث : إنّ الرشيد بعث رسولاً إلى ملك الروم

---

(٦) يسأله : يسله (١٣) أعطى : اعطا

فنزل على بطريق كبير من بطارقة الروم، وأقام عنده إلى حيث يستأذن له بالحضور فمكث أيّاماً ، واستأنس به البطريق ، فخرجا ذات يوم إلى ظاهر تلك الناحية يتسايران ، قال : فنظرت إلى سواد عن بعد على ساحل البحر ، فسألت ذلك البطريق عنه ، فقال: هو دير قديم لايعلم بانيه، وفيه راهب تعظّمه أهل النصرانيّة كلّها، لعلمه ودينه وكبر بيته، ولى به أنسة لقدم المجاورة ، وكثرة تكرارى إليه ألتمس بركته .

فلمّا علم وتحقّق حسن نيّتى وظنّى به ، قال لى يوماً فى خلوة من الناس : إنّى مسرّ إليك بشىء ، وناصحك فى أمر آخرتك ، لثقتى بعقلك وحلمك ، وحسن فهمك ، اعلم أنّى منذ أعوام كنت جالساً بأعلى هذا الدير ، وأنا أنظر البحر وهوله ، متفكّراً فى عظيم قدرة الله تعالى، وخطر ببالى أمر المسلمين ، واستيلائهم على الدنيا ، وانتصارهم على دين المسيح ، فبينا أنا فى هذه الفكرة لم أشعر إلّا بطائر خرج من البحر كالبختى العظيم ، فرفرف على هذا الدّير حتى خشيت أن يقتلعه ، ثم رمى من منقاره رأس آدمى ، ثم أتبعه بيده ، ثم بيده الأخرى ، ثم بحشو بطنه، ثم بفخديه، ورجليه، فلمّا (٣٢٠) تكاملت الأعضاء كلّها التصقوا بقدرة الله عزّ وجلّ ، وعاد آدميًّا قائمًا على قدميه، ثم إنّ الطائر قطّعه كما كان وابتلعه قطعة قطعة ، وحلّق نحو البحر .

فلمّا عاينت ذلك غبت عن الدنيا ساعة لهول ما عاينت ، ولم أزل فى فكرة ذلك إلى ثانى يوم مثل ذلك الوقت الذى ظهر فيه ذلك الطائر، لم أشعر إلّا بذلك الطائر وقد فعل بذلك الآدمى كفعلته بالأمس ، ثم كان كذلك فى اليوم الثالث، وقد أنست بفعله ، فصبرت عليه ، حتى تكامل ذلك الآدمى ، واستوى إنسيًّا

(٩) بأعلى : باعلا (١٥) آدميا قائما : ادمى قائم (٢٠) واستوى : واستوا

قائماً ، فقلت له : بحقّ من بلاك بهذا البلاء ، ألا أخبرتنى من أنت ؟ فقال : أنا
عبد الرحمن بن ملجم ، قاتل علىّ بن أبى طالب ، قد وكّل الله به هذا الطائر ،
٣ أو قال هذا الملك ، فهو يفعل به ما تراه فى كلّ يوم إلى يوم القيامة ، فمنذ ذلك
اليوم أقررت بالإسلام ، وقد نصحتك الآن فكن كيف شئت ، قال البطريق :
وإنّى أيضاً مسلم منذ ذلك اليوم ، وأنا أخفى إسلامى ، خوفاً على نفسى، وأهلى ،
٦ وولايتى، واشهد علىّ أنّى أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله .

ذكر أزواجه وأولاده رضوان الله عليهم

قال الطبرى[1] : رحمه الله : أوّل زوجاته عليه السّلام : فاطمة بنت
٩ رسول الله ﷺ ، ولم يتزوّج عليها حتّى توفّيت عنده ، وكان له من الأولاد :
الحسن والحسين وولد آخر كان اسمه محسناً ، توفّى صغيراً ، ومن الإناث : زينب
الكبرى ، وأمّ كلثوم رضوان الله عليهم أجمعين، ثمّ تزوّج أمّ البنين ابنة حزام
١٢ فولدت له العبّاس ، وجعفر ، وعبد الله ، وعثمان ، جميعهم قُتلوا مع الحسين أخيهم
رضوان الله عليهم أجمعين ، وتزوج (٣٢١) ليلى ابنة مسعود بن خالد، فولدت له
[عبيد][2] الله ، وأبا بكر ، وتزوّج أسماء بنت عُمَيْس الخثعميّة ، فولدت له
١٥ يحيى ومحمّداً الأصغر ، وتزوّج أمامة بنت أبى العاصى ، وأمّها زينب بنت
رسول الله ﷺ ، فولدت له محمّدا الأوسط، وتزوّج خولة بنت [جعفر بن][3]
قيس الحنفيّة ، فولدت له محمّداً الأكبر، المعروف بابن الحنفيّة، وتزوج أمّ سعيد
١٨ بنت عروة بن مسعود ، فولدت له أمّ الحسن ، ورملة الكبرى .

---

(٥) مسلم : مسلما (١٥و١٧) محمدا : محمد

---

(١) الطبرى ، ٦ : ٨٩
(٢) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : عبد الله
(٣) إضافة من الطبرى

وكانت له عليه السلام بنات من أمهات لم تحضرنى أسماؤهن ، فمن بناته عليه السلام : أم هانىء ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، ورملة الصغرى ، وفاطمة ، وخديجة ، وأمامة ، وأم الكرام ، وأم سلمة ، وأم جعفر ، [وجمانة][1] ، ونفيسة ، كلهن بنات على عليه السلام ، وأمهاتهن أمهات أولاد ، وتزوج أيضا [محياة][2] بنت امرىء القيس بن على بن أوس ، فولدت له جارية توفيت وهى صغيرة ، فجميع ولده عليه السلام أربعة عشر ذكراً ، وسبع عشرة امرأة .

قال الروحى[3] وغيره : إن النسل الشريف من خمسة ، وهم : الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، وعمر[4] ، والعباس ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وسنذكر فصلا جيداً فيه جملة كافية عن ذريته عليه السلام من نسب بنيه الخمسة المذكورين ، فى أول الجزء المختص بذكر العبيديين المنتسبين إلى الفاطميين الخلفاء المصريين ، لنخرج نسب المدعين ، حسبما ذكره المحققون لهذه الأنساب الطاهرة عليهم السلام .

ذكر صفته كرم الله وجهه

كان آدم اللون ، عظيم العينين ، عظيم اللحية ، بطيناً ، أصلع ، إلى القصر أقرب منه إلى الطول ، كأنما كسر ثم جبر ، خفيف المشى ، ضحوك السن .

(١) أسماؤهن : اسماهن (٦) أربعة عشر : اربع عشر (٩) بنيه الخمسة : فيه الخمس
(١١) المدعين : المدعيين || ذكره المحققون : ذكروا المحققين
(١٤) بطينا : بطين

(١) كذا فى الطبرى ، وفى الأصل : ضمانه
(٢) إضافة من الطبرى
(٣) ورد هذا القول فى الطبرى أيضا
(٤) كذا فى الأصل ، وفى الطبرى : عمر بن التغلبية

ذكر كتّابه عليه السّلام

كان كاتبه سعيد بن ضرار الهمدانى ، وعبيد الله بن أبى رافع ، مولى
٣ رسول الله ﷺ .

ذكر حاجبه رضى الله عنه

(٣٢٢) كان حاجبه قنبر مولاه ، وكان قبله بشر مولاه .

٦ نقش خاتمه عليه السّلام

الله الملك على عبده ، ويقال : الملك لله الواحد القهّار .

ذكر خلافة أحد شباب أهل الجنّة

٩ الحسن بن علىّ صلوات الله عليه

أما نسبه الشريف فهو : ذو الشرفين ، المعلم الطرفين : أبو محمّد الحسن
ابن علىّ بن أبى طالب ، وباقى ذلك فقد تقدّم ، أمّه سيّدة نساء العالمين ، وقرّة
١٢ عين سيّد الأولين والآخرين محمّد الأمين ، صلّى الله عليه وعلى آله أجمعين ،
صلاة دائمة إلى يوم الدين .

رُوى عن عبد الله بن عبّاس رضى الله عنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ
١٥ فأتته فاطمة صلوات الله عليها باكية ، فقال لها النبى ﷺ : « فداك أبوك ،
ما أبكاك ؟ » قالت : إنّ الحسن والحسين خرجا يدبّان ، فما دريت أين باتا ؟
قال : « إنّ الذى خلقهما ألطف بهما منك » ، ثم دعا الله لهما بالحفظ ، قال :
١٨ « اللّهمّ إنّ كانا أخذا برًّا أو بحراً فسلّمهما واحفظهما » ، فجاءه جبريل عليه
السلام فأخبره أنّهما فى حظيرة بنى النجار ، وأنّ الله سبحانه وتعالى قد وكل بهما

---

(١٦) يدبان : يدبا .

ملكاً يكلؤهما ، فقام النبيّ ﷺ ، فأتى الحظيرة ، فإذا هما نائمان متعانقان ، وإذا الملك الموكّل بهما قد بسط لهما أحد جناحيه ، وأظلّهما بالآخر، فأكبّ عليهما النبي ﷺ يقبّلهما ، حتى انتبها من نومهما ، فحمل الحسن على عاتقه الأيمن ، ٣ والحسين على عاتقه الأيسر ، وقال : « والله لأشرّفنكما ، كما شرّفكما الله عزّ وجلّ » ، فتلقّاه الصدّيق رضى الله عنه فقال: يا رسول الله ناولنى أحد الصبيين ، أخفّف عنك ، فقال ﷺ : « نعم المطيّة مطيّتهما ، ونعم الراكبان ، وأبوهما ٦ خير منهما » ، وذكر حديثاً (٣٢٣) طويلا .

وعن أم أيمن قالت : جاءت فاطمة بالحسن والحسين ، رضوان الله عليهم ، إلى النبي ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، انحلهما ، فقال : « نحلت هذا الكبير ٩ للهابة والحلم ، ونحلت هذا الصغير المحبّة والبهاء » .

وعن ابن عبّاس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أحشر أنا والأنبياء فى صعيد واحد ، فينادى مناد : معاشر الأنبياء تفاخروا بالأولاد ، ١٢ فأفتخر بولديّ الحسن والحسين » .

قلت : هذا صبيح لا يحجب فلقه ، وسائغ لا يستوعب طلقه ، ولا معدل بالسيادة عن رضيعيّ ثدى التقى ، وربيبيّ حجر الهدى ، إذ كلّ فضيلة فإلى ١٥ أرومتهما انتسابها ، وعلى جرثومتهما عرضها وحسابها . ولو وقفت كتابى هذا فى ربوع مجانيهما ، ما تلبثت إلّا يسيراً ، حتّى يسقط حسيراً ، كما أنّى لو وكلته بتسمية المقدّسين بولادهما ، المقتبسين من سادتهما ، من غير إلمام بذكر مناقبهم ، ١٨ التى كثّرت نجوم الرفيع ، وغرقد البقيع ، لم نقض فى ذاك نحباً ، بل لم يأت على بعضه إلّا سحباً ، ومن أقرّ به عين مصطفاه ، فقد بلغ من النجابة والسيادة ،

---

(١) نائمان متعانقان : نائمين متعانقين (١٤) صبيح : صبيح

ما لا يمكن عليه زيادة ، وإنّ موقع الإطناب، من هذا الباب ، من قول النبي ﷺ:
« الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة ، إلّا ابنى الخالة عيسى بن مريم ،
٣ ويحيى بن زكريّا »، فهذه هى النجابة المؤبّدة المختومة، والسيادة المخلّدة المعصومة.
روى أنّ النبيّ ﷺ جلس على المنبر ، ومعه الحسن بن علىّ عليهما السّلام
فجعل يقبل على العبّاس مرّة وعلى الحسن مرّة ، ثم قال : « إنّ ابنى هذا سيّد ،
٦ ولعل الله عزّ وجلّ أن يصلح به بين (٣٢٤) فئتين عظيمتين من المسلمين »، ولهذا
الحديث سلّم الحسن عليه السّلام الأمر لمعاوية رضى الله عنه .
فكان أوّل من بايع الحسن عليه السّلام قيس بن سعد ، ثم تلاه الناس ،
٩ وكانت يوم الأربعاء ثالث شوّال البيعة للحسن رضى الله عنه ، ثم أقام متمسّكاً
بالأمر ستّة أشهر ، وستّة أيام ، لم يحدث أمراً ، ثم سار إلى معاوية ، والتقيا
بمسكن[1] قادماً من الكوفة ، وسلّم الأمر له ، كما يأتى ذكر ذلك فى سنة إحدى
١٢ وأربعين ، إن شاء الله تعالى .

ذكر سنة إحدى وأربعين

النيل المبارك فى هذه السنة :

١٥ الماء القديم ثمانية أذرع وستّة عشر إصبعاً ، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً
وستّة أصابع .

ما لخّص من الحوادث

١٨ الإمام الحسن صلوات الله عليه أمير المؤمنين إلى حين ما سلّم الأمر لمعاوية ،

---

(٨) تلاه : تلوه (١١) قادما : قادم (١٥) ثمانية : ثمان

---

(١) مسكن : موضع قريب من أوانا التى تبعد عن بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت ، معجم البلدان لياقوت

لخمس بقين من شهر ربيع الأوّل من هذه السنة ، وقيل إنّه صالحه بأرض بأذرح[1]، من عمل العراق ، فى جمادى الأولى ، وأخذ منه مائة ألف دينار ، روى ذلك أبو بشر الدولابى رحمه الله تعالى . ٣

وقال المسعودى[2] رحمه الله : إنّ الحسن عليه السّلام لمّا صالح معاوية ، واتّفقا على ما اتّفقا عليه ، واجتمعا بالكوفة ، كلّم عمرو بن العاص معاوية فى أن يأمر الحسن أن يقوم فيخطب الناس ، قال : فكره ذلك معاوية ، وقال : ليس برأى، ٦ فقال عمرو : إنّما أريد أن يخطب الناس ، فيندو وجهه منهم ، ولم يزل عمرو بمعاوية حتى أطاعه ، فخرج معاوية فخطب الناس ، ثم أمر رجلًا فنادى : قم يا حسن ، فكلّم النّاس ، فقام الحسن فتشهّد فى بديهته ، ثم قال : أمّا بعد ، أيّها الناس ، ٩ إنّ الله هداكم بأوّلنا ، وحقن (٣٢٥) دماءكم بآخرنا ، وإنّ لهذا الأمر مدّة ، والدنيا دول، وقد قال الله تعالى لنبيّه ﷺ : « وإن أدرى لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين »[3] . ١٢

وروى الشعبى رحمه الله ما ذكره الروحى رحمه الله قال[4] : شهدت خطبة الحسن حين سلّم الأمر لمعاوية ، قال : قام الحسن عليه السلام ، فحمد الله تعالى ، وأثنى عليه ، وصلّى على النبى ﷺ ثم قال : أمّا بعد ، فإنّ أكيس الكيس التّقى، ١٥ وأحمق الحمق الفجور ، وإنّ هذا الأمر الذى اختلفت فيه أنا ومعاوية إنّما هو

---

(٧) نيندو : فيندوا

---

(١) أذرح : بلد فى أطراف الشام من أعمال الشراة ، ثم من نواحى البلقاء وعمان مجاورة لأرض الحجاز ، انظر : ياقوت ، معجم البلدان

(٢) مروج الذهب ، ٢ : ٤٣٠ – ٤٣١ ، مع اختلاف فى اللفظ

(٣) سورة الأنبياء ، ١١١

(٤) أورد هذه الرواية أيضا بسنده عن الشعبى ابن عبد البر فى الاستيعاب، ١ : ٣٧٤ ، مع اختلاف فى اللفظ

لامرئ كان أحقّ به منّي ، أو أحقّ به منه ، فتركته له إرادة صلاح الأمّة ، وحقنا لدمائهم ، « وإنْ أدرى لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين » ، فكانت مدّة
٣ خلافة الحسن عليه السّلام ستّة أشهر وستّة أيام ، متّفق عليه من أرباب التّواريخ[1] .

وروى سفينة ما ذكره الرّوحى وغيره متّفق عليه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ
٦ يقول : « الخلافة بعدى ثلاثون عاماً ثم تكون ملكا » ، أو قال ملوكاً ، فكان آخر خلافة الحسن عليه السّلام تمام ثلاثين سنة ، وثلاثة عشر يوماً ، من أوّل خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

٩ ثم خرج الحسن بن علىّ عليهما السّلام إلى المدينه فى سنة إحدى وأربعين ، ومات بها فى شهر ربيع الأوّل سنة تسع وأربعين مسموماً ، فاشتكى أربعين يوماً ثم توفّى صلوات الله عليه وكان له من العمر سبع وأربعون سنة ، ولد نصف رمضان
١٢ سنة ثلاث ، وولد الحسين صلوات الله عليهما بعده بعشرة أشهر واثنى عشر يوماً ، وقتل عليه السّلام فى سنة إحدى وستّين ، وعمره يوم ذاك تسع وخمسون سنة ، كما يأتى ذكر ذلك فى موضعه ، إن شاء الله تعالى .

١٥ وقيل مات الحسن عليه السّلام ليلة السبت ، لثمان خلون من المحرّم (٣٢٦) سنة خمسين ، وذكر المسعودى أنّ وفاة الحسن رضى الله عنه كانت وله خمسة وخمسون سنة[2] مسموماً ، وذلك أنّ معاوية بن أبى سفيان دسّ إلى جعدة

---

(٧) ثلاثين : ثلثون (١١) وأربعون : واربعين

---

(١) فى مروج الذهب ، ٢ : ٤٢٩ أن خلافة الحسن رضى الله عنه كانت ثمانية أشهر وعشرة أيام

(٢) لم يرد هذا القول فى مروج الذهب ، وإنما ورد فيه ما جاء بعد ذلك من أن معاوية قد دس إلى جعدة بنت الأشعث حتى تحتال فى قتل الحسن ، راجع مروج الذهب ، ٢ : ٤٢٧

بنت الأشعث زوجة الحسن عليه السّلام أنّك إن احتلت عليه حتّى يموت وجّهت إليك مائة ألف درهم ، وزوّجتك يزيد ، فـكان ذلك سبب سمّه ووفاته .

فلما مات عليه السّلام صلّى عليه سعيد بن العاص ، ودفن بالبقيع مع أمّه فاطمة صلوات الله عليهما[1] ، ووفى معاوية لجعدة بالمال ، وأرسل إليها : إنّا نحب حياة يزيد ، ولولا ذلك لوفّينا لك بزواجه .

ذكر صفته عليه السّلام

كان أشبه الناس بسيّدنا رسول الله ﷺ ، من أعلاه إلى سرّته ، وقيل ما بين الصدر إلى الرّأس ، [والحسين][2] ما دون ذلك ، فوق الربعة ودون الطويل ، رضى الله عنه .

لم يستجدّ كاتباً ولا حاجباً فيذكرا ، وإنّما استقلّ بكاتب أبيه وحاجبه .

نقش خاتمه عليه السّلام

الله أكبر وبه استعنت ، وفى تاريخ القضاعى : لا إله إلّا الله الملك الحقّ المبين ، والله عزّ وجلّ أعلم .

نجز ولله الحمد والمنّة الجزء الثالث من التاريخ المسمّى بكنز الدّر ، وجامع الغرر .

---

(٥) لك : لكى

---

(١) كـذا فى الأصل ، ومعلوم أن فاطمة الزهـراء رضى الله عنها لم تدفن بالبقيع ، وأن قبرها كما هو معروف بداخل المسجد النبوى خاف قبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقد أشار ابن حجر فى الإصابة ، ٤ : ٣٨٠ إلى قول الواقدى : قلت لعبد الرحمن بن أبى الموالى : إن الناس يقولون إن قبر فاطمة بالبقيع ، فقـال : مادفنت إلا فى زاوية فى دار عقيل ، وبين قبرها وبين الطريق سبعة أذرع ، يعنى أنها عندما دفنت لم تدفن بالبقيع

(٢) كذا فى الاستيعاب ، ١ : ٣٦٩ – ٣٧٠ ، وفى الأصل : والجبين ، تصحيف

وعبارة الاستيعاب : كان الحسن أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه الناس بالنبى عليه الصلاة والسلام ما كان أسفل من ذلك

بخطّ يد واضعه ومصنّفه ، وجامعه ومؤلّفه، أضعف عباد الله، وأفقرهم إلى الله،
أبي بكر بن عبد الله بن أيبك صاحب صرخد ، كان عرف والده بالدوادارى ،
٣ غفر الله له ولوالديه ولمن قرأه .
(٣٢٧) وتجاوز عن كل خطأ تراه .

فصل يتضمّن ذكر بقيّة الشعراء
٦ المخضرمين

قال العبد المؤلّف لهذا التّاريخ البديع المشتمل على نوز الربيع : قد تقدّم
القول فى الجزء الأوّل[1] بذكر الشعراء الفحول من الجاهليّة ، ونثرنا فى هذا
٩ الجزء جماعة من الشعراء المخضرمين، وهم المدركون الملّة الإسلاميّة، وأخّرنا منهم
هذه البقيّة لنذكرهم على السياقة والتوالى ، وعلى الله اتّكالى .

طبقات الشعر خمس : المرقّص ، والمطرب ، والمقبول ، والمسموع ، والمتروك
١٢ فالمرقّص ما كان مخترعاً أو مولّداً ، تكاد تلحقه بطبقة الاختراع ، لما يوجد
فيه من اليسر الذى يمكّن أزمّة القلوب من يديه ، ويلقى منها محبّة عليه ، وذلك
راجع إلى الذوق والحس ، مغن بالإشارة عن العبارة ، كقول امرىء القيس :

١٥ سموت إليها بعد ما نام أهلها ... سموّ حباب الماء حالاً على حال

وكقول وضّاح اليمن :

قالت لقد أعييتنا حُجّةً ... فأتِ إذا ما هجع السامرُ
١٨ واسقط علينا كسقوط الندا ... ليلةَ لا ناهٍ ولا آمرُ

---

(١) مؤلفة : مالفه (٢) أبى بكر : أبو بكر (٦) المخضرمين : المخضرمون
(٧و٨) الجزء : الجزؤ (١٧) إذا ما هجع : إذا هجع

---

(١) الجزء الأول : يعنى الجزء الثانى

وكقول الصقلى (١) :

باكر إلى اللذات واركب لها سوابق اللهو ذوات المراح

من قبل أن ترشف شمس الضحى ريق الغوادى من ثغور الأقاح ٣

وكقول ابن طلحة الأندلسى :

والشمس لا تشرب خمر الندى فى الروض إلا بكئوس الشقيق

والمطرب : ما نقص فيه الغوص عن درجة الاختراع ، إلا أن فيه مسحة ٦ من الابتداع ، كقول زهير فى المتقدمين :

(٣٢٨) تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وكقول أبى تمام من المتأخرين : ٩

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

والمقبول : ما كان عليه طلاوة مما لا يكون فيه غوص على تشبيه وتمثيل وتورية ، وما أشبه ذلك ، كقول طرفة فى المتقدمين : ١٢

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وكقول ابن شرف من المتأخرين :

لا تسأل الناس والأيام عن خبر هما يبثانك الأخبار تطفيلا ١٥

والمسموع : ما عليه أكثر الشعراء مما به عليه القافية والوزن ، دون أن يمجه الطبع ، ويستثقله السمع ، كقول امرئ القيس فى المتقدمين :

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل ١٨

---

(٣) شمس : الشمس (٨) ماجئته : تاجيته (١٨) أسى : اسا

---

(١) كلمة مبتورة غير مقروءة، لوجودها على طرف الصفحة، ويبدو أن الجزء الأكبر منها قطع عند تجليد هذا الجزء

وكقول ابن المعتز من المتأخرين :

سقى الجزيرة ذات الظلّ والشجر ودير عبدون هطّالا من المطرِ

والمتروك : ما كان كَلًّا على السمع والطبع ، كقول المتنبى :

فقلقلت بالهمّ الذى قلقل الحشا قلاقل عيس كلّهنّ قلاقلُ

والمقصود من ذكر هذه المقدّمة أن يعلم القارئ لهذا التاريخ أن لم نعتمد ونقتصر مع ذكر الشعراء الذين عنينا بذكرهم آخر كل جزء من هذا التاريخ إلّا ما كان من طبقتى المرقّص والمطرب من أشعارهم ، إذ هما أعلى طبقات الشعر رتبة ، وكلاهما دائر على غوص فكرة .

ولله درّ القائل :

إذا كنت لم تشعر لمعنى تثيره فقل أنا وزّان وما أنا شاعرُ

وقد يجىء من طبقتى المقبول والمسموع ما يكون توطئة للمرقّص والمطرب ، فاجعله من جملة العدد بشفاعة ما يتعلّق به ، ومعظم الاعتماد فى هذا المختار على المرقّص والمطرب من الأشعار ، لكونه أعلق بالأفكار وأجول فى الأقطار .

(٣٢٩) حسّان بن ثابت الأنصارى

رضى الله عنه

شاعر سيّدنا رسول الله ﷺ المؤيّد بروح القدس، ممّا لحقه من معانى التخيّل ولمس الغوص بطبقة المطرب .

قوله فى آل جَفْنة[1] :

لله درّ عصابة نادمتهم يوماً بجلّقَ فى الزّمانِ الأوّلِ

(٧) أعلى : أعلا

(١) ديوان حسان بن ثابت ، ١٢٢ ، مع اختلاف فى بعض الألفاظ ، وفى ترتيب الأبيات

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية[1] الكريم المفضلِ
الملحقين فقيرهم بغنيّهم والمشفقين على اليتيم الأرملِ
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أنسابهم شُمُّ الأنوفِ من الطّراز الأوّلِ ٣
يغشون حتّى ماتهرّ كلابهم لا يسألون عن السّواد المقبلِ

وقوله:

أصون عرضي بمالي لا أدنّسه لا بارك الله بعد العرض فى المالِ ٦
أحتال للمال إن أوْدَى فأجمعه ولست للعرض إن أودى بمحتالِ

وقوله لأبى سفيان بن حرب فى المجاوبة عن النبي ﷺ :

وأنت زنيم نيط من آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفردُ[2] ٩

لبيد بن ربيعة

وقد تقدم ذكره فى الجاهلية

معدود من الشعراء المخضرمين كونه أدرك الإسلام، وعدّ من شعراء ١٢ النبي ﷺ، وقع له فى طبقة المرقص قوله:

وغداة ريح قد كشفت وقرّة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها[3]

وله فى المطرب: ١٥

إن الرزيّة لا رزية مثلها فقدان كلّ أخ كمثل الكوكبِ
ذهب الّذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الأجربِ

(١) مارية أم بنى جفنة، وهى بنت ملك الروم، راجع حواشى ص ١٣٢ من ديوان حسان

(٢) ديوان حسان، ١١٨، مع اختلاف فى اللفظ

(٣) البيت من معلقة لبيد، وقد ورد بلفظ آخر فى المعلقة فى شرح الزوزنى، انظر: الزوزنى: شرح المعلقات السبع، طبع مطبعة مصطفى البابى الحلبى، مصر، ١٣٧٩ هـ، ١٩٥٩ م ص ١١٨

وقوله[1] :

وما المرء إلّا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطعُ

٣ وما المال والأهلون إلّا ودائع ولا بدّ يوماً أن تردّ الودائعُ

أليس ورائى إن تراخت منيّتى لزوم العصا تحنى عليها الأصابعُ

(٣٣٠) النّابغة الجعدىّ[2]

٦ هو من المخضرمين ممن أدرك الجاهليّة والإسلام، ومعتدّ من شعراء النبي ﷺ، وأنشدوا له فى التشبيهات العقم قوله :

كليب لعمرى كان أكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرّج بالدمِ

٩ رمى ضرع ناب فاستقلّ بطعنة كحاشية البرد اليمانى المسّهمِ

وله فى المرقّص يصف فرساً :

كأنّ تمايل أرساغه رقاب وعول على مشربِ

١٢ وله فى المطرّب :

سألتنى عن أناس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكلْ

الحطيئة فى المشبّهات من العقم

١٥ يصف لغام ناقة :

ترى بين لحييها إذا ما تلغّمت لغاماً كبيتِ العنكبوت الممدّدِ

---

(٤) ورائى : ورأى (١١) تمايل بأرساغه : تماثل بأرساعه

---

(١) انظر : ابن قتيبة الدينورى : الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، ١: ٢٧٨ـ ٢٧٩

(٢) راجع ترجمته، وبعض أشعاره فى الشعر والشعراء، ١ : ٢٨٩ ـ ٢٩٦

وله في المرقّص :

كسوب ومتلاف متى ما سألته   تهلل واهتزّ اهتزاز المهنّدِ

ومن مطرّباته : ٣

هم القوم الذين إذا ألمّت   من الأيّام مظلمة أضاءوا

ومن مطرّباته :

الحمد لله أنّى فى جوار فتى   حامى الحقيقة نفّاع وضرّارِ ٦

لا يرفع الطّرف إلّا عند مكرمة   من الحيـاة ولا يغضى على عارِ

عمرو بن شأس[1]

له صحبة ، وله فى المطرّب : ٩

إذا نحن أدلجنـا وأنت أمامنـا   كفى لمطايانا نور وجهك هاديا

أليس تريك العيس خفّة أذرع   وإن كنّ حسراً أن تـكون أماميا[2]

الشمّـاخ[3] ١٢

له فى المطرب :

إذا ما راية رفعت لمجـد   تلقّاها عَـرابةُ[4] باليمينِ

---

(٢) متى ما سألته : متى سالته

---

(١) راجع ترجمته فى الإصابة ، ٣ : ١١٤ ، والشعر والشعراء ، ١ : ٤٢٥ ـ ٤٢٦

(٢) ورد هذان البيتان فى الإصابة ، فى الموضع المذكور ، ولـكن بلفظ مختلف

(٣) راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ، ١ : ٣١٥

(٤) هو عرابة بن أوس بن قيظى الأوسى ، صحابى ابن صحابى ، شهد الخندق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، راجع ترجمته فى الإصابة ، ٢ : ٤٧٣

ومن المشبهات العقم قوله :

إذا [أنبض][1] الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز

عَبَدة بن الطبيب[2]

فى المطرب ، قوله :

فما كان قيس[3] هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

(٣٣١) متمم بن نويرة[4]

له فى المطرب :

وقالوا أتبكى كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت لهم إن الأسى يبعث الأسى دعونى ، فهذا كله قبر مالك

كعب بن زهير[5]

له فى المرقص :

[ولا تمسك][6] بالوعد الذى وعدت إلا كما يمسك الماء الغرابيل

(٣) بن : ابن

(١) كذا فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ١ : ٣١٦ ، وفى الأصل : نبض ، تصحيف ، والإنباض ، أن تمد الوتر ثم ترسله فتسمع له صوتا

(٢) راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ، ٢ : ٧٢٧ – ٧٣٠

(٣) كذا فى الأصل ، وفى الشعر والشعراء : فلم يك قيس

(٤) راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ، ١ : ٣٣٧ – ٣٤٠

(٥) راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ، ١ : ١٥٤ – ١٥٦

(٦) كذا فى الشعر والشعراء ، وفى الأصل : وما يمسك

عمرو بن معد كرب[1]

فى المطرِّب :

فلو أنّ قومى أنطقتنى رماحهم نطقتُ ولكنّ الرّماح أجرّتِ ٣

العبّاس بن مرداس[2]

له فى المطرِّب :

وإنّى من القوم الذين همُ همُ إذا غاب منهم كوكب قام صاحبُهْ ٦

أضاءت لهم أحسابُهم ووجوهُهم دجى اللّيل حتى نظّم الجزْعَ ثاقبُهْ

الخنســـــاء

وقد تقدّمت ٩

لها فى المرقّص :

وإنّ صخراً لتأتمّ الهداة به كأنّه علم فى رأسه نارُ

وقولها : ١٢

يذكّرنى طلوع الشمس صخراً وأذكره لكلّ غروب شمسِ

جَنُوب أخت عمرو ذى الكلب

فى المُرَقِّص : ١٥

تمشى النسور إليه وهى لاهية مشىَ العذارى عليهنّ الجلابيبُ

وقولها :

وأقسم يا عمرو لو نبّهاك إذاً نبّها منك داء عضالا ١٨

(٣) أجرت : اخرت

(١) راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ، ١ : ٣٧٢ ـ ٣٧٥

(٢) راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ، ٢ : ٧٤٦ ـ ٧٤٨

إذا نبّها ليث عِرّيسة مغيثاً مفيداً نفوساً ومالا
وبيداء مجهولة خضتها بوجناء لا تتشكّى الكلالا
٣ فكنت النّهار بها شمسه وكنت دجى اللّيل فيها الهلالا

(٣٣٢) الزِّبْرِقان

له فى المطرّب :

٦ أبلغ سراة بنى عبس مغلغلة وفى العتاب حياة بين أقوامِ
تعدو الذّئاب على من لا كلاب له وتتّقى مربضَ المستأسد الحامى

عمرو بن الأهتم[1]

٩ له فى المطرّب :

ذرينى فإنّ البخل يا أمّ مالك[2] لصالح أخلاق الرّجال سروقُ
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكنّ أخلاق الرّجال تضيقُ

١٢ أوس بن [مغراء][3]

له فى المطرّب :

لعمرك ما تبلى سرابيل عامر من اللؤم أو تبلى عليها جُلُودُها

---

(٢) خضتها بوجناء : صبعها بوصا

---

(١) راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ، ٢ : ٦٣٢ ـ ٦٣٤

(٢) كذا فى الأصل ، وفى الشعر والشعراء ، ٢ : ٦٣٤ : أم هيثم

(٣) كذا فى الشعر والشعراء، ٢ : ٦٨٧ ، وفى الأصل: أوس بن معرا ، تصحيف

أبو ذؤيب الهذلى[١]

فى المطرّب :

تعلقها منه[٢] دلال ومقلة تظل لأرباب[٣] الشفاء تديرها ٣

الوليد بن عقبة[٤]

له فى المطرّب :

فإنك والكتاب إلى علىّ كدابغة وقد حلم الأديمُ ٦

انتهى القول فى ذكر الشعراء المخضرمين ، وما اختير ولخّص من أشعارهم ، ونتلو ذلك بذكر الشعراء المولّدين المخصوصين بالجزء[٥] الثالث من هذا التاريخ ، وهو الجزء المختصّ بذكر أخبار الأمويّين المسمى بالدّرّة السميّة فى أخبار دولة ٩ بنى أميّة .

وبتمام ذكر هذه الطبقة من الشعراء ، وهو الجزء الثالث

تمّ الجزء ولله الحمد والمنّة ١٢

ووافق الفراغ من نسخه اليوم المبارك السادس والعشرين من شهر ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، أحسن الله تقضيها بخير .

---

(١٦) ونتلو : ونتلوا

---

(١) راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ، ٢ : ٦٥٣ ـ ٦٥٨

(٢) كذا فى الأصل ، وفى الشعر والشعراء : تعلقه منها

(٣) كذا فى الأصل ، وفى الشعر والشعراء : لأصحاب

(٤) راجع بعض أخباره وانظر بعض أشعاره فى الشعر والشعراء ، ١ : ٢٧٦، ٣٠١-٣٠٢

(٥) الجزء الثالث : يعنى الجزء الرابع

(٣٣٣) تتلو ذلك

في أوّل الجزء الرابع إن شاء الله تعالى

ما مثاله :

ذكر أوّل ابتداء الدّولة الأموية

بخـــــلافة

معاوية بن أبي سفيان

رضي الله عنه

موفقاً لذلك إن شاء الله تعالى

والحمد لله ربّ العالمين

وصلواته على سيّدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين

وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل

الفهارس

فهـرس الأعلام والأمم والطوائف

(ا)

قامت بإعداد هذه الفهارس : آمال أمين عبد المجيد ـ بتحقيق التراث ـ دار الكتب القومية

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس الأماكن والبلدان

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

استدراكات

ص ١٣٠ س ٢ : « ولدت له [يعنى النبى ﷺ] فى الجاهليّة ولداً وسُمّى عبد مناف » .

هذا ما ذكره المصنّف، ولم نعثر فى كتب السّيرة والتّواريخ المعتمدة على من قال بأنّه كان للنبىّ ﷺ – ولد يُسمّى عبدُ مناف ، غير أن كُتّاب طبقات المحدّثين أشاروا إلى حديث مكذوب رواه الهيثم بن عدىّ عن هشام بن عروة عن أبيه، قال فيه:« ولدت خديجة للنّبىّ ﷺ عبد العزّى وعبد مناف والقاسم ». وقد نقد ابن حجر العسقلانى (فى لسان الميزان جـ ٦ ص ٢٠٩ــ٢١٠) هذا الحديث وعدّه من افتراء الهيثم بن عدىّ على هشام ، لا سيّما وأن الهيثم كذبه البخارىّ وأبو داود وآخرون . وذكر ابن حجر أن جماعة من علماء الحديث قالوا : لم ينقل أحد من الثّقاة مانقله الهيثم عن هشام، فلم يسمّ ﷺ عبد مناف ولا عبدالعزى قطّ. وانظر أيضا فيما ذكره علماء آخرون فى نقض هذا الحديث: شرح المواهب اللدنيّة ٣ : ١٩٣ – ١٩٤ . وعن الهيثم بن عدىّ انظر : الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرّازى، طبع حيدر آباد الدّكن ٩:٨٥ ، ميزان الاعتدال للذّهبى (طبع مصر) ٤ : ٣٢٤ – ٣٢٥ ، مروج الذّهب للمسعودى ٣ : ٤٤٦ ، وهامش (٢) ص ٥ من هذا الجزء من كنز الدرر لابن الدوادارى .

ص ١٦٨ – ١٦٩ (كلام عائشة – رضى الله عنها – فى أبيها بعد وفاته) :

نشر أخيراً كتاب لمحمّد بن القاسم الأنبارى (توفّى سنة ٣٢٧) بعنوان : « شرح خطبة عائشة أمّ المؤمنين فى أبيها » ، تحقيق صلاح الدين المنجّد ،

بيروت ١٤٠٠ (١٩٨٠ م)، تناول فيه مؤلّفه هذه الخطبة - التى اختصرها ابن الدّوادارى - بالشّرح والتوضيح، غير أنّه وقعت بعض الاختلافات بين كنز الدرر وذلك الشّرح، رأينا أن نثبت أهمّها ها هنا :

الصفحة	السطر	كنز الدرر	الأنبارى
١٦٨	١٢	نجح إذ كذّبتم	أنجح والله إذ أكذبتم
١٦٨	١٣	وريش ملقها	وريش معلقها
١٦٨	١٤	وتراب شعبها	ويرأب شعبها
١٦٨	١٦	فانقضت إليه نسوان مكة	فأقعصفت عليه نسوان أهل مكة
١٦٨	١٨	حتى ضرب الحقّ بجرأته	حتى إذا ضرب الدّين بجرانه
١٦٩	٢	وأقام أوَد نفاقه	وأقام أَوَدَه بثقافه
١٦٩	٢	فانذعر النّفاق	فامذقرّ النّفاق (يعنى تفرّق)
١٦٩	٢	وانتاش الناس بعدله	وانتاش الدّين فنعشه

ولقد وردت هذه الخطبة بتمامها - مع اختلاف فى اللّفظ - فى : نهاية الأرَب للنويرى ٧ : ٢٣ - ٢٣١، وصبح الأعشى للقلقشندى ١ : ٢٤٧ - ٢٤٨

تصويبات

المرجو أن يصوب القراء الأخطاء قبل البدء فى قراءة الكتاب

ص	س	الخطأ	الصواب
٣٠	٤	ركضه	ركضة
٣٢	٤	هذا ، فقال	هذا ، فقالت
٣٨	٨	أبو طالب	أبو طالب حتى حصروه فى الشعب، ومات أبو طالب.
٤٤	٣	أبو قطيفة	أبى قطيفة
٥٠	١٤	هاذم	هادم
٥٥	١٧	أعلم [(١)]	أعلم [(٢)]
٥٦	١٧	البطرح	البطرخ
٧٦	٩	نجاه فزارة	نجّاه فراره
٨٥	١٧	نسائه	نساءه
٩٦	٢	قصره	قصر ،
١٠٤	٥	قطّ اختار	قطّ إلا اختار
١١٩	١٩	فسكنهام	فكفاهم
١٢٢	٩	غزو	غزوة
١٢٥	١	سهل	سهيل
١٣٧	١٣	سهلة	مهملة
١٥٥	١	الزنب	الزرنب

ص	س	الخطأ	الصواب
١٦٦	١٧	أبا عبيد	أبا عبيدة
١٦٨	١٥	قيد	وقيذ
١٦٨	١٨	فلّوا	فلّوا له
١٧٥	١٠	عن	من
١٩٣	١٦	المسلمون	المسلمين
١٩٩	١٢	أهوائها	أهواؤها
٢٠٥	١١	الأرز	الأزر
٢٠٦	٨	بسلاسل	بسلال
٢٠٩	٢	ولما	ولم
٢١٥	٤	الخليج	الخلج
٢٢١	٦	بفلطسنين	بفلسطين
٢٤٣	١٩	مرتفعا	مرتفقا
٢٤٥	١٩	ر	ربّي
٢٥٢	١١	قتلك	قبلك
٢٥٢	١٣	إلى أخي	أخي إلى
٢٥٦	١٨	جعلت على نصيبك	جعلت على نصيبي
٢٥٧	٨	للجرة	للهجرة
٢٦٤	١٣	مضجع	مضطجع
٢٦٥	هامش ٣	ولم أقف	ولم أقف على اسمه فيما راجعت من مصادر

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٦٦	١٣	أبا عمرو	أبى عمرو
٢٧٢	الهامش	. . . .	(١) يعنى فى المسجد النبوى بالمدينة
٢٧٤	هامش ٢	القاعدبن	القاعدين
٢٧٥	١	أقرّ	أقسر
٢٧٧	١	فاضة	فاختة
٢٨٧	٤	سرج	سرح
٢٩٢	١٣	سفهائنا	سفهاءنا
٢٩٦	١١	الخادل	الخاذل
٣١٨	هامش ١	على بن المدين	على بن المدينى
٣٣٥	١٢	. . . أحسن وجها	وما رأيت أحسن وجها
٣٨١	١١	إلا الله	إلا لله
٣٨٥	٥	واستلقوا	واستقلوا
٣٨٧	٤	اعبد الله	عبد الله
٣٩٦	٢	لا أرى	لا رأى
٤٠٤	١٢	رسو	رسول
٤١٢	١٦	خمسة	خمس
٤١٣	١٤	الدر	الدرر
٤٢٢	٤	الزّبربان	الزّبرقان

رقم الإيداع بدار الكتب ١٨٨٨ / ١٩٨٢



Text, z.B. chronologische Fehler des Autors oder seiner Vorlagen. Die Zahlen dieses zweiten Apparates beziehen sich nicht auf die Zeilen des Textes, sondern auf die hinter der jeweiligen Textstelle stehenden Zahlen.

Zum Schluß sei den Freiburger Professoren Haarmann und Roemer herzlich gedankt, diesem dafür, daß er den Editor an der Edition des *Kanz ad-durar* beteiligt hat, jenem dafür, daß er ihn ermuntert hat, diese Arbeit trotz aller Schwierigkeiten fortzusetzen, die sich aus seiner Entsendung von der Kairoer 'Ain Šams-Universität an die Islamische Universität al-Imām b. Sa'ūd in Saudi-Arabien für die Editionsarbeit ergaben. Dankbar erwähnt sei die fürsorgliche Betreuung, die Professor Dr. Werner Kaiser dem Herausgeber dieses Bandes hat angedeihen lassen.

Ohne die Hilfe folgender Kollegen hätte sich die Arbeit nicht in angemessener Form verrichten lassen: Dr. 'Alī 'Ašrī Zāyid, Professor an der Dār al-'Ulūm, der die Gedichte dieses Teils durchgesehen und Ibn ad-Dawādārīs Fehler darin verbessert hat, vor allem auch Dr. 'Abdallāh Ǧamāl ad-dīn, Professor an der Dār al-'Ulūm, sowie Dr. Fārūq 'Abd al-'Alīm Mursī, Professor an der Fakultät für religiöses Recht und arabische Sprache in al-Qaṣīm, dem der Herausgeber für wertvolle Hinweise zur Berichtigung einiger historischer Daten verpflichtet ist.

Herr Dr. Bernd Radtke (Freiburg) unterzog während eines Aufenthalts in Kairo den Text und das Vorwort einer kritischen Durchsicht. In seinen Händen lag auch die Durchführung des gesamten Drucks.

VORWORT

Die Weltchronik *Kanz ad-durar wa-ǧāmiʿ al-ġurar* von Ibn ad-Dawādārī wird seit 1960 im Auftrag der Abteilung Kairo des Deutschen Archäologischen Instituts von europäischen und arabischen Gelehrten herausgegeben. Bisher erschienen Band IX (1960, ed. H.R. Roemer), Band VI (1961, ed. S. al-Munaǧǧid), Band VIII (1971, ed. U. Haarmann) und Band VII (1972, ed. S. ʿĀšūr). Gleichzeitig mit dem vorliegenden Band III erscheint Band I (ed. B. Radtke).

Der Edition liegt die Hs. Ahmed III, 2932 zugrunde. Sie umfaßt 333 Seiten, ist richtig paginiert und stammt von derselben Schreiberhand wie die übrigen acht Bände des Werkes. Der Kolophon nennt das Datum 26. Ḏū l-Qaʿda 733 (Näheres zur Chronologie des *Kanz ad-durar* vgl. Band I, Einleitung 2-6).

Der Titel unseres dritten Bandes lautet *ad-Durr aṯ-ṯamīn fī aḫbār sayyid al-mursalīn wal-ḫulafāʾ ar-rāšidīn* (für den Titel vgl. *Kanz* IX, Einleitung II f). Wie aus dem Titel ersichtlich, behandelt unser Band die *sīra* des Propheten und die Geschichte der vier rechtgeleiteten Chalifen. Er endet mit dem Chalifat Ḥasan b. ʿAlīs. Bis zum Jahr eins der *hiǧra* geschieht die Darstellung in *ḫabar*-form, dann annalistisch bis zum Schluß des Werkes im neunten Band. Auch beginnt der Autor, vom Jahr eins der *hiǧra* an, den jährlichen Nilstand zu notieren — so, wie er es in Band I angekündigt hatte (vgl. *Kanz* I, 9). Auch in unserem Band gilt die besondere Aufmerksamkeit des Autors Ägypten und seiner Geschichte.

Als Quellen werden u.a. genannt: Ibn Hišām, *Sīra*; Ṭabarī, *Annales*; Masʿūdī, *Murūǧ aḏ-ḏahab*; Ibn ʿAbd al-Ḥakam, *Futūḥ Miṣr*; Muḥammad b. ʿAbdallāh al-Azdī, *Futūḥ aš-Šām*. In einem Anhang (S. 327ff.) zitiert Ibn ad-Dawādārī Gedichte zeitgenössischer Poeten.

Unser Band weist dieselben orthographischen und sprachlichen Eigentümlichkeiten wie die übrigen Bände auf (vgl. Haarmann, Einleitung *Kanz* VIII, 33-38). Wir entschieden uns, der Editionsmethode von Band IX zu folgen: Herstellung des Textes in der hochsprachlichen Form, Notierung der von der Hochsprache abweichenden Form im Apparat. Die Zahlen dieses ersten Apparates verweisen auf die jeweilige Zeile. Zuerst wird die von uns korrigierte Form gegeben, dann die Form der Handschrift. Ein zweiter Apparat verzeichnet Quellen, biographische Daten und sachliche Bemerkungen zum

CIP-Kurztitelaufnahme der Deutschen Bibliothek

Dawādārī, Abū-Bakr Ibn-ʿAbdallah Ibn-Aibak ad-:
[Die Chronik]
Die Chronik des Ibn ad-Dawādārī — Wiesbaden: Steiner.
Einheitssacht.: Kanz ad-durar wa-ǧāmiʿ al-ġurar
Teil 3. Der Bericht über den Propheten und die rechtgeleiteten Chalifen / hrsg. von Muḥammad as-Saʿīd Ǧamāl ad-dīn — 1982.
(Quellen zur Geschichte des islamischen Ägyptens; Bd. 1 c)

ISBN 3-515-03653-9

NE: Ǧamāl-ad-Dīn, Muḥammad as-Saʿīd [Hrsg.]; GT

Printed in Egypt
Druckerei Issa el-Baby el-Halaby & Co. — Kairo

DIE CHRONIK DES IBN AD-DAWĀDĀRĪ

DRITTER TEIL

DER BERICHT ÜBER DEN PROPHETEN UND DIE RECHTGELEITETEN CHALIFEN

HERAUSGEGEBEN VON

MUḤAMMAD AS-SAʿĪD ĞAMĀL AD-DĪN

IN KOMMISSION BEI
FRANZ STEINER-VERLAG GMBH WIESBADEN

1981

Deutsches Archäologisches Institut Kairo

Quellen zur Geschichte des islamischen Ägyptens

BAND 1c

DIE CHRONIK DES IBN AD-DAWĀDĀRĪ, TEIL 3




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



